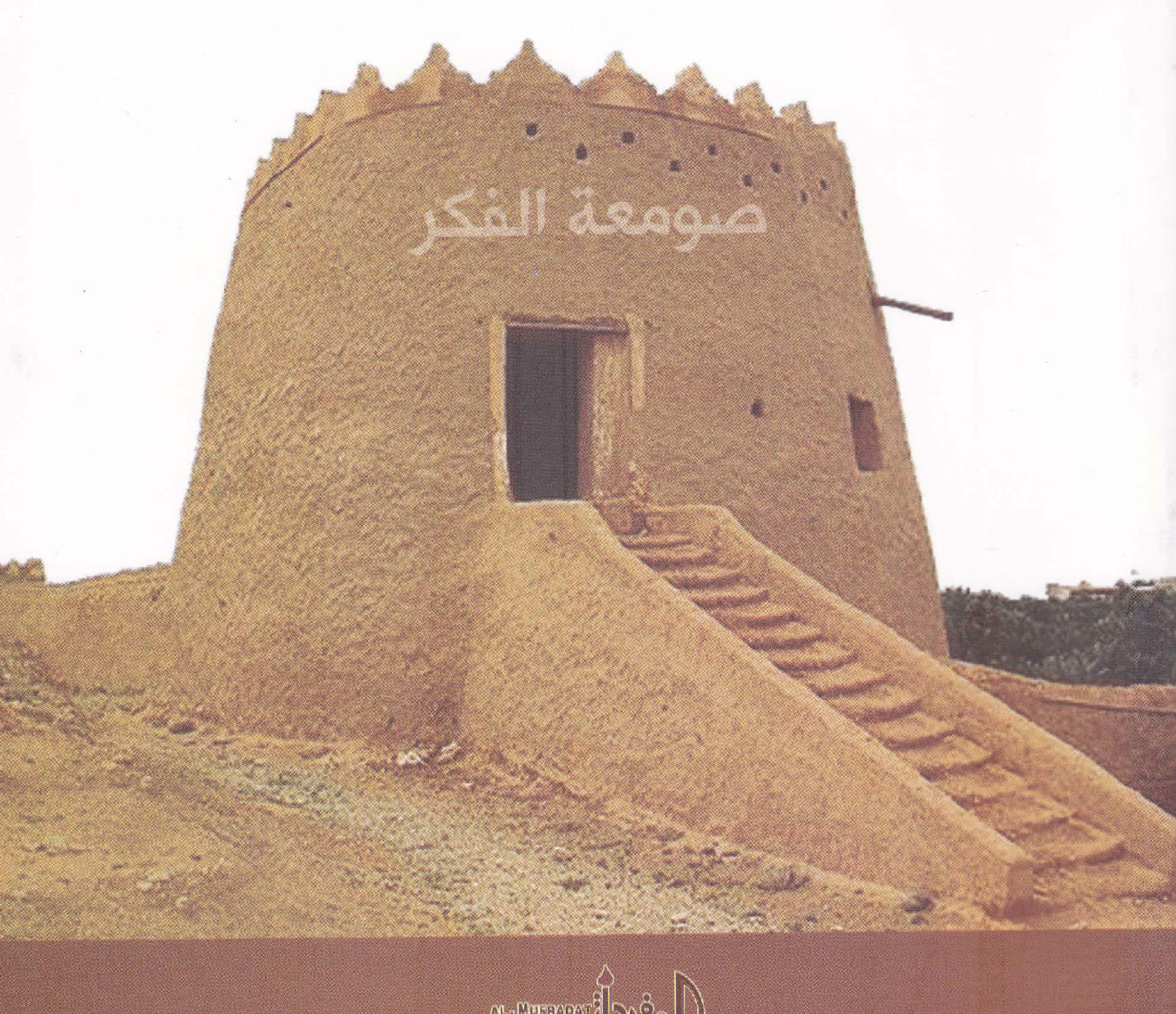
سعد البواردي

استراحة داخل صومعة الفكر



استراحة داخل صومعة الفكر

الجزء الأول

سعد البواردي

دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض

ⓗ دار المفردات للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البواردي، سعد عبدالرحمن

استراحة داخل صومعة الفكر. / سعد عبدالرحمن البواردي. - الرياض، ١٤٣١هـ

٥٤٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ١ - ٢٥ - ٨٠٥٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - الشعر العربي - نقد - السعودية ٢ - المقالات العربية - السعودية أ - العنوان

ديوي ٨١١,٩٥٣١٠٠٩ ١٤٣١/١٦١٦

رقم الإيداع: ١٤٣١/١٦١٦

ردمك: ١ - ٢٥ - ٨٠٥٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨

دار المفردات للنشر والتوزيع ، الرياض

المملكة العربية السعودية

ص. ب: ٧٠٣ / الرمز البريدي: ١١٤٢١

هاتف: ٤٧٠٨٥٢٩ ، فاكس: ٤٧٠٨٥٤٥

الموقع الإلكتروني: www. almufradat. com

البريد الإلكتروني: info@almufradat. com

طباعة ونشر وتوزيع

دار المفردات للنشر والتوزيع بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع هذه الحلقات نشرت في مجلة «الحرس الوطني»

وفي صحيفة « الجزيرة » وملحقها الثقافي

وقفات هادئة داخل أثر فكري

المدخل إلى المحراب

داخل محراب الفكر تبدو الأفكار – مهما كانت كبيرة ضخمة – تبدو صغيرة في حجمها أشبه بالذرات المتناثرة عبر أفق واسع، شاسع الأطراف.

الفكر بمحرابه كالبحر بأثباجه وأمواجه، يتعاظم ويتلاطم، يحكمه المد والجزر، إلا أنه بما يمنح ويهب من عطاء يزيد في رصيد مكنونه بالقدر الذي لا ينتقص من معينه.

والأفكار داخل المحراب كالمفكرين المستغرقين في أفكارهم أمام محرابها، إن أعمار أفكارهم تتساوى مع أعمار أعمالهم وإنجازاتهم الخلاقة بالقدر الذي تعطي، وبالقدر الذي تحجب، منها ما يولد ميتاً حتى لو كان ضخم الجثة، له بريق السراب، إلا أنه لا يرطب الريق.

منها من يقتطع من العمر مساحة لا هي بالطويلة ولا هي بالقصيرة، تعيش لردح من زمن ثم تتوارى بعد أن يتآكل حسها المحدود القدرة والمقدرة والمعايشة، ومنها من يظل خالداً صامداً حتى بعد رحيل صاحبه، يظل شريحة حية من الحياة في طرحها الواعي للصور، وفي استجلائها الأمين للأخيلة، وفي انتزاعها الصادق لأحاسيس الإنسان في تفاعله وفي تعامله مع الأشياء من حوله.. تماماً كما يختلف الفكر عمراً ومعايشة يختلف صاحبه عمراً ومعايشة.

التفاوت في عمر الفكر كالتفاوت في عمر المفكر، الولادة السريعة، الولادة البطيئة، الولادة الحية، الولادة الميتة، الولادة الطبيعية والولادة القيصرية، الولادة المكتملة والولادة الناقصة.

ويقدر استطاعة المفكر في رصد أفكاره ويقدر تعامله في ميزان ذاته بين الاختيار

والاختبار، حين يجعل من اختياره اختباراً، ومن اختباره اختياراً يتأتى له أن ينطلق من قيود التعمية والتقوقع والإبهار، ليتحرك بحرية المفكر، ويتزامن مع ضرورة المواجهة الجادة الحادة لكل عوامل الإحباط الحسي والنفسي، القاهرين المستترين أو الظاهرين.

والعطاء الفكري المتناثر كالذرات داخل محراب الفكر لا يأخذ حجماً من كمه، وإنما يحصل عليه من كيفه من تلك الشرائح المتحركة داخل الجسم، ومن تلك الخلجات النابضة المستوطنة داخله والمتفاعلة مع إحساسه والمتصاعدة مع أنفاسه.

إن كتل الموات الكلامية الباردة التي يلقي بها بعض من يتعاملون مع الحرف لا تجد في محكمة الفكر ولا قوانينه تأشيرة مرور للعبور نحو المحراب، ولا للتداول والرصد بينهما وبينه.. إنها أشبه بالعملة المزورة التي يرفضها التعامل.. وتقاضي العدالة مروجيها وصانعيها وتدينهم.

ومحراب الفكر بأفيائه الوارفة يستظل بها وحدهم أولئك الذين عبروا وعبَّروا بخلجاتهم ومشاعرهم الإنسانية، واثروا خزينة الفكر إبداعاً وإشباعاً وإمتاعاً.

ورحلة ما قبل الوصول إلى المحراب، رحلة الاتجاه إليه والاقتراب منه ثم استيطانه، تتوقف على إرادة الحركة الفاعلة وعلى مقدرتها على الاستمرار دون ضجر ولا استرخاء، يحد من رصدها ورصيدها وإصدارها.

إن استمرار الخطى بعين مبصرة يشكل زاد الرحلة ووقودها ومطيتها، بل ويقينها في تخطي كل عوائق الطريق ومتاهاته وتعرجاته.

إن المصابيح المعلقة في كبد السماء لا تكفي وحدها لتحديد معالم الدرب.. لا بد من مصابيح مضيئة تستوطن أعماق المسافر نفسه مرشدة هادية، إنها أشبه بالبوصلة في محيط لا تدرك أطرافه..

مصابيح يقين تثبت الخطى وتدفع الخطأ وتجلو غمة الحيرة وصدأها عن الرؤوس الهائمة أو النائمة.

كثيرون حاولوا عبور الدرب فاختصرتهم الرحلة عند أول خطوة، لأن زادهم إليها كان ضئيلاً ضحلاً لا يكفي لبضع خطوات.. العثرات كانت لهم بالمرصاد.

وكثيرون غيرهم عبروا الدرب فلفتهم متاهاته ومسالكه المتشعبة، وضاعوا دون قدرة على الوصول، ودون مقدرة على سلامة العودة.

وكثيرون أيضاً عبروا الدرب بيقين أكبر وبزاد أكثر، كان إيمانهم أقوى من شكهم، كان إصرارهم أمضى من ترددهم، كانت فدائيتهم تستغرق كل مخاطر الطريق ومفاجآته، ومع استمرار الإصرار أوقفتهم مطاياهم عند أبواب المحراب مرحبا. عاشقا. وعشق أرباب الفكر هو أسمى مراحل العشق وأنقى درجاته وأبقى فضائله.

وكما تتناثر النجوم مضيئة سابحة في أفلاكها تبدو الأعمال الفكرية الناجحة نجوماً تبرق في سماء المحراب وأفلاكه، تتحدث عن إنجازات الذين تعاملوا مع الحرف والكلمة صياغة وبلاغة وتجرداً بل وتمرداً.

إنهم أولئك الذين أحرقوا بخور أفكارهم ليتعطر منها عالمهم بأريج لا يدانيه عطر، وبقطاف لا يماثله قطاف، إن عطاءهم ثمرة روح أشهى من ثمرة الجسد، حتى لو كانت تلك الثمرة في بعض مذاقاتها مرة لا تستساغ لدى بعض الأفواه، ولا يستطيبها أولئك الذين يجدون نشوتهم في أحلامهم الغيبية الغبية المجردة وحدها.

لماذا كل هذا؟ لماذا كل هذه المقدمة المبهمة.. الواضحة.. الطويلة.. والقصيرة القاصرة؟ ألم أقل إنها المدخل.. والمدخل وحده إلى محراب الفكر، حيث تطيب لنا استراحة فكرية نقضيها معاً في وقفات هادئة مع عمل فكري، نغوص في أعماقه لننتزع من تلك الأعماق الدلالات على قوته وضعفه ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

إن في حديقة المحراب أحياناً عناقيد كعناقيد العنب.. الحلو منها، والحامض منها.. وما هو بين بين.

ولكي نعطيها حكماً يجب أن نتذوقها طعماً، أن تكون لنا معها ملامسة تشريحية هادئة هادفة.

وعناقيد الشعر كعناقيد النثر في بلادي بدأت تتدلى في سخاء بين أوراقها، منها ما قُطف ناضجاً، ومنها ما عاجلة القطاف ومنها من ينتظر.

وحسبي من تلك العناقيد المقطوفة وحدها التي أودعها أصحابها أطباق التعامل

على مائدة التداول كثمرة فكر وحصيلة عمر.

عنقود شعري إن أمكن نتذوقه جميعاً داخل استراحة محراب الفكر، نلتقطه حبة حبة لنتعرف مذاقه، ونجاح القطاف أو إخفاقه.

وبالقطع فإن أذواق الناس تتفاوت فيما تطعم، في تقويم ما تطعم، من هنا فإن الحكم على العناقيد داخل الأطباق على مائدة الطعام الفكري أيها أشهى لن يكون حكماً قضائياً نهائياً – إن جاز هذا التعبير – وإنما هو مجرد رأي مطروح قابل للصواب كما هو قابل للخطأ.

مجرد رأي يعرضه صاحبه، ولا يفرضه.

المؤلف

حنانيك

- د/ عبدالعزيز محيي الدين خوجة
- ١١٣صفحة من القطع المتوسط

(حنانيك بعض الشر أهون من بعض).. هل هذا ما يعنيه شاعرنا في شعره؟!.. لننتظر ونرى:-

بداية قدَّم نفسه.. بدلاً من أن يقدم ديوانه.. لعله بمقدمته الشعرية اختصر المسافة، وقال لنا في عجالة (هذا شعري)..

من أنا؟
عمر خريفي حزين جفَّ زهري
فأنين الريح لحني
وأغاني الموت شعري
من أنا؟ ليل طويل
سرمدي لا يزول
ضاع فجري.. وصباحي

يا صديقي.. ضياعك الذي تحس به مؤشر يقظة لابد وأن تملي ما هو أجمل من خريفك الذي ذبل زهره على عتمة الليل ووحشته..

الفجر متجدد.. والصباح اشراقه واستشراقه بيقظة العالمين الحالمين بحياة أنبل.. لا تَخَف..

(وهل لي سواكَ) وهج إيماني أطلقته من مشعلك تتلاشى أمامه كل ضبابات الخوف والقلق والحيرة.. ألست القائل؟

أتيتك ربي بقلب منيب   لأرجو بعفوكَ محو ذنوبي

أجـــرُّ ورائــــي جبـــال شـــقائي وأحمـــل وزري وكـــل ذنـــوبي

أتيتــك ربــي وقــد جــف قلـبي فهـب لـي الـرواء لقلـبي الجـديب

إلى أن يقول في ابتهاله الشعري الجميل:-

أريــد الحيـــاة. ومنـــك النجـــاة وأنـــت المـــلاذ لكـــل القلـــوب

كلنـا يـا عزيـزي نريـد الحيـاة.. والحيـاة سـاحة نحـن نعمرهـا بخيرنـا.. أو نـدمرها بشرنا.. نحن بشر نملك ارادة البناء.. ورداءة الفناء..

شوق شاعرنا خوجة تمرد عليه.. هل أمكن له أن يعقله بعقال الطاعة؟! :-

بمـــاذا أخـــط جـــوابي؟ فـــصبري ذوى مـــن عـــذابي

ومـــاذا أبـــوح إليـــك؟ وكيـــف أفـــسر مـــا بـــي؟

تمـــرد شـــوقي علـــيَّ فـــضيَّع مـــني صـــوابي

وفاضـــت شـــجوني بقلـــبي وحـــنَّ إليـــكِ شـــبابي

هـل كـبرتَ عليهـا مـن الحـب؟ أم انهـا تكبَّـرت عليـك؟ إنـه يـسائلها.. يطالبهـا نـداء الحنين والعيون لأنه يقضي وحدته في حاجة إلى من يؤنسه ويبدد عنه هواجس العزلة.. لم تجب عروس شعره لعلها مشغولة أو متشاغلة.. لا أدري.

قلـب عاشـقنا المتيم هـوى في مـوج الحـب.. ومـوج الحـب يـشبه مـوج البحـر إنـه رحـيم أحيانا.. غاضب أحياناً إلى درجة الإغراق..؟!

أمام شاطئ حبه قرأنا قصة الصراع الغامض:-

من أنا؟ وهمٌ. خيال..

بل عذاب.. وضلال

وقيود من محال..

بهـذه المواصـفات أخـشى علـى شـاعرنا مـن الغـرق بعـد أن كـسر المجـاديف.. وألقـى بنفسه في اليَمّ

كـل شـيء في حيـاتي فـارغ مثـل الخـواء يأكل الروح.. ويفنى كل معنى للبقاء!

ماذا أبقيتَ يا عزيزي من سبل النجاة كي تنجو؟ الألم يزرع قلبه الوحيد.. الغربة تلفه بردائها الأسود، الزهور، والجبال، والتلال توارت مشاهدها أمام عينيه..

من أنا؟!.. آهة حب ... احرقت قلب العذارى

واحترقت أيضا بلهيب جنون الارتياب هذا ما انتزعته من توصيفك وتوظيفك لمفردات الاكتئاب.. قبل أن يتسلمك بحر الحب هيئ لقلبك شراع صمود.. وزورق نجاة.. ودع الريح تعوي كما شاءت.. والموج يلطم كما أراد.. شط نجاتك في يدك وحبك في عقلك قبل أن يكون بكاء على الأطلال.. وأنت القادر يا شاعر الحب.. والأمل، والألم..

(كيف) مقطوعة قصيرة كبيرة في بيتين:-

يا فؤادي كنتَ في صدري أميرا ... مالكا للحب. جبارا قديرا

يا فؤادي كيف أصبحت حطاما ... ثم اضحيت ذليلا مستجيرا؟

أنت تعرف.. وجميعنا نعرف أن من يملك مقود الحب لا يضيعه إلا بضياع مقوده.. كيف ضاع وانتَ الجبار القادر؟! كيف..؟!

(حنانيك) محطة جديدة في رحلة قطار الاستراحة..

أحقا سيبقى الربيع؟ وتمضي ... حياة الزهور بدون جراح؟!

أنبقى - حبيبي - نغني صفانا ... ونشدو هوانا بغير نواح؟!

إنه يتساءل في خوف وقلق:-

حبيبي حنانيكَ إني أخاف ... وأخشى على الحب غدر الرياح

أي الخوفين تخشى؟ خوف من يقول:- (من خاف سَلِم).. أو خوف من يقول:- (من خاف من علة قتلته؟) لعل خوفك خوف سلام وامن يلملم ما تباعد.. ويعيد المياه الصافية إلى مجاريها.. هكذا تلمست بارقة أمل في نفسك وهي تتحدث:-

حنانيكَ حبي.. حنانيك عمري ... حنانيكَ.. افديك بالمقلتين

واشـعـر بالـشوق يخطـو إليـك لألقـي عليـكَ ولـو نظـرتين
لأعـرف إنـي سـعيد بيـومي وان صـباحي ضـيا بـسمتين
وان غرامـيَ نـور جديـد أراه تـلألأ في الخـافقين..

قلتَ كل ما عندك.. مشكلتنا معها ومعك إنها لم تنبس ببنت شفة.. هل انها خرساء؟ أم عاقة؟ أم خائفة؟!

(نجوى عيون).. ذكرتني مقطوعة العيون بذلك البيت الغزلي الرائع:-

إن العيـون الـتي في طرفهـا حـور قتلننـا ثـم لم يحـيين قتلانـا

فهل قتلته عيون محبوبته اعجاباً.. أم هجراً؟ هذا هو السؤال..

إن تكـن تـدري بحـبي بالأحاسيس الـتي تـسري بنفـسي
بجنـوني.. بـشعوري في ثـوان. بـين أنـس.. ثـم بـؤس..

ما زلنا ننتظر المخرج والفرج.. فالأنس أطل بملامحه.. والبؤس أيضا أطل بتكشيرته..
أيهما ينتصر؟ إنه يخاطب حبه أو طيفه الجميل المتراقص في خياله:-

هل تراني؟ هل ترى سحر بياني.؟ إنـني أهـواكَ فـاقرأ يـا حبـيبي
في تعـابيري افتتـاني.. آه.. مـن حـيرة قلـبي في صـراعي

بين حبي.. وابائي..
بين يأسي.. وشقائي
آن.. يا بدعة عمري
آن لي وقت الرحيل فوداعاً للرجاء!

ويختتم قصيدته بهذين البيتين وقد قطعت جهيزة بهما كل خطيب:-

لا تقـل شـيئاً سأمـضي يـا حبـيبي رُبَّ قـرب كـل مـا فيـه ثنـائي..

ورحل.. إلى قصة حب أخرى عنوانها (أحبك) ومن الحب ما قتل.. ومن الحب ما أذل..
ومن الحب ما أحيا وأعلَّ.. من مقطوعته الشعرية اجتزأت هذه الأبيات المعبرة:-

أحبــكِ حبــا كــريم الــسجايا ... نــدياً. نقيــاً. عفيفــاً. طهــورا

أحبك حباً يفوق الخيال جهارا وسرا ... ففيك رأيت الجمال بهيا أبيا وحرا..

وافق شنّ طبقة.. هو يبادلها نفس الصفات.. ويرى صفاته مجتمعة فيها.. إلا أن شاعرنا لم يأت على الختام لعله مسك..

قصائد شاعرنا في ديوانه ثرة.. ومساحة المادة بخيلة بحجمها.. وللضرورة سوف أتجاوز بعض مقطوعاته:- (كم اداري) و(كفانا ما لقينا) ونتوقف معه أمام محطة (لا يا حب)

أيهــا الحــب فــؤادي يــتحطم ... كيــف يــشدو كخلــيٍّ يــترنم؟

فالأغــاني في فــؤادي باكيــات ... وضــلوعي في ســكون تتــألم

أيهــا الحــب حنانــا لفــؤادي ... لــيس في صــدري حــنين يــتكلم

يبدو أنه ضاق ذرعاً بقصيده.. إن لم أقل بقصده.. ماتت ابياته الوالهة العاشقة بين شفتيه.. خطابه دون صدى.. وعتابه دون جواب.. لهذا العناد المستبد آثر صدره ان لا يتكلم ربما رفضا.. أو احتجاجا.. أو تعبا.. أو كلها مجتمعة.. شاعرنا عاد والعود ليس بأحمد، فما زالت رسائله الشعرية إليها مهملة على الرغم من حرارتها.. ومرارة لوعتها:-

انتظــــاري للجــــواب ... نــــاره أقــــسى عــــذاب

يــــا حبــــيبي لا تــــدعني ... فلــــيكن حتَــــى خطــــاب

قــــل بــــه أيَّ كــــلام ... لــــو صــــدودا او عتــــاب

أيَّ شــــيء يــــا حبــــيبي ... ان قلــــبي في اضــــطراب

مظلوم قلبك وحبك يا عزيزي لأنه الأضعف الذي يستجدي الحب المتكبر القوي..

تماما كما نحن الضعفاء نستجدي حريتنا وحقوقنا من الأعداء دون محصلة..

الضعفاء منسيون لأنهم بدون..

من حقك بعد كل الذي جرى أن تسأم.. وليتك طلقت الحب من جانب واحد طلقات ثلاث لا رجعة فيها.

سئمت الحياة. سئمت الغرام ... سئمت الجحود. سئمت الوفاء
سئمت الأماني. سئمت الأغاني ... سئمت الفضاء. وسحر الضياء
سئمت الحبيب وزيف الحبيب ... ومات الشعور ليوم اللقاء

هذا شيء جيد لو انه النهاية.. ليتك اخترتها خاتمة ديوانك لنخلص من الحب وشجونه.. بدلا من أن نعود إليه في وقفات قادمة من جديد..

هذه المرة يخاطب غرورها:-

أترضى الغرور فتدمي إبائي ... وتغني شبابي بمرِّ الجفاء؟
وتهدر عمري. وتلهو بقلبي ... وتسلو العهود وتنسى وفائي؟
أتحيا حبيبي بدمعي وذلي ... وتشدو لكوني رهين الشقاء؟
حرام حبيبي. فهذا غرامي ... يمور اشتياقا بمجرى دمائي..

هذه معذبتك يا عزيزي.. إلى أن تثوب إلى رشدها وتبادلك حباً تقياً نقياً بحب.. (منك) أغنية غرام جديدة وجميلة مليئة بالأمل لأنها دون شكوى.. لا توسل فيها، ولا تسول معها:-

أحبكِ حبا يفوق الغرام ... ويسمو بعيداً وراء الستر
فمنك تعلمت لحن الحياة ... ومعنى الوجود وسر الزهر
ومنك عرفت اصوغ الحروف ... لهيبا يُحرِّق قلب البشر..

ترى من هي الملهمة؟! هل انها الحياة.. أم انها الأم.. أم انها شريكة الحياة؟ وهي الأحرى لدلالاتها الشعرية.

ومنكِ عرفت جمال المساء ... تحرِّق شوقا يناجي القمر
ومنكِ شربت رحيق الغرام ... سلافا من الوجه لا يستتر

ومنــكِ سـقيت كـؤوس الحنــان بكـــــف نــــدي وروح عطــــــر

وينهي مقطوعته المشحونة حباً ووفاء بهذا البيت؟

فزيــدي عــذابي. وزيــدي لهــيبي فحــبي قــضاء. وشــوقي قــدر

نِعمَ الحب.. ونعمت تلك الوفية التي اعطتك من حنانها بقدر ما أعطيتها من وفائك..

أمنية غالية وعزيزة تمناها شاعرنا عبدالعزيز خوجة.. لا تعجبوا.. إنها عودة الحياة لقلبه من جديد بعد أن تبلدت مشاعره ومات قلبه في زحمة التغيرات التي جعلته يتذكر الماضي ويترحم عليه:-

تبلــد حــسي. ومــات شــعوري وضــاعت حيــاتي وراء القــشور

فيــا ليــت شــعري تعــود الحيــاة لقلــبي. واصــبو بلحــن ســروري

وليــت أعــود لعهــدي القــديم أغــني الوجــود واســقي زهــوري

أمنيات كلها نتمناها.. وتمناها قبلها طفل بدوي يرعى الغنم مع ابنة عمه التي أحبها وأحبته ورأى فيها شريكة حياته بعد أن يكبر.. وكبر الطفل.. شب عن الطوق.. ولأن الزواج يحتاج إلى مهر لا يملكه سافر على أمل العودة بالمهر ظناً منه انها تنتظره.. عاد الشاب والحياة تبرق في وجهه يحمل مهره.. لم يجدها في انتظاره.. زوَّجها أبوها من آخر يملك مهرا أكبر.. عاد حزينا إلى حيث أتى وعلى شفتيه شطران مِن الشعر قالهما في لوعة وحسرة..

صغيرين نرعى البهم يا ليتَ اننا إلى الآن لم نكبر. ولم تكبر البهم

(الحوار).. مع فاتنة مرت به كان شجيا نديا في بدايته.. قوياً أبياً في نهايته.. بدايته:-

فتنــــة مــــرت بــــدربي اشــــعلت نــــيران قلــــبي

عــــالم مــــن كبريــــاء قــال لــي:- لا. لــن ألــبي

قلــــت في عطــــف (لمـــاذا)؟ بعــــد أن حركـــت حـــبي
قـــال لـــي والـــدمع في عــينـي جـــدولا. لا. لـــن أبـــالي!
قلـــت في نفــــسي أحـــاول ســـوف أبقـــى في غرامـــي

ويبدأ العراك اللفظي في ساحة الحرب:-

قـــال لـــي في ثـــورة هيـــا تـــنح عـــن طريقـــي. أو أقاتـــل

ويبدو أنه تنحى عن طريقها دون حاجة إلى قتال.. أو قتل بأهداب العيون الحوراء.. شاعرنا استشعر ضميره يقظا فجاء اعترافه دون مواربة

أخـــاف عليـــك المسير بجـــنبي فـــشوك الغـــرام كـــثير بـــدربي
أخـــاف عليـــك شـــقاء الفـــراق فعمـــر الوفـــاء قـــصير بقلـــبي
فيومـــا تراني كطفـــل وديـــع ويومـــا أبيـــع ضـــميري كـــذئب

قصائد أخرى نتجاوزها للضرورة (أمير القلوب) و(لماذا؟) و(آهة حبيسة) و(بقايا طائر) ونتوقف أمام عنوان لافت يعشق به شاعرنا الجمال.. ومن فينا لا يعشق الجمال.. الله جميل يحب الجمال. الجمال بجلاله وخصاله..

إلام علـــى الحـــب ظلمـــا إلام؟ وهـــذي الحيـــاة عليـــه تقـــام؟
يقولـــون عـــني أســـير الجمـــال وانـــي ضـــعيف أمـــام الغـــرام

ويستدرك في قصيدته:-

فيـــا عـــصر هـــذا الزمـــان الغريـــب قتلـــت القلـــوب فعـــز الوئـــام
أعـــيش حيـــاتي لحـــب الجمـــال وانـــشر عطـــري لكـــل الأنـــام

شاعرنا الصديق أخذنا معه إلى ملجأ الورد.. وملجأ الورد لطيف لا يخيف..

لِـــي الله أحمـــتني ســـهام تُقتِّـــلُ رماني بها جفن من السحر أكحل
فباتـــت عيـــوني في ســـهاد مـــؤرِّق أمِـــنْ نظـــرة ويلـــي فـــؤاد يجنـــدل

ألم تسمع مقولة (الحب من أول نظرة).. ؟! :-

وهانت على نفسي دموعي وحيرتي وكـــل عـــذاب في هـــواهم يعلـــل

وما همني سهدي. وشوقي ولوعتي ومــا همــني زهـدي يمـوت. ويـذبل..

إذاً ماذا هَمَّ شاعرنا.. إنها العودة إلى بارئه يلتمس الهداية والغفران رامياً بنفسه في بحر عطائه.. وفي محيط رجائه:-

الهـي ورب الكـون يـا ملجـأ الـورى اليــك شــكاتي إذ تنــوح وتُــشعل

برائــي غــرام لا ســبيل لوصـــفه وكــل غــرام في ســواكم تُبــذَّل

نقلة ايمانية أخذته من شط التغني بالحب الهارب إلى شاطئ الأمان.. ومرفأ الحب الذي لا يموت.. خيار كلنا في حاجة ماسة له..

وفي النهاية نختتم رحلتنا مع شاعرنا عبدالعزيز محيي الدين خوجة في ديوانه الجميل إطاراً ومضموناً (حنانيك) مع قصيدته (وداعاً) وكأنما كنا معه على موعد:-

أيهــا الحــب أيــا ســر حيــاتي ووجــودي بــتَّ حزنــي ودمــوعي وســهادي وقيــودي

بتَّ تسقيني عذابا. وكؤوسا من جحود أيهــا الحــب وداعــاً وســلاماً للوعــود..

كنت لي يا حب لحناً. وحناناً في نشيدي

ومـا زال الحـب لحنـا في نـشيدك ونـوراً في حروفـك.. ووفـاء في قـصيدك.. بالحـب نفـسه نودعك وداع محبة واعجاب.. ونستودعك معا نحو عطاء جديد متجدد.. ينتصر فيه الأمل على اليأس.. والوفاء على الجفاء.. والحب على الكراهية.. واليقين على الشك.. والشوق على الشوك.. الإنسان عقيدة وارادة.. وعطاء.

قمم الأولمب

- محمد حسن عواد
- ١٧٦ صفحة من القطع المتوسط

عواد القمة في شعره اصطفى عنواناً لديوانه قمماً أولمبية يحط عليها مشاعره الواسعة من خلال رؤاه الشعرية، وأخيلته الشاعرية.. اختار لمحطته الأولى أن تكون رمادية تميل إلى السواد.. إن لم تكن السواد بعينه.. إنه يخاطب الليل هازئا وساخراً في رباعيته الطويلة اجتزئ منها البعض:-

يا ليل كم أسخر مما تقول ... وأنت من يجهل سر القؤول

سخرية العلم بجهل الجهول ... ضرب من السخر بعيد بعيد

•

يا ليل ما صمتك صمت الدهاء ... كذاك ما كان بصمت الخواء

لكنه فيما يرى كل راء ... سذاجة الوهم وهمس الخلي

في شطره الأول من بيته الثالث وردت كلمة صمت مكررة أخلّت بالوزن.. أما نظرته إلى الليل.. ونظرتنا نحن إليه مجرد تجسيد لتكوين فاعل يلقي عليه الشعراء أثقالهم دون ذنب.. الليل مجرد ستار من الظلمة يتكون لحظة غروب الشمس في مدار جانب من كرتنا الأرضية حولها اتخذ الشعر منه رمزاً للوحشة، والوحدة.. والآهات.. الليل مسلوب الإرادة.. ومع هذا تطاله الأقلام كصانع أسقام، أو أحلام هو بريء منها لأننا نحن كبشر المسؤولين عنها:-

يهزمك النهار وما إن تغار ... ويمتطيك البدر بعد السرار

أأنت تستمرئ دور الحمار!؟ ... في مسرح الكون وتمثيله؟

غيرة.. وهزيمة.. وتشبيه بحمار كلها نالت من ليلنا.. ونسينا أيضاً أن الليل يهزم النهار بقدر ما يُهزم.. بل إنه في مناطق من هذا العالم يسيطر على مساحة ثلاثة أرباع السنة مخيماً بسواده لا يسمح للنهار بالظهور.. التهمة لليل جائرة:-

يا ليل ما وحيك للناعسين؟ إلا كوحي البؤس للتاعسين

أرهقك التقليد طول السنين وأنت أرهقتهم بالخمول

الليل سكينة نستعيد بها أنفاسنا.. واستراحة تملأ رئة الواحد منا بالراحة.. ثم إنه يعطينا الأحلام المتصارعة.. يقظة الأحلام، أو أحلام اليقظة بقدر ما يعطيه النهار لنا.. بل أكاد أجزم أن أحلام الليل انعكاس صادق لحركة النهار ومشاكله.. اكتفي من هذا الجدل الشعري إن لم أقل الخصام الشعري لسواد الليل.. فالنهار أيضا بمصائبه ومصاعبه يستحق العتب.. لأننا أدوات حركته الذين يمتطونه دون أن يتعرّفوا على أنفسهم. أتجاوز البعض من قصائده.. وأتوقف بكم مع مقطوعته الفلسفية (رفات)

هذي بقايا شبه عقل امرئ

عاش عقيماً من سوى الترهات كان على صاحبه هينا

وكان قد أزرى به بالشتات ضيَّعه.. أهمله.. زجَّهُ

في شعوذات سهلة في سبات

إنه يتأمل بروح شاعرية عالية تلك البقايا من جسد تمدد.. تصورها وهي حيَّة تركض على الأرض بخطواتها.. بخطئها، وبخطيئتها.. كم ذلّت وأذلت.. كم هانت على نفسها وأهانت سواها.. كم.. وكم.. وكم..

إن رفات الشيء أشلاؤه دبّ إليها تلف وانحلال

من بعد أن دبّ إلى أصلها عجز التلقي في حياة النضال

لو أن للعقل رفاتاً لما.. عاشت حضارات بناها الرجال

فلن يموت العقل أو ينتهي إلى رفات.. إن هذا محال

مع شاعرنا الكبير الراحل كل الحق في قوله (الجسد هو الذي يفنى).. العقل يبقى بمعطياته وإنجازاته مدى الحياة حتى ولو فارق جسده لأنه ترك بصمته التي لا تموت في عالم متجدّد متعدّد بثقافاته ومهاراته.

(اشبعته لهواً.. وأشبعه..) اجتزئ منها ما نستدل به على مضامينها:-

لا تحسبيني عابداً.. صنما فلكم عبثت به، أحطمه

وأريتها الرسم الجميل لها يحتل محفظتي، وأصحبه

●

لكنه مرآة غانية.. تزهو بمنظرها وتعشقه

وكأنه ايقون عابدة مفتونة.. ليست تفارقه

ماذا من أمرها مع شاعرنا العواد؟:-

وانظريني.. فإنني وأنا الذاهب بالعمر في مطاوي السنين

لم أشوه غضاضة النفس عندي بانطواء ولا ببأس حزين

●

قد حملت السنين تترى، وما آ ليت حملا.. ولا نقمت السنينا

وخريفي بهن غير قرين المـ ـشتكى وهو ما خطا العشرينا

●

والخريف الخريف مصطلح أجو ف يهذي.. وأين مني الخريف؟

نفض الشعر عن غلالته الضعف وشتان قادر وضعيف..

يريد أن يقول لها إن العمر مشاعر.. والشعر صوت عمر لا يطال الهرم ولا التجعد متى كان قوياً يمتلك ناصية التعبير.. فكرة شاعر.. شاعرنا الراحل يذكّرنا بالموت قدراً ومصيراً ومنقلباً كي نعد له عدته زاداً من الخير.. ثمراً من الحب والفضيلة:-

المــوت مــا كــان وعظــه عبثــا   منــذ احتــوى حارثــا.. ومــا حرثـا
والــدهر مــا شــاء مهــد ذي نفــس   حتــى نــوى أن ينميــه الجــدثا
ولا مــضى الليــث فيــه مفترســا   بــدون إغرائــه بــه لبثــا!!
هــل خــرّ هابيــل في حبائلــه؟   إلا وقابيــل حــولهن مجثــا

مفردة مجثا في الشطر الأخير غير مفهومة.. أخاله خطأ مطبعي لكلمة جثا..

زرع، وحــصد، نعــيش بينهمــا   يكتنفــان النفــوس والجثثــا

هكذا هي حياتنا زرع السابقون وحصد اللاحقون.. ونحن بدورنا نزرع ليحصد من بعدنا أولادنا فأحفادنا سنة التواصل لتواجد كل الكائنات الحيّة بمن فيها نحن البشر.. لا مجزع من موت أراده الله.. الجزع من موت يريده الإنسان لآخر ظلماً.. وعدواناً.. وغدراً.. إنه الموت القاتل.

إنــا لنفــرح بالأيــام نقطعهــا   وكل يوم مضى يدني من الأجل

إنها المقادير التي لا مناص عنها ولا مفر منها.. نهاية عمر حتمي أزلي لا بد أن نستقبله بإيمان ويقين لا يفقدنا العيش.. ولا يربكنا السعي والزاد الخيِّر.. لقد خلقنا الله من طين.. وإلى الطين نعود كما جئنا لأول مرة.. وأن نأخذ الحكمة من قول شاعرنا الحكيم.

دع المقــادير تجــري في أعنّتهــا   ولا تبــيتن إلا خــالي البــال

هذا لمن يقدر.. ويمتلك إرادة إيمان لا يهتز.. ويقين بأن الحياة مزرعة والموت منجل يحصد ذلك الزرع، أخيراً يقول شاعرنا في عظة الموت مبتهلاً إلى خالقه:-

يــا وارث الأرض والــسماء ومــا   فــيهن مــن وارث ومــا ورثــا
إيماننــا مــن لــدنك نقبــسه   إن ألحَــدَ المــستريب أو حنثــا
لا شــك، لا زيــغ، لا التيــاث بــه   لا فتنــة، لا جــدال، لا رفثــا
فاجنبــه يــارب أن يــضل إذا   ضــل امــرؤ عــن هــداك أو نكثــا

كم أبرم الساحرون من عقد | فحلّها الموت حينما نفثا
وليس من كارث مدى زمن | الا وفي الموت فوق ما كرثا

بهذه الروح الإيمانية ودَّعنا شاعرنا بعظته البليغة أيما وداع..

ومن عظة الموت إلى فتنة الفكر.. والفتنة أشد من القتل كما الانتظار أيضاً.

أيها الجنس ما أعز المعالي | مطلباً يجذب النفوس العوالي
بارك الله في أوانك الغر | موجبون الهدى طوال الليالي
طالبات مذكرات، وانساً | كاتبات يبدعن أحلى الأمالي
نشطات.. عواصلا من حلي | بينما هن بالكفاح حوالي

إنه صوت استنهاض لبناتنا وهن يستقبلن حياتهن بالجد.. والبحث عن المعرفة.. والاستزداة من العلم غير آبهات بمظاهر الزخرفة الحياتية المادية، (الحلي) لا وجود له في معاصمهن.. أما حيث الكفاح في ساحة المعرفة فإن الحلي موجود لأنه رمز مثابرة وجد.. يمضي شاعرنا العواد في مقطوعته:-

هكذا جنسكنَّ يا فتيات الفكر | يا زينة الحجى الصوال
هكذا جنسكن في الزمن الحاضر | واعي السرى فسيح المجال
لا يبالي ولن يبالي يوما | غضب السائرين في الأوحال

•

انا عاشق يقظان يلتهم | الحسن الرفيع وليس يبعده
فصلي أو انصري ولا حرج | هذا هواي، وما أمارسه
فتنفست فرحانة، ثقة | فيما أصوره، واكتبه

لعلها عاشقة شعر.. يكفيها من الهوى قراءة قصيدة.. بل لعلها القصيدة نفسها التي حمّلها كل خواطره الثقيلة وناءت بها إلا أنها لا تستطيع فكاكاً لأنها تقرأ نفسها في دواخل مشاعره. غنّى لمكة.. وغنّى لها الكثيرون.. أيهم كان الأكثر إثارة.. والأكبر

جدارة.. أحسب أن شاعرنا الراحل الأقرب منها سيكون في المقدمة:-

مكة الخير.. والهوى، والحفيف ... واللقاءات كالسنا، كالرفيف
يا ملاذ الايمان.. يا موطن النور ... تهادى من الإله اللطيف
بلدي يا رؤى الطفولة.. يا ... مهد القداسات يا لواء الزحوف
كم احلت الخريف فينا ربيعا ... حيث ينهي الربيَع مسّ الخريف
ورقينا على جوانبك الفيح ... ذرى عزة الأبي الشريف

يستعرض الكثير من مشاهد وشواهد ذكرياته في ربوع مكة الطاهرة.. يتذكّر صبوته.. صباه.. مراتعه ومرابعه في تلالها.. وفي واديها الزكي:-

مكة الأمس. والحديث لذيذ ... عنك.. كالوحي في حياتك رفا
رفع الوحي فيك كبرى المنارات ... بها استفتح النماء.. وقفى
فاستوت بين لابتيك حصونا ... للحضارات، والخلود المصفى

الكثير الكثير جاد به لأقدس بقعة في الأرض، كان عاشقاً لها.. وحفياً بها.. بعض أبيات حب ووفاء لبلد المسجد الحرام.. إنه غيض من فيض اغترفته من بحر حبه للمدينة المقدسة التي غرق هياماً بها.

بعيداً عن أرض المقدسات يأخذنا معه إلى الفردوس المفقود، حيث عذراء مدريد الفاتنة:-

أيما سهم (كيوبيد) رماه؟ ... سارياً في مبتداه منتهاه
ذلك الطفل الذي قد زعموا ... صائد الأنفس عن امر الشفاه
كم أصاب النجح في أهدافه ... ولكم أخفق وارتدت يداه

أية أهداف عناها شاعرنا؟:-

اقبلت نحوي - مساء - كاعب ... بسمت تسألني:- (ماذا لديك؟)
أترى هل هبطت من أفقها ... ربة الشعر تلبي أصغريك؟

قلت:- بل ها هي ذي هابطة … من أولمب الحسن تملى شفتيك
فذريني أتلقى وحيها … شاعري السحر يرتد إليك
ما على روحيَ أن أحببتها … فيك أو أحببت فيها ناظريك
هيَ أنتِ الآن أو أنت هيَ … الدهر في مستقبلي واهاً عليك
بدأ العمر هنا يا ليته … ينتهي.. إذ ينتهي بين يديك

بهذا القدر من العشق الصارخ لفاتنة مدريد اكتفي خشية أن تمتد إلي ناره فتكويني.. وجسدي الكهل لا يحتمل الكي.

لشاعرنا رؤية عن الأحلام الليلية لا تفسرها..

إذا أصبحت منزعجاً لرؤيا رحلتَ ترفضها … فعُدْ للنوم ثانية تجد أشياء تنقضها
وما هذي بفلسفة أنمقها وأعرضها … ولكن بعض تجربتي عن الأحلام انقضها

اسأل مجرباً.. ولا تسأل طبيباً.. ما دام جرَّب ونجح.. ليجرّب من يجرّب.. قد ينجح وقد تفشل التجربة.. أحلامنا المثقلة بهمومها مستعصية.. وكما غنى للربيع الشاعري غنى للخريف.. قائلاً:-

يا فتاتي وأنت في العمر الزاهي … حياة هي الربيع المْواتي
ما تريدين بالتروي انفعالا … ت يشوهن وجه هذى الحياة

•

أنت أنثى.. أنارها الله شِعراً … آدمياً، موجهاً، مستحثا
فخذي في الدنا مكانك فالشعر … أخذناه عنك كسبا، وإرثا

الجمال يصنع الشعر الجميل متى كان مؤطراً معطراً.. ومؤثراً.. أنه ينتزع الصور ويقيم بها هرماً متى جاءته قدرته قادره..

شاعرنا الراحل حرص على أن يسدي عظته لتلك الفتاة كي لا تهاب ملامح الشيخوخة الواضحة على ملامح وجهه:-

هكــذا فعلــه.. وإن شــرقت أرواح قــوم بعــذب هــذا الــزلال

كأنما شاعرنا يوازن بين قديم كانت الفتاة رهينة جهلها ودارها.. لا دور لها في بناء المجتمع.. ولا صوت لها فيه.. وبين عصر جديد أتاح لها أن ترى النور.. وأن تغترف من منهل العلم.. وأن تقف على قدميها وأن تتحرّك إلى الأمام بخطوات واثقة تشارك فيه الرجل دور المعلمة والطبيبة.. والحاضنة الاجتماعية.. والمفكرة.. والشاعرة.. وربة أعمال.. ناهيك عن دورها كأم تدرك مسؤوليات التربية لأطفالها.. والرعاية لبيتها من خلال ثقافة تستبين بها ما لها وما عليها.. هكذا أراد أن يقول لنا شاعرنا الراحل العواد بوضوح لا تنقصه الصراحة، وللوضوح أكثر يضيف لنا مشهداً آخر:-

وغــبي يعــيش أمعــة الــنفس ولا رأي عنـــده في الجمـــال

أنــا مــنكم شــعاره في حيــاة ارخـــصتها مهانـــة الأنـــذال

لفتـــاة يقولهـــا.. وصـــبي في نفـــاق، وتـــارة في امتثـــال

ولليلـــى يقولهـــا، ولراحيـــل.. وللمعجــــبين.. والعــــذال.!

عـــاش بـــين المنـــافقين بـــلا علــم علــى كــل نعــرة ومقــال

لعله يتحدث عن الأمعة الذي لا رأي له وإنما مع كل ناعق دون وعي.. لأنه فاقد الوعي.. وفاقد الشيء لا يعطيه، هذه الشريحة البليدة من الناس يكاد لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات الفقيرة في ثقافتها.. إلا أنهم دون شك قلة.. تنبذهم مجتمعاتهم إن وجدوا..

أخيراً مع شاعرنا الراحل محمد حسن عواد في ديوان (قمم الأولمب) ومع مقطوعته عيون الجوى.

عيــون الجــوى قلــبي نزيــل هــواك فلــن تــستهيني ان انــال جفــاك

نزلــتُ أسـير الــروح منــك منــازلا حــساناً فهــل لــي حظــوة بلقــاك؟

لــك الله روّتــك الــسماء هــواطلاً يقــبّلن قبــل الــشمس ثغــر ثــراك

سحائب يحملن الحياة مع الحيا ... إليك ويستقبلن حسن رواك
أما عند روح الحسن فيك حماية ... لروحي.. وقد جنت لسحر بهاك؟!
نعيم رضاها في نفيس شبابها ... رضاك، فهل تحيينها برضاك؟

أبيات شعرية تطغى عليها عاطفة مشبوبة أكثر عن سواها من قصائد ديوانه لعلها أهم تجاربه في أيكة إعجابه بمفاتن أرضه.. إنه يطرح أمامها دون تحفظ كل ما يشعر به من صبابة.. إنها قمة تفاعل وصفي جمالي أضافها إلى قائمة قممه في هذا الديوان.. لنتابع:-

على أي حال، أنت ربة أمرها ... وإن تكِ روحي.. إنها لفداكِ
لمثلك فلتسكب نفوس حياتها ... عليك وتفنى في سبيل بقاك
يخيل لي، والحب فتنة عابد ... بأن البرايا قد سمت لسناك
قياماً بمحراب الطبيعة ركعاً ... سجوداً تهاووا بين فيض نداك
نثرن الهوى طوعاً بأرضك خشعاً ... وعلقن آمال الرضا بسماك
ألم يأن لي يا صفوة العين أن أرى ... - إذن - مأمناً من شقوتي وهلاكي؟
دعوتك كالرهبان بين صوامع ... يرون ملاكاً ممسكاً بملاك
ينادون روح الله في صلواتهم ... وحولهم الدنيا سعت لعراك
يميناً.. وما ألغو - بقولة كاذب ... (عيون الجوى) إني حليف هواك

هذا العشق المبرح لقطعة من وطنه اسمها (عيون الجوى) التي قال عنها عنترة العبسي في معلقته الشهيرة:-

يا دار عبلة بالجواء تكلمي ... وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

لا أعرف شيئاً عنها، ولا أذكر أنني قرأت عنها بشيء من السخاء في توظيف المفردات.. وتوصيف الجمل الشعرية كما قرأته مع شاعرنا.. أشعر أنه أغرق في الوصف.. واستغرق في الوصف كما هي عادة الشعراء حين يهيمون حباً بناقة.. أو دار

لمعشوقة.. أو حتى خيمة ممزقة يعلوها الغبار كانت سكناً لحبيبة ما برحت تسكن القلب وتتربع على ناصيته.. من حق شاعرنا أن ينسج من برد شعره قميصاً مطرزاً بأغلى الجواهر.. إنه مجرد شعر لا يكلّف صاحبه أكثر من فتح فم.. أو ورقة يعبث على بياضها قلم.

واللون عن الأوراد

- د. غازي القصيبي
- ٥٦ صفحة من القطع المتوسط

أخي وصديقي ليس نكرة كي أعرِّف به.. إنه أشهر من نار على علم.. كيف لا وقد تملك ناصية الوزارة. والسياسة والفكر عن جدارة يستحقها.. ويحسد عليها.. معرفتي به عمرها قرابة نصف قرن يوم أن كنت موظفا متواضعاً وصغيراً لدى والده طيب الذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن القصيبي يرحمه الله.. أرعى بعضاً من مصالحه التجارية في مدينة الخبر.. يومها كان غازي وشقيقه نبيل النبيل يافعين يطلان على الحياة من خلال نافذة أمل واسعة.. أحدهما أطل واقتحم بوابة الحياة.. وكان أهلا لها.. والآخر استكثرت عليه الحياة اطلالته الباسمة وعاجلته المنية وهو في ريعان شبابه.

(القصيبي) الوزير. والسفير. والناثر. والشاعر. والروائي الى جانب مكانته الاجتماعية وامكانياته المادية يمثل ظاهرة لا تتأتى إلا لنزر قليل من الناس.. مواهب لا تشترى.. إنها استعداد فطري.. وقدرة على التأثر والتأثير في مجرى الأحداث.. وصياغتها من خلال المقدرة على استيعابها ومواجهتها.. هذا مجرد مدخل لاستراحتنا مع شاعرنا في ديوانه (واللون عن الاوراد).. لنتابع القراءة معه:-

(الشبق الخريفي يمس الشجرا
ويحبل الآفاق بالريح. بالرعد. وبالسواد..
ويتمادى.. فيذوق البشر)

عملية تزاوج بين عشق الخريف العارم.. ونعومة الربيع الباسم.. حصيلة ولادة ريح هوجاء.. وقصف رعود.. وسواد غيوم داكنة.. يتجاوز في عشقه العاصف حدود الشجر الى حياة البشر ليستلب منها شبابها.. ويحولها الى كهولة يتوكأ شيبها على عكاز ان استطاع.. صورة جميلة لتدرج الحياة بين حب وغضب. وغضب وحب.. نهايته واحدة

الصراع الذي لابد منه.. والصراخ الذي لابد منه.. مفردة في أبياته لفتت نظري.. (فيذوق البشر) أليس الأجمل يا صديقي أن تأتي كالآتي:-

(فَيُذيق البشر. ما دمنا نتحدث عن الفاعل المشبق الخريفي؟ مجرد وجهة نظر..

لم تنته المعاناة فالهبة عنيفة.. وتداعياتها على حسه ونفسه مخيفة:-

(كنت أنا

في الغابة السوداء احدو الضجرا

وارقب الآفاق تنجب الأولاد)

لم يكن وحده ذلك المراقب.. فقد كان بجانبه سيدة يتحاور معها يقاسمها الحديث ويبثها شكواه:-

(سيدتي.. سيدتي..

يا موسم الصيف عليَّ انفجرَ

في غيبة الميعاد..

رأيت في عينيك

يالروعة الأضداد)

ماذا رأى..؟ لابد من أن متغيرات استراتيجية طرأت على حياته. وأنسته الخريف بشبقه والتداعيات التي خلفها وراءه.. ماذا ستكون؟

(رأيـــــت بـــــدرا مبحـــــرا رأيـــــت بـــــدرا مقمـــــرا)

ومع البدر المبحر والمقمر شدته مشاهد أخرى تناهى الى سماعه رجع أغنيات الغوص حيث حصاد اللؤلؤ الذي يعشقه منذ الصغر.. والرعاة.. والشجر.. كلها مرسومة في ذهنه وفي خياله لا تكاد تفارقه ومع هذا تغالبه من جديد أغنيته بآلامها ونشيجها المزعج.. واشتعال نيرانها في الأعواد ليحولها الى رماد.. هكذا جاءت الصورة رمادية تشبه شهقات الملك الضليل، أو صرخات المتنبي وهو يتغنى بالخيل والليل والقرطاس والقلم كشواهد على شموخ كبريائه.. إلا أن شاعرنا في النهاية ينتفض من ركام حزنه.. وقلقه:-

(سيدتي.. سيدتي

من الذي ارتجف؟!

من الذي استأجر في جريدة

صفحتها الأولى؟ ولف النعي بالسواد؟

هو الخريف سيد الفصول)

هو الذي رحل.. أجل.. ربيع الحياة أبقى. وخريفها اشقى.. إلا أن البقاء للأصلح مهما كانت قسوة الظروف وقوة الجبروت.. الطغاة الذين يريدون للحياة الموت هم أول ضحاياها مهما تكابروا وتجابروا..

في زمن غابر وبعيد كان الخطاب الشعري تنقله الأيدي على بُعد.. أو الأفواه في وَجْد.. أو الحمائم الزاجلة في ساعات الطوارئ.. كان ايصالها شاقاً ومكلفاً.. ومن حسن حظر شاعرنا أنه ينتمي الى عصر الفاكس والفيميلي حيث المسافات تطوى في لحظات:- لقد وظف الفاكس أداة لايصال رسالته:-

(أنتِ لا تنشقين شذا النار إن أنتِ راقبتها من بعيد

أو عبير الفؤاد. إذا أنتِ امسكته في قميص الحديد)

إنه يعطي لها من تجربته دورساً لا تقبل المساومة ولا التراخي ولا التراضي.. كل الأشياء لا يمكن الأخذ بها ولا الاستحواذ عليها من الجانب الأضعف.. هو يستحثها على أخذ الحيطة والحذر فكأنما يريد أن يقول لها ما قاله الشاعر من قبل:-

فظن شرا. وكن منه على حذر

اتجاوز قصيدة الحفيد فهد رغم رقتها كي لا اكشف سر عمر شاعرنا الزمني.. واخاله لا يخافه فالأعمار أعمال.. السنوات لا تحدد لها المقاسات بالطول أو العرض.. أو بالكثرة والقصر.. وإنما بمحصلة حياة.. وثمرة جهد خلاق يودع خزينة الحياة.. ويبقى خالدا يذكر بصاحبه كذكريات..

(في شارعه القديم) هذه المرة يطبع خطواته.. ويستغرق تأملاته.. ويرسم انطباعاته.. ماذا؟

(نعود إليه.

الى شارع كان منزلنا ذات يوم يطل عليه..

ونسأله عن سنين هوانا فيأتلق الشوق في شفتيه

ونسأله عن سنين صبانا فيحترق الدمع في ناظريه)

الشارع يتذكر أهله.. يشتاق اليهم ويبكي عليهم لحظة رحيل لأنه بدونهم لا شرع له في عقيدة أصالته..

(مضى ربع قرن. وأكثر

تغير ذاك الفتى. وتغير

لقد كان انقى. وأبهى. واشعر)

ومثل شاعره.. شارعه.. كلاهما يملك الحنين الى الواحد.. الشارع صامد دون بيت.. والشاعر صامد بذكرياته وحنينه يسترجع من حقبة الماضي صورة حيطان احتضنته على صغره.. وتهاوت على كبر.. وكأنما كان يغني لها على وجع اشتياقه والتصاقه هذه الأبيات مذكراً فيها نفسه.. متذكراً بها أهله..

أحن الى الديار ديار سلمى أقبل ذا الجدار.. وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

نسمع كثيراً عن المهرجانات.. وعن المناسبات التي تقام من أجلها.. بعضها يستحق الاحتفاء وبعضها يستحق الجفاء.. إلا مهرجانا اقامه شاعرنا القصيبي اختصرت شخوصه على علامات استفهام كثيرة تتطلب منه مهرجان اجابات بنفس عدد الشخوص.. وتعداد الأسئلة:-

(وعود في شفاهك أم وعيد؟ وتبخل وهي تهمس! أم تجود؟

وحين ضحكت. هل حبًا لهيب فداكِ الجمر أم شهقت ورود؟)

يستغرق الى درجة الغرق في أسئلته وهو حر. أليس صاحب المهرجان والمتكفل بأتعابه ومصاريفه؟!

بلى..! ليس من حق أحد أن يحتج.. ولا أن ينتظر اجابة غير مسموح بها.. إلا أنه في خطوة تالية طرح سؤالاً واحداً متفرداً عن (ماذا يقول؟):-

(أتعود يا زمن الطفولة؟!
أتعود للصب الذي ناداك
وهو يجوز آثام الشباب الى حماقات الكهول
متأرجح الخطوات. ما بين السلامة
والندامة. والصعوبة. والسهولة).

كلنا يدري. وشاعرنا القصيبي أدرى بنفسه.. ويطرح سؤاله.. انه على يقين يدرك أن زمن الطفولة لا يعود.. وعصر الشباب لا يعود.. دورة الزمن لا ترجع الى الوراء ثانية ولو لثانية.. يبقى له من الماضي استرجاعه.. أفراحه وأوجاعه.. وتمنيات يصفعها المحال وتقتلها طبيعة الحال.

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

ونحن الشباب نعرف ماذا فعل.. وهن.. واشتعال الرأس شيباً.. وتقوس ظهر.. وعكاز لمن يستطيع المشي..

(في أصابع الخمسين) خاتم وقار يذكره.. وينهره.. ويسترجع معه صباباته لكي يعود اليها.. وإنما يتمثلها في طفلة شهية في عمر الورد منتصبة أمامه يتغزل في حسنها.. وفي ظفائر شعرها المسترسلة كغابة سوداء:-

(كنتُ يا طفلتي الشهية يوما سيد المغرمين والعاشقينا
كنت إذ تلمس الصغيرة قلبي يهطل الشعر فوقها ياسمينا)

والآن الصورة اختلفت في شكلها وإن لم تختلف في مضامينها:-

(من رأى بسمة رأت نصف قرن فأعادته من جديد جنينا)

لا نصدق يا شاعرنا إلا من خلال مشاعرنا في مجاملة.. أو في مجادلة لا تنتهي الشباب والمستحيل.. كالصقر والمستحيل لا يجتمعان.. الحلم وحده القاسم المشترك

الأعظم ولكن دون علم..

(كالحلم جئتِ. وكالحلم غبتِ وأصبحت أنفض منك اليدا
فما كان أغريه ملتقى وما كان أقصره موعدا)
رأيتك. والجمع ما بيننا فلم أر غيرك عبر المدى)

ويسترسل شاعرنا في رسم صورة لفينوس خياله باقتدار ورومانسية لا تخلو من واقعية في نهايتها:-

(أيا ابنة كل اخضرار المروج أنا ابن الجفاف. وما استولدا
ويا ابنة كل مياه الغمام أنا طفل كل قرون الصدى
ويا كل أفراح كل الطيور أنا كل أحزان من قيدا
دموع الجموع على ناظري وذل اليتامى. وخوف العدى)

هل تريدون أكثر من هذا توصيفا للحالة، وتوظيفا للمفردات بين حالتين متضادتين إلا أنهما ضروريتان للتكامل كي يقتل الربيع الجفاف، والماء العطش. والفرح الحزن. حيث لا دموع ولا ذل. ولا خوف مع الحب الحياة..

وداعية الصيف بعد أن أجهدها الشتاء القارس.. وطاف بها حنين العودة الى فصل الحرارة والدفء..

(أشح بوجهك. لا تظهر لها الألما واكتم دموعك أغلى الدمع ما كتما
ان الحبيبة إن ودَّعت مكتئبا غير الحبيبة إن ودَّعت مبتسما
دع الأسى لليالي بعد فرقتها لا ترتجي قمرا فيها.. ولا حلما)

لوحة ابداعية ذات الوان قزحية تجسد التجربة من خلال مواقف متباينة.. الايجابية منها والسلبية ..القصيدة طويلة وجميلة في جرسها وايقاعها تقول أبياتها الأخيرة:-

(اني خلعت على عينيك سحرهما

وإنني قلت ـ في عينيك قافية
ما استوطنت ورقاً لولاي أو قلما)

نعم.. بمعيار الخصوصية لا أحد غيرك يفجر لها بحور الشعر كي تمتطي موجته لأنها حبيبتك.. ولغيرك أيضا يا شاعرنا المبدع بحوره ومجاديفه.. وعشاقه ومعشوقاته.. كلهم يبحرون بخصوصياتهم التي لا يقوى أحد على استيطانها لولاهم..

(أينما عاد سالما) مرثية معبرة مليئة بالشجون والشجن والذكريات نتجاوزها بعيدا عن الأحزان الى حيث (البحر والنسيم)

(أتدرين كيف يمر النسيم
على وجنة البحر ثم يغيب
ولا يذكر البحر شيئاً
ففي مهجة البحر تسكن كل الزوابع
كل الأعاصير
كيف سيذكر وهو المدجج بالريح
لثم النسيم..
فيا أنتِ!. هل كنت حين مررت عليَّ
النسيم.. أم البحر)

هنا مربط فرس شاعرنا.. وهنا تكمن تساؤلاته بين خياراته واختبار حياته.. الجواب من فمها لم يفرج عنه.. بل ظل معلقاً.. مفاتيحه مغلقة.. وأبوابه الموصدة.. أعان الله شاعرنا على مرارة الانتظار الذي هو أشد من القتل.. مع يقيني أنه حزم أمره دون أن يتوسل الاجابة أو يتسولها لأنه يؤمن بأن الحب القوي بجذوره ابقى وأنقى من حب ضعيف ومن جانب آخر لا تكافؤ فيه.. ولا ايثار معه.. ولا مشاركة ـ في تحمل تبعاته..

وبعد يا أخي الدكتور الشاعر.. ديوانك مختصر الصفحات أثرى الرحلة بقدر ما تحتاجه من زاد.. ومزاد لا يخضع للابتزاز.. إنما للمساومة والمساءلة المشروعة.. كنت أنت خصمها وحكمها ـ في ذات الوقت.

قصائد في زمن السفر

- أحمد صالح الصالح (مسافر)
- ٨٤ صفحة من القطع المتوسط

الحياة تتحرك.. الأرض كروية تتحرك.. البشر يتحركون.. في الحركة البركة هكذا يقول المثل.. ولكن أين الاتجاه..؟ وبأي شيء نتحرك؟ أقدامنا تتحرك.. عقولنا تتحرك.. مشاعرنا تتحرك.. بل مشاكلنا تتحرك.. ومشاغلنا تتحرك..

تحديداً مع شاعرنا مسافر لابد من حركة سفر.. إطاره الخيال.. وحركة سفر أخرى صوتها وصورتها يرسمهما الفكر وهو يغوص في أعماق ما حوله منتزعاً من بحر التأمل أصدافه. وحيثياته. وزيده الذي يذهب جفاء على أوقاع أمواجه المتحركة..

(أنتِ) تحرك المداد والقلم ورسم الصورة من خلال حركة إيقاعية ملونة..

أنتِ
يا أحلى من الراحة
من ماء المطر
أنت يا اشهى من اللذة
يا صفو العمر

لم يدلنا شاعرنا على ماهيتها.. هي حبيبة.. أم قريبة.. أم حبيبة قريبة.. أجمل ما في الشعر انه لا يحدد مساحة للحرية.. لا يؤمن بوثاق القيد.. لا يفرض على الشاعر بطاقة هويات عرائس أحلامه.. ولا حتى شيطانات آلامه.. المرأة حيث هي عنوان الشعر الجميل حتى ولو جاء عاصفا متمردا..

كم دعاني قدري
أن انتهي
فإذا أنتِ على دربي قدر

يا لها من منقذة أعادت اليه أنفاسه بعد أن كاد يلفظها، إنها تستحق به أن يكون طوع أمر لا يضره ولا يضيرها.. دائما يشبع جوع حب لا يقبل القسمة على اثنين.. أو اثنتين..

وإذا كان كل هوى قبلك

قد صار أثر..

المسافر دائماً يستبطنه دعاء ودعوة.. الدعاء ابتهال حياة.. والدعوة نداء لاقتحام ساحتها.. وإذا كان الحب يقظة التحام بين قلبين فإنه أيضاً اقتحام لمخاطر الدرب المفضي إلى الحب..

أيقظي الذكرى بقلبي

فحديث الشوق ينسال على سمعي ندبا

ولأنها عاقلة يتملك الطهر قلبها اشتاق لحديثها وخريشتها لأوراقه الولهى.. إنه لا يقوى على صمتها..

مزقي صمت اللقاءات

وهاتي يدك الحلوة

تغفو.. مثل عصفور صغير

على يدي..

ونسي أن يُقبلها.. أي يديها.. حتى لا يحسده المحرومون من الحب..

(لقاء) يعقب الدعوة..

لقاؤنا.. ميلاد أفراحنا

أحلى من الأحلام.. يا ظالمة

شربت في عينيك سحر الهوى

ونسمة في الشفة الناعمة

هل تريد لفاتنة كهذه ألا تظلم؟ وتتغالى على عاشقها؟! أبدا هذا لن يكون وإلا كانت رخيصة التمتع سلاح التمتع بالجمال.. ألم تحكي لها ضياع عمر دونها؟! لن تستعجل

في جوابها.. لن تمسكن حتى تتمكن من قلبك وتنتزع من حبه أحلى وأجمل ما فيه.. (مني).. ولمن؟.. يبدو ان الذكريات طغت على سؤاله وحولته الى علامات استفهام حائرة.

وكانت لنا ذكريات وحب
تنادي فيخفق للحب قلب
ونكبر والحب فينا يشب..

حذار أن يشيب وتقع الكارثة..!

رعينا الهوى في لقاءاتنا
منحناه حلو ابتساماتنا
وثرنا على الضعف في ذاتنا

هذا شيء جيد.. فأدوات حبك نظيفة ولطيفة يشهد بها لحظ عيونك وهو يعترف ويغترف:-

بكل العيون التي قد عشقتُ
وكل الشفاه التي قد شربتُ
وطعم الحنان الذي قد عرفت

ماذا بعد هذا؟

حملت لعينيك طيبة قلبي
وطهر البراءة يغسل هدبي
حنيني إليك يعانق دربي

كل هذا.. تحول الى لحظة انتظار مر.. لقد سخر من شاعرنا نداؤه فبكى.. وارتعش حبه داخل جنبه.. وراح يصلي في انتظار الحلم المتردد..

(حاذري).. مرحلة خطر يستشرفها لا بد لها من صوت لا يقبل التسول ولا التوسل:-

حاذري ان تقلبي عزتي

فعزتي كالنبض ملء العروق

ان وشوش الواشون في حبنا

ان زرعوا حقول أشواك متوحشة.. فأشواقنا مشرعة تعانق جبين الشروق.. هكذا يؤكد.. إلا انه يودع.. لمن يودع هذه المرة؟

افرحـــي مـــا شـــئت هـــذا قـــدري | وامنحـي قلبـك مـن شئتيه ذخـرا
واذكـــري الحـــب الـــذي علمنـــا | ان تـذيبي الليـل في الاجفـان فجـرا
يـــوم ان كنـــا كعـــصفورين.. لا | نعـرف الـدنيا سـوى حبـا.. شـعرا

هل تذكرت فتاة أحلام صباه وصبوته؟ الحب احيانا لا ينتظر دائما بخطفة خاطف ذو حظ عظيم.. او عقيم.. لا أدري.. يسرد عليها دروبهما المزروعة. وهمسات الليل. الأماني الحلوة.. ابدا يفرش لها بساط او حصير حبه ما دام الحب عسيرا.. لا جواب على نجاح او فشل.. ويتجه مسافرنا نحو قدره.. لا الى اقتداره.. حب جاء توصيفيا لطيفا جميلا برق في خياله.. غنى له أغنية أمنية لم تتم:-

خذني يا قدري بين ذراعيها

أرسل بين ذراعي سنابل.. هذا الليل المنساب..

استعار بسنابل الليل المتوحشة.. سنابل الصبح الخضراء ليست في يده.. دائما في ايدي قدره لا اقتداره مسافر شاعر حب لا يشبع ولا يروى.. فمن غصن الى غصن يتنقل كعصفوره الملازم له.. تارة غصن بثمر.. وآخرى مجرد ذراع شجر..

حبيـــبتي.. هـــذا الهـــوى لم يـــزل | كـــالنبض في قلـــبي.. وفي اضـــلعي
يـــا أنـــتِ في حـــبي جنـــون الهـــوى | مـــا كنـــت طهـــر المـــتقين أدَّعـــي

حبـه كـان طفوليـا طـاهرا.. وبخطـاب الطفولـة يناشـدها الا تقتـل بـراءة الأطفـال في عينيه..

(عيون الرقيب) آه من الرقيب انه رهيب مرعب في نظراته وفي خطواته وفي قراراته.. حتى الحب يخشاه ويخاف منه..

مـررت علـى لحظـات انتظـاري سـنونوة .. في عيـون السـحر
حكاياتنـا لم يطلـها الوشـاة نخـاف مـن الحـب ظلـم البـشر
عيـون الرقيـب تـذل السـؤال وكـان الحـديث حـديث النظـر

حتى النظر الذي يتم بسرقة حتى لا يفتضح سره وأمره ماتت الحروف الصامتة على شفتيه، وذابت الصور الباهتة على مقلتيه، لم يبق غير ذكريات لقاء.

الإبحـار.. والبحـر.. والشراع.. والمجـاديف.. والملاح.. والشاطئ.. والموج.. والتجـارة والغـرق فيهـا ومـن خلالها تـدور الدوائر بـين العاشقين بعـد ان ضـاقت بحبهمـا اليابسة كأنها في معظمها جافة الحب.. جافة التربة.. ورغم هذا اصطفى مسافرنا الابحار في عيني محبوبته:-

الحب في عينيك يا صغيرتي يهمس لي (أنـت الـتي ملاكـي)
يأخـذني الى وجـود حـالم يـضمني طفـلا.. يـشدني بقـوة العـشاق
للـهوى الكـبير لابتـسامة تحمـل لـي بـصدقها رضـاك

عرفنا معا لماذا أبحر في عينها.. الحب الطفولي لا يتجاوز حدود مهده.. لا يتحمل الأعاصير والأمـواج والأشرعة المتكسرة.. انـه إبحـار دون غـرق، محيطـه عينـان تبرقـان بسحر جمال الطفولة.. وشطه مجرد موج مسالم يغسل اقدام العاشقين في رفق:-

(الحنين) رفع اشرعته وابحر.. سفينة أشواق.. وأشواك وبقايا أمل:-

أنـتِ اتعبـت زورقـي.. فتعـالي أوغلـي في غـدي.. وغلـي ظنـوني
وابعثـي دورة الحيـاة بيأسـي واخطـري في ملاعـبي هدهـديني

على نفس الوتر البكائي الحزين ينثر شاعرنا دموع الخيبة على خشبة الانتظار.. لم يقل لنا مرة ان قفلته وقافلته الشعرية امطرت حبا محققا.. الحب في شعر مسافر كالشلال.. والسواقي.. والجداول يجري.. والأرض عطاش من حوله.. هذا قدره.. او هكذا اختار واحتار.. إلا أنه انتصر هذه المرة على بؤسه ويأسه واعطى لنا.. عمرا من

الحب..

حبيبتي ليلة الحب التي ظمئت لها الشفاه وثار الشوق ملهمتي

في حر شفتيك دعاني للهوى فجئت أشرب من ثغر ومن شفة

أشعر بشيء من الزلزال الخفيف يهز شطرك الثالث:- (في حر شفتيك دعاني للهوى قدر).. يمكن ضبط حركته كما أرى على النحو التالي:-

(على شفاهك لي حول الهوى قدر) ألست معي.. هذه مجرد ملاحظة.. أعود إلى مقطوعة عمر الحب

لقاؤنا والأماني حوله رقصت عمر من الحب تزهو فيه أزمنتي

حبيبتي لاهب في اضلعي غضبي لا تشعلي غضبي فالنار في شفتي

دعها تشعل غضبك لتطفئ نار لهيبه.. ألست الذي تبحث عن شفة تقبلها.. ورحيقا تسقي منه عطشك..

(سؤال) يطرح نفسه.. بل يطرحه مسافرنا عليها قد يتحول الى مساءلة أجهر صوتا:-

اسائل فيك الزمان البعيد اسائل عنك قصي الديار

فلا الأرض تعرف اني رحلت ولم يدرك السمع رجع الحوار

هكذا حوار الطرشان يبدو غير مفهوم النتيجة..

نتجاوز بعض محطات الرحلة (عينان) وقد عشنا مع أكثر من عين.. (تتساءلين) وقد شبعنا من كثرة التساؤل.. (ثورة الأحزان) ومسافرنا ألقى بظلال حزنه علينا حتى حزنًا.. (لا) الرافضة المنكرة أيضاً وقفنا أمامها مستذكرين تارة ومستنكرين أخرى. و(لأن الحب) عرفناه من تجاديف شعر شاعرنا الإبداعي مسافر (حتى) لوح الذكريات الراعفة، قرأناه وددنا جميعاً لون أحرفه

خضراء كالربيع.. وليست حمراء كالدم.. او سوداء كالجهام.. (ذات مساء) استوقفت المسيرة على وعد بالاستماع لما جرى.

السماء تفرقوا.. لم يبق في المشهد إلا عيناها وفرحة في اضلع شاعرنا تنبض وترقص مثل رقصة عرس. ثم جاءت:-

ويوم جئت في دلال أيقظ الأشياء　　كأسراب النور.. كانغلاقة السحر

الساحر العاشق نهل من جدول الضوء وهو العطشان.. ثرثر كالطفل واستسلم مثل عاشق شارد.. وافاق ليستكمل حديث سمره..

والآن يا حبيبتي تلفتت في قلبي الذكرى
(اليك) الف مرة.. فأين أنتِ

يبدو أنها استغلت شروده وتسللت بعيداً عنه قبل أن يفيق.. نهاية منتظرة كما عودنا شاعرنا.. شرود الحب يضيع الأشياء

(عنيدة) عاشقة او معشوقة لا أدري حتى ينجلي الأمر:-

إليك كل حناني والهوى يدمي　　يسري كأن به نفحا من الشرر
حبيبتي قد عشنا الهوى زمنا　　فكيف عادت ليالي الحزن من قدري؟

ماذا عرف منها.. أو عنها؟ :-

عرفت في مقلتيك البحر يحملني　　إلى ضفاف من الموال والحذر
عرفت في شفتيك الشوق يزرعني　　على دروب من الأحلام والصور

هذا ما عرفه عنها.. تُرى ماذا ابقت هي له؟! :-

ماذا تركتِ.. صباي الحزن ينهشه　　ممزقاً بين مقتول.. ومنتظر
ماذا؟ أتلقين أوراقي وما نشفت　　حروفها بعد.. ما اقساك أن تدري

يناشدها العودة:-

عودي كما تركض الغيمات والهة　　وامطريني حنانا منك يا مطري

أخشى يا صديقي ان تكون غيمة صيف عابرة بلا مطر.. لو كنت مكانك لأسدلت عليها الستار دون انتظار.

(غربة الأهداب) تعني غرابة وغربة الأحباب مقطوعة نثرية حروفها تصفق لخيال

محبوبته تسرق من خياله الحب يسترجع معها ما قاله نزار قباني (عودي إلي) و(ما أحلى الرجوع إليه) ولكن الأمنيات أحيانا تمنى بالخيبة.

المغرم.. المدنف يلجأ إلى مواويله.. والمسافر المفتون بجميلاته طرح مواويله على شفاه الشوق.

حملتُ الجرح في قلبي ... كعصفور هجير الصيف أجلاه

الى ماء الى حب ... وضم حنينه ظل

عيوني مولد للحب ... يغفو في ثوان عمره هذا الهوى

ابعد عن الغفوة تبتعد عنك الجفوة.. اشعر ان غفوتك طريقة مثلى للهروب والاغتراب. حتى هروبك اليها لا يجدي.. فلا قيس وليلى رغم جنون حبهما أوصلهما الى الأمنيات.. الأمنيات وحدها لا تكفي.

هنا نقفل بوابة الدرب مع شاعرنا المتألق (مسافر) ملاحظة عابرة توقفت عندها.. الاهمال في النقطة المخل بالمعنى كمفردات (صبوتي) و(اضلعي) و(مسمعي) و(ضلوعي) و(دموعي) و(جوانحي) و(ولوعي) و(مفاصلي) و(زوارقي) و(شموعي) المقترنة بياء النسبة المفتوحة.

الأخرى تجزئة الشطر الواحد وبعثرته مما ينتقص من جماليات إطاره وترنيمته.. شكراً لشاعرنا مسافر على سفر كان بالنسبة إلي سفر الامتاع والإشعاع.. رغم نهاياته الجاحدة ولا أقول الجامدة.

الأفق الأخضر

- طاهر زمخشري
- ١١٠ صفحات من القطع الصغير

قبل تناول ديوان شاعرنا الراحل الزمخشري يحضرني هذا البيت من الشعر:-

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

البيت مثل يضرب به لمن تواجدت أمامه خيارات كثيرة فما يدري أيها يختار.. ولقد تكاثرت لدي مجموعات شعرية ثرة.. منها ما اشتريته.. ومنها ما تم إهداؤه.. وحتى لا يعتب.. وحتى لا يغضب عليّ الأحبة بتهمة التباطؤ أوالإغفال فإن وعداً صادقاً مني أن أمنحها فرصة التناول وفق جدول أحرص ان يكون عاقلاً وعادلاً في طرحه.. أعود إلى ديوان (أفقنا الأخضر) كما أسماه شاعرنا وكما اختار له لوناً ربيعياً كلنا نشتاق إليه في عصر بدت آفاقه رمادية.. وسوداء متجهمة.. ومع اشتياقنا لتلك الخضرة الأفقية إلا انه فاجأنا بالبداية.. (العقوق).. والعقوق لا اخضرار فيه.. وإنما مرار معه..

كنت أرجوه في الحياة سنادي وأرى فيه ساعدي وزنادي

كنت اشدو به واسكب حبا ونشيداً يبل مرَّ الصوادي

ماذا بعد الرجاء؟ :-

كنت ارجوه روضة للأماني فرماني عقوقه بالعوادي..

ماذا فعل معه.. وأي لون من العقوق أصابه بسهم؟!

صوَّب السهم للشغاف مع الليل وقد كنت موثقا بالسهاد

كان ينقل خطاه مثقلة بيأسه.. يجوب الظلام من حوله في وحدة ووحشة.. كان يرقب افقه الأسود لا الأخضر.. دنياه العارية المليئة بالتعب لا الجدب.. كان له حلم طيف جميل برق في أفقه المجهد.. وإذا به دون مواسات يتحول إلى مأساة..

وارانـــي عقوقـــه غــدرة الجاحـــد | جـــاءت مـــشحوذة بـــالوداد
وإذا بـي مـن طعمـة الألم الـضاري | ارد الـــدرب مـــراري الفـــؤاد..
فعلــى جرحــه ســأطوي الحنايــا | بعــد ان حطــم العقــوق عمــادي

جانب من شاعرية شاعرنا.. بل جانب من حياته المليئة بالألم رغم الأمل الذي يطوف به فضاءات أحلامه الشاعرية الشاردة..

من عقوق تجرع مذاقه المر.. إلى عقرب ساعته التي يتطلع إليها كمن ينتظر..

يــا عقــرب الــساعة لا تلــدغي | جفــن محــب مثقــل بالــسهاد
فالمـــدنف الملتـــاع في حـــيرة | تــضرج الأفكــار منــه بالــسواد

الشطر الأخير يعاني من كسر يحتاج إلى تجبير سهل لا عناء معه ولا مشقة فيه..

يضرج الافكار منه السواد

يبدو ان عقرب ساعة شاعرنا مؤذية كالعقرب التي يخاف حركتها.. انها تضايقه بدقاتها وتفزعه بنبضاتها المتلاحقة وهو يريد ان يستريح.. ان ينسى آلامه الجسدية التي تؤرقه وتطيل عليه أمد اليقظة..

يــا عقــرب الــساعة لا تزعجــي | مـن ضاق بالـصمت وعـاف الوسـاد
فالوحـــدة الرعنـــاء مـــسعورة | تزحـــف بـــالآلام مـــن واد لـــواد
لـولا جميـل الـصبر مـا طاقهـا | والـصبر فـيض مـا لـه مـن نفـاد
فخففـــي وطـــأكِ لا تـــسبقي | دقـات مـن يهفـو لـصفو الـوداد

إلى ان يقول عن عقرب ساعته التي ضاق بدقاتها:-

يــا عقــرب الــساعة لا تلــدغي | صــبا يــداري النــار في صــدره..

هكذا جمع بالمحصلة البلاغية بين عقرب ساعته والعقرب التي تحمل السم كي تؤذي شاعرنا الزمخشري رغم معاناته إلا أنه يتطلع إلى أفق يسليه وينسيه بعض همومه.. انه يرقب الطير ويحلم لو كان هو نفسه طائراً يغدو ويروح.. يحلق ويهبط..

ولكن.!

مــع الطــير اغــدو مُــسعدا وأروح — ويــين الحنايــا في الـشغاف جـروح
اضــمدها بالــصبر وهــو عُلالــة — واغــسلها بالــدمع وهــو شـحيح
اعلــل نفــسي بالأمــاني.. وترتــوي — جـوانح فيهـا اليـأس كـاد يـصيح

ويتصور الطير وقد ركن إلى عشه بعد ان سرح ومرح.. ونام ملء جفنيه.. الا هو!

مـع الطير لـي جـوف الـدياجبر مرقـد — علـى الجمـر للـشادي الجـريح مـريح

ويمتد بصره بعيداً إلى حيث النجمة العذراء بعد ان سئم الأعداء والأصدقاء من حوله.. بعد ان ضاق بالأرض وما رحبت..

قــد سـئمت الاعــداء والأصــدقاء — بعــد ان عفــتُ في الحيــاة البقــاء
احمـل الهـم في نطـاق مـن الـضيق — يلــــــم الأســـــوار. والأرداء

ركـام مـن الـشكوى يطرحهـا شـاعرنا لغـة مناجـاة لا اجابـة عليهـا الا الترجيـع والوجـع.. الـسواد يخيفـه.. والـصمت يفزعـه.. والـضجيج يقهـره.. بـارق واحـده هـو المنـى الذي يتمنى قطافه حتى ولو كان نجمة عذراء تبرق في البعيد البعيد.. فضاءاتها هي الباقية..

لاقتطاف المنى من النجمة العذراء — جــــاءت ومــــدت الأفيــــاء
بابتــسام شــعاعه نــافس النــسمة — بــــــردا. ورقــــــة. ورواء
فعلـى ظلـه سـأقطع بـاقي العمـر — شــــدواً وأرســــل الأصــــداء

وقطـع بـاقي عمـره وهـو يـشدو كـالطير الجـريح.. وكـالنجم الـذي يـبرق ولكنـه لا يـورق.. وفي أفق شـاعرنا الأخـضر رغـم سـواده محطـات تحمـل معنـى الوجـع.. والتحمـل والحـب.. وارادة الحـي الـذي لا يقـوى تغـيير شـيء مـن واقعـه إلا أنـه يحلـم.. (في دروب الحيـاة).. و(التقينـا)، و(انتظـار)، و(سـاعتها)، و(علـى موعـد) و(يـارفيقي) و(هـاتف الـذكرى) محطـات قزحيـة اللون.. مختلطـة الانفعـالات.. مختلفـة المشاعر.. نتجاوزهـا

مع شاعرنا الراحل لأننا معه في حاجة إلى (ابتسام)..

يا ابتسام المنى فداؤك نفسي ليت لي غيرها فداء أجلا
عشق الناس في الرياض ورودا وبما فيك من سنى أتملى
انتِ يا بلسم الجراح لروح لقيت فيك بالبشاشة ظلا
كلما لاح من محياك ومض خلت ان الصباح منه أطلا

مقطوعة رومانسية استغرقها قلبه وطرحتها ريشته كلوحة بانورامية جميلة داخل متحف يعج بلوحات متباينة الخطوط.. والألوان يغلب عليها الحزن.. وتطغى على صورها ملامح الشكوى والوجع.. انه متحف شاعرنا بكل ما يعنيه من تباين وتقاطع.. والابتسام في حياة شاعرنا اشبه بالأفق الضيق انه يتسع.. ويضيق.. ليسمح له احياناً ان يبصر الخيال الجميل الذي يتمنى لقاءه.. وقد يحدث..

والتقينا، ولم تزل لهفتي الظمأى جحيما معربدا في ضلوعي
وببرد اللقاء ضاعفت تلويعي واذكيت في الحنايا ولوعي
كنت في البعد فرحة تنعش الرو ح. فأصبحت رعشة المفجوع
فالثواني تعد نحو افتراق من جديد. فواعدي بالرجوع

لقاء خاطف بالحلم سرعان ما انتهى مخلفاً حسرة.. وانتظاراً بعودة قد تأتي وقد لا تأتي والانتظار أشد من القتل.. من ثقب عالمه الجميل بدت الصور الخاطفة تتلاحق.. (عبير) يلاطفها بقوله:-

وفاتنة كساها الدل ثوبا واسلمها إلى الخضر المثير
فأسدلت الظلام على محيا توشى الصبح فيه بالزهور
ونرجسة بحرف الطرف راحت تعب (...) في كاسات نور

أبيات قصيرة صاغها تحمل جماليات الوصف.. وجمال اللحظة.. لم تكن (عبير) وحيدة في شعره.. (هيفاء) و(النائمة) و(منبع العطر) و(عيناك) و(شادية في البحر)

قصائد وصفية قصيرة تغنى بها.. وسرعان ما ساقته خطاه إلى حقل الورود:-

قبلّت وردة بكفي فقالت ... يا رفيق الهوى قسوت عليّ
هل تناسيت حين زرتَ خميلي ... فسكبت الشذا لروحك ريا؟
حادثتني. وقمت انت بقطفي ... فتضاحكتُ لم أقل لكَ شيا
فإذا ما نفثت كل عطوري ... مدمعي لا يزال يهمي نديا..

لمَ الدموع؟ هكذا احساس الوردة بالضياع بعد استغراق أجمل ما فيه دون اعتراف بجمالها وجميلها.. انها تداس بالأقدام ويقذف بها في سلة النفايات القذرة.. لعل لها الحق حين تشكو جحود من شمها ثم ظلمها.. وهج العاطفة لدى شاعرنا طاهر زمخشري جياش متدفق.. فمن حديث مع وردته الباكية إلى محاورته الجميلة مع الموج:-

وشوش الموج نِسمة في الأصيل ... لمست بالندى محيا الجميل
قال:- أفنيت بالشذا سر ورد ... كان يغفو مرنحا في النخيل
فأجاب النسيم:- يا موج انا ... نتبارى في مد ظل ظليل
ويزاكي العبير من كل ورد ... نترع الكأس بالسنا للعليل..

الموج ليس دائماً رخيما كالنسيم.. انه يغرق الأخضر واليابس حين يطغى ويغضب.. النسيم هو رفيق الورد وصديقه..

تكاثرت الأوصاف الوردية فمن (الرداء الوردي) إلى (وردتان) وردة بشرية.. وأخرى شجرية كلتاهما محببتان للنفس.. هذه المرة يقوى ساعد شاعرنا ويشتد.. انه في حبه لا ينتظر.. لا يتسول.. ولا يتوسل.. خطابه لغة اعتزاز بحبه.. :-

كن كما شئت ليس يبلى هوانا ... فلقد زاد في دمي عنفوانا
كن كما شئت انني في لظى القسوة ... افني تأوها وحنانا
لم اكن احسب التباعد يضنيني ... فلما ابتعدتِ زدتِ هوانا

والفــــراغ الـــذي تركـــتِ بنفـــسي عـــضني لوعـــه فلبـــت افتتانـــا

نعم يحب.. ولكنه لا يستعجل الرجوع لأن حبه الأقوى من ان يركع امام لحظة انتظار لا تضيف شيئاً لمكنونات نفسه.. (على متن الأثير) مقطوعته التي استقى منها عنوان ديوانه (الأفق الأخضر) لنقرأها.. :-

افقـــك الأخـــضر في ظـــل المنـــى لم يـــزل يـــضحك رفـــاف العـــبير

وعلـــى خطـــو الليـــالي عـــبرت ذكريـــات تغمـــر الـــدرب بنـــور

والهـــوى يعـــزف مـــن الحانـــه والمـــزامير تباشـــير الـــسرور

يستغرق في وصفه عن مناه التي ترقب مسرى الطير. والومضة البارقة من مقلتيه. والبسمة العالقة بالأهداب.. وان كنت لا اتفق معه عليها لأن البسمة تطبع ملامحها على صفحة الوجه.. الكثير الكثير من الجمل الشعرية الوصفية الملامح أبحر على زورقها دون ملل.. دون أن ينتهي به المطاف إلى شط النهاية لأن اغراقه أو استغراقه اختلس منه الصورة.. وابقى إطارها ينتظر معالم الأفق الأخضر وفق بناء شعري متكامل الزوايا والأبعاد.. شاعرنا الراحل قضى جل حياته متنقلا ما بين وطنه والمغرب العربي.. لهذا فإن أخصب ذكرياته عاطفة مشبعة بروح الجماليات التونسية.. لقد اختصها بالوافر من قصائده.. (الصباح الجديد في تونس الخضراء) الذي يقول في مطلعها:-

طفـت بالـشوق في خـضم الوجـود والمجـــاديف فـــرحتي ونـــشيدي

في مغـــان طويـــت فيهـــا ربيعـــا شـــاعري الأيـــام نـــضر الـــورود

الـــرؤى فيـــه حالمـــات المرائـــي ضـاحكات الأطيـاف مـن رجـع عـود

ومقطوعته الثانية في الدار البيضاء.. انتزع منها هذه الأبيات:-

وتخطرنـــي المرابـــع أمنيـــات وفي أفيائهـــا طـــاب المـــساء

وقـد جئنـا وحـادي الركـب شـوق فعـــدنا والـــسرور لنـــا حـــداء

بمغربنـا المـضي علـى الليـالي بـآلاء يباركهـا العطـاء

في ذاكرة شاعرنا ذكريات لا تعد أفصح لنا عن (ألف ذكرى) من خلال خمسة عشر بيتاً شعرياً:-

ألـف ذكـرى تراقصت في الـدجون كنجـوم سماؤهـا في عيـوني

بـين لألائهـا لمحـت الثريـا وهـي تختـال في شـغوف الفتـون

وحين شخص إليها بعينيه أرخى طرفه وتراجع موثقاً بأنينه.. وفي زحمة ارتداده عن الرؤية تلمست شيئا من ذكرياته الألف.. ما حصلت عليه رؤى أمسه في كهوف التناسي وهي تجوب فضاءها على مدار السنين حتى لا يدرك السلو خطاها وهذه المقاطع:-

اركتْـهُ الـذكرى فبـاح اضـطرابي لـسهادي بـسري المكنـون

فـإذا بالـذي اداريـه شـجوا عـاد شـوقاً يطـوف بـي في الـدجون

ألـف ذكـرى وكلـها مـن صـميمي وفـؤادي يـضمها بـالحنين

انه في رحلته مازال يطوف المدى البعيد إليها دون أن يتحقق منها لأنها مجرد طيوف آثر الاحتفاظ بها دون بوح..

فـإذا الـذكريات حـولي طيـوف صـافحت بالوفـاء صـدق يقـيني

نهاية موفقة لشاعرنا ان تتلاقى أطيافه بصدق يقينه.. أما نحن القراء فقد اعفانا شاعرنا من ذكرياته الألف التي تمخض عنها هذا اللقاء.. وعن مدينة (سوسة) التونسية تدفق فيض شاعريته وفدائيته..

سوسـة دارتـي. وافـدي هواهـا بحيـاة رخيـصة في فـداها

هتف الحس بي فرحت مع الحب إليهـا ملبيـاً لنـداها!

افقهـا الأخـضر المـورد بالأنفـا س يعطـي العـبير مـلء ولاهـا

يتهـادى بهـا الـصبا بـين افـواف زهـور بـسامة بـصباها

والـــشذا عنـــد غابـــة الزيتـــون يلـــــهو مغـــــرداً بهواهـــــا..

بهذا التوصيف والتوظيف للمفردات يسترسل.. وبهذه التركيبة الجميلة والسرد الوصفي والايقاعي يأخذنا الشاعر في رحلتنا معه.. لا تكاد تتغير الأوزان، والموازين الكلاسيكية وهو أسلوب اختاره لنفسه.. وصياغة اصطفاها في ديوانه الذي يرسم مرحلة مبكرة من عطائه الشعري التقليدي المتسم بجزالة اللفظ.. وأصالة الطرح.. (الأفق الأخضر) كما اطلقه عنواناً لديوانه يبرز أكثر وأكثر في قصائده ففي مقطوعته (من هي؟) يقول:-

الأفـــق الأخـــضر في مقلتهـــا والـــشفق الأحمـــر في وجنتهـــا

بـــين هـــذين فـــراش حـــائر يـــرف مـــشتاقا إلى بـــسمتها

وخصلات الشعر في جنح الدجى يـــسترق الخطـــو إلى جبهتهـــا

فترقـــص الفتنـــة في غرتهـــا وتـــضخ الإشـــراق في طلعتهـــا

ديباجة واحدة.. وموحدة تطغى على سماء شعره الوصفي تقرؤها في مجمل قصائده مصبوغة بلون الأفق الأخضر.. هذه فاتنة التي يناديها:-

الأفـــق الأخـــضر يـــا فـــاتنتي يرتقـــب الاشـــراق مـــن طلعتـــك

وهـــذه الـــدقات مـــن خـــافقي تـــستبق الخطـــو إلى فتنتـــك

وصف ينتهي بتساؤل لا ينتهي بجواب:-

فهـــل يعـــود الوصـــف يـــشدو لنـــا وترتـــوي بـــالعطر مـــن وردتـــك

لعل مقطوعته القصيرة مع الصمت هي الأجمل. والأعمق في مضامينها التأملية والدلالية:-

الأفـــق قـــد ضـــاق بمـــا نحمـــل فالـــصمت مـــن افـــصاحنا أجمـــل

تلملـــــم الحـــــب بأجفاننـــــا ونخـــرس الحـــب فـــلا يُرســـل

ملاحظة عابرة على هذين البيتين لا تنتقصان من قدره.. (فالصمت) في الشطر

الثاني لا حاجة له بحرف الفاء.. أما البيت الثاني فخطأ مطبعي يدركه المتلقي يحسن تصحيحه.. كلمة (تلملم) الصحيح (نلملم).

ومحطات شاعرنا الكثيرة لرحلتنا آثرت المرور العابر على بعضها.. (صداحة)، (شاعر)، (كأس الحب). (اخت القمر) (ذات الرداء البنفسجي)، (هيفاء)، و(ردة)، (ثوبها)، (على شفتي)، وكلها غزلية متماثلة الاطار والمضمون.. وتستوقف الرحلة لافتة كتب عليها (ترنيمة) لعل في داخلها الجديد من المنحى التأميلي. أو الفلسفي.. أو الانطباعي..

سئمت الحياة. ولكنني احس بروحي ضياء الأمل
ينير السبيل إلى غايتي وينفض عني غبار الكسل
طويت السنين ومار اعني سوى انني سائر لم ازل
ويوثق خطوى الاسى تارة وطورا يمزق عزمي الملل

جميل هذا الطرح الجديد بأخيلته التي انتظرناه طويلاً وكدنا نيأس.. ولأن ترنيمة الشكوى ذات جذب نفسي لدي على الأقل فقد آثرت المزيد من أبياتها:-

ولكنني في طريق الردى وبين ضلوعي يدب الأجل
أسير وفي النفس ترنيمة تجدد عزمي بحب العمل
وبين الحنايا الشجا يرتمي على مرجل من عناء الغزل
وفي راحتي هباء المنى وفي مقلتي غبار الفشل
ببيض الاماني أغذ السرى وسوء الليالي تعوّل البطل

أجل لقد منحتنا ياشاعرنا الراحل فرصة للتفكير والتأمل أكثر وأكثر.. تقاطعات.. وصور متعارضة ومتداخلة يستوعبها أناء واحد هو المحصلة الحياتيه التي تجمع الأمل رغم السأم. التعلق بالحياة رغم المخاطر.. الحفاظ على الحب رغم ما يعتري طريقه من عقبات وصدمات. انها الحياة سفينة تأخذنا معها نمسك بشراعها

وسط موج متلاطم.. مَن أحسن قيادة الدف أرسى بسفينته في مرفأ السلامة.. والا فإن للبحر كلمته.. وللأمواج لغتها..

وفي نهاية المطاف ونحن نسبر آفاق ما تبقى من الرحلة نتوقف على مقربة من البعد الذي اختاره عنواناً لمقطوعته.

نتناءى عند التلاقي وفي البعد أراها ملء العيون ضياها

وهي في خاطري حديث الأحا سيس صداها ينساب في آهـا

كلما هزني إليها اشتياق طالعتني المنى بأحلى رؤاها

في خيال يحلو مفاتن مرآها وتروي مشاعر ذكراها

ونحن أيضاً ياشاعرنا الراحل آثرنا جميعاً ان نروي مشاعرنا بذكراك.. وبذكريات مشاعرك التي كانت دافئة تارة.. وحارة أخرى.. حلوة تارة. ومُرَّة أخرى.. تذوقناها بعد ان قدمتها لنا طبقا حاذقا ولكن مستساغ المذاق. تمنيت لو ان في ديوان شاعرنا طاهر زمخشري ما حرصت البحث عنه.. الصور الإنسانية بكل تداعياتها. ودعواتها.. وما أخاله أهمل هذا الجانب المهم في شعره.. ربما دواوين أخرى أثْرت هذا التوجه.. ومنحته المزيد من التجربة والمعاناة التي عاشها شاعرنا في سنواته الأخيرة وعايشها بإيمان.. وصبر.. رحمه الله.

الهوى والشباب

- أحمد عبدالغفور عطار
- (١٩٠ صفحة من القطع المتوسط)

(الهوى والشباب) أنشودة شدا بها الموسيقار الراحل محمد عبدالوهاب فشنف اسماعنا لسماعها.. والراحل العطار أعطى لنا نفس الهوى والشباب شعراً. فإلى أي مستوى من الإمتاع والإشباع شنف أفكارنا جميعاً بهما..؟! هذا ما سندركه من خلال متابعتنا لحصاده الشعري.

(اشهدي مغرب عمري قبل فجره) عنوان المحطة الأولى لقطار الاستراحة:-

ليس في العالم محروم من النعمى سوايا وطريق البؤس لا تعرفه الا خطايا
والسنا أظلم حتى لا تراه مقلتايا وافتقدت النور مذ غابت وضيعت عطايا

كثير يا راحلنا.. ففي العالم مئات ملايين المحرومين من نعيم.. ومثلهم من خطاه متعثرة متدثرة بأحذية البؤس.. حتى وإن جاء الحب مأسوراً والقلب مقهوراً..

كل شيء فيَّ أو في عالمي بادي الخراب وتدجَّى النور في عيني، وأمسى كالضباب
يا حبيبي إين أنت الآن هل تدرين حالي؟ بي ما يفتك بالقلب، ويودي بالشباب

لوعة الحب.. وخشية الفراق.. والخوف من المجهول دفعه لأن يقول:-

يا منى الروح اشهدي مغرب عمري قبل فجره وانظري مصرع تاريخي في مبدأ أمره
وارقبي مأساة قلب عاشت النار بوكره وتحدته بكبر، فتحداها بصبره!

جميل مقطعه الأخير.. أدوات الحب القوي لابد وأن تأتي صابرة، ومصابرة.. (ألأن لوني كالدجى) مقطوعة جميلة ذات مغزى إنساني يأبى عنصرية اللون وطبقيته..

ألأن لوني كالدجى ولأن قلبي طيب.؟

ولأن لونـــك يـــا أخـــي ال ... غريـــي أبـــيض يخلــب؟
تـــزري بإنـــسانيتي ... وتزيــدني بــصقا وركــلا!
وتهــد كــوخي يــا أخــي ... تــؤودني ســجنا وقــتلا؟

ويبقى لنا الشبه في تآخي وتصافي الليل مع النهار:-

أتــرى النهــار يخاصــم اللـــ ... ـــيل البهــيم للونـــه؟!
لا، بــل إفــاض عليــه مــن ... وشـــي الحيـــاة وحـــسنه
أخـــوان مـــا اختـــصما ... وبينهمـــا المـــودة والـــصفاء
إن يقـــترض في الـــصيف منـــه ... فـــإن في الـــبرد الوفـــاء

(ربيع الحرب) له نكهة شعرية عفوية جافة:-

أيــن الربيــع الــذي طافــت مواكبــه ... بالكون فرحى وأين الرقص والطرب؟
كأنمــا الأرض في عــرس وفي فــرح ... فأشــرقت والربــى بالــسحر تنتقــب
واليــوم مــن هــذه الــويلات قــد رتعــت ... بنــا المــصائب، واستــشرت بهــا النــوب
وأصــبحت مأتمــا تجــتر شــقوتها ... وفي النفوس خضم الحزن يصطخب

يوم لنا.. وآخر علينا.. ودواليك دولاب الحياة يدور.. ونحن ندور معه.. وندير كما تحلو غرائزنا وطباعنا البشرية المتقلبة. ويقول في سخرية عن السيد المطاع:-

إنما السيد المطاع الذي سخر إخوانه ودق الطبولا
ثم أبدى مهارة وذكاء وغراما وأتقن التمثيلا!
تنوء فيه المعاني فتسمي الجديب روضه ظليلا

الجديب.. أي المجدب الذي لا أوراق له.. ولا رائحة:- ومن الجدب إلى الخصب يأخذنا شاعرنا العطار في مقطوعته الوجدانية (هي دنيا):-

قالت الكاعد الجميلة:- صفني؟ ... قلت:- ماذا أقول في وصف غادة؟
كــل عــضو بهــا يُزَينــه الحــسن ... وفي ثغرهـــا رحيـــق الـــسعادة..

هـــي دنيـــا.. وإنمـــا ميزتهـــا روحهـــا.. والغريـــزة الوقـــادة

توصيف مقتضب وبديع ومن غادته إلى الزهور في مرآة المفكرين والمنظرين..

إن في هـــذه الزهـــور لمعنـــى جـلَّ مـــن أن تعيــه نفــس الغــبي

لكـــن الفيلـــسوف يـــدرك منهـــا كـــل كنـــه بعقلـــه العبقـــري

والأديـــب العظـــيم تلفيـــه فيهـــا غارقـــا.. في تـــأملات الـــشجي

وتـــرى الـــشاعر المجيـــد يـــصوغ ال شـــعر، وحبـــا مـــن الـــشعور الفـــتي

لم يقل لنا شاعرنا عن الحب.. وعن ربيع الحياة.. وعن براءة الأطفال.. كلها ترمز إلى الزهور.. حتى تلك الزهور الذابلة إنها رمز عمر كان له زهر.. (ليلاك ما زالت على حبها).. محطة جديدة عنوانها يكشف محتواها:-

لـــيلاك مـــا زالـــت علـــى حبهـــا وزادة إخلاصـــــــها المطلـــــــق

ليـــست علـــى الـــصب حرامـــا ومـــا حرَّمهـــــا الله.. فـــــلا تَفرقـــــوا

فاكهـــــة حلّـــــت لـــــه وحـــــده مـــــا لـــــسواه العهـــــد والموثـــــق

حب لا يقبل الطعن ولا الاستئناف.. لأنه حب شرعي.. (الزورق المختال) يتيه على ضفاف بحيرة الحب مزهواً برحلة سفره الربيعية:-

وفي يـوم ركبنـا زورقـاً يختـال في النهـر وقد نثرت كؤوس الشاي مثل الأنجم الزهر

ولحن القول منسجم كسمط الدر في النحر فقلت: اليوم أخسرها وحسبي اليوم من عمري

ومن البحيرة الساحرة إلى النجم الساحر صعوداً:-

إلى أيـن تمـضي في عروجـك صـاعدا إلى الكوكـب القاصـي تطـير وتـدأب

رويـــدك أن النهـــر قـــاصٍ دراكـــه بعيـد مـدى، فـاقنع بمـا هـو أقـرب

(دراكه) يعني إدراكه.. شاعرنا لا يريد للكوكب المزيد من الصعود خشية الابتعاد لأنه رمز ضياء.. وعنوان حب.. يريده على دنو منه ولكن الكوكب المضيء يدور في فلكه لا يعنيه من الأرض شيئاً لأنه في عداد كائنات السماء..

(لا تعجل بالجفاء) الجفوة سلاح بتار يقطع الصلة ويمزق أوصالها إرباً إرباً.. ولهذا لا يستعجله!

أيا صاح لا تعجل عليَّ بجفوة   وفكر ففي التفكير هدي البصائر
وكن فطناً لا تغترنْ بتواضعي   ولا تحسبنْ أن القطيعة ضائري
حبوتك ما ترجو وهل بعد مهجتي   طلاب لراجٍ أو أمان لحائر؟!
فكن جنة فيحاء يعبق طيبها   وكن لي ظلاً وارفاً في الهجائر!

دعوة إلى الحب.. نحتاجها في زمن الشتات والقطيعة والجفوة.. بعض مقاطع القصيدة طويلة جميلة.. (قد لا أريد سواك) رسالة زوجة لزوجها ترجمها شعراً:-

كلمح البرق.. أو أسرعْ   مضى تاريخنا المترع
كأني لم أعش معه   سوى الوقت الذي ودع
وهدَّ فراقه كوني   بكل جهاته الأربع!
وبعد مضي أيام..   سألت فؤادي الموجع
وكان جوابه الآهات   والأنات والأدمع

رسالة عتب من وفية لزوجها شقية بتجاهله لقلبها المعاتب.. السلام شعار حياة.. ومطلب أحياء ..هذه بعض خواطرنا المسالمة:-

أيها العالم الذي فقد النور واعتكر   انتظر ساعة المنى ساعة السلم والظفر

بيتان تلخصان خواطر العطار.. البشرية كلها ترنو إلى فجر السلام الذي يبدد ديجور الظلام والظلم.. ولكن ديناصورات الحرب وحيتانها الكبار يلعبون لعبة النار والعار في حق الضعفاء الأبرياء..

(الحرب) التي يكرهها أفرغ لها مساحة كبيرة من جسد قصيدته:-

أبيدت القرية في لحظة   ولم تصنها العزلة الوادعة
وبُدِّل البشْرُ بها مأتما   وحطم الأمن لظى الفاجعة

وصـــوّع الـــروض فـــلا وردة ... راءٍ ولا طلعتـــــه رائعـــــة
وجفـــت الأحـــلام في غرســـها ... وانطفـــأت روعتهـــا اللامعـــة
تـــذكر ماضـــيها وأفراحـــه ... فتنطـــوي آمالهـــا الواســـعة

توصيف موفق لقرية نائية وادعة طالها أذى أشقياء البشر.. مجرد نموذج لمدن وقرى.. وضِيَع تهاوت على وقع صواريخ وقنابل أعداء الحرية والحب..

(ولست أريد الوصل) في بعض ملامح شعر شاعرنا تمرد على الحب.. لا لأنه لا يحب.. إنما لأن الحب الجميل في نظره ما زال بيت شعر يغني.. أو طيف حلم يُداعب.

ولـست أريـد الوصـل فالوصـل معقـب ... نـوى والنـوى لا شـك للـنفس مُعطـب
ولكـن اروم الوصـل كـي أذكـر الهـوى ... وســاعات وصـلٍ تستـشير وتعجـب
فلـي مـن خيـالي عـالم الـسحر، والهـوى ... أعـيش بـه كـالطير ألهـو.. وأطـرب
فيـا قلـب لا تأسـف علـى خير مـا مـضى ... فإنــك كنــز الــذكريات المحبــب
وفيـك كنـزتُ البـشر والـسحر والهـوى ... وأجمـــل أحلامـــي تـــدبُّ وتقـــشب

هكـذا يتمنـى العطـار أن تكـون حياتـه عطـراً بـذكرياتها، وأمنياتهـا.. واعتزازهـا بالنفس دون توسل أو تسول.. بعض الرجال لا يخافون الوحدة:-

أما (أغنية البحر) الذي يخاطب بها ملاكه المستغرقة في سباتها العميق:-

أيهـــا النـــائم الـــصغير تنبَّـــه ... والـــثم الفجـــرَ في ثغـــور الأقـــاح
وانظـر الطـير كيـف يعلـن حبـه ... مـــن عـــلا الـــروح ناشـــرا للجنـــاح
قم إلى الـروض واملأ القلـب عطـرا ... وابتـــسم للربيـــع ســـرا وجهـــرا

فالربيع الجواد يسقيك راحا

الأغنية البحرية سرعان ما تحولت فجيعة موجعة في حبيب:-

جنيـت علـى مـر الزمـان أمانيـا ... اقـــص بقلـــبي أنهـــرا وليـاليـــا

(الأنهر) إشارة إلى النهار وليس النهر:-

وكنت كورد انعش الطل غرسه يضاحك فنان الرياض النواحيا
فما راعني غير الزمان يسوؤني يحطم آمالي. يعزي فؤاديا
رأيت خليلي حينما لفه الردى وأبصرته يمضي إلى القبر ناجيا
وراح إلى المجهول يسرع خطوه كأن ملاك الموت يبغي فنائيا
ألم يدر أني نصفه، وبقية من الجسد الفاني فيا بؤس حاليا

رثائية صادقة وحارة عن شاعرنا لأحب الناس إليه وأقربهم إلى قلبه.. الذي تحول إلى نصف قلب، وحياته لنصف حياة:-

(بل ربيع العمر في هذا المكان) عنوان.. أما المضمون سنقرؤه ونتعرف جميعاً على مكانه، وزمانه، وإنسانه إن أمكن:-

أيها الفردوس قد كنت لنا منبع الفرحة في غض السنين
كلما جئناك رحبت بنا وتلقيت هوانا بالحنين..
وظننا أن أول فجر لاح في دنيا المنى أول مرة

الشطر الأول ناقص أحسب أنه يحتاج إلى صياغة جديدة كأن يقول (وظننا أننا في فجر عمر).. بعض ملامح لما نبحث عنه:-

كنز أحلامي وحبي ها هنا وهنا السحر تفشى في الزمان
وهنا الماضي وأطياف المنى بل ربيع العمر في هذا المكان

إنه الوطن حيث التاريخ.. والأهل.. والولاء.. ومن اغرودة الوطن الذي حدد لنا مكانها وزمانها وإنسانها أخذنا معه طواف قطافه قبلة مختالة:-

على ثغرك الوضاء تختال قبلة تناظرها عيني ويشتاقها فمي
ولكن عليها حارسان من المدى يذودان عنها ثغر صبّ مُتيم
تناديك اقبل واقطف الوردة التي سقيت رباها بالدمع وبالدم

مفردة الدمع يحسن إبدالها بالدموع كي يستقيم للشطر وزنه..

شاعرنا هل استجاب للدعوة المغرية؟

فأنبتهـــا حمـــراء. ريّـــا جميلـــة بهـا كنـزكِ المـذخور جـمٌّ التبـسم
فيـدني إليهـا الثغـر لهفـان صـاديا فيحميـه عنهـا الحارسـان بأسـهم
فحسبك أن ترنو إلى وجهي الذي يـــشع ســـناه بالجمـــال المُحـــرَّم
والا الفـــراق المـــر يحكـــم بيننـــا فتغـدو شـقيا ثـم تمـسي بـأعظم
فيرتـد مـذعورا ويهمـس قـائلا:- لكِ الله عـودي بالوصـال وأكرمـي

هكذا بَثَّ شكواه.. بماذا أجابت؟ :-

ولمـا رأتـني كاسـف البـال حـائرا بـدت سـنها مـن ثغرهـا المتبـسم
وقالـت:- تقدم يا جبان أخفتني اتخشى وعيدي؟ أم تهاب تجهمي؟
تريـد.. ومـا تجـديك مـني إرادة مكبلـة تحميـك عـن درك أنعـم

(دَرْك) تريد بها أن تقول (ادراك).. وفي النهاية يسدل الستار دون قرار حاسم..

لهيب الشوق.. حارق يخترق الحدود والسدود متى استيقظ:-

أبهذا اللهيب تشتعل الدهر بقلبي وزادك الدهر وقدا

تصحيح بسيط يُقوِّم البيت والمعنى معاً.. أحسبه على النحو التالي (أبهذا الحبيب اشتَعَل الدهر بقلبي).. الموقد حوَّله إلى رماد تذروه الرياح.. وحياته إلى ما يشبه الهشيم الذي لا يقوى على ثبات

غـــير أنـــي رأيتهـــا كهـــشيم يتـشكى مـن قـوة الـوطء غبنـا
راثيـا حالـه وقـد ذكـر المـا ضـي حتى الذي كان فيه بالروح غصنا

(لكل ربيع خريفه) يقول العطار مخاطباً الخريف:-

نأيت ولم ترحم واعلنت لي القِلى وبـــددت أحلامـــي وهـــن ألـــوف
وأطلقـتني للـهم أجـرع كأسـه علـى مـضض والهـم فيـك عنيـف
وانكـرت حـبي واحتويـت صـداقتي وخـست بـذاك العهـد وهـو شـريف

(خست) اتصور أنه أراد بها أن يقول (خنت) ربما تكون خطأً مطبعياً..

جمالك هذا كالربيع وانما لكل ربيع في الوجود خريف

نعم للعام الزمني فصول أربعة.. صيف حار وربيع دافئ.. وشتاء بارد وخريف أكثر برودة، لعله خريف الحب حين يتعرى وخريف العمر بعد أن يشيخ.. أخيراً مع شاعرنا الراحل أحمد عبدالغفور عطار في ديوانه (الهوى والشباب) ننهي رحلتنا معه مع مقطوعة في القلب دارك..

أفاتنتي انظري كبد المُعَنَّى تذوب من الحرارة فوق صدركْ

وفي نهديكِ بعض دفء داني على بلواي باق طوع امركْ

أكان عُجباً منها أم تعجباً وهي تسمع منه بعض بلواه.. ما أن أفرغ بيتين من حلقه حتى فتحت فمها متحدثة:-

فقالت وهي باسمة:- أصدقٌ مقالك ام تراه بعض شعرك؟

ألستَ بشاعر والشعر كذب تخادعني به يا سوء مكرك!

فقلت:- استغفري ولديك حبي وروحي يشهدان بعسف هجرك

هنا في القلب دارك فاستقري وشيدي عالماً حباً بسحرك

فعيشي لي بقربي وامنحيني جناكِ وان سمحتِ فكل خيرك

فقالت:- قد أجبنا واستجبنا وهاك الثغر فاستمتع بثغرك

وحاذر أن تخون.. فقلت كلا وشكرا لا يُوفي بعض أجرك

عرفت الراحل العطار ناثراً.. وعرفته الآن شاعراً جزل العبارة يمتلك ناصية شعره باقتدار.. وجرأة شديدة لم يتعود عليها الكثير من شعرائنا رحمه الله.

قاطع الطريق

- أحمد قنديل
- ٨٠ صفحة من القطع الصغير

معنيان اثنان يتبادران إلى الذهن حول دلالات العنوان.. معنى قطع الطريق أي اجتيازه بخطوات ثابتة إلى هدف مبتغى.. ومعنى آخر له دلالة متوحشة تشير إليها عبارة قطاع الطرق.. أولئك الذين يتخذون من القرصنة أسلوب حياة لهم من أجل السرقة وترويع المسافرين.. أيهما يعني شاعرنا..؟

في مقطوعته الأولى بلا عنوان لا شيء يشير إلى دلالة عنوانه بشكل واضح إلا إذا كان يعني خطوات هي على مسلك حياة كلنا نخطوها:-

فرغت كأسه، فمد يديه ... يترجى من الحصاء الترابا
ومن الريح نسمة. وعبيرا ... ومن الصخر قطرة. وانسيابا
ومن الخلد نفحة وسلاما ... ومن الله رحمة.. وعتابا

هذا الفارغ الكأس.. الذي خدعه الرجاء.. وخاصمته الريح.. وهزئ به الصخر.. لم يهزمه إيمانه بربه رغم دياجيره المطبقة من حوله:-

الدياجير مطبقات عليه.. ... ظللت رأسه رؤى، وضبابا

حتى الأماني خدعته ببريقها.. ولم تسقه من ريقها لأنها أشبه بلمعان سراب خادع وكاذب.. أما قافية شعره فقد جفت خاطرتها على شفتيه إلا من بعض تمتمة لا تطرح ما في نفسه من مكنونات شعورية. أن ينشد الحقيقة.. ولا شيء غير الحقيقة:-

ظامئ ينشد الحقيقة نبعا ... سلسبيلا.. للروح لذَّ وطابا
ضاق بالوهم في النواظر نهلا ... وبمرآه في البراري سرابا..

هنا أفصح لنا أنه يعبر جادة حياة شاقة ومضنية.. ولكن بعزيمة لا تنثني.. لا ترتد.. ولا

تتردد:-

لا يبـالي مـا قـد يكون. ومـا كـان ... فقـــد حـــث للخلـــود ركابـــا

عـــابراً دربـــه الطويـــل مجـــازا ... قـــد تلـــوَّى. ووهـــدة. وشـــعابا

قـــد مـــشاه مجانبـــا مـــن لحـــاه ... وطـــواه غابـــا.. يـــرود.. وقابـــا

بهذا الإصرار والتحدي بدأ شاعرنا القنديل يضع خطواته على درب حياته.. ومن كانت هذه عزيمته على الدرب وصل.

ماذا عن مشاهداته عبر رحلة حياته الشعرية؟!:-

قـــد رأينـــاه ليلـــة الأمـــس بـــالجر ... ف مطـــلا للقـــاع.. حـــان مابـــا

مفردة (مابا) محتاجة إلى حرف المد (مآبا)

فـــوق أكتافـــه الـــذماء تلاشـــى ... مـــزْوداً جـــف فـــضلة. ووطابـــا

إنه يرسم لنا صورة أعرابي، أو بدوي يحمل زاده فوق كتفه لا ناقة لديه ولا جمل.. ولا حتى حمار..

وبيمنـــاه مـــن صـــفائح عمـــر ... أمـــسه حـــال أســـطرا وكتابـــا

وبعينيـــه ظلمـــة مـــا جلاهـــا ... عنهمـــا اليـــوم مـــن رجـــاه. فخابـــا

مسافر تخلى عنه ذووه، ومجتمعه.. آثر الرحيل حيث لا هدف. وإنما الهروب من واقع مر يصهر دواخله تحركه أقدام مجهدة:-

وبأقدامـــــه. تجـــــر خطـــــاه ... رجفـــة الـــوهن. جفـــوة، وعـــذابا

مـــلَّ عكـــازه. يقينـــا تـــردى ... بعـــد أن مـــلَّ قومـــه. والـــصحابا

أبشع ما يكابده طاعن في السن يستند إلى عكازه ضعفاً أن لا يلقى من أقرب الناس إليه لمسة حنان وعاطفة رحمة تمنحه سكينة هو في حاجة إليها.. ويبقى الجحود بطل هذا المشهد الأول في رحلة حياة متداخلة يشيع فيها الحرمان بالنكران.

لم تنتهِ مشاهد ذلك البائس.. فالزمن لا يرحم.. والشعر أيضاً لا يمل من سرد

ملامح مأساة لا مواساة فيها:-

وتـــدلت مـــن عارضـــيه ســـبال   تـاه فيهـا العمـر القـصير وشـابا

هل كان شاباً عاجله الشيب والهرم؟!

تلـك أسمالـه. ومـا قـد حوتـه   كـــل دنيـــاه ضـــلة وتبابـــا

هكذا جاء مشهد الليل.. واندحر الليل أمام زحف الصباح.. تغير المشهد بنهاية عمر لا يسر:-

واكتـــشفناه في الــصباح بقايـــا   مـــن بقايـــاه.. اعظمـــا. وثيابـــا

مـــن حواليـــه ركعـــا عنـــد مثـــواه   عـــذارى التـــاريخ ذبـــن انتحابـــا

رَحِمُ التاريخ يخصب وينجب.. ولكن خارج دائرة البشر.. إنهم ملائكة رحمة..

ناشـــرات غـــدائر الحـــزن قـــد   جـئن يطـوِّفن بالـصريع احتـسابا

نادبـات مـن كـان منهن بـالأ   مـس حريـاً في أمـسه أن يحـابى

لقد استعجل شاعرنا موت ذلك الكهل.. أو أنه أجل مشهد ما قبل نزعه الأخير.. نعود إليه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة؟

ثـم أغفـى. وقـال يـا أخـت مـا قـال   كلامـــاً حلـــو المعـــاني. عـــذابا

قـــال في نزعـــه الأخـــير وقـــد رن   صـــداه مجلجـــلاً صـــخابا..

لـــست في رحلـــتي الطويلـــة بالكـــا   شـــف ســـراً.. ولا المـــثير عتابـــا

حـــسبي اليـــوم أنـــني مـــت في الـــدر   ب غريبـــاً. ومـــا شـــكوت اغترابـــا

أنـا يـا جـارتي وديعـة صـحرائك   قـــد حـــام فيـــك ولابـــا..

هنا أفصح عن نفسه ذلك الدرويش بأسباله الممزقة.. بعيونه الغائرة.. بتجاعيده المبكرة. بقدميه الحافيتين.. بآماله المحبطة.. وبأمانيه المحطمة الضائعة.. إنه الحب ولا شيء غير الحب ذلك الغريب الذي لم يلقَ له مكاناً يستوطنه ويستبطنه في نفوس الناس.. وفي حياتهم:-

أتـدرين مـن أكـون؟ أنـا الحـب ... أنـا الفـن. لا يطيـق كـذابا
أنـا مـن أمـتي الـضحية تـترى ... في مـدار الأيـام تـروي العجابـا
أنـا فيهـا.. منهـا المثـال تنـادي ... أو تـداني إلى المثـال اقترابـا
والـضمير الحـي المترجـم عنهـا ... نزعـة الحـي للمعـالي وثابـا
رائـداً يـسلك الطريـق جديـدا ... ووحيـداً، قـد ضـل حـين أصـابا

كل هذه الرحلة الدرامية لحب لا مكان له بين أهله في سلوكهم وتعاملهم جاءت شهادة وفاته مختومة بيده.. موثقة بلسانه.. ولهذا وددت أن شاعرنا المجيد عمَّق هذه الرؤية الرائعة بشهادة أكثر.. ولن تكلفه أكثر من إبدال كلمة (جديدا) في بيته الأخير بأخرى أصدق تعبيراً كأن يقول:-

رائـداً يـسلك الطريـق طريـدا ... ووحيـداً قـد ضـل حـين أصـابا

وضلاله هنا غير الضلال.. إنه الضياع الذي هاجر به من دنيا الكذب. والزيف إلى نقاء يبعده عن شقاء المخاتلين والمخادعين.

حين غادر دنيا الناس لم يتركهم دون وصية.. وعظة علهم يصدقون.. يتعظون.. ويعودون إلى صوابهم.. وإنما اصطفى من الزمن رسول رسالة.

قـل لأهلـي يـا دار مـا كـان أحـرى ... لـو تحـرت بعـض العقـول الـصوابا؟
لـو أصـاخت أسماعهـا فأعـارت ... بعـضَ مـا قلـت سمعَهـا الهيابـا
لو أفاضت مـن القلـوب علـى القلـب ... عـزاء.. يُقـرب الأنـسابا..

رسالته تلك لم تكن الأولى.. بل كانت الأخيرة التي ودّع عالم الصدق بها.. قبلها كان له صوت ابتلعه الصمت القاتل..

طـال سـؤلي إلى الزمـان ولم ألـقَ ... علـى كـرة الزمـان جوابـا
ضـيعة العمـر لا يـضيق بهـا الحـر ... متـى محّـص المـدى الأسـبابا
قـل لأهلـي.. ناسـا دنـوتُ ففـروا ... ولقـومي شـعباً مـدحت فعابـا..

وبشكل تعتمل فيه كل هواجس الحيرة.. وعوامل الألم ينادي أهله:-

قدّسوني. أو فالعنوني.. ولكن لا تقولوا غطى التراب ترابا

إنه يرفض الموت لأنه حب.. والحب أبداً لا يموت.. إنه يولد مع الحياة.. يتجدد بخلاياها.. ومن دمها لأنه صوت حياة:-

سوف أبقى رغم الفناء لتبقى صورتي فكرة تنير الشعابا

عند هذا الحد من مشهد الحب المهاجر.. ابى أن يهجر.. وأن يبحرً إلى عالم آخر.. لأن مكانه صدور الناس. وعقول الناس. وقلوب الناس.. وعلاقات الناس بعضهم ببعض.. دون حب تشيع الفوضى.. وينتصر الكره.. وتتكسر مجاديف الوصل والتواصل:-

عند هذا يا أخت ألوى. وألقى نظرات للحاسرات النقابا

ثم أرقى للموت جفنا وأزجى الروح طيفا مرفرفا وثابا

هكذا عاش. هكذا مات في الدرب شبابا. راد الحياة شبابا

مفردة (راد) عنيَ بها شاعرنا الراحل (أراد) وأحسبها جائزة.. وإن كنت أتمنى لو أحل محلها مفردة (رام) بمعنى أراد.. وبقي للقنديل قنديل توصيفه لذلك المسافر المهاجر الذي هجره مجتمعه.. ولكنه لم يتخلَ عنه:-

لمَّ أمداءها القصية شوطا وطوى الغاية البعيدة. قابا

وجلاها لأهله.. وارتضاها وارتضاهم لها. فكانوا عقابا

الحب.. هو قاطع الطريق الذي عبر الرحلة بعد هجر مر:-

إنه قاطع الطريق انتسابا عابه قاطع الطريق اكتسابا

كما توقعت.. جمع بين المفهومين المتضادين.. قطع طريق السفر بسلامة سفر.. وقطع طريقاً من أجل السلب. والنهب. وإشاعة الذعر..

قد رعانا بشعره. فرعيناه معافى من زيفه. ومُحابى

وابحنا له الدروب مشاها صاحب الدرب صابراً. أوَّابا

قــد عرفنــاه عــابراً مــستجيبا ودفنـــاه. شـــاعراً مــــستجابا
وزجرنـا عنـه الـصدى. رنَّ بـالقفر صـــداه مستوحـــشاً. عيابــــا
جاهليـاً.. قـد بـاء ينعـق بـالإثم نفاقـــاً. وبالخطيئـــة عابـــا

لم نستودع الصدق كما أحب.. ولم نودعه كما أراد.. ما زالت بقايا من جاهلية القوم والقول على أحسن تقدير هي المسيطرة على لغة التخاطب.. وعلى خطاب التعامل.. لأن ثقافة الأخلاق مريضة تحتاج إلى علاج.. والعلاج يحتاج إلى دواء. والدواء يحتاج إلى طبيب يشخص الداء.. ويحدد الدواء.

أخيراً.. لا ينسى شاعرنا أن ينثر باقة ورد على مثواه الحزين:-

فـــانثري الـــورد ياحبيبـــة قلـــبي حـــول ذكـــراه.. للـــورى اعقابـــا
فلقـــد عـــاش للـــورود حبيبـــا مثلمـــا عـــاش للقلـــوب مثابـــا..

الورد وحده لا يكفي لإنعاش روح الحب.. وإعادة أنفاسها الوردية من جديد.. الحب ليس شيئاً يُوارى في التراب.. مقابر الحب في دواخلنا إن شئنا جاحدين قتلناه.. وإن أردنا جاهدين أحييناه.. لتكن ورودنا وِرداً لنهر النقاء والصفاء.. والطهر.. ولتكن زاداً نطعمه بعقولنا كي يستيقظ الحب من مرقده معافى دون عكاز يستند عليه.. ودون ثياب رثة مهلهلة.. ودون مزودة طعام لا يطعم.. ودون أقدام عارية تدميها صخور السفر إلى عالم تسكنه أشباح الغربة..

لنكن صادقين.. الصدق مفتاح النجاح.. بالصدق يشرق الأمل.. ويورق العمل.. وتنتصب أعمدة الحياة قوية في وجه زلازل الكذب. والنفاق. والخداع.. الحب حياة.. والحياة حب.. والصادقون المتقون هم أحباب الله.. وأحباب خلق الله الطيبين..

ختاماً.. إنها رائعة لشاعرنا الراحل أحمد قنديل.. كل ما فيها قناديل تحاول جلاء ضبابيات بعض ما تعانيه بعض المجتمعات التي أعماها العقوق عن مشهد الحقيقة التي لا تقبل الزيف.. ولا ترتضي بالحيف.

الابحار في ليل الشجن

- محمد الفهد العيسى
- ٢٨٩ صفحة من القطع الكبير

لليل كما للبحر مساحة نبحر فيها.. للبحر قوارب وسفن وأشرعة.. ولليل أيضاً خيال.. وتأمل يأخذنا معه نستغرق به مساحته شؤوناً وشجوناً يقظين أو نائمين.. شاعرنا الصديق العيسى اختار الليل كي يبحر فيه بقوافي شعره.. وقوارب خياله.. مشكلتي معه ان إبحاره جاء طويلاً إلى درجة إجهادي بمتابعته وملاحقته..

كيف بديوان بهذا الكم والكيف استغراقه وقراءته من خلال حيز ضيق من الوقت والمساحة؟

لابد وان أصطفي منه خلاصة الخلاصة.. فأنا بهذا الاختيار مرغم لا بطل.. (إنسان بلا حدود) بوابة ديوانه..

احدودب الزمان في دروب الشاعر الإنسان وشاب في اهابه التاريخ واستفاء ظله المكان

لا تغزل اسمه الحروف..

لأن الحروف كما يعني مفقودة عن سطحه ضلت قناتها.. واستجارت العوادي فيئة فكان.. وجاء قمره غائماً على خطاه ذاب الحقد وماتت الأحقاد..

الحب في كفيه ثر كالندى، كالظل في أرجوحة السحر
كألف عقد من جمال.. يعذب الاجاج عند شاطئيه
يرتوي حنان ياله؟
إباء حر. سيد.. إنسان..

لا أدري من أين جاء شاعرنا بهذا الحلم الرومانسي؟ يبدو انه اختار ليؤنسنا من وحشتنا.. ويواسينا من وحدتنا.. انه وجه واحد شاء له أن يكون عذباً رغم انه اجاج..

نقول جميعا.. فأل فكان.. (ابحار) وصلته الشعرية الثانية:-

بريقي أشرق.. تأخذني اللحظة		أبحر عبر الحرف بزورق حبي

أبحر في عينيك في اثر شراع		يتألق بالشوق.. يدر بي

يا كل انا.. قلبي لكِ غنى قلبي..

يبدو أن رحلتنا أسعد حالاً.. وأطيب فألاً من سابقاتها.. إذ لا أثر للدموع.. ولا حتى للتأوهات.. وإنما للحب الذي لا حنف فيه ولا حدود معه..

(ابدا معه) يمضي.. ونمضي معه نستمع:-

تزدهر حقول الآمال ببسمة حب من شفتيك
بحرف وعد كالوهم على ريش جناح الطير الأخضر
يوعد يطفئ لهب الشوق.. إليَّ.. فحنانيك
زرعت بأوراقي بالأمس حروفاً
تهتف بالحب. جنوبية. أسررت بها للنجم
لسهدي.. للسهر الموجع أُغنِّية..
يا شاطئ حب ما زال ثريا.. يا أملي الآتي..
في الريح الموسمية.. يا طيفاً يعبر أحلامي كل مساء
تلك يدي عهدا.. اقطعه بين يديك

حب مشبوب يسكن دوافعه لا يحرق.. وإنما يستغرق مفرداته ويمنحها خيالاً خصباً ما دامت على هامش الحلم.. ربما تتغير الصورة حين يفيق شاعرنا من حلمه.. ويدرك ان الأحلام كثيرا ما تتهاوى أمام تجربة الواقع.. ربما يبقى البعض منها إلا ان أجنحته تظل دون ريش.. أو بعض ريش.

(سنلتقي) لا تختلف في أخيلتها عن سابقتيها.. على الدرب (أشرعة ممزقة) خفنا معا عليها.. وخفنا منها.. يبدو أن الطعم اللذيذ الذي قدمه لنا يتغير:-

بالحرف الدامي من ألمي من غصة أحزاني
من كل شقائي.. أكتب سطراً من قلبي

عمري.. خطوات في الدنيا
من نهب تعاساتي
ضلت.. للحب المشرق.. دربي
عمري شقوة اعمار نبتت
سهدا ممرورا في هدبي
شدة أجفاني مرمدة - الليل المخنوق -
فما عادت تقوى.
فيا كل ليالي العمر انتحبي..
ولتنزف سبعة أعوام..
شرعتني الريح إلى جزر الحيتان المسعورة

الغربة يا شاعرنا تكسر أجنحة السفر.. الجراح دائماً معها مقهورة.. السأم فيها دائما مسيطر.. أما طعم رمادها فاتركه لك..

طعم رماد.. أنشودة وهم.. أسطورة

حتى ولو جاءت أسطورة.. الاقتراب من الحيتان يخيف.. حتى حيتان البورصة والمضاربة انهم يصيبون ضحاياهم بعاهات مستديمة اسمها الإفلاس..

(احتراق).. فارس رحلتنا بدأ يغرق ويغرق في علمه بعد حلمه المجنح..

آه.. ويعتصر الأسى قلبي المُعنىً
في الصباح. وفي المساء. وتمور من ألمي الجوانح
ألف أفعى بين أوردتي تلوب.. يجترني فيزوف

أفعى واحدة كافية كي تقوم بالغرض لا سمح الله.. أما فيروف ببركانه وحممه فلا طاقة لأحد به حتى على البعد.. وجع شاعرنا أخذ يتراكم ويكبر كقطعة الثلج الجليدية. لفحه ينثره على شوك القتاد أشلاء الناي استحر.. الضياء انتحر :-

ودفنت في عيني النجوم.. وشربت أزمنتي بكأس البؤس
شربا من تعلات السنين

خيال واسع أكبر من التصور يركن إليه الشعراء في تضخيم صورة الشكوى والمعاناة..

العيون لا تتسع قبرا للنجوم.. والأزمنة لا يستوعبها كأس بؤس..

العيسى الشاعر الحالم فتح بوابة سده كي يغرقنا بطوفان مده.. وفيه الكثير من الضياع والوجع لا أقدر ولا أنتم تقدرون على مواجهته سوف نتجاوز طوفان شعره..

(دروب الضياع) و(الوتر الحزين) بحثاً عن حفة نسيم.. أو خفة ظل.. أو (رفة جناح.. ووجدتها كما قال ارخميدس.. لعل وعسى:-

أجري وراء مركبات الشمس والشفق

ارتدي ظلام الليل

من جليد - قرّه - للدفء احتطب

ويعبر الليل الطويل فوق عاتقي إلى الغسق

يبدو أن (رفة جناح) خدعتنا إلا انها امتعتنا بصور الموله المعذب وبملامح المولـه الذي نصب عصاه على الرحال.. وقميصه ظلا يقيه سعير الهاجرة بعد أن شاب فيه مفرق الزمن واكتال منه زوابع الريح.. واحترق

يا حياة الشاعر الفنان

من صباح لشفق. لمساء. الغسق..

حقيقة الأيام.. والأنام معها:- الشاعر الذي انهكته الصحراء.. يتحدى وبشكل مثير للحماس:-

طاولتني الامواج عنفا ولكن ... حطمتها على الشواطئ صخوري

داهمتني الرياح عصفا هجيرا ... فتلاشت عن لفح وهج سعيري

الصورة اختلفت.. من بعد ضعف قوة..

انا صنو لكل خطب جسيم ... والعوادي تمرغت في ثبوري.

هل يبقى شاعرنا على أدبيات التحدي؟! أم يتراجع أمام مشهد آخر؟.. المشهد الذي توقف عنده القطار شاطئ فريد..!

عندما ينام النجم في حضن السحر

وتذبل الفوانيس التي على الطريق وتحتضر

يدلف الصياد نحو الشاطئ الحزين

وفوق متنه ستون عام

كبير في السن اجهدته الأعوام.. يداه مرتعشتان:- قدماه مثقلتان.. عصاه مُحدَّبة مثل ظهره المُقوَّس.. عشرون يوماً دون صيد.. تكسرت مجاديفه. تمزقت شباكه بدلا من ان يصطاد اصطاده الفشل

مناهل الصبر انتهت. البحر جف فيه الصيد

لم تعد به حياة..

لم ينته الأمر عند هذا الحد.. على مقربة منه (هورية) المرابضة حول شاطئ الحزن لمدة عام دون صيد.. هو نفسه تحول إلى صيد

هورية تصطاد فيه الجن كل ليلة

والشيخ والتيه في كوخه الذي في منتهى الطريق

يرددان ذلك الموال..

على حضور من الجن.. والثمن صيد ثمين كل مساء.. أسطورة على شفاه الناس قالها شعرا.. نجتاز معا بضع محطات يحدونا الشوق إلى موقع نلقي فيه ما يحرك فينا نشوة الحياة لا قسوتها.. ولحسن الحظ كان النصيب (صبا نجد)..

ألا يا صبا نجد فديتك يا نجدي؟ متى كان عهدك بالاحباب في نجد؟

متى كنت فيهم في مواسم حبهم وفي روضة التنهات كيف همو بعدي؟

أيذكرني الخلان في الوسم عندما تلوح بروق المزن. أم أنسيوا عهدي؟

الشطر الثاني من البيت الأول فيه مطب.. يحسن تسويته.. أحسب انه سيكون صالحاً لو جاء على النحو التالي (وعهدك بالأحباب - قل ليَ - في نجد) أو (وعهدك بالأحباب في موطني نجد)..

سقى الله أرضا كنت بين رياضها ... أريق كؤوس البوح وجدا على وجد
بها كنتُ لحنا بين أضلع شاعر ... يغني لليلى الشوق في القرب والبعد

ومازلتَ شاعرا.. تملك قدرة العطاء في القرب. والبعد.. المهم ألا تجافي الشعر فيجافيك.

تعلقت ليلى وهي بعد غريبة ... وقلبي غريب مثل ما عندها عندي
وكنتُ وليلى نحتسي الكأس مترعا ... بشوق كراحٍ.. كالشماعة.. كالشهد
ألا يا لحى الله الفراق.. وأهله ... لحى القلب مني بالتودد والوقد
ألا يا صبا.. ما قد صفا الدهر مثلما ... تناهى إلينا الحب في الروض من نجد
ومرَّت كبرق لحظة العمر بعدها ... تناهت بي الأيام في المهمه الجرد

الاغتراب ضريبته قاسية.. والاقتراب عطيته سخية.. سل مجربا.. ولا تسأل طبيبا.. هذه المرة مع الإباء:-

وفي مجهل البهماء ضلت ركائبي ... فحرت إلى أي المناهج أقصد
حذار احتطابي يا ابنة الليل انني ... خَشَامٌ لقومي اتْهموا أو أنجدوا

حتى الشطر الأخير يحسن ان يكون (خشام لقومي اتْهموا هم.. وانجدوا).. ولشاعرنا الموهوب الرأي الأول والأخير.

جدار الأحزان يستوقفنا.. نتحسسه بأذهاننا.. نقرأ طوباته طوبة طوبة..

ينعقد لساني.. صدري ضج بمكتوم الأحزان.. أتمزق..

ارتق بالألم جراح الغربة..

ادفن في اضلاعي نسفا اخرس.. مجدا في كل مكان

ضلت قدمي الدرب.. ضاع طريق الحب الانسان

يا أملا مصلوبا فوق جدار الأحزان.

هكذا لمسناه جميعاً.. وأحسسناه جميعا نبض مشاعره عرّت الواقع.. سخرت منه بحثا

عن واقع أفضل يلقى الانسان فيه جادة الحب دون إشباع (شقية العينين) تصورتها وهي تبحلق بعينين ساحرتين محاولة اجتذاب الانظار إليها.. أما شاعرنا العيسى فله رؤية أوسع من حدقتي عينيها:-

احمل قلبي في يدي.. ارشفه عند كل منحنى
فوق كل منحدر..
شمعة في عتمة الطريق الاسري يضي! يحترق!
يغسل الظلام في شلال اغنيات الحب. والوفاء
يلوّن الصور بالخزامى. والعبق. يطهر الاحقاد
في ينبوع نهره عين حمامة
لكل عاشق وسادة يغفو عليها الحب
عندما يهدهد المدينة السحر. لا تنشديني عنه
يا شقية العينين. يا جنِّية الفجر

لقد توسد وسادة شِعره.. ترك الغجرية تلهو بشعرها الكستنائي الطويل تحلم بمن يُجدَله ويحوله إلى خصائل ترتمي خلف كتفيها حتى لا يحجب شعرها من وجهها القمري..

(أسوار المقابر) حيث التذكير بالنهاية..

اعنة الجياد مزَّقت اكفه.. تدور
تدور بين أسوار المقابر.. وفي جوانحي تمور..
سنابك تسابق الصدى واللا مدى
حافر.. يدق حافر..
سابحات فوق لجة الصدى.. رعدية الرمال والظفائر
مُرسلات بين أسوار المقابر..

المشهد الجنائزي يقترب.. تلتقطه الصورة الحزينة حول أطراف المدينة..

أحلولك القتام. ألف فارس يهز رأسه المدى ويموت

ليس يدري كيف مات.. الصدى يلجُّ..
ضاع ظل.. تاه.. مات..
وألف مشعل تجده معتمات.. والرجع يفقأ العيون
ألحدوه تحت أسوار المقابر..

جادة الموت.. الأموات.. تؤدي إلى ضباب أسى الحياة.. الموت نهاية. والأسى بداية

فلترحلي.. لا كان حبك والهوى ... لا كان في الأيام يوم لقاك
يا ميتة الاحساس. حسبي انني ... قلدتُ جيدكِ من سني افلاكي
الحب. والألحان. والشعر الذي ... تشدو به السمار في ذكراك.

لكل هذا السخاء جاء غرورها.. نحن البشر حين يغرقنا المديح نتكبر.. نكبر تضخما في الذات.. المرأة والرجل على حد سواء.

امضيت هذا الليل ازدرد الأسى ... واعب كأسا طاف بي لنواكِ
طاوعتُ قلبي في هواك لعلني ... يوما على درب النهى القاكِ
لكن ابيت الحب - عزة شاعر - ... ورَميتِ حب الذل في مسراك
فلترحلي. أنا لست من يهب السما ... للبائعاتِ الحب. أو لخُواك

شاعرنا خادعَ قلبه.. القلب لا يقبل الخداع.. ليته قاومه.. أو صارعه.. أو نازله إذاً لكان افضل.. الخداع لا أحبه أياً جاءت الأسباب. لأن (الحب كبرياء) والكبرياء شموخ بالنفس لا يجرح.. هكذا قلت انتَ..

لملمت أحرفي.. صلبتها على أوتار معزفي..
سرت. سرت. اجرها خلفي على الطريق.. فوق كل درب
مندوبة لليل. للضباب أحرفي..

لماذا هذا الاختيار يا عزيزي وفي فمك ترنيمة يشدو بها تلهفك.. واحرفك.. اعرف انك حزين.. من مخزون حزنك جاء الأفق رمادياً.. حتى مع عتمة جهده فإن كبرياء الحب يأبى ان يركع أمام سلطان الضعف.. ألست انت ذلك المنتصر أخيرا:-

الحب شيء.. لا يرى الشيء.. الدعي.. لترحلي..

جميل بالنهاية أمام مدعية الحب ان تلقي بغصن زيتونك لمن لا تستحق.. وان تصلب احرفك امام مذبح ليس لك فيه مَريح..

شاعرنا الموهوب طرح شعراً ملتهباً تتقاطع فيه الصور بين تمرد.. وتجرد من العاطفة.. وبين تجربة يعطي لها انفاسه واحساسه فترتد عليه وتسلمه للحيرة تارة.. وللحزن أخرى. لقاء بعد لقاء.. وشقاء بعد شقاء ومنحنيات يجتازها.. وأخرى يتوقف عندها في حذر وخشية. هكذا يُطوف عبر خياله يتلمس.. ويتحسس الأشياء يتفاعل مع بعضها وينفعل مع البعض الآخر. وفي النهاية يطرح محصلة شعرية معبرة بخلجاتها. لاحقت محطاته الشعرية.. ولكثرتها أجهدتُ لهاثا.. أيها اختار.. في الصيف اللاهب اخترت الايك ظلا.. واطلالة على مكنونات شاعرنا:-

يا كل اتجاهاتي.. وافكاري.. يا كل ابعادي
اليك حقول اشعاري بساطا من رؤى وجدي
انا أرويت - يا أنت - من دمعي
ووارينا معا في أرضنا الحيرة..
وها عدنا. كما كنا كعصفورين. منقارا لمنقار
على كفيك نثرت - كرنة الزهر - حكاياتي..
سواليفي. وأسراري.. وها عدنا كما كنا
كعصفورين منقارا. لمنقار..

خاتمة لقاء لا عتب. ولا غضب فيه.. ارتحنا تحت ظله برهة من وقت في أمسِّ الحاجة إليه.. وآخر أبحرنا مع شاعرنا على زورق الشوق المتدفق.. التائه..

عيناكِ ليل. ليس يا حبيبتي له انتهاء
ادلجت فيهما.. والخلَّب الموعود والسراب
في المفازة الصدى.. ضللتُ يا شقية العينين..
ضللتُ مورد العطاش..

عيناكِ تكذبان.. تسفحان السحر. ترجفان.

عيناكِ ليستا سوى اسطورة مكذوبة

على جريح في مراتع الغجر

غادر شاعرنا المكان.. وغادرنا معه دون ان نتطلع إلى العيون الغجرية القاتلة فنصاب معه بزكام الفتنة.. وزكام الرحلة..

فارس رحلتنا العيسى آثر هذه المرة الصمت.. هو لن يبوح.. كما أعلن.. هل ان بوحه جاء الأقوى؟

لا تسألوني.. لن أبوح باسمه — حبي الكبير. أنا أخاف عليه

لا تحرجوني.. لن أقول. ولو دنا — أجلي. حياتي شأنها بيديه

لكن إذا شئتم لقاء حبيبتي — فالفجر منها. بعض ما تخفيه..

انتصر.. ولم ينتصر.. باح بحسنها.. ولم يبح باسمها.. وفي كلتا الحالتين احتفظ بالسر.. واحتفى بالمناسبة..

أخيراً.. نسأل شاعرنا لماذا يغني.. وكلنا ندرك لماذا يغني الشاعر.. ويعزف على أوتار كلماته.. إلا ان زيادة الخير خير.. لم يخذلنا شاعرنا الموهوب باح لنا بما في داخله.. والكثير مما أعطاه يكشف جوانب جميلة تعتمل في داخله..

قالوا إلى أين يمضي الهوى؟ — بقلبك. قلت:- إلى ما يشاء

فإني أحب الهوى للهوى — وأعذب ما فيه صلف الشقاء

وإني مع الحب أهوى الصعاب — وأكره في الحب سهل العناء

يلذ لي العيش فيه.. عشار — وسهد. وصد. وطول جفاء

وإلا فكيف اغني الحياة — النشيد المجنح عذب الحداء؟!

قضيت الحياة أسير السقام — وليس سوى أدمعي من عزاء.

وبدوري أيضاً أقول لشاعرنا الرقيق.. الرفيق.. والمتمرد.. لقد جاء شعرك هادئاً

بصخبه.. هازئاً بمواقفه.. مجسداً لصورتك الشعرية التي أبنت إليها في خاتمة ديوانك.. ولمسناها معاً معك في محطاتك الشعرية..

لقد طوّفت.. وأخذتنا معك حول طوفان بحر أشعارك.. نركب السفين.. ونعبر السنين.. نهوى الحب.. ونتمرد على الحب.. نتعايش مع اسطورة الصياد.. والجن الذين لهم حق امتياز الصيد في البحار الدافئة.. سمحوا للصياد العجوز بإنجاز مهمة صيده.. شيء واحد.. أتوقف عنده.. لا أصادره لا أحد يملك مصادرة الرؤية الشعرية لآخر.. وإنما التناول تحت مظلة المقولة العاقلة..

(عرض.. لا فرض) الحب يا صديقي لا يحتمل الصدمة أسلوبا للوصول إليه والحصول عليه. البحث عنه مشقة نعم.. ولكن أن يكون أعذب ما فيه الشقاء.. فأمر يحتمل التفكير.. لولا أنه اللقاء لكان أصوب من الشقاء.. ولو انه الانجذاب لكان أقرب من الصعاب. ولو انه الوفاق والعناق لكان أجمل من السهد. والصد. والجفاء. حياة السقم الملغم.. والنشيد المجنح العذب الحداء هو الحب الذي يزرع. ويُبرع ويُبدع.. الحب يا صديقي ليس امتاعا بهجر.. ولا استمتاعا بدموع ساخنة تحرق الخدين.. وتؤرق العينين.. الحب لا يحتمل أدوات الحرب وإلا مشقة الوصول إليه.. والحصول عليه.. وحين يتحقق فإنه حطام معركة.. وانقاض مواجهة لا سكينة معها.. ولا سكن فيها.. العاطفة عطف. والعطف ليس عنفاً..

أشكرك.. شاعراً.. وأقدرك شعراً ومشاعر تنبض بالحياة الموجعة.. وبالتجارب التي انتزعتها من بين فكي الأسد دون أن يطالها بسوء.. الأسد حياة لها أنياب. وأظافر.. ومخالب.. ولها أيضاً شفاه.. وشاطئ.. وأمواج لا تغرق.

على استحياء

- صلاح بن هندي
- ٨٨ صفحة من القطع الكبير

على استحياء (مجلة يتوق إليها الذين يتملكهم الحياء فما يجعجعون.. وما يصرخون.. وما يقابلون الصياح بصياح كي لا يُغلبون.. على استحياء مزيج من الخجل.. والتواضع.. وأيضا التستر حتى لا يشيع القول وتتناقله أفواه الوشاه.. هل هذا ما يعنيه شاعرنا في عنوانه لديوانه؟ من هذا الذي يحسبه هو؟ العنوان أحسبه أنا.. من ذا يكون؟

وجــرعني الزمــان أســى وهمــاً   فكــان الــصبر لــي خــالاً وعمــاً
فمــا أشــكو وإن عظمــت خطــوبي   فطبعــي لا أُري الإخــوان غمــا
أكفكــف مــا ترقــرق مــن دمــوعي   بحزمــي إذ جعلــت الحــزم كمــا

يبدو أن الحدس صدق.. مؤشرات شاعرنا تشير إلى رفعة نفْس.. ودفقة نفَس.. وجَلَد أمام المصائب.. حتى أمام الموت إنه يضحك وقد شرعت المنية نابها!! هذا كثير يا عزيزي.. لا أحد فينا يستعجل الموت.. ولا يستطيب قدومه وهو قدر لأنه نهاية حياة..

(افتحي إني أتيت).. يبدو أن شاعرنا لا يحتفظ بالمفتاح في جيبه.. إلا إذا كان المفتاح لبيت آخر غير بيته.. المهم أنه طرق الباب.. ومن داخل الدار تناهى إلى سمعه صوت هادئ يسأل.. (من؟!)

افتحـــــي إنــــــي أتيــــــت   قــــــادني شــــــوق وبيــــــت
قــــــادني وجــــــه صــــــبوح   وجهــــــك الــــــضاوي عنيــــــت

يستعجلها فتح الباب فهو على استحياء..

هــــا أنــــا جئــــت إليــــك   وعلــــى البــــاب ارتميــــت

فاحـــــــضنيني مثـــــــل أم إنـــــني طفـــــلاً غـــــدوت
كلمـــــا جلـــــت ببــــالي عـــن جـــوى نفـــسي ســـلوت

الباب مشهده مغلق وموثق بالضبة والمفتاح في وجه رغبات شاعرنا صلاح.. ربما الحياء أيضا له فعل السحر.. (ذكراك يا ولدي) صوت أبوة موجوعة برحيل قرة عينها تتذكره على مدار الساعات والأيام والأعوام:-

(وأمرّ يا ولدي بقبرك كلما زرتُ الصديق)
(مرأى المقابر يا بُني يشبّ في القلب الحريق)
فيغيب عن عيني البريق..

وهل بريق يبقى لمفجوع أو موجع في أعز الناس إليه..؟!

وعلـــى يمـــيني ســـور مقـــبرة يطـــاردني كثعبـــان الحُـــواة
مزمـــاره آه بـــصدري تلـــو آه أنفاســه الحـرى لهيـب مـن لظـاه

الحرقة في حروفه مشبوبة لا يطفئها الماء.. ولا يقلل من وجعها استقبال صباح أو مساء

اعذر أباك إذا تولى بعد دفنك كالمساء
وأتـى الظـلام يمـد أجنحـة الـشقاء فكذا الحياة - حشاشتي - فإلى لقاء

ما دامت الحياة عند شاعرنا يقين بالموت.. ووعد باللقاء فإن الصبر أجر.. والاحتساب فضيلة ورصيد ثواب.. كلنا فقَد.. وكلنا سيفقد.. الحياة مرحلة نودع فيها بعضنا البعض.. ونودع فيها حصيلة رحلة زمنية بعضها حلو والآخر مر.. والقادرون على تحمل المصائب هم الأقدر على نيل المثوبة..

فـصبراً في مجـال العـيش صـبراً فمـــا نيـــل الخلـــود بمـــستطاع

(على استحياء) مفتاح اللغز الذي باح به، وأزاح عنه الستار في هدوء:-

قسمات وجهك قبل دفنك في التراب شمس تغيب وشرفة وسنى يجللها الضباب
بيديّ يا ولدي أهلت الترب في حزن عليك وبكيت مثل الطفل في شوقي إليك

فلذة كبد شاعرنا الصابر الحزين بمثابة عينه وكفه.. أما والدته وشقيقه الراحل:-

حتى إذا ما عدت للبيت الحزين أبعدت أمك بين أحضان الأنين

وأخوك يسأل وهو في عمر الرضيع ويقول:- (أين أخوي يا بابا)

لك.. ولأمه.. ولشقيقه الصغير العزاء وسعادة العمر.. أحياناً طوله مرهق ومكلف..

على نهج (الأطلال) رائعة ناجي وأم كلثوم..:- أجتزئ منها بعض الأبيات:-

يا سراج كان يضوي فخبا وجواد ظل يعدو فكبا

(سراج) و(جواد) حقهما الفتح لأنهما مخاطبتان (يا سراجاً) و(جواداً)

(قد تعاهدنا صغاراً أبريا أن سيبقى وصلنا يأبى الجفاء) أبريا محتاجة إلى همزة أخيرة (أبرياء)

ويكينا مثل طفلين جرى منهما الدمع وقد بل الثرى

ومن نهج أطلاله إلى لحظة وداعه:-

كفكفي الدمع بطرف الذكريات واطردي الحزن بعيداً يا مهاة

أنا لن أرجع يوماً ها هنا بعدما جف معين البسمات

من يدري فقد يكون لبسمته عودة لو أنها عادت.. وأعادت حبل وصالها الموثق..

(ابن زيدون في ثوبه القشيب) موحية وجميلة منها:-

(أبا الوليد) زمان الشعر يدنينا والدهر في سيره ما زال يقصينا

لو أن (ولاّدة) الأحزان تقصدني أجبتها عنك فاسمع يا ابن زيدونا

إليك عني فليس الدمع يغرينا إليك عني فلا عادت ليالينا

إن الزمان الذي بالأمس أسعدنا غداً زماناً مع التذكار يشقينا

إلى أن يقول في مقطوعته الرائعة:-

بالأمس كنا وثغر الحب يمدحنا واليوم هذي دموع الحب ترثينا

يا ليت قومي غداة البين ما سمعوا ... أضحى التنائي بديلاً عن تدانينا
(ولاّدة) الهم عودي لست لي أملاً ... وكفكفي الدمع ما عدنا محبينا

تمرد على حب لا يشبع جوعا ولا يروي ظمأ.. هكذا وصفه شاعرنا فأحسن الوصف.. (جلست بقرب شباكي) مفروقة شعرية خفيفة الظل:-

وقفت بقرب شباكي ... أكفكف طرفي الباكي
وأبصر حوليَ الدنيا ... جحيماً عند ذكراكِ!
فديتك يا منى روحي ... فمن بالهجر أغراك؟!
سأرحل يا منى عمري ... ولكن هل سأنساك؟!

أشعر أنني أمام شاعر إبداعي يجيد المدخل والمخرج لمشاعره دون ضعف ولا تلكؤ.. شعره الوجداني يتلاحق ويتساقط كحبات المطر طرية وذكية.. ولكثرتها.. وتشابه أغراضها أتجاوزها في حب وإعجاب بمكنوناتها (أتبكي عيناكِ) (وقفة مع حسناء) (رسالة إلى الزوجة المجهولة).

(قبلة الشوق) (أسطورة) (دنياي أمي) هي بيت القصيد الذي نلج إليه:-

إن شحّ في معين الحب أو نضبا ... فبحر حبي يا أماه قد عذبا
تعبُّ منه شراييني وأوردتي ... فيصبح القلب بالأشواق ملتهباً
على ذراعكِ كم هدهدتني فرحاً ... كأنما تحضنين الدر والذهبا
أماه عفواً فليس الشعر موهبتي ... لكنما القلب يهوى الشعر والأدبا

موهبتك لا تحتاج إلى شهادة بل وإشادة.. شعرك الجميل الشاهد عليها.. وكما قال عن أمه.. قال عن جدته خطاباً مشابهاً ومماثلاً في جودته..

(الأحساء) (واحة النخيل.. واستراحة الناس الطيبين كان لها في قلبه منزلة.. وفي قلبي أيضا نزلا لها ولأهلها:- إنه يستعرض بعض معالمها وإعلامها (طرفة بن العبد) الشاعر (الأجش العبدي) (وابن المقرب) (وابن فيروز) (يوسف أبو سعد) أعلام، و(الجرها)

و(جواثا) و(عين الخدود) و(الحسا) و(عين نجم) معالم.. أنصف أحلامه ومعالمه شعراً أصيلاً وجميلاً اختتم به هذه الأبيات:-

أحساء هذا الهوى العذري يحملني … صوب الديار فهل ألقى بك الطلبا
أتيت أحمل أوجاعي على كتفي … وأسحب الآه.. والإعياء والنصبا
وأمضغ المرّ علكاً بات يحرقني … وألبس الذل ثوباً يورث الجربا
حبيبتي إن بكى الأطفال أمهمو … فأنت أمي وهذا الدمع قد سكبا

يكفيك شهادة وفاء.. واقتدار ما قلت عن أحسائك (أحسائنا جميعاً.. اخلع عن كتفك حمل أوجاعك، واسحب آهك وألق بلباس الذل جانباً.. فمن يحمل ثوب وفاء وولاء وانتماء لوطنه لا بد وأن يكون حراً.. وقفته الشعرية على قبر نزار طويلة.. لا تقدر أقدامنا على تحملها فقد تحملها هو نيابة عنا جميعاً.. وعلى مقربة من مثوى نزار محطة رومانسية:-

أمريم أنت غرامي الجميل … وأنت الحبيبة بين البشر
تعالي نصافح ذاك النخيل … ونقطف منه لذيذ الثمر
فديتك أنسا يزيل الهموم … وطيفا جميلاً بوقت السحر

الحياة فرحة.. واللفظ أحياناً فرحة:-

أحب اللفظ من فيكِ … لأني هائم فيك

جناس جميل.. وإيقاع أجمل:- وتوصيف أغرق به صورة محبوبته ينتهي إلى هذا المقطع.

سأروي للدنا حبي … وللأطيار أشدوك

على هامة الرابية وقف شاعرنا يبكي.. ولأني لا أستطيب كثرة البكاء تجاوزتها لا ضعفاً في بنائها الشعري وإنما ضعفاً في موقفها الدرامي الملفع بالحزن..

شاعرنا أحسن إلينا كمتابعين لرحلته أراد لنا معه أن نطرح الملل جانباً كي

نستريح من عناء السفر:-

وداعـــــاً أيهــــــا الملـــــــل فمنـــــك اليــــوم أرتحـــــل
إلى دنيـــــا تجملـــــــها فتـــــاة وصـــــلها أمـــــل

طبعاً وقوفنا كان بعيداً عن مشهد اللقاء.. ومن عالم الفتاة إلى عجائب الدهر.

عجائب الدهر تشجيني فتبكيني وكلمة الهم عند الضحو تغشيني

أليست مفردة (الصحو) رمز اليقظة أنسب من (الضحو)؟

دع الفقير الذي لو كان مقوله يحيّر اللب في عرض البراهين
ما كان ينطق لا حقاً ولا كذباً إذا تحـــدث أصــحاب الملايــين

مشهد من العجائب.. وآخر:-

وإن تفـــاخر ميـــسور بثروتـــه وجدته في الحجا صفر الموازين

ألم تسمع يا صديقي بتلك المقولة المعقولة واللا معقولة في آن واحد (اللهم أعطني مالاً يخدمني به أولو العقول ولا تعطني عقلاً أخدم به أولي الحظوظ). الأرقام تتحدث عن نفسها.. والأصفار خرساء لا تقدر على المنطق ولو أنها نطقت لسقطت، وكما أعطى لنا نهجاً للأطلال.. هذه المرة يرثي أطلال مجد الماضي:-

على المذلة غنى اليوم حادينا ولم يبق شيء من الدنيا بأيدينا
بالأمس كنا ملوك الأرض قاطبة لم نعرف الذل حتى ذل شانينا
نعم عشقنا ولكن عشق حنظلة الفيل لا عشق قيس وابن زيدونا
فليت شعري هل جفت منابعنا؟ أم أننا اليوم لا نهفوا لماضينا؟

أخشى أن أقول كلتا الحالتين معاً.. ويبقى الأمل قائماً.. من لا أمل له لا عمل لديه.. اليأس ممنوع من الصرف والتداول..

(تمتمات أب) أغرودة في آذان الصغار أشبه بالموسيقى كتأتآت الصغير على مشهد من أهله:-

قــد طــال غيابــك يــا ولــدي والــشوق يرفــرف في خلــدي
أشــتاقك جــاء يــرويني فيحيــل الجــدب إلى رغــد
أشــتاقك روحــاً تحيــيني فأنــا مــن مــات مــن الكمــد
يــا (أحمــد) والحمــد رداء فالبــسه.. لتغــنم يــا ولــدي

نعم النصيحة.. تذكرت مع مقطوعته (والقهوة بشيري) أغنية أسمهان التي تقول فيها:- (يا من يقول لي أهوى أسقيه بإيدي قهوة) وأغنية سميرة توفيق وهي تغني للقهوة وتطلب المزيد من الهيل.. هل قهوة شاعرنا قهوة هوى.. أم قهوة بُنّ!؟

أديــري القهــوة الحمــرا أديــري وكــوني عنــد نــشوتها سمــيري
وزيــديني مــن الــبن اليمــاني سلافاً ينتــشي منــه ســروري
ســلاف لــو ترشــفه النواســي لأعــرض عــن هــوى بنــت الخمــور

لو أن أبا نواس حي ماذا سيرد عليه؟:-

أديــري القهــوة الحمــرا فــإني عمــى (يعقــوب) والقهــوة بــشيري

الحب المجنون أحسبه للساقية.. لا للفنجان.. أنه يذكرني بمقولة (مجنون ليلى)

ومــا حــب الــديار شــغفن قلــبي ولكــن حــب مــن ســكن الــديارا

وما دمنا مع شاعرنا في محيط القهوة وفنجانها وساقيها.. فلن نكون بعيداً عن شبيهة لها عنوانها (عيناك هما الكأسان)

نظمت الورد والأزهار عقداً كي أحلّيك
بعقد الورد والزهر..
وطرت جميلتي كالنسر للنجمات نشوانا
قطفت نجيمة حلوة

انتهى به المطاف إلى قطاف حلو من شجرة النجوم.. إنه محظوظ.. ولكن أين العيون؟!

(ويا آه لعينيك هما الكأسان

والساقي رموش العين تسقيني
ومن بَرَدي تسبيني فغنيني
بحرف الراء والسين جميل
أن أرى الأشواق في عينيك تدعوني)

عيناها مرآتان عاكستان فيهما الليل والنهار.. والنهر.. والبحار.. وسفن الحب.. والأمواج الكاملة.. هكذا صورها شاعر قبلك:

(إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا)

أتراك نجوت من سلاح أهدابها.. وسحر أحداقها؟ لا أدري وأخيراً مع رحلة شيقة ممتعة مع شاعرنا المرهف (صلاح بن هندي) في مسك ختام ديوان (على استحياء) مع مقطوعته الأخيرة غيداء.

وغانيــة ألقــت شِــراك غرامهــا   بــدربي إذا مــرت مــرور الــسحائب
هتفــت بهــا: مهــلاً فــديتك إنــني   (هزبــر) أســير في شــراك النوائــب

أسد وقع في شراك ظبية شرود.. القوة دانت للضعف لأن سلاح الجمال شل حركة العضلات المفتولة..

هتكت لها ستر النصيف فهالني   جمـال المحيـا وارتـسام الحواجـب
وأنف كحد السيف حين امتشاقه   وعـين تريـك المـوت عـذب المشارب
وشعر كأن الليل سقط سواده   تمنيـت أنـي بـين عقـص الـذوائب
وجيـد كلـون العـاج لـون أديمـه   وخصر تثنى فوق كثب الحقائب
حلفــت لهــا بــالله إنــيَ هــائم   بتلـك الـسجايا مغـرم بالمناقـب
(فقالت وصكت وجهها:-   (وي فضحتني) وعرضت أهلي لانتضاء القواضب)

ليست هي وحدها التي تعرضت لسيوف أهلها.. فقد تعرضت أنت بقوة من الأسلحة الفتاكة لا طاقة لك بها.. كل ما فيها يحارب .. ويجندل.. ويقتل.. اسلم بجلدك.. أما مرافقك في هذه المرحلة فإنه لا يكتمك إعجابه بشعرك.. وقدرتك على الطرح.. واستحواذك الذكي على الفكرة دون إرباك أو ارتباك..

رسوم على الحائط

- سعد الحميدين
- ٢١٠ صفحات من القطع المتوسط

سبق أن قدم لنا الصديق الشاعر الحميدين في ديوانه (وللرماد نهارا) جهاما من الكلام لم نبصر منه شيئاً سوى وميض شمعة ما لبثت أن تاهت وسط ركام من الكلمات.. هل ستكون هذه المرة أوفر حظاً من سابقتها..؟ وهل نستطيع قراءة عطاء يختلف عن سابقه يمكن استيعابه فهما والخلوص منه إلى رؤية تكشف غموض غيبياته ورموز احجياته؟!

لنر كيف يستبين لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود من فجر الكلمات الشعرية والنثرية من خلال متابعتنا لمطبوعته:-

(رسوم على الحائط).

(القول المقطوع. وحكايا الأمس) و(المدينة المترهلة). و(ارتجاجات على سطح الزمن الراكد) و(مقطوعات نثرية قطعت فيها جهيزة كل قول بمقاسات الأزل) (هُمْ.. هُمْ)! وبشواهد المكياج التي تبيض وتفقس بالتجاعيد العميقة في متاهات العيون مطوحة نظراتها في كهف من القصدير تبصق خلف أكوام الرماد! وبذلك الدائخ في رمم كهف يدرأ الرمل من الجمر يتف الآه مشدودا إلي الركن بحبل الوهم يستف من الطين لقيمات من الدود الذي ينفل رائحة التبغ في الأركان، تمثال من العفن الرائب تبيض الحك.. تحدو الأرق من الطرقات قطعانا بثغاء يكتم الآذان، يخر الوتر المشدود بالأنغام يربطها بقيد دم الزمان).

تلك هي مقاطع أو فقرات مجتزأة من مقطوعاته الثلاث لا املك قدرة على فهمها.. وبالتالي التعليق عليها.. فمعذرة.. ندخل معا سويا في صميم شعر الشاعر من واقع ورقة اعترافاته:-

(أتريد بأن افرش فوق الريح بساط
أو أغمد في صدري خنجر
أو أنفخ لحنا في مزمار.. كي ترقص أفعى)

هكذا حسبت شاعرنا الحميدين في وضوحه.. وديباجة شعره المرهفة الجلية الصور.. الواضحة المعنى.. بداية موحية بجمالياتها لولا أن بساطه الذي فرشه هو فوق الريح كان مرفوعاً.. وصحته النصب (بساطا) لا (بساط).. ثم وهو يسأل أين علامات الاستفهام (؟.؟)؟

لم يدع الحميدين بكبرياء شعره مجالاً للتردد.. كان حازماً حاسماً في أمره لن يفقأ عينيه بمسمار كما يفعل فقراء الهند بعيونهم. ولن يغمد خنجرا في صدره لماذا؟! لأنه بقايا جرح ينغل بديدانه مات الطين على كفيه وخيم الحزن داخل قلبه:-

(الزورق غار بعمق الرحل اجدف، فانكسر المجداف
وفمي قربة ماء حبلى ولساني من خشب أجوف
الشعر كعكاز أعوج في كف ضرير وحذاء أجرب في قدم فقير)

لابد للشاعر من عكاز يسنده ويسوي قامته. ويرفع هامته. وإلا سقط.. وعكازك هذه المرة صلب العود اشعر بأنك معه شاعر مرهف الحس والوجدان.. رغم انك لم تبق لنفسك شيئاً من جميع الأشياء إلا شعرك وحسبك منه أنه كل الأشياء..

(الألحان تموت معلنة) هكذا عنوان مقطوعته الثانية:-

(في كل يوم أقعي وراء السور ارقب بابه
عيناي فانوسان في كهف سحيق
اذناي تلتقطان اصداء النداء
قلبي يدق.. يدق لكن الجدار يحتد قدامي كشمشون الازل)

رغم أنه أقعى.. فإن جميع حواسه البصرية والسمعية والحسية متيقظة ترقب فتح الباب.. ومن خلف الباب بلهف وشوق.. يطول به الانتظار.. والانتظار اشد من القتل

وهو يحلق في جداره العصي الاختراق يتصيد الحانه ويردد مع نفسه وفي دواخله:-

(الا ليت الشباب يعود يوما		فأخبره بما فعل المشيب)

لقد ذهب شبابه.. ومع ذهاب الشباب لا ذهب للعمر يغري.. ولا وهج للنضارة يجتذب.. ومن تلك حاله يصطاد الذباب أو الهباب كما يقول الحميدين في قصيدته.. فلا الباب فتح.. ولا ليلاه اطلت من شرفتها.. حسناً احتسى قهوته الصفراء لعلها ترطب ريقه بعد جفاف انتظار..

(نغمات على الطنبرة) تستهوي البعض لست واحدا منهم ربما لتخلف في سماع ذوقي فالقيدوم واقعاع الدود وليس ايقاعها. وجوقات على كشكشاتها.. واهرامات رخوة التكوين. وعيون بوم ترمي ومضات في كهوف يومض الفسفور فيها والنيون. واشياء أخرى كثيرة تتجاوز حدود ذهني آثرت الا اغرق في بحر نغمات طنبورتها.. ومثلها ابجدية الأيام الآتية الصعبة القراءة لأنني للأسف لا أملك القدرة على التجديف حول قطع خشبها القديم.. اكتفي للوقفة بعدها عند (إطار بلا صورة).

(يا شاعري.. أنا في طريقي واقف امتص عود الذكريات
وأشد اذني خلف وقع خطى المشاة
ولساني المطوط خلفي ربطت أطرافه
في قصعة حبلى بأنواع القديد)

إذاً هو لا يتكلم.. لأن لسانه مقيد في قصعه أو قصعته. لا أدري! رغم أنه واقف طيفه منهك المسير وقد اثارته اشاحة الوجه المغبر.. تتصيد نجماته في رأد الضحى مضمومة في جعبة خرقاء لا تأوي المتاع..

طيفه يجري في مكانه.. بينما سيزيف اوصل صخرة لشاعرنا وهو يحفر خندقه ويبارز اللاشيء بالسيف الجريد وسط ليل حوته يبتلع الأشياء.. يمتص البحار.. بينما عيون مديوزا تحدق.. كل هذه الأشياء الكونية الضخمة احتواها اطار بلا صورة وأيضاً بلا فكرة يمكن رؤيتها بالعين المجردة.. ولا حتى بمجهر التلسكوب الفضائي..

(تذكرة سفر ملغية) أمكن استثمارها في الرحلة لأنها صالحة للسفر رغم

الغائها.. لأن الخطوط الشعرية أعطت لها التأشيرة:-

(مسافرة.. تلك كانت عيون الصباح

الى النهر. للواد نحو الصحارى

مسافرة عند كل صباح. وزوادتي تأكل ظهري

اجوس المسافات.. اين الطريق؟

وخلف غيوم السجائر أبحث عن صورتيك. أنا)

شاعرنا الحميدين بعد هذا المدخل الشعري الذي غطته غيوم التبغ تقرفص وسط الطريق عله يراها.. او يرى من يراها:-

(هنا قد مشينا معا. اسائل عنك جميع العبور

يصافحني بعضهم بالنفور.. وهذا الزمان زمان النقود

خذيني اليك فما عدت أقوى انتظار القوافل)

يطلبها.. على طريقته.. دون ان يمتلك القدرة على الرحيل ولا على الانتظار.. لأن زمنه لا يتحرك دون مادة.. والمادة لا تسعفه.. وكان أن ودعته وودعها محتفظا بدفتر ذكرياته التي لا يملك غيرها الى أن تجيء مسافرته هذا إذا جاءت..!!

صعوبة الرحلة مع شاعرنا الحميدين ان يلوي عنق قصائده كما يشاء.. يصبغها بريشة تستعصي على الفهم والإدراك.. الرمزية فيها أحد مداخلها.. ومن داخلها يظل الرمز معقداً أكثر.. ولا أدري لماذا اختار لنفسه هذا النمط واصطفاه اسلوباً محيرا.. بل وجائرا في حق الذين يطمعون ويطمحون في استقراء ما بين سطوره.. واكاد اطرح عليه باسم الكثيرين ممن يحبونه سؤالاً محدداً.. لمن يكتب؟! حتى الحداثة المغرقة في تحديها ارحم للفهم رغم رأي الكثيرين فيها انها مجرد محاكاة تفتقر في مدرستها الى المعاصرة.. ناهيك عن الأصالة..

وشاعرنا العزيز يعود بنا الى آثاره المتجددة ابدا.. لعله في عودته يُعودنا على طرح جديد نقرؤه.. وخطاب واضح نستوعبه:-

(وجاء نداؤها الليلي يسحب في عباءته

يميس تموجا في شاطئ الذكرى الزجاجية

أَفِقْ يا انتَ.. قد رحلوا.. وما تركوا

على خط البسيطة صورة الآثار)

لماذا؟ ألفقر فيهم؟..ام ان تاريخهم بلا تاريخ؟.. يجيب شاعرنا:-

(فعبلة خلف عنترها في الهودج

قوافلهم تقطع في الصحارى.. قطعة. قطعة..

وما بقيت سوى الريح الشمالية تلفع بيتي الصوفي)

من حسن حظه أن البيت من الصوف يساعد على تحمل لفحات او لفعات الريح الشمالية.. أما إذا كان من التصوف فشيء مختلف لا يكاد يقدر على غضبة الطبيعة.. ورمالها التي تلسعه وتستصرخه وتستوقظه. (أفق يا أنت).. وكان الرد:-

(أنا يا زهرتي قد كنت جوابا

وقطعاني تقضي يومها في الساحة البكر

ارود مرابع الأصحاب. واحرث في حقول العشب

لم احصل على زهرة.. وما عادت زهور البر تكفيني)

كل هذا العطش الوجداني.. والحرمان العاطفي عاشه شاعرنا وعانى منه.. وربما هي أيضاً عانت من قراءته الى درجة الهجر..

رسوم على الحائط (بطلة ديوانه.. ورمز عنوانه..):-

(تجيئين قلتُ مع الغيم قلتِ:-

تجيئين عند احتدام الرعود.. وقلتِ:-

تجيئين عند احتدام المساء.

وعند بداية كل صباح.. وقلتِ

وقلتِ.. وكان انتظار)

لا أدري لماذا اصطفى شاعرنا الحميدين الانتظار وحده محطة لقطار شعره يتوقف عندها دون ان يجتازها الى ما بعدها.. ربما لأن جذوة الحب تظل قوية مشبوبة على

بعد.. وما إن تقترب وما إن تصل حتى تخف. واحيانا تجف منابعها بعد أن يتحول الحب الى حياة عادية لا تثير شغفا.. ولا تستثير عاطفة.. ايوب بصبره سيطر على أعصاب الحميدين وهو يحفر في الحائط وينقشها محددا الأيام.. مجدداً الذكريات لعل خيالها الليلي يرسف في قيود العين. ولعله نفسه يلمس نشوة التذكار.. وعلى أمل لا يتحقق أن تعود نهايات الأشياء الى بداياتها.. مع هذه المعاناة نتساءل مع شاعرنا ماذا تبقى له؟! يجيب على تساؤلنا في حسرة وحيرة:-

(ترى ماذا تبقى لي؟ نعيب غراب يمزقني)

الصحيح نعيق غراب.. لا نعيب.. ولا حتى نحيب..

(إذا ما أشرق الصبح..

فأغرس رأسي المصدوع في الطين..

واسحقه.. متى ما اينعت زهرة)

لماذا هذه الطوباوية او السوداوية التي تعشعش في رأسه؟! الأسباب يسردها:- مظلة سوداوية قاريَّة تجندل اتون صمته.. يبعثر حولها ما تبقى له من آمال.. وجراب مفحم بالطين. وصبي غص بالدمعة. وام تمضع العبرة. واحزان الذين مضوا بلا وطن. وأرض ما كان لها أهل! ماذا أبقى كي تنفرج سريرته..؟ لا شيء!

(رحلة العيون المرمدة) كثيفة الرماد مثل الكثير من شعره.. أو نثره الفني.. الواضح احياناً.. الغامض أحياناً:-

(على كتفي تموت مواكب الألحان   وتقعي الآه في قيدوم أحساسي)

ليت الآه لم تُقعِ.. وانما اختارت لها حركة أجمل من الإقعاء بالنسبة للحس الشعري.. على أية حال هو اختاره:-

(كأني ارتدي ثوبا من الأواه   لأني قد أتيت. وفي فمي أقوال

من المدن البعيدة. خلف ارتال من الرمل   امط وراء خطواتي حبالا من لحون الآه)

حسنا لو انه مدّ وراء خطواته بدلا من المط. وهو حر في اختياره.. القصيدة كما

اختارها جماعية الانشاد.. الكورس في حواراتها مهامهم البحث عن شيء ضائع.. بعضهم ادعى وجوده يحدق عند باب السور وفي يديه قنديلان وهو يبصق على خد الأرض ويركلها منقبا عن خطوات غريبة.. وبعضهم يلمح عيون البوم خلف ستارها المعتم تحملق تنضح النظرات.. وتبحث عن ركام الدود في اركان دارتها.. وآخرون يعطون لصوت شاعرنا مشاهدهم المفزعة.. لينتهي الصوت وترديد الكورس أمام مقع واحد لا يتغير. (آه.. ثم آه.. ثم آه).. هكذا جاءت النهاية.

رسوم على حائط شاعرنا الحميدين لم تترك محطة فراغ نتفيأ ظلالها.. نقوش جداره تغطي مساحة أفكاره.. ولان الدرب اقتطع من الرحلة أكثر من ثلثيها لا بد من ان نتجاوز البعض من تلك الرسوم البيكاسوية المتقاطعة الخطوط التي تفتقر الى فك حروفها المتداخلة.. نتعدى هذه المحطات:- (صفحة من دفتر الوجد) و(في المقهى الشرقي)و(٧ أوراق من دفتر عسه) و(القرينة وقطرة الماء) لنتوقف أمام جوقة الزار على وقع طبولهم وهم يتمايلون كأغصان هزيلة تهزها الريح جيئة.. وذهابا:-

(تدق طبول.. على أنغامها يتمايل السمار في فخر
كأغصان.. يداعبها النسيم بمنتهى الخدر)

هكذا يصف الرقصة برأفة منه.. تسمع في بقايا الليل أغنية شتائية تدن. ترن. لأنها مذبوحة وراء الأفق.. رغم هذا كله لم يَخَفْ شاعرنا وقد ارادوا تخويفه لأن الضلع يزينه.. هذا هو الفصل الأول.. ايقاع مزمار.. وفي الثاني:-

(زمجر مثل وحش حس بالخطر　　　يدق، يدق في صدرها كما الحجر
وينفث آهة حبلى كملسوع تعلق في خيوط الوهم يرقاها)

وفي الثالث انغام اصوات بدائية وصوت الطفل المدوي دم، تك، تك تكوم فوق وجه الأرض.. الا ان الحادي اخطأ حداءه فهذا ليس نشيده وبين تنهد خائر وآهات هوى عاثر تمنطق ثغر الحادي:-

(يا سدرة قاعة الغرمول تسقيك　　　من مزنة هلت الما عقربية)

ومن رقصة الزار إلى مجامر التراب حيث يستقبلنا شاعرنا الغالي بما لا نريد ان

يكون فاتحة استقبال لنا. أوله:-

(وعلى كفي يقتات الذباب

العلق الطين، وفي انفي من الرمل زمر

زورقي يسبح في بحر من الارض الخراب)

الهجر يا صديقي ليس ارضا صالحة للزورق.. انها تراب.. بحره سراب يجدف فيه المخدوعون او الظامئون إلى بريقه الكاذب بمطيهم أو بأقدامهم المكدودة.. تلك هي ادوات رحلتهم.. انها رحالهم فوق اليابسة.. أما البحر فله زوارقه. لذا فإنني احبذ أن يأتي البيت الأخير على النحو التالي:-

(جملي يغرق في بحر من الأرض السراب).. ربما يكون هذا الأقرب للصورة الشعرية.. ومن التيه إلى أيوب الذي يذكره بعدم الرحيل لأن ظلام الليل مطبق يخشاه لو كان وحيدا اشبه بالغراب الذي ينكش الطين بأظفار وناب.. الكلاب يخافها. والجوع يخشاه..

على مسامع أيوب يسأل عن قنديل ديوجن. وازميل رودان كي يستعين بهما ويؤنساه من وحشة ووحدة الليل.. ومن الضفادع والجرذان والدود.. مأساة تحتاج منا الى المواساة. وان يكشف الله الكرب عن صاحبنا.. ويعجل له ضوء صباحه الذي طالما انتظره على أحر من الجمر..

(هوامش على كراسة قديمة.. لعلها أجمل قصائد الديوان فكرة.. وطرحا.. ووضوحا:- واجادة في الرسم وفي الألوان:-

(عشرون عام ونحن نحفر العبارة

على جناح صخرة جبارة.. ونلقي الستارة

في الكهف. في المغارة. منقبين عن سمكة مختارة

وزورق من الورق يضمنا

لم نخش يا رفيقيَ الغرق)

بهذه الرومانسية الحالمة الواضحة الملامح ينسينا شاعرنا الحميدين معاناة درب

الأشواك التي زرعها في الكثير من شعره فأدمت أقدامنا جميعاً.. وحدت من حماس إقدامنا.. ويتملكني الكثير من التساؤل.. لماذا وبهذه الجمالية في قصيدته الأخيرة.. وبهذه المقدرة على تملك ناصية الطرح الشعري يلجأ الى متاهات يلغي بها وضوح النص.. وشفافية الفص.. الى درجة الاغماء الذي لا يقظة للفهم معه.. اعود الى مقطوعته الجميلة بعد أن انتهت السكرة. وجاءت الفكرة..

(ماذا يكون عندما يخيم الغسق؟

قلق.. قلق..)

وصدق حسه.. مساؤه اقبل. شهده محمولا على جناح طائر يعوم في الفضاء أي يحوم يردد في اباء (الى السماء.. الى السماء) دعوة للسمو والارتقاء شيء رائع.. وهنا تبدأ الحكاية من البداية الى النهاية.. كما لو كانت حدوتة من عهد النبي سليمان بن داود:-

فارس مدعٍ مزهو بقوته يقطع الجبال والحديد يتحدث عن لنكولن محرر الرق في أمريكا.. ذلك الحطاب الذي يلملم الحطب لبيته المتواضع كما لو كان اجيرا يخضع لنفوذه وامرته.. مستصغرا حرفته، واصفا اياها بالدونية.. الحكاية في صياغتها الشعرية جيدة.. نسبة الى اخواتها.. ومع هذا اشعر ان شاعرنا افرغ في حصيلتنا من خلال هذه الرحلة بعض محصلات:-

اولها:- ان السرد الشعري.. او النثر الفني لافكاره لم يتجرد من قيد حداثته المغرقة في تحديثها.. هذا من ناحية الاطار اما المضامين فقد حجبها الشاعر عنا وربما عن نفسه بستار الغى الهدف والغاية من قراءتها لدى المتتبع العادي.. وربما المثقف ايضا الذي لا يجيد ترجمة الغيبيات الفكرية.. ولا يراها وسيلة مجدية لاشباع نهم المتلقي وفضوله في استقراء ما يطرح من فكر.

ثانيها:- ان مفردات كثيرة حورها واخرجها من سياقها الطبيعي.. دون فهم مقنع بصواب مثل ذلك التصرف.

ثالثها:- التشابه الى درجة التوحد في صوره واطاراتها.. مجللة بضبابية انتظار

لا ينتهي.. وانكسار لم يحاول شاعرنا الحميدين التخلص منه.. وصبر يهرع كل ما استشرى بناره الى ايوبه دون ان يجد في نفسه المقدرة على الاختراق.. بدافع من سلاح ارادته الفكرية التي تمنحه القدرة على اثبات الذات حتى في مستوى الصراع الداخلي بين طموحه وجنوحه.. ادرك ان صديقي الحميدين قد لا ترضيه مثل هذه المصارحة.. مكتفيا بشهادات رموز الشعر الحر.. أي النثر الفني.. واساتذة الحداثة.. وهذا من حقه.. إلا أن التطواف معه في أكثر من ديوان حملني أمانة ما اعتقده.. وهي واحدة من اثنتين لا ثالث لهما.. ان أكون غبيا الى درجة فقدان الحس.. او أن يكون غيبياً الى درجة أن علم ما يقول عند الله وحده.. أما الشهود فأحترمهم.. رغم اختلافي معهم في الرؤية.. والاختلاف غير الخلاف لا يفسد للود قضية.

الهجير.!

- ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط
- معيض البخيتان

الهجير.. والهجر فرعان لشجرة.. فرع حار.. وآخر مر.. أنفاس الهجير حارقة.. وأنفاس الهجر موجعة للقلب.. أيها اصطفى شاعرنا لمضامين شعره.. هجير الحياة التي تكوي الأجساد؟! أم هجير المحب الذي يخلف اللوعة والوحشة في دنيا صاحبه؟ أم كليهما اختار؟

إلى والده جاءت البداية:-

ابـتي يـا نـور عـيني البعيـدة ومـدى أحـلام آمـالي الفريـدة
هـاك مـن عمـري احاديث الـصبا وانتفاضـات مـن الـدنيا جديـدة

وددت لو أنه شدد كلمة عيني لأنها ضرورة تفصل بين المثنى والمفرد.. يبدو أن شاعرنا استخلص من ديوانه تجارب حياة آثر أن يكون والده الشاهد عليها:- أولى تلك الذكريات:-

كل ما في الكون مات غير ذكرى شاعر
واحتلام فائز بين أوتار الحياة
وانفراج الامنيات والسكون الغاء

تلك هي الذكرى بفصها ونصها.. كل شيء حوله لا حياة فيه.. بهذه السرعة أطفأ شاعرنا في وجهنا شمعة أمل كنا نتمسك بضوئها في رحلة تبدو بدون قمم (صرخة الدم) صوت ثأر ينادي بأخذ الثأر.. هكذا أتوقع:-

يـا راكـد الثـأر ناحـت عنـدك القـيم اسـتكلب الخـادع المـذاق والـنهم
وازلـزت مـن بقايـا الحـق اروقـة في القـدس اجدادنا كانت وكان هموا

يـا جمـرة الثـأر شـبي فـاطراد كمـا تـبغين منتفـضا والخطـب مـضطرم
والعـار لا زال يكـوي مـن حرائرنـا محارمـا نهبـت، واليـوم تقتـسم

الشعر يا صديقي كي يكون منضبطا لابد وأن تواكبه إشارات الضم والفتح والكسر لجمله كي يسهل على القارئ العادي قراءته وفهمه وهو ما حاولت أن أستكلمه مفردة (مذاق) تحتاج إلى تصويب بمفردة أخرى (مشددة) والأفضل أن تكون (المحتال) مثلا كي يستقيم للشطر وزنه.

مقطوعته الشعرية الطويلة انعكاس حزين وقلق على نكسة حزيران الموجعة والمفجعة في آن معا:-

بـضع وعـشرون عامـا لا افنـدها لكـنْ حزيـران وهـو الـسم والدسـم
مـشى بأصـلاب آلام ينفرهـا جهـل ويـذمرها التفريـق والعـدم
حتـى اشـتمت كلـون القـار يرضـعه مـن اعظـم الجيـل اثـر النكسة الـرخم
وهـب مـن يلفـظ التـدليس مخترقـا كـل التخـامين لا واه ولا ورم

أشعر يا صديقي أنني في حاجة إلى قراءة بعض مفرداتك كي أستوعبها.. وإلى مضامينك كي أفهمها.. ربما تكون أنت على حق لا أعرفه.. إلا أن الذي أدركه أن عبارات الشعر يجب أن تكون لها الشفافية، والموضوع بعيدا عن بعض الكلمات المجترة والغريبة عن الفهم العادي.. شاعرنا يستنهض الهمم.. ويخاطب رمز الأمل لديه:-

يـا قائـد الفـتح حقـا مـا تقـوم بـه أو مـا تخطـط لا زلـت بـك القـدم
وبنـدقيات نـور قمـت تـشعلها جـوف الـردى والـذي تحيابـه الأمـم
فـامض علـى شـعل الأنفـاس رب فـدى يعطـي مـدى أو تهـادى عنـده الحلـم
هنـاك تقـتحم الأضـواء مـاردة حتـى يـصفق محمومـا دم ودم
ليـت الـضحايا الـتي ذابـت ردى وهـج علـى فلـسطين تـدري انهـا ضـرم

إلى أن يقول:-

يا قدس اقوى من الايمان حرمتها انـي وان ضـمني القيـصوم والسلم
لـشاعر لا يـرى الا الـسلام هـدى يفيض بالحب للدنيا ومن حرموا

جملة (بندقيات نور) لا غبار عليها.. وإنت كنت أستحسن بندقيات نار) لأنها سلاح المعركة المباشر.

أمانة الحرف.. ولبنان.. قرأتها.. فيها الكثير.. وعليها الكثير من الملاحظات.. أمانة الحرف نفسه دعتني للتجاوز لأن استغراقها يستلب معظم دقائق الرحلة.. وهي ليست بالطويلة.

(من مذكرات معلم) اجتزئ منها هذه الأبيات:-

ومـن عـاش في التعلـيم يـسفح روحـه سـيبقى قنوعـا بالقليـل ومـسترا
غريـب فمـا ينفـك يـستمرئ القهـر وينفـر مـن احـشائه عيـشه نفـرا
ويجـذب مـن بلـواه آلاف أهـة يحمـل منهـا اللـؤم والهـون والـوزرا
يـسام علـى اوضـاعه وهـو سـادر علـى الـبخس لا خيـرا يرجـى ولا شكرا
دعـوه فقـد لا يـستقيم علـى الندى سوى الرخو والمركوب لا يركب الوعرا

هكذا جاءت مذكرة شاعرنا الكريم عن مهنة المعلم مشقة عمل.. ومشقة كسب كما يراها.. لا ادري أكانت توصيفا لحالة عانى منها فرد أو أكثر.. ربما.. وما أدري أن المعلم في حاضرنا يتمتع بامتيازات مادية أكثر من غيره.. فالعلاوات لا تتوقف عند حد.. حتى تلك المرتبات الصغيرة نسبيا انها سرعان ما تنمو على مر السنين وتتحسن.. ومع هذا فشاعرنا أدرى بالتجربة.. ومن مذكرات المعلم.. إلى نظرته عن الكون:-

هـذا الفـضاء ومـده الرحـب ومراسـه المستمـسك الـصعب
الا خيـوط مـن غرائبـه لا الفكـر يـدركها ولا القلـب
هـذا الفـسيح ومـا يخبئـه مـن مـدركات بُعـدها ذنـب
جلـت عـن الامعـان عالقـة في اللانهائيـات أو تـصبو

الأذهان أقرب إلى التصور من الامعان.. يا عزيزي.. وأصل معه بعد مطاف طويل في قصيدته وكل قصائده طوال إلى قوله:-

يـــاذا الفــضاء الـــسمح معـــذرة ان قلـــت مـــا لم تحـــوه الكتـــب

فالليـــل شــيء كنــت أرهبــه طوعــا ولــي مــن جنــه صــحب

أقـضي بهـم مـا شئت مـن عكـس عـــاف إذا نـــاجيتهم لبـــوا

حتـى إذا مـا الـصبح أيقظـه مـن بعـض الخبايـا واسـتوى الركـب

غنيـــت الـــشحرور افئـــدة مثـل الـسحاب وروحــه الخـضب

الروح يا شاعرنا مؤنثة.. والخصب مذكر.. حسنا لو جاءت على النحو التالي.. مثل السحاب ومزنه الخصب أما عن الجن فإن فرائصي ترتعد لذكرهم ناهيك عن صحبتهم.. أخاف اشباحهم فكيف الحال بأجسادهم وأرواحهم.. أعترف بأنك أجسر مـني ألـف مـرة ومـرة حتـى ولـو كانـت رفقتـك لهـم مجـرد خيـال عابـث.. ومن الكون إلى الدهر من غرفة إلى أخرى مماثلة نقضي مع الصديق البخيتان تجربته التي أطلق عليها (لعبة) والدهر لا يلعب:-

بـين جـنبي الـذي لا أجحـده كبـد حـرى ونفـس مجهـدة

حـــرك الـــدهر بهـــا لعبتـــه - لا رعـــاه الله - يـــشوي الأفئـــدة

غـــال مـــني صـــفو مـــا أمّلتـــه فاحتـــسيت الأمـــن منـــه اريـــده

مـــن للمـــهوف يلـــوي روحـــه هـــمٌ جيـــل عـــق منـــه أســـعده

شـد مـن اعـصاب اعـصابي اذى عـــب صـــبري مـــائرا او جمـــده

أعصاب أعصابي كثيرة.. ألا ترى أن تكون (أوتار أعصابي) مثلا.. ثم مفردة (حائرا) ألا ترى أن تكون (سائلا) في مقابلة للجامد..

(البائس الأعمى) إحدى محطات هجير شعره :-

أعمـى، فـلا شمـس تـضيء لـه، وقـد ضـــاء مـــضاجع غبطـــة وطـــولا

فرعـي رحيـب الكـون كـوة مظلـم ... راح يمـــوج لأمـــة وفلـــولا
أخـذ الطريـق عليـه فـضل عبـاءة ... غـبراء تحـضن هـيكلا منحـولا
مـسكين مـد عـصاه متخطيـا ... بعـض الوعـود محـاذرا وخجـولا
مـا إن يـراه علـى الدنيـة شـامت ... أو يلـق بالعـذر الـضعيف عـذولا
فـإذا بهـذا الـشيخ يـذهب جانبـا ... كيمـا يلامـس مريعـا معـزولا

صدقني يـا عزيـزي الـشاعر انـني أشبه بـذلك البـائس الأعمـى أتلمـس طريقـي في تعثر.. فالسرد وبعض التعابير أقوى من فهمي..

أتجاوز (ليل منفوحة) فمطبات دربه شاقة على الحركة والاستيعاب لعله أدرى بها مني.. وأعرج على مقطوعة (مع الشك)..

لا تهجرنِّـي اخـا (سـلمى) فمـا برحـت ... مـودتي فيـك أحياهـا كمرآتـك
روحـــان والألـــق الوهـــاج لفّهمـــا ... حس مـدى الغيـب في ذاتـي وفي ذاتـك
أكـبرت فيـك طموحـا شـد مـن أملـي ... أوهـز مـن صـبوتي بـاقي حكاياتـك
فـإن تناسـيتني مـن غـير موجـدة ... أو تلـق موجـدة فـارفق بغراتـك

الحمـد لله.. وجـدتها كمـا قـال أرشميـدس.. وجـدت هـذه المـرة شـعرا مقـروءا أشـيد بوضـوحه وجـلاء صـورته.. شـاعرنا إذاً لا تعـوزه الموهبـة الـشعرية وإنمـا يعـوزه التأمـل.. وانتقـاء الجمـل والمفـردات الـتي لا تحـوج قارئهـا إلى مراجـع اللغـة العربيـة كـي يـدرك الفحوى والمضمون الشعري..

نثرت مـن اضلعي الحرى حديث صبا ... وصـغت مـن أنـتي الـولهى غواياتـك
حتـى إذا صـرت مـني فـيض خـاطرة ... حفـل الـرؤى آيـة تـسمو براياتـك

ماذا بعد كل هذا؟! شكوى.. نجوى.. والنهاية:-

تـركتني.. وامتطيـت الـبعض منفعلا ... كـأنني علـة مـن بعـض آفاتـك
لا تعتـــذر قـــدر عـــات أغـــار بنـــا ... ظلمـا يفنـد مـن أشـيائي اشـتاتك

ومن شكر إلى يقينه.. إلى حره.

فهلـــهلي تلـــك الأســـرة   واســـحقيني الـــف مـــرة!!
وانثـــريني في حـــوافي البيـــد   للأجيـــــال عـــــبره
يـــا حـــديثا عـــشقت منـــه   عـــبرة حـــرى.. وفكـــره
اتركـــي الغـــادي. وأمـــره   يعـــصر التـــبريح عمـــره!
فهـــو مغلـــوب مـــضاع   مـــا تبنـــى.. وانـــت حـــره

أبيات دافئة خفيفة الظل تشهد لشاعرنا قدرته على أن يعطينا شيئا نقرؤه.. ونستقرؤه كقراء.. ملاحظة شاعرنا يجيد في قصائده القصار أكثر.. الطوال ربما ترهق الذهن.. وترهق المفردات أيضا..

في مقطوعة (افهميني) يقول:-

بـــأبي أنـــت وأمـــي يـــا ثريـــا   وبمـــا ألقـــاه في دنيـــاي حيـــا
يـــا مـــدى أورده أســـطعها   حرقـــات تـــشعل الـــدنيا دويـــا
مـــضغتني للأســـى أو ارســـلت   مـــرجلا يكـــوي ضـــلوع الـــذل كيـــا
ان نفـــرت الجـــرح في خاصـــرتي   فاعـــذريني قـــد تمـــادى الـــداء فيـــا

جميل هذا السرد.. أعط لنا منه المزيد..

أفهمـــيني أن نفـــسي حـــرة   وفـــؤادي كـــان جلفـــا بـــدويا
ولقـــد عايـــشت آمـــالي شـــقيا   ورمـــت بـــي في البلـــى احـــدى يـــديا
بيـــد انـــي مرســـل الـــشعر الـــذي   ينفـــث الإيمـــان حبـــا ابـــديا

تلك شهادة حق منك لها.. وشهادة حق مني لك على جميل صياغتك ووضوح رؤيتك.

(ثريا) الثانية نالت نصيبها من (ثريا) الأولى.. كلاهما ثريا.. والمناجات هي المناجات.. هناك من ينتظر دوره أنه (المنى) في شخص (منى)

وقفـــتْ تـــسائل مـــن أنـــا ؟ حتـــى اســـوق لـــه المنـــى ؟
اتـــــراه يعـــــرف أنـــــني ؟ تلـــك الـــتي تـــدعى (منـــى) ؟
أبطفلـــــة مثلـــــي يهـــيم أخـــو المـــودة والعنـــا ؟!
ســـفحت لياليـــه الطـــوال عليـــه أفـــضع مـــا جنـــى..
ورمتـــــه في درب البريئـــــة عابثـــــا.. متلونـــــا

هذه هي المقدمة.. يأتي من بعدها:-

قومي نعاقره الهوى
آماله.. آمالنا
ما خاب من مسح الطموح تثبتيه ولا ونى

هل أنها عاقرته هواه كما يرغب؟ أبدا كان هو وحده يغرد خارج السرب:- ومن منى الصامتة إلى غنوة العيد هل أسعدته؟!

هيفا قد شف منها الستر ما نهدت به كعصفور روض غاب في الثمر
رحماك ما هذه النار التي احترقت كالمندل الرطب بين الدل والخفر
يذكيه ان الهوى كالنور منطلق رسوله من مدار الشمس للقمر
يروي لعشاقه أطياف ساحرة مسته خلف سكون النوم والسهر

كل هذا جميل.. وتبقى النهاية هي النهاية.. لا صوت إلا صوت العاشق يحتضنه سكون المناجات.. نتجاوز مع شاعرنا محطة (الوعد) الذي لا يأتي.. و(تعالي) لأخرى متعالية كبيرة على الحب، ونتوقف مع شاعرنا في دعوته (ادعوك)

قصّي لبعض الحاقدين غرامي واستمسكي بالنزر من أوهامي
فلقد نسيت الحب بعد فراقنا ضربا من النزوات والأحلام

مفردة (نسيت) غير مناسبة.. الأنسب (ولقد حسبت)..

سفراء ما ضن الغرام على امرئ ولت مطامعه مع الأيام

فاستقبلي عتبي كجرح دامي متغلغل الأدواء تحت عظامي

الأسقام أو الأمراض انسب على ما أحسب من الأدواء.. المولهون والمدلهون بحبهم عرضة للخطأ.. ترى هل أن شاعرنا معيض البخيتان غلط في حبه.. لنستمع إليه؟:

أني أعيذكِ أن تردّي بائسا أو تجهلين حقيقتي ومقامي

فلقد قطعت من الهجير أمضّه عار أجرجر - والدما - أقدامي

وملأت من لفح الرمال حميئة رئتي شعوري غبطتي إيلامي

أشياء كثيرة متفاعلة ومتداخلة في وجدانه لا تستطيع فرزها لأنها غير قابلة للفرز:-

وسفحت من وجهي أفانينا على عتبات ذي الحنقات والأنقام

كيما أفوز بنظرتيك وقد مضى عمري رهين البؤس والأسقام

القفلة الشعرية لغزله واحدة.. هو وحده الذي يغني على الهجر على وقع لسع الهجير الكاوي.. لا جديد تحت شمس شاعرنا

فعتمة الحبيب قائمة وحنجرته بحت لكثرة ما نادت وناجت.. ولأن الليل قدر لابد من ولوجه.. كانت المحطة الأخيرة لديوان (الهجير)

غرق الليل في مدب الطريق وثوى النجم في الفضاء السحيق

واستنامت على الشفاه كؤوس منعمات في ليلة من عقيق

حسرت مدها ستائر فصل ضاحك البشر مترع الإبريق

وتأتي نهاية المطاف دون قطاف:-

يا حبيبي روح الهوى والبريق لحظة من مدار فرح وضيق

فاشطبي من رسالة الأمس عذرا وانثريها على مهب الحريق

وأريقي من أحرفي اللائي ذابت ما تغصّى ولا تصدي رحيقي

بهذه التجارب الدافئة. والحارقة.. التي أوقدها شاعرنا العزيز معيض البخيتان على نار

دافئة حينا وعلى نار حامية كانت لنا معه صحبة شيقة في جانبها الوجداني.. ومشرقة في جانبها الإنساني.

ثقافة شعره العاطفي أوضح صورة.. وأفصح عبارة.. وأخصر فكرة.. وأكثر تقبلا.. أما شعره الطويل فإنه يجهد قارئه لأن بحره مزيج من مكونات لغوية.. ومفردات تحتاج إلى تفسير.. بل وإلى تغيير من أجل خدمة الأساس البنائي للقصيدة. وأحسب أن شاعرنا وقد أجاد في قصائد غزله.. القادر على صياغة مقطوعات شعره الطويل صياغة جديدة تزيل عن كاهلها بعض الارتباك في لغتها.. وفي إيقاعها الشعري.. شكراً لمعيض الذي عوضنا خيراً قرأناه معه أخيراً.

ديواني

- د. حمد الزيد
- ٩٥ صفحة من القطع المتوسط

حسناً اختار العنوان لهذا الديوان (ديواني) أعطى له فسحة الاحتواء دون قيد .. دون حصر لما يدور داخل صفحاته .. دون ربطه بمنحى محدد تبحث عنه فما تجده .. أو تجده بعيداً عن لافتة كبيرة رسمت على غلافه ..

(الساعة) بدأت دقاتها تحصي لنا مساحة ومسافة الرحلة .. ولكن بلغتها المقروءة والمسموعة:-

كمطرقة تدق على سكون القلب مخبولة..!
وتصرخ بي:- إلى صخب الحياة اذهب كمجنونة.!
وهيا - أليس قناع الزيف جدف دونما مركب!
ونافق كل قطاع الطريق، ومن أهواؤ هموا قَلب!

ضاقت بصيرته بالمشهد .. التمس لبصره النعاس دون مكسب .. حتى ولو تخيل فيه المكسب ..

دعيني أشخر الساعات إني للسبات أرغب
فإن النائمين اليوم سعيدو الحظ والمطلب!

سبات الجسد مطلوب لأنه الغذاء والراحة لتنشيط خلاياه .. أما سبات الإرادة .. فدونه المذلة .. والموت يا عزيزي .. شاعرنا يأبى إلا أن يكون حياً يتحرك على أكثر من اتجاه .. وتوجُّه .. عاد به حنينه إلى تربة الأجداد .. ماذا وجد؟!

أعود بعد غربة الأعوام كالسراب ..
أثير فيك لوعة الغياب ..
أُعفِّر الجبين بالتراب

بعد أن أكل الدهر عليه وشرب .. عاد اشمطا، شاحبا، جائعا، لا خيل لديه ولا مال..

قد كنت ها هنا طفلا نقيا لا تقيدني القيود

أحب كل شيء ..

قلبي صفحة من النقاء والسعود ..

في لهفة واشتياق العودة .. وفي زحمة الذكريات الجملية يسائلها:-

يا تربة الأجداد هل لي على ثراكِ من مكان؟!

خالٍ من الرجس الذي ألفته، خال من الهوان..!

لا لوم عليك لا تثريب

فأنتِ تنبتين النخل، والصبار، واليعثوب

وفيك تورق الأشواك، والحنظل، والطيوب ..

هكذا الاغتراب يحن إلى المنبع .. إلى نبت الذكريات الطفولية .. إلى براءة الحياة، وبساطة الحياة .. وعفة الحياة .. وكما غنى لتربة أجداده غنى لأمسه بنفس الإيقاع والاشتياق والحنين .. لعله يجد الربيع الذي ينتظر:-

ها أنتَ عدتَ يا ربيع من جديد

تنفس النوار، والجلنار، والزهور

تضوعت نسائم الربى بصارخ العطور

فأسكر العبير شاعر الطيور

ورتل الألحان في خمائل الشعور

يبدو أنه كان يحلم بعودة ربيعه الذي لم يُغير من ملامح عالمه شيئا.!

متى تعود يا ربيع والإنسان في الدنيا بواقع سعيد؟

حرا يعيش دونما ظلم ولا قيود..

لا شيء سيتغير .. الرياح العاصفة مواكبة لأمطار الربيع .. لن تلقى عالما أفلاطونياً .. ولن تجد عالماً شيطانياً .. العالم بين هذا وذاك ..

(الحيرة) تستبد بشاعرنا .. تتلاحق علامات استفهامه:-

وامسك القلم، تدور في مشاعري عوامل بلا صور

وامسك القلم، وفي الفؤاد ما به من ألم؟

يا ليتني صخرا .. وليت قلبي من عدم!

ما هذه القسوة المتوحشة .. القلم العاقل يحوِّل الألم إلى أمل، وعمل .. هلاّ أعدت حساباتك وأعطيت لقلمك جرأة البوح .. وجرعة المثابرة بعيداً عن أمنية الموت بالتقسيط .. أنتَ القادر على هذا .. أعطنا حروفا من الحب بنفس القدر الذي أعطيتها لأفق الأصيل حيث قلتَ:-

وفي الأصيل يا حبيبتي ذكرت كل شيء بيننا بحرقة الوداع

الشاي، والدفاتر التي أحبها، وصوتك المنساب بالتياع

وتتعاذفه حمم الحب دون رأفة:-

أحبكِ جدا كأني أراك لأول مرة

أحبكِ جدا كأني أراكِ لآخر مرة

يفرخ حبك فيَّ .. كما يلد الفكر مليون فكرة

جميل هذا التوصيف .. والتوظيف للمفردات ..

تحاصرني الذكريات في كل زاوية وتسحقني كل لحظة .

ولأن عودة الليالي السعيدة ما برحت في علم الغيب ندع الذكريات في حصارها ولكن دون سحق ..

شاعرنا المفتون بحبه طرح أمامنا عشرات الظباء لكل ظبية قصيدة احترنا جميعاً ونحن معه في صحبته أيها نختار، كنا بالنسبة إليه (خراش)

تكاثرت الظباء على خراش   فما يدري خراش ما يصيد

ولأن التحدي يلاقي قبولاً في بعض حالاته كانت هذه الوقفة:-

قولي لهم، قولي لهم .. أحبه، أوده

إن شئتم، وإن أبيتم .. قولي لهم لا تفزعي،

أحبه، أوده، وهل يحب الطير إلا الأيك والنجوى..

أحبه برغمكم .. لأن الحب أقوى .. حتى من الغناء..

للزيد قنديل لاهث يفتقر إلى الزيت حتى لا يخبو:-

قنديلنا .. بل يا ضآلة الافصاح

يا واقعا يلوح في الظلام يسطر الشقاء على الحيطان المرمدة

مدادك الدموع لا الشحوم

دموعنا لهاثك .. الآهات من قلوبنا

فأنتَ منا .. أنتَ نحن..

بانطفائه تنكفئ الكثير من المعاني .. لأنه رمز ابصار .. شعار نور.. (محاولة فهم) لا ضبابة فيها:-

أنتَ جدير أنت تفهمني دوما

أنت جدير أن تفهمني

إن أنا أعربت فإنك تفهمني ..

أو أنا أعجبت فوجدانك يفهمني

إن أنا أطرقت، أو حركت شفاهي

هذه المقدمة لما يمكن فهمه:-

أنــــا لا أرجــــو نـــــشبا ..	أنــــا لا أطلـــــب جاهــــا
أنــــا لا أغــــبط أحــــدا ..	أنــــا لا أحقــــد أبــــدا
لم أمــــدد للغــــير يــــدا ..	لم أســــجد إلا لله الأعلــــى
لكــــني محــــروم دومــــا ..	حرمــــاني أن تفهمــــني

لقد فهمناك .. أما هو فدعه لضميره .. إشارة عابرة إلى الشطر الأول من القصيدة (أنت جدير أنت) تلافياً للتكرار الأفضل أن تأتي الثانية (أن)

ومن محاولة الفهم التي حاولنا بدورنا فهمها تتملك شاعرنا الحيرة .. هذا ما

عبّر عنه في آخر أبياته .. وفي لحظات بياته:-

يـؤرقني الهـوان وكـل عـسف ... وظلـم فاضـح، لا أستـسيغه؟

وأوبـاش علـوا فـوق الثريـا ... وأفـذاذ هـووا بـدنا بئيـسه

أحـاول فهـم مـا يجـري، ولكـن! ... يفـر الفهـم في دنيـا تعيـسه؟

علامات الاستفهام هنا لا مكان لها .. المكانة لعلامات التعجب(!!) .. أما حيرتك .. وحيرة الآخرين معك فأمر لا يحتاج إلى حيرة .. بل إلى نظرة متعمقة في مجرى الحياة وفي فلسفتها الصارخة التي تقول (حق القوة أمضى من قوة الحق) .. واقع لا يمكن إنكاره .. وإنما استذكاره معك وأنت تتحدث بلغة الآهات عن واقع الوطن العربي الكبير، من محيطه إلى خليجه:-

أواه، يا وطني العظيم بكيت بالقلب الكبير

إني أخاف عليك من طعنات غر، أو حقير

إني أخاف عليك من الجفاف، من الهجير

المقطع الثالث يفتقر إلى الضبط الإيقاعي .. يمكن ذلك بإضافة كلمة (من قهر الجفاف) أو (من لسع الجفاف) أو ما في معناهما .. المشهد أمام عينيه قاتم قاتل .. الصبح توارى خلف ستار الدجى .. هو وحده يتوجع كمن يطأ بقدميه على جمر:-

أبكـي دموعـك بالـدموع .. ... ولـيس لـي أيـدي تجـور

لـتحطم الأغـلال عنـك ... وتغـرس الأمـل النـضير

وتـدوس أعـداء الحيـاة ... النـاقمين علـى الـسرور

الإجابة على شكوى البلوى أعطاها بيتك الأخير الذي لا يحتاج إلى إضافة.

إما حياة من أعالي الشهب، أو دنيا القبور ولكي نصل إلى حياة الشهب لا بد لنا من صواريخ عابرة للقارات.. وأقمار صناعية.. وعقول منتجة لا مستوردة.

(رثاء) بنبرة حزينة مليئة بالشكوى صاغ أبياته:-

بكارة الأشياء فضت

وفقد الزمان، والمكان عذريته

وصار كل شيء كومة من الخراب

حتى الشفاه طعمها انتهى من لثمة التراب ..

لا عذرية لوطن كما لا عذر لمواطن وهو يشهد بأم عينيه ما يجري على أرض فلسطين، وما بين النهرين .. وما بين نهر البارد ونهر البداوي في لبنان .. وفي أكثر مكان .. المكان، والزمان، والإنسان مستباح .. البكاء عند الأطلال يزيد الوجع .. ويعمق جذور المأساة لا المواساة.

لضيق الزيد من واقعه المر إضاف المزيد من ندويه وعزلته عن غزله:-

دعيني وشأني فإن الليالي سقتني المرارة   وسعَّرت الآه في جانحيَّ واذكت أواره

دعيني .. ولا تخدعنك هذي النضاره   فبعد الربيع خريف يحيل الغضاره

(الغضارة) هنا غير مفهومة لعله يقصد (اخضراره) إلى جانب أن تركيبته اللفظية ناقصة .. أرى أن يكون هكذا:-

(فبعد الربيع خريف مخيف يزيل اخضراره)

دعوته إلى العزلة مبررة:-

دعيني أعيش حياة التأمل في وحدتي

أفكر في الله، في الكون، والنار والجنة

وارسم لي عالما ساميا .. تظلله فكرتي

أحب الحياة لغيري، فلا أُطلقَن غيرتي

وابعد روحي عن درَن المال، والساسة

غابة رغدان شدته إليها برباط وثيق اسمه الإعجاب:-

كانت رائحة الأرض المبتلة بالماء تقتحم القلب

وتغني في الأعماق أناشيد الوطن

كانت رائحة الأرض الرطبة

تدب إلى الشريان التاجي كحميا الكرم اللدن

بعد وصفه تجيء أمنياته:-

أتمنى أنني طفلا غضا أتمرغ في تربة رغدان
أُنبت حبا (صبارا) في حرية ..

ما كل ما يتمنى المرء يدركه يا صديقي ..: أهي استراحة أم راحة أبدية تلك التي يتوق إليها:- ؟!..

تعبت يا رفيقتي من الترحال والسفر
تعبت من موانئ الخطر، ومن مضارب البدوان والحضر
تعبت من نومي الطويل، والسهر
ومن نجوى الزهور، والحسان، والقمر
تعبت من حالي .. ومن حلمي، من البشر

ماذا أبقيت لنا كي نختار؟ الترحال أجهدك، الجغرافيا أنهكتك، حتى السبات المريح لم يُرحك .. كثيرة مللتها بما فيها الحسان من أجل عينيها لوحدها كثير هذا عليك ومنك

أريد أن ارتاح فوق صدرك المليء بالثمر

رغم إجهاده وتعبه ومله من الترحال والسفر إلا أن لبنان .. وجمال لبنان أقوى من مقاومته:-

لبنان يا قصيدة رائعة الإيقاع والصور
يا ملهم العشاق، يا لحنا يذوب في ايقاعه الحجر
تفديك كل نفس شاقها السهر
وكل روح سامها الضجر
وكل من جاب من الدنا اقطارها ومن على سفر

طوَّف في مرابعها الغنية والفقيرة .. بحرها سحرها، مروجها، أنهارها، ليلها نهارها، حسانها وإنسانها .. وجد فيها نفسه

وجدتُ فيكِ نفسي بعد أن أرهقها الترحال والسفر

فهل تضمنى إليك كانبلاج الفجر، في غياهب السحر ..

لبنان الأمس يا شاعرنا لم تعد لبنان اليوم .. الذين ماتوا عشقا فيها من أهليها هجروها .. هاجروا عنها خشية دانات صواريخ الموت .. من حرب أهلية إلى نذر حرب إقليمية تغذيها مطامع الكبار الذين يصنعون القرار لوحدهم في عالم اليوم .. غداً ستعود عربية، وأبية .. ولو كره الطامعون، والمتآمرون ..

أخيراً .. هذه الأبيات من مقطوعته (مراجفة)

قلـــت يـــا نفـــس ســـامحي	لا تبـــــالي بمــــن زعـــــم
ودعـــــي النـــــاس للزمـــــان	فهـــم النـــاس مِـــن قـــدم
ربنـــــا لا تـــــزغ بنـــــا ..	واقبـــــل التـــــوب والنـــــدم

بهذه الأبيات الثلاث التي تفيض استذكاراً، واستغفاراً، وأوبة وتوبة ينهي شاعرنا د. حمد الزيد رحلتنا معه من خلال ديوانه (ديواني) تناولنا صحبة الترحال معه، وبه الكثير من الإمتاع، والإشباع الوجداني، والإنساني بكل ما فيه من حلاوة ومرارة .. شكراً له .. وعلى أمل متجدد أرجو أن يستمر.

رحلة العمر

- علي حسين الفيفي
- ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط

من منا ليس له رحلة عمر طويلة.. أو متوسطة.. أو قصيرة محملة بأثقال ذكرياتها؟.. لا أحد.. فللساعة ذكراها.. ولليوم، والشهر، والسنة ذكرياتها حلوة، أو مرة.. يرصدها البعض في ذاكرته.. والبعض في مذكراته.. والبعض الآخر يطرحها كورقة حياة مقروءة فيها الكثير من العبر.. وفيها الكثير من إحباطات الحياة.. ومعطيات الحياة.

شاعرنا الفيفي رصد لنا رحلة عمره منشورةً على صفحات كتابه.. بداية بالجولان المحتل الذي عايشه كعربي ينتمي لأمة واحدة، السعدُ فيها واحدٌ.. والهمُّ فيها واحدٌ.. والجرحُ فيها واحدٌ:-

إننــــا منـــــك قريـــــب   عــن يمينــك عــن شمالــك

إننا مفردة جمع.. وقريب مفردة.. الصحيح (أنني منك قريب) صوت عربي غير محدد. أو (إننا منك أتينا) للجمع

جيـــشنا الباســـل قـــد جـــاء   ك في الحـــــرب يـــــشارك

فـــادحر الأعـــداء بـــالحرب   بعيـــــداً عـــــن ديـــــارك

تلك خاطرة شعرية عن حرب العاشر من رمضان التي توهجت في حينها.. ثم انطفأت. وانكفأت للأسف.

(الماكرة) مقطوعة يقول فيها:-

لا تنخـــدع بجمالهـــا الفتـــان   كم من فتى ضحت به، أوثان

فجمالهـــا، وكمالهـــا، وبهاؤهـــا   يغري.. وليس القلب من صوان

القلب الصخري المتحجر.. والمتفجر غروراً لا يسمح لجمال المرأة أن يمر.. شفافية القلب والعقل أولاً.. إنها تختلف.. أليست القائلة:-

وأنا التي خدع الجميع بما رأوا | من رقتي وجمالي الفتان
أقبلتُ نحوك والغرام يهزني | والقلب أضحى دائم الخفقان
لولا الحيا لجهرت بالحب الذي | أدمى الفؤاد وهز كل كياني

هل أن طيف امرأة من لحم ودم؟ أم أنه شيء آخر يتجاوز حدود الأنثى وجمالها الطاغي ومكرها؟

قالت: أنا الدنيا التي من عادتي | ألقي الجميع بصفحة النسيان

كانت الدنيا.. والمرأة أحياناً بعض الدنيا.. ومن الدنيا الماكرة إلى (اليتيم) أحد ضحاياها البؤساء:-

أي هول، وأي خطب جسيم | لا يساوي بهول هذا اليتيم
كان بالأمس باسم الثغر يبدو | هادئ البال من جميع الهموم
عاش في ظل والديه عزيزا | ناعما بالحنان والتكريم
كلما قال:- يا أبي:- قال:- لبيك | فقد كان كالصديق الحميم

وتغيرت الحال بين عشية وضحاها..

صار ما بين ليلة وضحاها | باهت الوجه، شاحبا كالسقيم
لا يريد الحياة بعد أبيه | بعد أن كان في نعيم عميم

كلنا على هذه الدنيا أيتام.. ليس فينا من لا مات له أب أو أم.. ولكن.. إذا كان الفراق وجيعة فإن الحياة وديعة لا بد أن تعود إلى مودعها.. نودِّعها بالكثير من الصبر واحتساب الأجر.. اليتم حياة.. حتى ولو كان موجعاً..

(ظلم الآباء وقلب العذارء) عنوان طويل نسبياً..

تعاتبني، وتشكو من صدودي | تقول:- أظن قلبك من حديد!

وقــد جهــدت بلوعتهــا وقالــت عهــدتك حافظــاً كــل العهــود
لقــد أخلــصت في حــبي.. وإنــي أوضــح كــل ذالــك مــن جديــد

سرد في الحوار لم يصل من بعد إلى ظلم الآباء.. أما قلبها فقد نضح اناؤه بما فيه الكفاية

وقــد بنيــت محاســنها وســالت مــــدامعها علــــى ورد الخــــدود
وقالت لي:- أأبعد عنك ظلما؟ وتُــضرب بيننــا ســوء الــسدود؟

على سماع قولها، ضج لها قلبه.. كيف تعطيه هذا الحب؟ أين السبب؟ وجاءه السبب:-

فجــرح القلــب لــيس لــه دواء وظلــم الأهــل زاد عــن الحــدود
فعاشــــت في شــــقاوتها زمانــــا شــبيهة مــن تكبَّــل بــالقيود..

عذراء أحبت.. حلمها تحطم على صخرة الرفض والعناد.. ليس منه دائماً من أهلها ربما لأسباب لا أعرفها.. ولا أملك الحكم لها، وعليها.. (أقول لها) عذراء أخرى جمعها لقاء مناجاة:-

أقــــول لهــــا والــــدموع تمــــوج تمــــوج بمقلتهــــا الــــساحرة
وقــد أمــسكت بيــدي في حنــان وأبــــدت مــــشاعرها الطــــائرة
وإذا قيــل هــل تــشفقين عليــه فــــردي ببــــسمتك الــــساحرة؟
فــرب يــد هــدمت مــا بيننــا وشــــر الأيــادي اليــد الماكــرة

الشطر الأول من البيت الأخير يحتاج كسره إلى جبر.. أرى أن يكون هكذا (فرب يد فرقت بيننا).. أخيراً وبعد أن صمتت دهراً نطقت مكراً :-

فقالــت:- غــداً نلتقــي هــا هنــا وراقــــب عيونــــا لنــــا نــــاظرة!

نهاية الحب الماكر (مهر بالمزاد) :-

أبادلــــك المحبــــة. غــــير أنــــي أخافــه عليــك مــن قــول الأعــادي

فلـــو بـــيني وبينـــك ألـــف داء ... لجئتـكِ لـو حبـوت علـى الأيـادي

وحبـــك في دمـــي يجـــري ولكـــن ... أرى في دربنـــا شـــوك القتـــاد

أي شوك يحول بين قلبين عاشقين؟!

فوالـــدك الـــذي مـــا كـــان يومـــا ... ليقبـــل أي مهـــر اعتيـــادي!

يريـــدك للـــذي يعطـــي كـــثيرا ... كـــأن المهـــر يعلـــن بـــالمزاد

بعض المواقع لمن يرون في بناتهم مصدر دخل لهم كما لو أنهن أسهم في بورصة المال قابلة للمضاربة.. ولكن يبقى الجانب الطيب موجوداً.. (الأحلام) الجميلة تدغدغ حياة الإنسان لأنها القنطرة التي توصله إلى أمانيه.. ماذا عن أحلام (الفيفي)؟!

يـــا ليـــال العمـــر مهـــلا ... لا تـــضيعي أمنيـــاتي

لا تمـــري كـــوميض الـــبر ... ق. أو كالعاصـــــــفات

لا نقدر يا شاعرنا أن نصدر لأمانينا الأمر.. وإنما نتمناها.. وحسبنا منها ما تحقق.. أما المجهول منها فإننا نترقبه.. أما الضائع فنتحسر عليه:-

لم يعد من تلكمو الأحلام غير الذكريات

ومع (رحلة العمر) الأم لديوانه.. نتوقف في متابعة لها:-

قـــد كنـــت طفـــلاً لا يـــرى ... غـــير الحيـــاة الباسمـــة

ألهـــو. وأمـــرح لا أخـــا ... ف يـــد الزمـــان الغاشمـــة

وأرى الحيـــاة جميلـــة ... وهـــي الحيـــاة القاتمـــة

لم أدر مـــا هـــذي الحيـــاة ... ومـــا تكـــون الخاتمـــة!

وبعد أن عرف الخاتمة.. وذاق طعمها:- أفزعه ذات صباح صراخ يملأ فضاء الدار:-

وغدوت أسأل من لقيت وليتني لم أسأل ... مَن ذا المسجى فوق هذا النعش؟ ما الأمر الجلي؟

خطب جلل وجد جوابه عند أخواله الثلاثة:- ماتت أمه:-

لا تدفنوا أمي؟ دعوها. وارحموني ترحموا

لم يسدل الستار عن مأساته:-

ما كان جرحي أن يطيب وفي الحشا آثاره واجفف الدمع الحزين. وكم جرت أنهاره
ألا رأيت ابي على نعش وتقفر داره فإذا الهنا حلم تحطم سقفه وجداره

اجتر احزانه شابا.. جراحه تملأ صدره وقلبه.. وذهب الشباب بنضارته.. وجاء المشيب بتجعداته ووهنه.. كهولة متقدمة اخترقته في الأربعين

هل بعد سن الأربعين فتوة كالسابق !؟

يا عزيزي الفيفي العمر في أشده وفي عنفوانه وعنفه رغم بياض الشعر الذي روعك وأنت تنظر إلى وجهك عبر مرآتك.. املأ داخلك يقينا.. كن جميلا ترى الوجود جميلا.. أما أحزانك فإنها لن تقرب ولن تبعد. وإنما تلقي على كاهلك ثقلا أخشى أن لا تنوء بحمله.. ابحث في المرآة عن وجهك الآخر.. وجه الحب لسوف تلقاه.. وأشعر أنك ستلقاه لو حركت إقدامك. وأقدامك قليلا.. هذه (عفراء) محطة حب يحتاج إلى قلب يستوعب المنازلة والصبر:- لا اليأس.. ولا استرجاع البؤس:-

أنعيش في الدنيا بدون رجاء؟ وأنا ومن أهواه كالغرباء؟
فأنا.. وعز لم يحالف أينا حظ فعشنا عيشة التعساء
نحيا بلا أمل.. ويحيا غيرنا مع مَنْ يحب بدون أي عناء!

لك رفاق كثيرون على جادة الآلام واليتم ولكنهم مصابرون يحتسبون للأجر.. أحزانهم في أعماقهم مستورة.. لا يعرفها إلا هم.. يكفيك يا صديقي أن جنة أرض تتراقص من حولك مورعة ومخصبة بجمالها وشموخ جبالها اسمها (فيفاء) إنها أشبه بالعروس الهيفاء هكذا أحبت واستُحبت.. وكأنما كنا على موعد مع (الفرج):-

كل ما مر بنا عام ولم ندرك منانا وأتى عام جديد مشرق مثل صبانا
قلت يا نفس اطمئني. فرج الله أتانا ودبيب اليأس لا يلقى بأعماقي مكانا

ندع (العذر الواهي) لأهله.. كفانا جميعاً مع شاعرنا ما يلقاه من معاناة أوصلته إلى قناعة إيمانية.. وبالذات بعد أن عاد إلى قلبه نبض حبه.. (العائد):-

عـاد الهـوى في الـصدر كالإعـصار ... يكــوي الفــؤاد بلوحـــة كالنــار
عــاد الهــوى مــن بعــد أن ودعتــه ... ومحــوت كــل ســطوره بقــراري

استبشرت خيراً بالعائد.. أو العائدة.. وإذا بحليمة عادت إلى عادتها القديمة

فــإذا أنــا وحــدي ولــيس بجــانبي ... إلا الأمـــاني وهـــي كالأصـــفار
فرفعــت وجهــي للــسماء مناجيــا ... ربـــي لأشـــكو حظـــي المتـــواري

حسناً فعلت.. فأبواب السماء مشرعة أمام كل مناجاة.. شاعرنا كما يبدو أعطى لنفسه إجازة يخلص بها إلى نفسه دون حب.. تفرغ (لخطيبة صاحبه) أمطره وأمطرها رجزا:-

فقـــد لقيـــت غـــادة ... جميلـــــة معطـــــرة
لابـــــسة ملابـــــس ... ضـــــيقة مـــــزررة
فرحبّـــت. وأقبلـــت ... بدلّـــــة مبهـــــرة
ســـألها عـــن اسمهـــا ... فامتنعـــت أن تخـــبره
أراد أن يخطبهـــــــــا ... فرفـــضت مـــستنكره

عرفته بنفسها أنها ابنة الشيخ قائلة:-

أنـــا ابنـــة الـــشيخ ولكـــن ... ســـرْ واخطـــبْ جـــوهره
وأنهـــــا كأنهـــــا.. ... ابنـــة دوق أدنـــبره
لـــو نـــام في ســـريرها ... يـــصبح ضـــيف المقـــبرة

الحياة أغلى من حب بدايته جنازة:- يهرب من تجربته الشعرية إلى أخرى إلى زوجة صديقه:-

أتــاني صــاحبي يرجــو النــصيحه ... فزوجتــه الجميلــة لــن تريحــه
يقول لها:- اهدئي. فتقول:- كلا ... يخاطبهـــا:- لمـــاذا يـــا مليحـــه

تقـول حياتنـا أضـحت جحيمـا وهمـسك في الكـلام أراه صـيحه
فقلـت لـه:- ابتعـد عنهـا وهـاجر فـأرض الله واسـعة فـسيحه

نعم النصيحة!

كأنه بمقطوعته (دعوها) يتحدث بلسان صاحبه الذي يكابد حياة زوجية شقية لا ذنب له فيها:-

دعوهـا للـشقاء وللـهوان تعـاني في هواهـا مـا تعـاني
دعوهـا تـشتكي مـا كنـت أشـكو فلـيس بوسـعها نيـل الأمـاني
أتبكـي! بعـد أن أبكـت فـؤادي سـأبكيها علـى مـر الزمـان
وقلـت لهـا:- قفـي عـني بعيـداً فمـا لـك في فـؤادي مـن مكـان:-

من غرامه.. إلى هيامه.. لم تكن امرأة.. وإنما بلدة لعب على ترابها.. وعب من شرابها.. وتنقل بين شعابها وهضابها (فيفاء)

أبلـدتي الـتي مـا كنـت يومـا لأسـلو عنـكِ في كـل الـبلاد
متـى يـا بلـدتي الخـضراء أمـضي شـهورا في جبالـك والوهـاد؟
ومـا حـوت الجزيـرة مثـل (فيفـا) وفيفـا لم تـزل رمـز الـبلاد

يبدو أن شاعر الفيفي ابتعد عنها لضرورات حياته.. وحتى لا تأخذ على خاطرها منه بعث إليها رسالة وداع حار.. ينتظر عودة إلى أحضانها الخضراء الوارفة:-

بكـت عنـد الـوداع بـدمع حـزن فكـدت أذوب مـن هـول البعـاد
مـسحت دموعهـا، ووعـدت أنـي سـأبلغها غـداً أقـصى المـراد

(موسم العاطلين) قراءة لواقع مرفوض يعانيه مجتمع يبصر بعين الشوفينية المصلحية. الضيقة:-

أرى الـشوق والحـزن في ناظريـك واسمـع نهـدتك الهاديـة
ومـا زلـت في مـستهل الـشباب تحطمـك القـصص الداميـة

أفي كــل عــام زواج جديـــد ؟ ولـــست بـــه أبـــدا راضـــية؟
وقـــد زوجـــوكِ إلى تـــاجر يريـــدون ثروتـــه الغاليـــة
فمـا كـان حظـك يومـا سـعيدا رمـى بـكِ حظـكِ في الهاويـة!

ليس حظاً.. وإنما تسلط.. وحب في التملك دافعه الاتجار بالأزهار في سوق الإعصار المدمر.. زواج فشل.. وآخر فشل لأنه زواج مزاج.. أمام قلبها وحبها المحبط ساق لها نصيحته:-

فإن كان جرحك أضحى عميقا فمـــا ضـــمدته يـــد حانيـــة
وذا موســـم العـــاطلين. فـــلا تعيـــدي لهـــم آذنـــا صـــاغية
يحومـون حولـك مثـل الفـراش وهـم كوحـوش الفـلا الـضارية

أخيراً.. وبعيداً عن فشل الحب.. وتجارب اليتم.. وهمِّ الحياة.. ولعبة العاطلين القاتلة.. أخيراً يستودعنا ويودعنا شاعرنا علي حسين الفيفي بمقطوعة يتلظى شواظ نارها وشظاها.. لقد آثر أن يكون وداعنا لديوانه (رحلة العمر) حاراً كالجمر..

لقــد أحببــت مــن أعمــاق قلــبي وقـــد توجـــت حـــبي بالوصـــال
بمــن تمــسي وتــضحي في فــؤادي بحـــب لم يكـــن يـــأتي ببـــالي

يعدد لنا تجارب حبه:-

وكـم أحببـت مـن عَـذْرَا. وكانـت مثـــالاً للجمـــال وللكمـــال
فلمـــا أشـــعلت في الـــصدر نـــارا لظاهـــا دائمـــاً في اشـــتعال

الشطر الأخير مهتز في إيقاعه يحتاج إلى تثبيت.. كأن يأتي على هذا النحو (لظاها كاويا مثل اشتعالي)

ومـــدَّيت اليـــدين إلى أبيهـــا فـــرد لـــي الأمـــاني بالتعـــالي

لم يتطرق اليأس إلى قلبه.. وإنما ثابر وصابر قبل أن يصرعه غول يأسه

ولمَّـــا دب في الحـــشاء يأســـي وصـرت أرى الحقيقـة كالخيـال

أتـــاني الحــظ مبتــسماً ليمحــو مريــر اليـــأس أو ســـود الليـــالي

البـسمة ليـست واحـدة.. كـثيرون ابتـسموا لنهايـة تجـارب رحلـة عمـرك الناجحـة.. ولتجارب شعرك الأصيل الجميل الذي بدأ مـراً في تجربتـه وانتهـى حلواً في محصلته.. ومع لقاء آخر مع شاعر آخر..

جداول وينابيع

- عبد الرحمن سليمان رفه
- ٢٢٥ من القطع المتوسط

حيث تكون الجداول والينابيع يحل الربيع بخضرته وبهجته.. بعطوره وزهوره.. بنمائه وغذائه.. شاعرنا اختار لديوانه الأحلى والأغلى.. هذا ما نحاول معاً تلمُّسه من واقع سطوره ومضامين شعوره..

بداية (بينبوع الحياة) هذا ما استقبلنا به في حفاوة وسخاء.. إنه الشعر.. بل إنه المشاعر التي تصوغ الشعر كلمات مموسقة وموحية بأجراسها وإيقاعاتها:-

الشعر ينبوع الحياة وانه　　لتجارب منها السنا يتسرب
ورؤى يطاردها الخيال مفذة　　لينال منها ما يُعز ويُرغب
يرنو إلى الآفاق وهي بعيدة　　وإذا استثير فكل شيء يقرب

بيته الأخير أجمل أبياته الثلاثة سرداً وحبكة.. ولأن الشاعر عادة يحلِّق بفكره يلتقط صور ما يدور حوله ويصوغها شعراً هكذا فعل شاعرنا (الطائر) يخاطب طائراً.

يا طائراً فوق الغصون يغرد　　يهنيك غصنك دائماً يتأود
يا طير أنت كما نراك مغردا　　صداح دوح لا لشيء تقصد
يا طير قل ما الذي كابدته　　وعليك من حلل الربيع زبرجد

الشطر الثالث قبل الأخير تنقصه مفردة (لي) كي يستقيم وزنه هكذا يصح (يا طير قل لي ما الذي كابدته).. مقاطع ثلاثة انتزعتها من قصيدته الطويلة التي ناجى فيها طائره وبثه فيها عظته وشكايته.. وأخيراً دعوته للإنصات:-

يا طير اصمت واستمع لشكاتنا　　وكفاك منها أنة تتردد

فلسوف تدرك ما يعاني مثلنا ... وتقر عينا بالذي تتزود

يريد من طيره أن لا يغني لأن غنوته لا تغْني في جو مشبَّع بالحزن والسهد والوجع.(الحياة) في لغته أخلاق، ودروس مستفادة هكذا قال عنها:-

لي في حياتي، والحياة معابر ... تمضي بكل معانق أو مدبر

درس وطأت بساطه في نهزة ... ملأت كؤوسي في حياة تذكري

فإذا لقيت أخا الضغينة لم أكن ... ألقاه إلا باسماً كالمزهر

وأمد كفي صافحاً ومصافحاً ... في غير عتب عن جناية موغر

من يقدر على هذا الكتمان والصفح يا صديقي.. من السهل كتابته ومن الصعب تطبيقه في زمن تهاوت فيه المشاعر.. وتداخلت فيه الأهواء.. الحلم أخلاق.. (البدر كان لعاشق ترنيمة) عنوان قصيدة اجتزئ منها الأبيات ذات الدلالة.

المجد ويحك في عزائم أمة ... هبت لتبني مجدها بمضاء

نالت عزتها وشادت حصون قوتها.. ونالت من العلم أرقى ما فيه من أجل تحقيق التطلعات والأماني.. هذا ما أوحت به أبياته.. لكنه أيضاً يشير إلى عظمة العلم، وجسارة وجدارة العلماء الذين امتطوا مخاطر غزو الفضاء ونجحوا..

فالبدر كان لعاشق ترنيمة ... واليوم أمسى مطمح العلماء

صعدوا إليه على مطية عالم ... عرف الطريق بعلمه المعطاء

دعوة إلى التقدم في عصر لا مكان فيه للتخلف.. ومن قمر الفضاء إلى قمر الأرض تريد بنا القافلة أن نهبط أمام عنوان (قالوا فلان قد سلاك) حيث عاطفة الحب.. وحيث التساؤل:-

أتراك ليلى قد نسيت لقانا ... في روضة مخضلة الأغصان؟

ولياليا مرت بنا في موكب ... تغشاه منا فرحة الجذلان؟

أبيات توصيفية أخرى تسبر بدر السماء بعنونة وكأنه يكشف لهما ساحة اللقاء في

غيره.. أما الكواكب فقد اختصرها الشاعر في قوله:-

وترى السماء فما ترى من كوكب ... إلا كواكب صدرك الظمآن

فأمد كفي نحوه.. فتردها ... أنفاس صدر ناهد نشوان

غزل لا يعرف الغموض ولا التردد يمتد طويلا طويلا عبر أبيات طويلة تنتهي بهذه النهاية:-

تهفو القلوب إذا ذكرت لعاشق ... أغراه منك تلطف الوجدان

فلديك ألفيت الكرامة كلها ... ولديك عشت موطد الأركان

ليلاه موطن حب.. وليلاه أيضاً وطن حب تغنى في أبيات كثيرة.. الوطن أيضاً كان لعاشق ترنيمه.

لضيق مساحة الدرب تجاوزت قصائد ترتبط بمناسبات قضت وانقضت.. وأفسحت الفرصة المتاحة لأخواتها دون مفاضلة..

(للعيس ليلي).. عنوان.. وللعيس مضمون طغت ملامحه منذ الوهلة الأولى:

للعيس ليل ما ترين وغاية ... لم أدر أين مقرها في السير

ولأجل عيش قد نأت أوطانه ... فلك الهناء مصانة في الخدر

عشرون عاما قد طوينا عهدنا ... في خير حال مفعم باليسر

فدعي الذي أخفيته وتجملي ... بالصبر أنتِ حرية بالصبر

لا ندري من يعني في خطابه.. إلا أن الدلالات توحي وتشير إلى أم أولاده التي شاركته حياته وخاف عليها أن ترحل مخلفة أطفالا خشي عليهم الضياع وافتقاد حنان الأمومة..

ما كنت يوماً نازعا لفراقكم ... كلا ولا كان النوى من أمري

فإذا قضيت من الفراق لبانه ... ورجعت رجعة ظافر ذي يسر

فلسوف نحمد للفراق زمانه ... ونعيش عيش مودع للعمر

عل المياه عادت إلى مجاريها..

(حمامة الأيك) المسالمة الباكية أقضت مضجعه.. ناشدها أن تغرد بالبوح بدلاً من النوح.. أن تبوح بسر شكواه له.. ربما لأنه الطرف الثاني. وربما لأنها حواء في سلامها:-

أحمامة الأيك المحطم غردي ودعي البكاء فإنه لا يجدي

وخذي بأسباب الحياة لعلنا فيما نعاني نلتقي بالمنجد

ولعل عهداً قد أضعنا عنوة فمضى وليس لعهدنا من عهد

إنه يستعجل العودة تحت مظلة (عفا الله عما سلف) كي تعلو في سماء الدار الأعلام.. ويرخي السلام برواقه.. الحمامة امرأة.. شاعرنا رفه يتمنى.. وكلنا نتمنى:-

أماني النفس قد عظمت ولكن بما نهواه قد ضقت احتمالا

أرى الدنيا فيبهرني سناها وعند الخُبر افتقد الجمالا

الأنثى جمال روح قبل أن تكون جمال جسد.. أجمل ما في شاعرنا قصائده القصيرة التي تختزن الفكرة وتطرحها من باب ما قلّ ودلّ أفضل مما كثر وملّ. كهذه القصائد الموجزة.

دعيني فيك اعتسف القوافي وارسلها كصاحبة الخرائف

فجوُّ الحب أوسع من فيافي أراها اليوم تنزع لاختطاف

والثانية عن العذال :-

للفت الدهر لا أخشى الملاما من العذال أو ألقى الحماما

فحسبي منك أن أهدي سلاما وحسب الناس إن راموا انتقاما

قراءتي لشعر شاعرنا أفرغت في محصلتي حصيلة تقول عن شعره.. فيه الجيد.. وفيه ما دون الجيد.. وأخال ديوانه حصيلة مراحل من عمر تشكّلت من خلالها تجربته الشعرية المتدرجة، تطورت مفرداتها وصياغتها.. الشعراء ينفعلون أحيانا.. ويفتعلون أحيانا

وعلى قدر اختمار الفكرة واستعدادها يتحدد مستوى الثمرة ومذاقها..
(شبح الرقيب) من تلك المقطوعات الموحية بجمالياتها وأسلوبها:-

قالت فديتك ما الذي تخشاه؟ فأجبت: روضك عندما أغشاه
أرنو إلى الغصن النضير مضمخا وعلى الروابي حارس أخشاه
يرنو إلي وفي يديه مهند قد جردته لمعبري عيناه
قالت فديتك انه هو والدي حامي العرين فلا تمل لقاه
فيه الصرامة لا يرى متسللا في الحي إلا بالقنا أرداه
فدع التلكؤ لا يراك بجانبي وخذ الحذار فإنني أخشاه

حوار رائع.. يؤكد مقدرة شاعرنا إذا ما تأمل وأحسن الاختيار صياغة أفكار مكتملة العناصر ناضجة الثمر.. وهذا ما أرجوه.
ثمرة ناضجة أخرى تحت عنوان (سلوها)

سلوها كيف روعها حديثي فلانت بعدما أبدت جماحا
سلوها كيف صورها خيالي ملاكا ضل مضجعه فناحا

من هذا المستوى نطلب المزيد يا شاعرنا

الحذار من اللوم صوت استنكار يأباه ويرفضه لا لشيء إلا اعتقاده أنه على جادة الحق والصواب:-

أنا لا أعيش كما تريد وإنما لي عيش حر يأنف الاذلالا
ما راعه ظلم الحياة ولا ارعوى عما يريد ولم يكن ختالا
يهفو إلى العيش الكريم وغاية هي للأباة تؤكد الاجلالا

من حق شاعرنا علينا أن نقف إلى صفه مشاركين مباركين.. الحرية مطلب.. والتخلي عنها إذلال واستغلال ونقيصة..

فالذل مرٌ لا أطيق مذاقه فحذار لومي واتركي الأمثالا

الأمثال الكثيرة التي نقرؤها ونستدل بها ونضربها لغيرنا فيها ما يجل.. وفيها ما يُضل ويعمي.. إنها أي بعضها متناقضة في مغزاها..

العيد ينتظره البعض في شوق.. يطربون له، يزغردون ويرقصون لأن أعيادهم في قصورهم وفي خزائنهم المتخمة بالمال.. وفي المقابل ينتظره الطرف الآخر وفي حلقه غصة ألم.. وعضة جوع.. ولوعة فراق.. ودوامة ضياع.. أما هو:-

يا ليل عيدي لم يعد لي مؤنسا ... في ظل يأس قاتل وعنيد
رحماك ليلي فالحياة جميعها ... أضحت كقيد آخذ بالجيد
في أسره نفسي تلوذ بريبها ... وتمد كفا ضارعا في العيد
رأت اليتامى ليس في آماقهم ... إلا الدموع ونظرة المفؤود
يا ليل ان كان الصباح قد انطوى ... فلتطونا مع صبحنا المنشود

جميلة من شاعرنا صوره وخواطره الإنسانية الإيمانية التي رسمها بريشة عاقلة مدادها إيثار.. أوتارها قيثار تنجاب إليه النفس..

نطوي الصفحة تلو الصفحة.. نقرأها وما نلبث أن نتذكر صفارة قطار الرحلة يستعجلنا كي لا نتخلف.. كان علينا أن ندع الكثير مما نرغب اقتناءه من مقتنيات نرغب الاحتفاظ بها أو الاطلاع عليها.. ورغم صفارة القطار كان الاختيار لهذا الخطاب الباسم والمرح عن العذارى:

سألت القوم ما بال العذارى ... يزاحمن الشباب على الرصيف
ويمشين الهوينا في ثياب ... قصيرات من النوع الخفيف
ويرسلن الشعور مقصقصات ... كشعر التيس، أو شعر الخروف

القوم الذين سألهم صامتون.. لا يعرف جوابهم رغبة، أو رهبة..! كما تذكر العذارى وذكّر بهن فقد اختزن في ذاكرته صورة حواء أخرى كان له معها هذه الوقفة:

كم ذا إليك تهزني الأشواق ... والقلب يهفو للقا تواق

والعـين سـهرى لا تـذوق منامهـا والطـرف يـشكو دمعـة مهـراق

مثل هذه الشكوى مررنا بها وأكثر.. ماذا بعد التأوه والحنين؟ والصد أيضا..

فـدعي العـواذل والوشـاة فـإنهم رشـقوا بنبـل نحونـا ينـساق

فـتمكن النّبـل الأثـيم نـصاله وسـرى بخبـث كلـه إمـلاق..

ونهاية الوشاية دائما جارحة تلعب لعبتها في دنيا العاشقين.. هل استعاض عنها بمن سامرها ذات ليلة..؟

وربـة ليلـة سـامرت فيهـا غـضيض الطـرف، والظـبي الأغنـا

وبـات البـدر في كنفـي نجيـا يـزف لمـسمعي لحنـا فلحنـا

عليـه مـن الابـاء خمـار عـف وفيـه مـن الحيـاء جميـل معنـى

توصيف طبيعي لا غبار عليه.. فقط ذرة من غبار على مفردة (وربة ليلة) انه يقصد (ورُبّ ليلة) وأيضا (خمار عف) ويقصد (خمار عفة) وددت لو تداركهما تصحيحا في طبعة قادمة.. أعود عن السمر وحكايته.. بل نهايته:-

فـديت عيونـه قـد أسـكرتني بكـأس اللحـظ فـردا ثـم مثنـى

فغبـت عـن الوجـود وجـود حـسي وظـل العقـل يـدرك مـا تمنـى

نهاية سمر استطاب.. وانتهى بقبلة غبية ولكنها أسعدته.. هكذا يحكي:-

(طبيعة الغادات) متقلبة المزاج.. وحين ترسم خطها فإنها لا تتوارى وراء حائط الصمت ولا المجاملة.. إنها جريئة:-

فقالـت وهـي تنظـر نحـو وجهـي إلى شـيب يلـوح كمـا الـسراب

رعـاك الله قـد ولى زمـان وعهـد كنـت مـصقول الاهـاب

فلـولا عطفـك الـسامي لقلنـا طـواك الـدهر عنـا كالكتـاب

صمت الشيخ عن الجواب.. لأن في شيبه وقار الحكمة، وحياءها..

شاعرنا عبد الرحمن رفه لا يجهد خطاه السير.. ولا المنادمة.. ولا المناجاة.. ولا الإبحار

في العيون التي تقتل بسحرها وتموجاتها.. فمن غزل إلى غزل.. ومن تردد إلى تجلُّد:

قالت تملَّكك الذهول: فقد لا هو بعض ما ألقاه في لقياك
لولا التّجلد كنت شخصا هالكا يغنيه منك إذا رنت عيناك

الذهول مرحلة تسبق الغياب عن الوعي تفضي إلى جنون الحب.. أو جنون العقل أيهما جاء الموقف..

موقف غرام لا دفاع عنه:-

تبسمت الحياة لنا، ولكن..! أبينا أن يدون لنا ابتسام
واعطينا الزمام فما حفظنا فضاع الحق.. وانفلت الزمام
فسجلنا بأيدينا سجلا مهينا كل أحرفه ظلام

الاعتراف صوت ضمير لا يقوى عليه الجبناء.. شاعرنا يتملَّك ناصية شعر بلاغي يختزن الفكرة في أضيق المساحات كأبياته عن الضدين:-

إني أعيش وما شربت مدامة سكران غير معربد أو صاح
ضدان يجتذبان كل مشاعري كسفينة في قبضة الملاح
ما ضل ركاب السفينة إنما ضل الشراع وربه في الساح

للشاعر صور في الحياة وتجارب انتزع منها بعض المواقف:-

أنا لا أخاف منية تغتالني لكن أخاف رذيلة تغشاني
إني خبرت من الزمان أناسه أعمالهم كقوارض الجرذان
يلقاك باسم ثغره وفؤاده يغلي عليك كمرجل النيران
عاملت أكثر من رجوت إخاءه يبقى.. فكانوا هادمي بنياني
لكنني.. ويرغم ذاك فإنني أعطي الوفاء برغبة الإحسان
وأمرّ عن هفواتهم متجنبا ما قد يثير كوامن الأضغان

أبيات عظة.. ومواعظ.. وأخرى:-

عركت الناس حتى لست أدري وقد لاقيت ظلما واضطهادا

وعاملني الرفاق بكل غدر! فمن اصفيه قلبي والودادا؟

هذه نصائحه.. وكما ينصح هو يُنصح.. أخته هذه المرة تعطيه العظة..

قالت: فديتك يا ابن أمي لا تكن حجراً ولكن بلبلا غريدا

واصدح على فن الحياة بما تشا لحن الخلود. ولا تكن عربيدا

وتذكّره بماضي الآباء والأجداد المجيد:-

واذكر زمانا قد طوته حوادث غالت بنيه.. سادة وعبيدا

كانوا جميعا لا يبالون الردى وإذا تمثل قابلوه أسودا

شادوا الحضارة بالعلوم وأيقنوا ما للجهول لدى الحياة خلودا

وأخيراً مع نفحاته الزكية عن طيبة الطيبة التي احتضنته يتيما.. وأحبته مقيما على ترابها، وحول تراثها..

نفحات طيبة.. وهي أطيب نفحة هبَّت فصرت بطيبها نشوانا

أشدو كما تشدو الطيور على الرُّبا وأصوغ من لحن السنا ألحانا

منها وفيها قد نشأت يتيما حرا أبيا لا يطيق هوانا

جميل معك أن تكون قفلة الرحلة روحانية مع مدينة ومع أهلها محببة إلى النفس.. وجميل أن أقضي معك برهة زمن في صراعك مع الحياة.. والحب.. تارة أشعر بإخفاقك، وأخرى أشعر بأنك تحلّق.. لقد عشت مرحلتك.. خاطبتها بما تعقل أسلوبا وخاطرة.. أدَّيتَ ما عليك.. سعدت بأن أكون أحد ضيوفك في دعوة مائدتها (جداول.. وينابيع) اغترفت منها ما بلَّ الظمأ.. وهذا يكفي؟

ثرثرة لا أعتذر عنها

- محمد مهران السيد
- ١٤١ صفحة من القطع الصغير

كلنا نثرثر.. فالكلام لا يحوجنا إلى استئذان.. إنه سلعة رخيصة لا تستنزف الجيب.. ولا تحتاج إلى روشتة طبيب.. داء.. دواؤه الحكمة التي قال عنها الحكيم (من كثر هذره قل قدرته..) ولكن الثرثرة اليوم في المجالس وعبر الهواتف.. وعلى صفحات الصحف.. وعبر المذياع وقنوات التلفزة أخذ طريقه دون رابط ولا ضابط، إنه يصفع أسماعنا.. ويثير أوجاعنا دون أن نمتلك زمام الحكمة.. ولا صمام التحمل.. شاعرنا اعترف بثرثرته.. واعترف أكثر أنها ليست ذنباً يعتذر عنه.. في أي تجاه جاءت ثرثرته؟!

بدأها بكلمات عتاب مختصرة:-

لا أستطيع أن أزوِّر الوثيقة القديمة
وأرفع العقوق راية
وأنكر الذي أظلنا معاً أنا وأنت

جملة أن أزور (تحمل معنيين..) أن أقوم بزيَارة.. أو أن أزُور ولكي ينتزع اللبس لابد من وضع الحركات عليها.. أن أزوِّر)..

هذا الذي ظننته يحمل الهوى..
يعطيك إذا سقطت مرة صلابة البشر
وقدرة على النهوض.. لا أستطيع أن أقول
بأنني ظننت لحظة بأن رحلتي برغم شكي..
ولا أنت مرة.. وقلت أنها تقودني إلى الحقيقة..

هذه ليست ثرثرة.. وإنما رصد موقع وتسجيله كوثيقة لا تقبل التزوير.. ومن

الكلمات إلى الملاحظات.. وكلمته هنا أدوات طرح..

وتمضي سقف لياليك المثخن بالطعنات

فتساقطت الأمطار العفنة واللعنات

وامتلأت قنواتك بالوحل الليلي..

ثرثرة مطلوبة لتقويم ما أعوج في الصيف الطالح من شرنقة النار

المتفحم من قلب توابيت العهد

تشتمل الغرفة من حولي بطنين ذباب الحارة

أتذكر تلك الغارة..

وتملقني الأشباح على بوابات العجز الممتد

وهذه أيضاً ليست ثرثرة وإنما البحث عن جو تقي نقي لا ذبابة فيه.. ولا أشباح قصة مترا من حوله.. حسناً ترك المكان وانزوى في زاوية لا مكان فيها لغيره سوى واحدة..

وأشارت لي:-

كانت في الأفق كبرج في قلعة

عالية كسحابة صيف..

وإن كنت على بعد شهور عشرة

في الطرف الموغل في البعد.. ولكن!

لا أكتمكِ القول.. فرحت لا بل طرت

لا يثنيني عنها الموت..

أخالها فرحة لا تتم.. ففي وجهه غيوم.. وهموم تنتظره..:-

ولأن الأفق صقور سوداء.. وأنا مسكين

جسدي لم يبدأ بعد من الأدواء لم أخبر أحدا

فالقمر على البعد يشد الأعناق

دائماً لم تيأس في صدري الأشواق..

ومضيت لا يثنيني عنها الموت..

وأنا بدوري لم أتعرف على النهاية.. الحب حين يرقى إلى درجة الموت يقتل.. ربما يراه البعض موتاً لذيذاً.. أي أن موت شاعرنا بإرادة حبه المتحدية بدأ يتنازل عن كبريائه.. بدأ يخاف الغد وما قد يحمله من غدر لا يستطيع عليه صبرا..

أخاف من غدي.. تصوري هذا

أنا الذي عشت أجمل السنين - أعشق الغدا -

غنيته قصائدا قصائدا

حملته وقلت للعذاب والعدا..

هذا غدي هذا غدي وإنني له الفدا

يتحفز كالفارس الذي يمتشق سيفه في مواجهة عدو مجهول قد يغافله ويغدر به..:-

قد كان في تصوري ابتسامة تزفه لا يحدها مدى..

وقوف بها صحبي كوقفة امرئ القيس أمام مشهد رحالهم..

سيدتي أميرة الغناء والغرام والفصول

سفيرة الهوى الذي تعيش في كهوفه المخدرة

معذرة.. مليكة الزمان والعواطف المسافرة

بل ألف مقدرة..

على ماذا الاعتذار..

سننفض الأكف من عويلنا الطويل

صدقتِ.. يا بعيدة النظر

سيان أن يهلك رحلنا أسى أو نحتمي

من حرقة البكاء والتجلد.. ما دامت العلول

قد امحت ولم تعد تلوح المطي في المدى البعيد

رمزية موحية بصور تتجاذفها أطراف الخوف واليأس والرفض.. والنهاية التي لا

تأثير معها ولا أثر فيها، شاعرنا السيد يقترب من حافة القبر حيث ذكرى الموت..

في ذكرى الموت.. ما زلت أراني

ملقى فوق طراز مهجور

يتجنبه المارة وتغطيني صحف بلَيتْ

تحمل تاريخ الموت الأول

القبور لا ينبشها الأحياء.. إنهم يتباعدون عنها خشية أن تدعوهم إلى لحودها.. لا أحد يحب ما يكره.. حتى الموت نخشاه لأنها يد لا تعيد لها الحياة صحف طويت.. ولا صحف نشرت.. الباقي بقايا من تاريخ موت ورّثه الزمن في أجساد العفن.. حين لا يأتي للتاريخ مذاق حياة فإن طلولا تندب أسفاره وآثاره حتى ولو كان لها بهرجة نضاره السرابي.

العائد دون أبواب تفتح له يظل غائباً حتى ولو لامست كفاه شرّاعه الباب

ما أقسى أن تغلق في وجهي الأبواب

يا شيخي العارف بالله وأنا منذ التكوين أريدك

أعطيتك ما لم أعط السلطان

وتلذذت بكل صنوف الحرمان

لكن الدنيا سامحها الله ألقت بي خارج دائرة الضوء

سلبتني نعمة أن أجلس بين يديك

أتملى ألف هلال في عينيك

لكني والحق أقول.. لم أفتح صدري طيلة أعوام المنفى

لتعشعش فيها الأهواء..

شاعرنا له عذره لأنه خارج دائرة النسيان.. دواخله تفتش عن أمس ضائع رغم الإجهاد.. لا يهمه ما يكابد.. إنه يعاند التآكل في ذاكرته.. يطمع أن يكون ضيف تاريخ.. لا ضيف مؤانسة..

هل سمعتم بالطيور الذهبية شاعرنا وجدها وجداً ووجعاً بعد أن خدعتها الريح..

وراحت وراح يستعيدها أملاً جديداً:

ومضت ليلات الروض القمرية
تفرخ أعداداً.. كثمار الليمون
شربت كل مياه الأمطار
وابتلعت أجران الحنطة.. لم تبق على الأزهار
كانت تكبر.. تكبر.. تكبر..
حتى حجبت عين الشمس عن الأنظار

شاعرنا شاهدها.. ونحن مجرد شهود ما شاهدنا حاجة لأنها أغلقت مفاتيح فمها عن الشدو.. لم تنطق إلا لغواً.. من صفتها الذهبية تحولت إلى طيور ذاهبة بكل أحلام الربيع.. تقزَّمت بعد كبر.. ووسادة من خشب أشبه بالملقد من الخشب انها رفيق المحرومين والتعساء الذين فاتهم قطار الحظ بوساداته الحريرية وملاعقه الذهبية.. هكذا جاء نصيبهم من الحياة.. منهم من ارتضى به قسراً.. ومنهم من ضاق به شعراً.. وتمرد عليه.. أو سخر منه.. :-

لا شيء عنده اسمه الثبات والنبات
عطارنا العجوز لا يبيع غير الكحل واللبان والمخدرات
يقول كل ليلة بمجلس السمر
أنفقت عمري الكسيح لم أصادق الكتب
فضَّ نخاعها الكذب ولم أثق
بألف صف قام وانكسر
إلا بصاحبي أبي نواس..

الوسادة الخشبية مكتوب عليها بقلم الحرمان.. والسخرية ألف صف وصف يقرؤها أبو نواس.. وأولئك الذين يعزفون في دخان الخدر العقلي..

حملت شاهدي.. وكان من خشب فقد وجدته يقوم فوق قطعة الحصير
مذ ولدت.. وعندما كبرت جعلته وسادتي التي يموت فوقها التعب

ما دام شاعرنا اختارها.. فعليه تحمل نصبها وقساوتها.. إن ثرثرة لا اعتذار عنها (أم قصيده).. وعنوان شعره هي طويلة أكتفي منها بمقاطع.. وقواطع ترسم بعض ظلالها:-

هذي الأدواء لم يكشف جرثومتها مجهر
لكن كشفت عجز العلماء
وكذلك سموها عشرات الأسماء
لا يرفع أي منكم حاجبيه في استنكار أو يضحك في كمه
هذا عصر سخاء التكنولوجيا اعطتنا كي نسترق السمع. الأقمار
وهبتنا الذرة والليزر والغازات
كتبت للصفوة مرسوماً.. أن تضطهد المخلوقات..
فلماذا تحرمنا نعمة هذه الأقراص..

وجهان ساخران لعصر اصطدم فيه العقل بوظيفة ما أنجزه العقل.. تملّك أدوات البناء فهدم.. وصنع أدوات القوة فأنهكه ضيقه.. عطل صوت الحكمة في زمن هو أحوج ما فيه إلى الحكمة أودعها ثلاجات التبريد كي تتجمد حتى توحده مع نفسه ومع الآخرين تحول إلى صورة للرؤيا خادعة يحسبها الرائي تؤخذ رغم أنها دليل فرقة.. شاعرنا أخيراً يعتذر عن ثرثرته الطويلة والجوفا:- بعد أن استدرجه الشعر فعرى نفسه وعرى غيره وبات مكشوفا تحت الأضواء.. ترقبه عيون الفضول وتدب على وجهه الأحداق.. وتغوص كأحذية خضراء.. محمد مهران السيد ينزع في شعره نحو الرمزية المقروءة، يضع الحروف ويترك لغيره وضع النقاط عليها.. يرسم الصورة ويبقي بعض الألوان التي لا تنتقص من شكلها..

وقال الشاعر الجوال حدوتة وصفية أو حكاية من الماضي.. :-

عجيب أمر قريتنا وقصة بئرها والسور
حفرناها حفرناها.. وكدسنا بها الأعمار والآمال والموتى
وأعطيناه.. أعطيناه حتى جاوز المطلوب وكنا نؤثر الصمت

فكم تبنا على شعب وكم أخذت وكم أدمى

عجيب أمر هذا البئر المسعور.. أن يبتلع كل شيء ولا يعطي بعض شيء.. مهمته أن يعطي.. وإذا به يُعطى.. تفضح أمره مقولة الشاعر.. :-

كالعير في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

أو مقولة شاعر آخر يصف حالة الجانب الآخر الذي يكفيه ما بقي من كدر ماء وطين

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطيناً

شاعرنا يرسم هزال الحالة والضعف في جانبها الإنساني المحزن كيف يلتقي جمعان على غير لقاء.. ويتفقان على غير اتفاق.. شكلهما واحد.. وحقهما واحد.. وحقلهما واحد.. ومع هذا احتجا بعقلين.. واحد معقول بعقاله يتصرف بتضخم الذات وآخر لا يلقى مكاناً لعقله إلا مع الأموات.. والساغبين والبؤساء.. والباحثين عن رغيف عيش.. وعن قطرة ماء نقية لا كدر ولا طين فيها..

شاعرنا ينشد للوطن يستحثه ألا يكون أعزل من سلاحه كما كان.. ولا أن يكون مهزوماً كما سبق..

لا يا وطني.. إن سقط سلاحك مرة

وانكفأ المصباح على غرة فستنهض من كبوتك المُرَّة..

لا.. يا وطني.. فلتكسر بيض الأحزان..

ولتنزع هذا الليل من القلب

فأنا والأجداد عرفنا معدنك الصلب..

ودماهم تاريخك تحفر مجراها في الدرب

مقاطع وطنية تستنهض الهمم.. محاولاً أن تنفض عن ردائها هم الهزيمة.. وغم النكسة.. ووجع التاريخ

أمُّ شاعرنا تمنحه دروس حياة وتجربة عمر.. :-

يا ولدي.. لم أتعلم حرفاً منذ قطع الحبل جوار الفرن.

لكن العمر العاطل من أسباب الأمن..

علمني أن السور الواطي تقفزه حتى القطط العمياء

علمني أن الضحكة اقصر عمراً من كل الأشياء

علمني الألف إلى الياء ولذا وهن القلب ولاكته الأدواء

ونزلت البيت مساء يتوكأ نصفي المشلول على الحي..

أغلقت الباب عن أشيائي.. وتركت الحي قبل مجيئك من أرض الغربة جانب إنساني مشحون بالمأساة والوجع في حياة أم تمنح ابنها بعضاً من عظاتها:

معذرة لا تغضب لا تحسب أمك جامدة القلب

أسأل عني زاوية الحجرة فنجان القهوة..

لكن خمّنتُ وها قد صدق الظن

أو لم أجهر!؟ أن العمر العاطل من أسباب الأمن

أغفر لي ضعفي.. أو هذا الجبن

إن كان الزبد الأسود قد غطاك إلى الرأس

لا تعتب واشرب خلف جدار الصمت

وتجشأ حتى لو أورق في داخلك المر

فهذا الماضي والحاضر سيدهم سيجندهم

ويمزق أجفان الأعضاء ويأمرهم فتشبث

لا تُفلت من يدك الشعر

وأخيراً.. مع خاتمة القطاف والمطاف.. مع تداعيات الموت المختلفة..

من لم يذد عن حوضه بالدم يسقط ... ولا يمحو الجريمة ألف قربان يقدم

ويفر من موت إلى موت محتم ... قيلت لكم من ألف عام لكنكم.. لكنكم

يا أمة تصحوا الأنام يوماً وبعض اليوم ... وتعود تلتقط التمني من زوايا الحلم

واختتم الديوان بهذا المقطع المؤثر من متنوعات موته أي من تنوعات صوته الحي..

الموت يقبع في التعلل والأحاديث العجاف

فأسرح خصالك يا فتى.. لا تنتظر أنَا وسوفَ
ونحن نبني ألف برج للحمام فأركبه إذن
إن كنت مجنوناً بليلي واعبر على ضوء القمر
أو في الظهيرة لا تسل أحداً متى؟!
أو كيف خاتمة المطاف؟ ليلى هناك
يدب في أوصالها وقع النعال
تمضي الليالي وهي تنتظر الرجال
تقتات صبار الصحاري
وهي تنزع كل يوم من نتيجتها هلال
الشمس تحرق شعرها..
وتجف في لهب النهار على الرمال
مسكينة ليلى.. وكل ليلى أطبق عليها الليل بظلمه وظلامه..

شموخ في زمن الانكسار

- د/ عبد الرحمن صالح العشماوي
- ١٨٧ صفحة من القطع المتوسط

الشموخ في زمن الانكسار مواجهة هزيمة من أجل هزمها.. ومجابهة أخطار من أجل دحرها.. الانكسار مذلة.. والشموخ مدلة يقظة لا ترتضي عن النصر بديلاً.. شاعرنا العشماوي أوحى لنا من عنوان ديوانه بمنازلة بين ما هو واقع ذليل وآخر ينتفض عليه ليزيحه عن درب الحياة من أجل الحياة.

أمام قامة فلسطيني صغير رفع راية نضاله سعياً لتحقيق آماله جاء صوته:-

سحبٌ تلوح ورعدها يتكلم ... والأرض تسمع ما يُقال وتفهم

وأيضاً تسمع ما يُفعل:-

كانت ربوع القدس أرضاً حرة ... تُرعى كرامتُنا بها وتُعظم

ومضت بنا الأيام مركب حسرة ... ينجو.. وزورق فرحة يتحطم

ودقت ساعة الكفاح المقدس:-

وإذا بجبهة فارس متوثِّب ... يدنو ويرفع رأسه ويُسلم

مَن أنت؟ وانبهرت حروفي والتوى ... وجه السؤال وأثبتتني الأسهم

مَن أنت؟ مَن أنت؟.. ومَن أنت يكرِّرها في لهفة الصدى الجميل لقدوم فارس شبَّ في أحضان النكسة والنكبة.. وبقي واقفاً على قدميه يتحدى:-

طفل صغير غير أن شموخه ... أوحى إليَّ بأنه لا يهرم

طفل صغير والمدافع حوله ... مبهورة والغاصبون تبرَّموا

وتأتي الإجابة قاطعة لا وجل فيها:-

أنا من ربوع القدس طفل فارس | أنا مؤمن بمبادئي أنا مسلم
لغة البطولة من خصائص أمتي | عنَّا رواها الآخرون وترجموا
ناديت قومي والرياح عنيفة | والصمت كهف والظلام مخيم
ورأيت أعدائي صغاراً كلما | واجهتهم بيقين قلبي أحجموا
وإذا سألتم عن بني قومي ففي | كتب الحقيقة ما يُمضُّ ويؤلم
لو كان أمر الناس في أيديهمو | ما سف من ترب الهزيمة رستم
سكت الرصاص، فيا حجارة حدِّثي | إن العقيدة قوة لا تُهزم

تلك خلاصة الخلاصة لقصيدته الطويلة الجميلة:- سيوف تغمد.. وحجارة تنتفض في وجه الجلادين.. مفارقة بين ضعف القوة وقوة الضعف. هذا هو صوت فلسطيني يرفع عقيرة حجارته يقذف بها وجه العدو متسلحاً بإيمانه.. وطفل فلسطيني آخر يتحدث عن وطنه.. المضمون واحد.. كلاهما يُمسي ويُصبح للوطن فلسطين..

يستخرج لنا فارس رحلتنا قصاصات من حقيبة ذكراه اخترت منها بعض مقاطع لطولها:-

حرب.. ولكن الفوارس يلعبون! | والواقفون على خطوط النار لا يتلفتون
والسذج البسطاء باللحن الدخيل يدندنون | (يحيا أباة الضيم، يحيا الجائرون)

هذا مقطع.. وآخر:-

قوم يهزُّون السيوف على رقاب الآخرين
والآخرون يحرِّكون المطرقة:- تقسو، تلين
مليون راحلة ودرب الشوق أشواك تعوق الراحلين

ومقطع ثالث:-

شفة إلى لغة الهوى عطشى وقلب فيه نار

والمعصم المقتول يخنقه السوار

والصورة الشوهاء ضاق بها الإطار

نور.. ونار

ومقطع رابع:-

قدم تحن إلى الوقوف.. ولا يطاوعها الوقوف

قلم يحن إلى الحروف.. ولا تطاوعه الحروف

شمس يروعها الكسوف..

ورؤى بأعيننا تطوف

مقتطفات من لوحته البانورامية ذات الألوان الطيفية في إطارها سواد.. وفي داخلها حنين.. وأنين.. وبعض من حلم لا لون له..

في مقطوعته (دمع ودم) يقول العشماوي:-

دمـــع ودمـــع وصـــحيفة بيـــضاء ... في شـــوق إلى شـــفتي قلـــم

وقـصيدة مـا زال يهجرهـا الـنغم ... وجـــدار أســـئلة يقـــام

إنه الحرمان.. والعطش.. حين تلقى الماء دون إناء.. وتجد الغاية دون السبيل إليها.. أمام هذه الحيرة يتساءل:-

من أين أبدأ يا مدى؟

ومتى أرى الأزهار ضاحكة الندى؟ دمع ودم

والكاتبون على المناضد يكتبون

باعت عباءتها الممثلة القديرة!

رفعت عقيرتها المغنية الشهيرة!

ذهبت إلى باريس راقصة!

وأسمعنا مُرَقِّصها شخيره!

هذا هو زمنهم.. إنهم النجوم الشارقة بنجوميتها شئنا أم كرهنا.. دخلُ ليلة واحدة يساوي أجر ألف نهار عمل ونهار.. تتقاطع صور الشكوى في مخيلة الشاعر، تارة

يلتفت إلى أمه يبثُّها شكواه:-

أماه، هذا المعتدي وحش وليس له خلاق

فقفي على جبل الصمود أمام جائحة الفراق

وثقي بأن الحق منتصر.. وأن الله باق

ومرة أخرى يلتفت إلى بني قومه:-

أوّاه من قومي.. يعون ولا يعون

ما عاد وجه القدس يحمل غير خارطة الألم

يرمي إلينا قطرة مزجت مدامعها بدم

وبعد أن أنهكه التطواف الطويل صرخ:-

يا بسمة الأحلام في ثغر الزمن

لا تتركيني في مهب الريح يقتلني الوهن

يا عزيزي، ما تخشاه تحوَّل إلى طوفان كطوفان تسونامي.. اجتاح أكثر من قدس، وأكبر من بغداد.. إنه يزحف دون صدّ أو ردّ إلا بعض من مقاومة هنا وهناك تشير إلى أن في جسدنا الكبير بقية من بقايا الحياة:-

أيكون القلب صخراً؟ سؤال.. هل أعطى عليه لنا مجتمعين الجواب؟ :-

شاخت الأوهام في عينيكِ، ما أبصرت دربي!

وادَّعيتِ الحبَّ، ما أدركتِ حبي!

وتحاملْتِ على قلبي.. ولم تستشعري لهفة قلبي

إنها أبداً ليست حواء العاطفة.. أخالها الوطن في عيون حبيبته.. الحرية في مشهدها:-

أين ألقاك؟ ومن حولي ظلام وبلادي أصبحت موطن حراب

أصبحت قصعة أعدائي تداعوا حولها من كل حدب

شطرك الأخير يستحسن أن يأتي هكذا. "وبلادي أصبحت مأوى حراب" بدلاً من "موطن" كي يستقيم..

لا وقت لحب القلب.. حب العقل والحياة أولى، هذا ما أوحت به أبياته.. وبياته العاطفي:-

كل يوم وانا أحمل في كفيَ حجرا

كلما أطفأت ناراً أشعلتْ ذكراكِ أخرى

كل يوم وأنا أنفث إحساسيَ شعرا

كل يوم وأنا أغلق باباً وأنا أسدل سترا

كل يوم وأنا أفرغ في قلبيَ صبرا

وأرى اللحظة شهرا..

حمل الحجر في الكف يهز ثبات البيت ليت أنه كان صخرا، ما أن يندمل له جرح حتى ينفتح في جسده جرح أكبر وأخطر.. يعود إلى دوامة ألمه وعلى فمه لغة ساخرة:-

يا إلهي.. أيكون المرء وحشا؟!

أيكون القلب صخرا؟!

أيكون العدل في عرف طغاة اليوم إرهاباً وقهرا؟!!

آه.. ممن يتغنى بجراح الناس ذكرا

أيها الجيل الذي تغمره الأوهام غمرا

دعك من يأسك وافسح

لنسيم الأمل الصادق صدرا

أنت أولى باحتمال العبء لو تدري وأحرى

مقطوعته جميلة وموحية بدلالاتها، فيها الذكرى.. والتذكير.. فيها العظة.. والخشية.. وفيها الدعوة إلى الصحوة.

(فلسطين) في ديوانه القاسم المشترك الأعظم.. رسائله إليها ومن أجلها متتابعة.. الواحدة منها تختط لنفسها منحى له ملامحه.. هذه المرة يحاورها:-

أين أهلوك يا فلسطين؟ قالت:-

بعضهم أجهزت عليه الرماح
وبقايا منهم يُسامون ظلماً..
وكثير منهم على الأرض ساحوا
أين أهلي؟ يطرزون الأماني!
والأماني عن دربهم تنزاح
أين أهلي؟ مشرَّدون، وبابي
مقفل، والتئامهم مفتاح

مفتاح القضية ما برح ينتظر التئام الشمل الكبير كي ينفتح الباب المغلق. أتجاوز مقطوعته الشعرية المجزأة الأوصال بعنوان:- (أيُّ ليل تمطَّى فوق أرضي؟)؛ ليل مجموعة قصائده، وأتوقف بكم أمام سرادقات العيد الباكي.. الأشبه بسرادقات العزاء:-

أقبلتَ يا عيد.. والأحزان أحزان ... وفي ضمير القوافي ثار بركان
أقبلت يا عيدُ والرمضاء تلفحني ... وقد شكتْ من غبار الدرب أجفان
أقبلتَ يا عيدُ والأفراح نائمة ... على فراشي.. وطرف الشوق سهران
من أين نفرح يا عيد الجراح وفي ... قلوبنا من صنوف الهم ألوان؟!
من أين نفرح والأحداث عاصفة ... وللدمى مُقَلٌ ترنو وآذان؟!

المسجد الأقصى محطم الأمل، فؤاد القدس واله! الأمة نائمة! الليل نشوان بنومها! الذل منتجعات تُسكن! الربح خسارة:-

أصبحتُ في يد عيدي والسؤال على ... ثغري يئن.. وفي الأحشاء نيران
أين الأحبة؟ لا غيم، ولا مطر ... ولا رياض، ولا ظل وأغصان
أين الأحبة؟ لا بحر، ولا جزر ... تبدو، ولا سفن تجري وشطآن

ألم نقل:- إنهم نيام؟ والنيام غائبون عن الوعي.. أو مغيبون عنه..! :-

لنعطِ القوس باريه.. ولننتظر ماذا يفعل الفارس بسهمه؟ :-

سلام الله يا قدسي

سلام الله يا حيفا ويا يافا

سلام الله نبعثه وليل البؤس يغمرنا

سلام.. وعتب.. وصِلات.. وصلاة. كلها مجتمعة أمام محراب الإيمان تتبتل وتتوجع.. حيفا ويافا لن ترجعا.. أمام المشهد الفلسطيني أبواب أربعة لا خامس لها:-

باب شاروني يفضي إلى دولة عنصرية يهودية لا موطئ قدم فيها لديانة أخرى.. وباب فلسطيني يفضي إلى دولة عاصمتها القدس حدودها ما بعد ثمانية وأربعين من باب ما لا يُدرك كله لا يُترك جله.. وباب ثالث ليبي قذافي يفضي إلى اسبراطين؛ دولة فلسطينية يهودية تذوب فيها العقائد والأجناس.. وباب رابع يطمع في فلسطين واحدة كما كانت، وهو مطلب تحقيقه أشبه بمعجزة في ظل التوازنات الدولية القائمة، لا أدري إلى أين، وإلى أي شكل، وإلى أي زمن يتمخض الجبل فيلد....؟

أشعارنا هي إشعارنا بخيبة أمل مشوبة بانتظار دون مرارته وحرارته النار.. يتحدثون عن مشروعات سلام تطبخ على نار دافئة. أما شعر الشعراء فإنه وحده لا ينضج الوجبة.. وإنما يدفئها.. وقصيدتك يا عزيزي دافئة وجميلة، عابها تقطيع أوصالها إرباً إرباً كما هي الحال بالنسبة لفلسطين المجزأة والمقطعة الأوصال. نقش على حائطه الجراح.. لن يكون النقش إلا شاكياً وباكياً:-

ما جئت أسأل عنكِ التين والعنبا ولا أجادل فيك الترك والعربا

بل جئت أسأل إحساساً يحركني إليك.. أسأل جرحاً صار ملتهبا

يسأل عن طفل مكتئب.. وعن أيتام بُحَّت حناجرهم من وحشة اليتم.. ورياح ظلم عاصفة.. وهاربون استلذُّوا مذاق الخوف والهرب.. خطابهم شعارات.. وخَطْبهم لا يحرك فيهم ساكناً.. إنه يستصرخ:-

يا أمة العرب أفناكم تسابقكم إلى الخلاف.. فمن ذا أحرز القصبا؟!

لا أحد.. وفي مقطوعة (تألّقي يا حروف الشعر) يقول العشماوي:-

لا تطفئــي شمعــة، لا تغلقــي بابــا فقـد عرفتـكِ، وجـه الفجـر مـا غابـا
ومذ عرفتكِ عين الشمس ما انطفأت ومـذ عرفتـكِ قلـب الحـب مـا ارتابـا
تـألّقي يـا حـروف الـشعر واتخـذي إلى شـغاف قلـوب النـاس أسـبابا
تـألّقي يـا حـروف الـشعر واقتحمـي كهـف المساء الـذي مـا زال سـردابا
وخـاطبي قلـبيَ الـشاكي مخاطبـةً تزيـــده في دروب العـــزم إذوابـــا

ويتساءل:-

فكيـف تغـرق في بحـر جعلـتُ علـى أمواجـه مركبـاً للـصبر جوّابـا؟!

هـذا لا يكفـي.. مـاذا يـصنع مركـب صـبر لا يقـدر علـى مواجهـة الموج والاقتحـام.. والالتحام.. الصبر أحياناً لا يكون مفتاح فرج.. وإنما مفتاح تفرّج!.

وعن مخيمات الشتات يقول:-

نـــصب الليـــل خيمـــة الظلمـــاء وأبـــان الـــصقيع جـــور الـــشتاء
وصـــغير يخبـــئ الليـــل منـــه تحـــت إبطيـــه بـــاقيَ الأشـــلاء
وبيـــوت تـــبرَّأ الأمـــن منهـــا وكـــساها الإرهـــاب ثـــوب الـــشقاء
والعـــذارى نحيـــبهن نـــداء أيـن مَـن يفهمـون معنـى النـداء؟!
لا مجيـب، يـا صـوت ليلـى وسـعدى مـــات مَـــن يـــستجيب للـــضعفاء

مقطوعـة طويلـة جميلـة، أبياتهـا الخمـسة تختـصرها.. فـارس رحلتنـا يتجـه إلى أمّتـه عتباً.. وإيقاظاً:-

خجلـت ورب البيـت مـن حـال أوطـاني فـلا الحـرب أرضـتني، ولا الـسلم أرضـاني
فلـــست أرى إلا وجوهـــاً كئيبـــة.. ولـــست أرى إلا صـــراعات إخـــوان!
ولـــست أرى إلا خـــلاف وفرقـــة أعـــدنا بـــه أيـــام عـــبس وذبيـــان

رصـــاص، ولكـــن في صـــدور أحبـــة ... وعـــزم، ولكـــن في مـــوالاة عـــدوان!

وأخيراً مع صرخته في زمن الهمس يقولها هازئاً بالضعف والهوان:-

اضـربوا؛ فالخـضوع يلـوي الرقابـا! ... والـــشعارات تملـــك الألبابـــا!

اضـــربوا؛ فالنـسور طـارت بغاثـا ... والهـــزار الجميـــل صـــار غرابـــا!

اضـــربونا؛ فقـــد غفونـــا وســـارت ... في يـــدينا ســـيوفنا أخـــشابا

يـــــا أذل العبـــــاد إلا علينـــــا ... مـــذ غـــدونا لغيرنـــا أذنابـــا!

أبيات مليئة بالوجع يوجِّهها إلى المفسدين في الأرض الذين أذلونا وهم الأذلاء، لا لقوة فيهم وإنما لضعف فينا.. ويلتفت إلى قومه:-

يـا بـني أمـتي عـلام التغاضـي؟ ... ولمـــاذا صـــار الـــيقين ارتيابـــا؟

نحـــن أقـــوى بحقنـــا، فلمـــاذا ... نجعـــل الـــذل منهجـــاً وكتابـــا؟

وإذا استـــسلم العظـــيم بـــأرض ... فـــسيغدو الـــذليل فيهـــا مهابـــا!

نيابة عن شاعرنا أكملت علامات الاستفهام والتعجب اللازمة، وأكملت معه رحلة مطيَّتها أحلام أمة.. ومستلزمات وطن.. وأدبيات حياة علَّها تحرِّك السواكن.. وتستنهض الهمم.. شكراً لشاعرنا؛ فقد أدى ما عليه.

عواطف ومشاعر

- عبد العزيز بن محمد النقيدان
- ١٦٥ صفحة من القطع المتوسط

للعواطف خطابها.. وللمشاعر أدبياتها.. كلها تصب في مجرى واحد اسمه نهر الحب.. إذا كانت حلوة وهادئة.. وأحياناً في بحر الحب إذا كان هائجاً.. وعاصفاً.. يسلم من يسلم.. ويغنم من يغنم.. وتبقى العواطف والمشاعر مجرد صدى لحب قائم.. أو لحب غائم تحجبه عن الرؤية ضبابيات الشك والحيرة..

شاعرنا طرح على بساط مشاعره عواطفه ومشاعره كي نقرأها.. ماذا أعطى؟! سأنتزع من ديوانه دلالات حب لأجزاء عن وطنه تغنى بها:- عن القصيم هذه الأبيات:-

رأيت أرضك تبرا كم طربت لها ... ارخصت من أجلها الأكباد والنشبا
ملاعبي بصمات كنتُ أرسمها ... وما نسيت دُمى فيها ولا لُعبا
وما نسيم ترانيم الرمال بها ... تحكي البطولات مما يُطرب العربا

وعن بريدة المدينة الأم يقول:-

أتيتكِ مثقل الأعباء لكن ... رأيتُ بوجهك القبل العذابا
رأيت الرمل يحتضن العذارى ... ويرشف من ثمالتها رضابا
عروس الحسن ما أغمضت عينا ... وما أوصدت للإقدام بابا

وعن عنيزة يقول:-

ألقيتُ رحلي صغيرا في مغانيها ... وقد كبرتُ وما أنسى أهاليها
لم أنس أربعها في كل معترك ... وفي خطاها إلى الآمال تطويها

رمالها الحمر لم تبرح مخيلتي ... نخيلها شاهقات تزدهي فيها

وعن الرس يقول:-

أكبرتُ فيك مواقف الشعراء ... وزهير يشدو حول نبع الماء

وعلى ضفاف الرس ألف قصيدة ... وعلى الرسين قوافل النجباء

عش الغضا للغيد يفتح قلبه ... بين الرمال الحمر والانداء

وفي بطاح مكة يشدو:-

يا مكة الخير هل جاءتك أخبار؟ ... وهل لديك بهذا الكون أسرار؟

أبحرت في عالم بالنور متشح ... وللمُغنِّي طوال الليل إبحار

هذي السفوح تراءت لي على عجل ... هذي البطاح بها عطر وازهار

وفي طيبة الطيبة يتغنى:-

رأيت أمامي منبر الحق شامخا ... وفيه رسول الله بالحق يصدع

بطاح بها شع الضياءُ مؤيدا ... من الله.. لا يخبو ولا يتضعضع

تطوف بها الذكرى إلى كل مربع ... به حط رحل الدين يبني ويرفع

وفي مدينة الطائي، حائل شدا:-

فتنتني أنتِ يا عروس الشمال ... أي سمراء قد مشت في دلال؟!

في ثراك الجميل أنشودة الحب ... صوت الشعور بالآمال

حائل.. قصة الوفاء للمجد ... حديث الأجيال للأجيال

البيت الأخير ليس خطأ.. وأحسب أن صياغته تلافيا للمطب الواصل بين الشطرين أن يأتي هكذا:-

حائل قصة الوفاء لمجد ... وحديث الأجيال للأجيال

مجرد وجهة نظر

وعن أبها.. الشوق والطين قال:-

ترابكِ يا أبها من الخصب أخضر وأرضك معطاء ووجهك نيّر

كأنك عنقود شهي مذاقه ومن كرمها المعسول نجني ونعصر

رأيتك في شمس الأصيل كدرَّة وخدكِ ورد في حيائكِ مزهر

في الشطر الأول جاءت كلمة (وأرضك معطاء) الأرض مؤنثة، ومعطاء مذكر كأن ترد (وارضك معطاءة) ولكن لأن الشعر يضبط بحركته وقافيته.. كنت أرى استبدالها ب(ترابك معطاء) بهذا تستقيم الجملة لغوياً وشعرياً.

وعن بلد النخيل.. وأخالها الأحساء يقول:-

بلد النخيل أنا هنا حقا أتعرف من أنا؟

أنا درة في ثوبك ال خالي تفيض تحننا

الطير يألف وكره الحاني ويرفل بالهنا

مقاطع مجتزأة من قصائده التي فاضت حباً ونماء، وانتماء لوطنه بقدر ما جاءت مشوقة فإنها شائقة.. ومعبرة عن مكنونات نفسه..

الرمل يكاد يكون قاسم مشتركه الأعظم.. والنخيل أيضا مصدر إلهامه من جانب، ومن حزنه على تلك النخلة التي ما زالت قائمة تعطي رطبها الجني وهي تواجه العطش.

(مشاعر.. ووطن) اختارها العنوان للديوان رغم قصرها.. هل لدلالتها؟!

الرؤى والسناء ملء أهابه وسنا الحسن في اتقاد اشتبابه

تتغنى به الطيور نشاوى تتراءى مزدانة في رحابه

من ذا يكون إن لم يكن الوطن الذي صدحت له الحياة، وشدا له الطير، ونَفْح الأريج ملء ترابه.. وخرير المياه في سواقيه.. وكثبان الرمال الذهبية تتوازع ترابه ويبابه..

إنها صورة تغنى بها الأهل وعاشوا الجمال ملء أهابه

الوطن هو الأغلى لأنه منبت حياة.. ومصدر نماء وانتماء.. لن أذكر شاعرنا بعاصفة بيته على الرغم من انها عاصفة لا يقوى عليها ساتر النسيان.. واقترب معه وبكم نحو التيار المضاد:-

رويدكَ لم تصبح بأرضي فراشة　　وما كن بين العالمين شهاب
رويدكَ قد أبحرت في عالم الدجى　　تقودك يا خد الوفاء رباب
فما أبصرت عيناي وردا معطرا　　يفوح، ولم تسبق إليه حراب

يأس ضارب في الأعماق متجذر في الآفاق.. هل إنه جنون حب لا يرحم؟

أطأطأ رأسي كالطفولة رقة　　وتحطم آمال الخدين رغاب

ملاحظتان عابرتان، الأولى صحة (أطأطأ رأسي) (أطأطئ رأسي)، الثانية (وتحطم آمالي) الواو زائدة يلزم استئصالها لصالح الوزن.

وتصطاد قلبي حين تعلن ودها　　وكم حز في نفس الوفي كِذاب
نسجت خيوط الحب من بين أضلعي　　وهل عاش حب في الحياة يباب
وما كان قلبي للحسان مذللا　　لهن عليه في المساء عتاب

خيوط نسيج حبِّكَ لا تصلح ثوبا لها. الكذب خداع.. والحب لا يقبل المراوغة ولا الخداع..

قصائد شاعرنا ممتعة ومترعة بالصور التي تلامس الحياة بكل ألوان طيفها.. سأمر مرور الكرام على بعضها لكثرتها:- (ليت العمر ما كان)، (نغمات من البادية)، (الليل والشاطئ)، (غادتي)، (وردة الحقل)، (المرأة والعلم)، (إليها في الفردوس المفقود)، (عودي)، (ابتسمي)، (يا زهرة في خاطري)، (وداع والهام)، ونتوقف معا أمام قمرين، عربي، وعبري ماذا بشأنهما؟

قد كانت الأقمار ملء حياتي　　لغة تفتق ألسن الشعراء
يا شاعر الأقمار هل أضحت لنا　　نفس تحلق في ذرى الجوزاء

إن كانت الأقمار تمطر رحمة ... فهو العذاب لدولة وعناء
قمر العروبة للحضارة رائد ... يُعنى بكل تقدم وإخاء
قمر سما للعلم في آفاقنا ... لم يسع للتخريب والأرزاء
وإلى متى صهيون تسكن أرضنا ... وهم الغزاة مشردي الضعفاء؟

لعله يقصد الأقمار الفضائية.. القمر العربي.. والقمر العبري.. الذي يتجسس به الأعداء على أوطاننا وأهلنا.. العالم الآن كله يتوجس الشر من بعضه.. ويتجسس على بعضه بكل وسائل التكنولوجيا المتقدمة.. إنه في سباق محموم إلى الهاوية. جراح شاعرنا غائرة.. ومن حقه أن تثور جوارحه.. وجوارحنا معه:-

لا تقولوا جدَّت جراحي فجرحي ... ثائر يمتطي جناح الكفاح
لست أرضي مذلة.. وبلادي ... تحت قيد الأنوك والسفاح

(الأنوك) أجهل معناها.. صدقني .. لعلها "الأفاك" من الإفك.

لم ينم ثأرنا.. وكان سعيرا ... منشدا عودتي قبيل الصباح
ما مضى خالد ولا غاب عمرو ... وقوانا مشبوبة لصلاح
لا تقل ذلة النفوس ففيها ... أمل عارم لنيل النجاح

لا أرى صدى أعقب به على أبياتك الثائرة بالأمس أصدق من أبيات غنتها المطربة نازك تقول كلماتها..

ما تقلشِ كنا وكان ... يا ريت ذا كله ما كان

كلام الليل محاه النهار يا صديقي.. حكاية الأمس تحولت إلى أحجية تروى في مجالس الظرفاء.. القدس التي غنيت لها باتت حلماً بعيد المنال:-

هذه القدس صراخ ودماء ... واللقاءات حديث ونداء
أترى يرحل الداء عن الجسم؟ ... ويسري في الشرايين الشفاء؟
نار صهيون حريق قد سرى ... في كيان العرب هل يطفيه ماء؟

الماء لا يطفئ؟ الفداء وحده هو الذي يطفئ حريق العدوان والطغيان..

من الماء الذي لا يطفئ إلى الشعر الذي لا يعجب:-

لا تزرنــي فلــيس بحــرك بحــري ... أنـا معـروف وأنـت في التيـه تجـري

أنــت لا تعــرف الــروي ابتــداء ... والقــوافي منحــورة فــوق صــخر

هــل سـباك الجديـد روحـا وعقـلا ... فلبـست الثيـاب مـن نـسج هـذري

أمــتي انجبــت غــرار القــوافي ... وتغنــت فــوق الربيــع الأغــر

وجهة نظر لشاعرنا.. أجمل الشعر ما جاءت مشاعره صادقة ومعبرة.. لغة العالم واحدة أجملها أزكاها وأذكاها.

شاعرنا النقيدان يخاطب نجله الصغير محمدا:-

تبـسم الفجـر في عينيـك يـا ولـدي ... ويـرقص القلـب في رؤيـاك عـن كثـب

بابــا ترددهــا حينــا فتُــسمعني ... حلـو النـشيد وصوت الطـاهر الحـدب

أرى بعينيــك طهــرا لا مثيــل لــه ... وأي لحـن كصوت الطفـل منـسكب؟

غــدا اراك بــإذن الله منطلقــا ... نحــو الثقافـات بـين العلـم والأدب

خواطر أبوية جياشة.. ومن ابنه الى الشجرة التي تحدثت إليه في عرسها الكبير يوم غرسها:-

ظلمـوني بـأنني يقـتلني الـصيف ... وفي موســم الــشتاء يبــاب

البيت مرتبك يمكن ضبط حركته على النحو التالي:- (ظلموني بأنني اتعرى عند صيفي وفي الشتاء يباب)

وان اليــوم كــالعروس شموخــا ... وعروقــي يــصب فيهـا الــسحاب

انـا أصـبحت في القـصيم حـديثا ... وقطافــا ثمــاره الاعتــاب

لا أعــرف هــل (الأرطــاب) جمــع رطــب جــائزة.. إن كانــت كــذلك فحبــذا،..

(الوجود صفحات كونية) هذا هو العنوان.. واسأل عن المضمون..

رب إنـــي عـــن الوجـــود بيـــاني مبـــدع الكـــون خـــالق الإنـــسان
تتجلـــى روائعـــك العظمـــى نـــشيدا معطـــرا بالبيـــان

ويسترسل قائلا:-

كـل هـذا الوجـود نفـح تـسامى مـــن عطـــاء المهـــيمن الـــديان
تـشرق الـشمس تمـلأ الجـو دفئـا وحيـــاة تـــدب في الأبـــدان
والنـــسيم العليـــل جـــاء ربيعـــا مخـصبا هـش للغـصون الـدواني
وطيـــور مـــسبحات نـــشاوى حـول اوكارهـا تـذوب الاغـاني
صـــور مـــن حياتنـــا وشـــعور إنـــك الله مبـــدع الأكـــوان

القصيدة يا صديقي مرتبكة في بنائها الشعري تحتاج إلى إعادة نظر.. ثم الشطر الأخير كان يحسن أن يأتي (إنه الله مبدع الأكوان)

ماذا يقول شاعرنا عن مشهد حزين دفعت امرأة دمها ثمناً له؟ أشعر انه لا يعني امرأة بعينها بل كل امرأة بريئة يهدر دمها على مذبح الاحتلال.. والظلم، والتسلط.. فلسطين والعراق والبوسنة والشيشان وأفغانستان ولبنان نماذج باكية لتلك الضحايا أطفالاً، رجالاً، شباباً، كهولاً، ونساء.. إنه يتساءل:-

افتغـــريكم الـــدماء ســـيولا؟ بـــئس هـــذا النجيـــع مـــن اغـــراء
الثكـــالى قـــصائد مفزعـــات واليتـــامى مخنوقـــة الاصـــداء
يبـــسم الطفـــل للحيـــاة ســـعيدا ثغـــره مـــشبع بفـــيض الرضـــاء
واذا فرحـــة الفطـــام رصـــاص يئـــد الزهـــر في ربـــى الـــصحراء
الحمامـــات في الوجـــود جـــذالى بـــين ظهـــر ورقـــصة وغنـــاء
قتلوهـــا وللهـــديل بقايـــا قتلوهـــا في ليلـــة لـــيلاء
فاســـألوا تلـــك المخالـــب عنهـــا ســـيجيب الوجـــود بحـــر دمـــاء

قتلوا في النفوس أنشودة الطهر فجنَّ السلام بالأرزاء

القتلة معروفون.. ولأنهم يتملكون ناصية القوة والبطش لا أحد يقف في وجههم ممالأة لهم أو خوفاً منهم.. هذا ما يعيشه عالمنا البشري منذ القِدم وحتى الساعة امبراطوريات طغت وزالت.. ودكتاتوريات بطشت وزالت.. وأخرى ما زالت تلعب لعبتها المجنونة وتنتظر نهايتها يوماً ما.. القوي وحده هو الله.. والحق وحده هو الذي يبقى.. ولكن بإيمان يحميه.. وارادة تدفع وتدافع عنه.. الشعر وحده لا يستطيع تجفيف دمعة واحدة من خد محروم أو مظلوم أو ميتم..

شاعرنا يختتم مقطوعته الشعرية (مقتل امرأة) بهذه الأبيات:-

أيها الغارقون في الطيش مهلا قد أذيتم عواطف الشعراء

تتلاشى الشموع في عهدكم المر صديدا يئن في الارجاء

لن تزيلوا ما خط في الأرض دوما من جلال أو فتنة أو بهاء

لن تزيلوا من العذارى قلوبا تملأ الكون نفحة من ولاء

وقبل أن أودع شاعرنا واودعكم له.. أهمس في أذنه.. القصيدة في صياغتها.. وتركيبتها غير متناسقة.. يغلب عليها طابع الاستعجال.. أحسب أن شاعرنا بموهبته الأقدر على إعادة بنائها الشعري.. القصائد فيها الكثير من الأخطاء المطبعية غير تلك التي جرى التنويه عنها.. ثم عنوان (مقتل امرأة) لا يفي بالمشهد الذي تحدث عنه.. يمكن أن يكون صحيحاً لو أنه قال:- (مقتل شعب) لكان صائباً.. وبعد:-

شكراً لصديقي الأستاذ الزميل عبد العزيز النقيدان، كنا وإياه سوياً في رحلة شعر جميل، ومشاعر نبيلة كانت لنا منه بمثابة الزاد الذي أثرانا جميعاً.. وأثَّر فينا تفاعلاً.

للجراح ريش.. وللرياح وكر

- نقيب حمد حميد الرشيدي
- ٧٥ صفحة من القطع المتوسط

الجراح لها أجنحة تنبت ريشا.. والرياح لها وكر ينفض عنه غبار الصمت وينشره ساحقا ماحقا.. الأعاصير ولادة رياح.. والطوفان الطاغي ولادة رياح.. وجنون الغضب.. وجنون الحروب ولادة رياح كامنة في صدور من لا يستهويهم الحب.. ويتعشقون سعار الحرب..

الرياح صوت طبيعة غاضبة.. كما أنها صوت طبع متمرد على حقيقة الانسان السليمة.. والمسالمة..

الرشيدي.. لعله يرشدنا بجراح ريشه.. ورياح وكره.. ويوصلنا جميعاً معه إلى مبتغاه..

ترنيمة الوطن.. وطنية التراب.. يقول فيها:-

أقم للشعر أمسية ... منابرها السعودية
وغنِّ لمجد هذه الأ ... رض ملحمة بطولية
وقل:- أيها الشادي ... طهارتها الترابية

جميل أن نقول.. واجمل منه ان نرفع بصوتها إلى مرحلة عمل تؤكد.. وتجذر معاني.. وما اعني من قول:-

تيمّمها صعيدا طيبا ... بخضر قدسية
وعانقها ينابيعاً ... بلهفتك السرابية
أدرها كالمرايا في ... ملامحك الفضولية

يا عزيزي.. لا نريد لهفة سرابية.. وانما لهفة شرابية تدفع إلى ورود المورد. كما لا

نريد ملامح فضولية، وإنما ملامح رجولية.. أليست الأرض ؟

هـــي الأرض الـــتي سكنــــــ ـــــتك خــــصبا وانتمائيـــــة

فمـــا أكـــل الجـــراد بهـــا نــــــضارتك الربيعيـــــــة!

الجراد فينا من ينتظره في لهفة وشوق ليأكله.. الآكل مأكول.. وما هو غير معقول معقول! وما هو غير مقبول مقبول.. هكذا أمزجة البشر وأذواقهم..

هـــي الأرض الـــتي احتـــضنت براءتـــــــك الطفوليـــــــة

فكانــــت نكهـــــة الماضــــي وبهجتـــــه الحـــــــضورية

وربما لبعده عنها صعَّد حنينه لها وهو الشاعر :-

ومـــا زلنـــا نحـــنُ إلى قوافيهـــــا الخليليـــــــة

تـــرنم يـــا نـــديم الـــشعر منتـــــــشيا بعفويـــــــة

القصيدة تعاني من بعض التقريرية.. ومع هذا فهي مليئة بصور الحب.. نبرحها إلى حيث النداءات..

أنتَ يا من تسرِّح الخيل على فنجان قهوه
وتجاري ذعرها الشاكي على منقل جمر
هاك وجها في عيون الليل خدش يتسلل
هاك قلباً عربياً بين ذبيان وعبس
كتشظي النور عن تيجان إبل..

هكذا يحن العربي إلى أصله.. إلى قديمه.. إلى مرابع ومراتع صبوته إلى الصحراء.. والخيمة.. ومناقل الحجر والجمال والجبال يستعيد بها صورة الماضي.. إلا أنه سرعان ما يقفز بنا إلى عالم آخر..

انت يا من تستحث الخيل في حلبة يعرب
لا تصفق.. لا تقل داحس يسبق
أو به الغبراء تلحق دعهما يا صاحبي

يئدا الاحقاد في ميداننا

لا تجدل عقد الثأرات في أحفادنا

جميلة هذه النقلة الشعورية التي أخرجته من ربقة التاريخ المعاكس.. إلى وجه التاريخ المشاكس الذي يأبى إلا أن يكون صوت حب لا صوت صراع.. وشحناء أثارته العواطف الرعناء في مرحلة غياب عقل وبناء.

الصعلكة (محطة جديدة)..

يا بنت الجلاد الأسود في بيتكم الأسواط تنض دما

وأبوكِ على شفتيه يطن ذباب الأرواح الأزرق

وأنا أنشد..!

(مضناك جفاه مرقده.. وبكاه.. ورحَّم عوَّده..)

يُرجع لنا أغنية عبدالوهاب كجواب.. وخطاب لابنته ذلك القاسي الذي لا يرحم.. إنه يطرح المشهد كاملا أمام عينيها:-

العمـر يـشيخ علـى أبـواب مـدينتكم ... والدرب عنيف مثل أبيك الفظ المستبد

بـالله عليك اغيثيني إنـي بـدوي رحـال ... لا أملـك غـير عـصاتي ومـسبحاحي

هـاتي سـلكا مـن سـوط أبيك الإرهـابي ... هـاتي مـن شـاربه إبـره

خيطـي ثـوبي المقـدود علـى ظهـري ... ذرِّي قيـصوم الحـرة في بقيـا نفـسي

الصورة قرأتها كما أريد.. خيبر وحرتها حيث كان لليهود غدر وخيانة ونكثان عهد في الماضي.. وحيث لهم في الحاضر دموية ووحشية واخلاف وعد وهو ما أعنيه. والصورة قرأتها كما يريد هو أيضا في وجهها الثاني حيث المشهد الحياتي لشاعرنا الذي عاشه في أودية ثمد يكابد.. ويعاني ويغني.. ويجادل حبه الذي استعصى عليه.

بالله عليك استقصي أوجاعي

رقي لي من أشواك دروبي المسمومة يا سيدتي

يا مرآة الوجه المنسي من الزمن العاتي

بالأمس كانت مذكورة تتطلع إلى غيرها من الأعلى.. وتخلى عنها الأعلى إلى الأسفل مع دورة الزمن الذي لا يرحم.. ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع..!

(حمى الليل) اصابتنا بالقدر الذي أصابته من الرعشة :-

ويأتي الليل محموما.. وئيد الخطو يغشى حبنا الشرقي بأجنحة غرابية

وفي حجب الغروب يُدس قرص الشمس فتندثر الشوارع تحت أشلاء الدجى الحالك

لوحة فوتوغرافية رسمها الشاعر لحظة مغيب نهار وقدوم ليل موحش يمزق صمته أحياناً أنين أجساد مصابة بحمى الليل.. وحينها يذوب الصمت في دوامة الهذيان.. مع هذا الإحساس بلهث الأنفاس يبحث عن صوت قلم يصرخ بالشكوى.. ويرسم المشهد الشاكي من حوله..

اسلُّ يدي إلى قلمي ومحبرتي
لأكتب أحرفاً ولدت على شفتي قبيل الموت
فتنتفضني ارتعاشات كغصن في مهب الريح
ويسقط من يدي قلمي.. ومحبرتي..

أمام العجز عن طرح الشكوى.. وتوصيف الحالة تكتمل الصورة.. وتنطق ولكن في صمت.. اتجاوز بكم الغربة السوداء.. لأن لا غربة بيضاء.. الغربة وحدة انسان.. ووحشة مكان.. ومتاهة زمان.. عزَّ علينا أن يبتلعنا التيه ونتوه في دروبها السرابية.. شاعرنا الرشيدي توسد رصيفه الثاني وهو يتأوه وجعا :-

غريب انادي بفرط الأسى وفي مقلتي دمعة جامدة

إلى أين يا مركبا ضمني تقاذفك الابحر البااردة؟

إلام وأنت رفيق الرحيل وعنك عيون الهدى راقدة؟

أترضى الممات غريبا، ولن يُصلى على روحك الصاعدة؟

يكفنك البحر في ظلمه على الرغم من عينه الشاهدة؟

بهذه الحيرة والتساؤل يبحث عن جواب يجيبه عن حيرته الشاردة :-

فكيــف أناشــد فيــك البقــاء وروح الفنـــاء هـــي الـــسائدة؟

فناء الجسد حقيقة.. وفناء الروح نحن المسؤولون عنه.. يقظة الضمير تملك عودة الروح والجسد معا.. ملاحظة (الإم) احسب أن صحة كتابتها تأتي (إلى م)..

(للجراح ريش.. وللرياح وكر) العنوان للديوان :-

كلما هزت رياح العشق جذعا خلت أني ألمـــس الأرض وأنفاســـي جنـــاح

وجراحـــي بعـــض ريـــش ســـاقط مـــن علـــى وكـــر الريـــاح

وأراك حـــين تـــأتين إلـــيَّ مـــن بعيـــد هاجـساً ينفـضني مـن غبـار الأسـئلة

لماذا هذا الخوف ولا أقول الانهزام؟ حين تنتفض الريح تنتفض معها أسئلة كبيرة عن درء أخطارها.. فالحياة إرادة أقوى من عاصفة موقوتة سرعان ما تزول.. لا أريد لغبار أسئلتك أن تتوارى تحت ستار الخشبة.. فجِّر في عينيك الدموع.. وأطلق من لسانك الأسئلة تجد الجواب عليها من داخل وعيك.. ملاحظة الشطر الرابع ناقص يحسن أن يكون هكذا "من على وكر تغذيه الرياح".

نتجاوز وإياكم بعض محطات الديوان.. وننتقل دون أن ننفعل فالجادة تأخذنا نحو مرتفعات تضاريس الوجه الراحل.. التضاريس وعره..

يا ضياعا فيك ماء الوجه ضحل.. أين اخلو

في زحام وقته أضاع شاعرنا خرائطه.. وعناوينه القديمة :-

آه.. ضـيَّعت الأدلـة.. والمرايـا أجنبيـه غترتـي طـارت بهـا موجـات ريـح تتريـه

وعقـــالي.. آه مـــاذا عـــن عقـــالي؟! انـــه مـــشنقة العـــصر الغبيـــة..

العقال ليس ذنبا.. نعلق على دائرته السوداء كل اسقاطاتنا.. العقال عقل لو حررناه عن قيد حركته ما أمكن له أن يشنق.. ولا أن يهتز أمام رياح التتر، والمغول.. القدامى منهم والمحدثين.. مشكلة عالمنا المستضعف أنه لا يذكر شيئاً.. ولا يحاول أن يذكر شيئاً.

لم أعد أذكر شيئا

غير أني صفعة النسيان في وجه الحقيقة

حين تصفع الحقيقة وجه النسيان نذكر كل الأشياء دون تذكير.. (قراءة في سفر ابن يعقوب) نقرؤها معه:-

أيا سيدي.. وللسجن في داخلي ألف نافذة نصف مفتوحة
كأفواه تلك الذئاب البريئة من دمك المدَّعى
يا سيدي.. رأيتك فيما يرى النائم
وليل الردى كضرير تحسس في مقلتي عصاه
لتغشاهما حمرة الشفق الرمدي الذي يتثاءب فجرا
وراء نوافذ سجني التي ينتهي عند قضبانها عالمي
فخذ بي.. ودع نورك المتجلي يضيء سراديب حزني

هكذا شاهد وهو يستغرق حلمه ابن يعقوب وقد فرد شراع نوره في الأفق الواسع.. يوسف السجين.. والأمين. والمنتصر تلك إرادته قاوم الغي.. والمؤتمرين به.. انتصر.. أعطى لنا درسا مستفادا.. هلا أخذ به شاعرنا دون أن يستنجد..؟ البكاء أمام عتبة الماضي لا تجدي.

(الخروج من الذاكرة) عنوان قاتل.. احسبه بداية موت.. لا حياة من دون ذاكرة..:-

كهوفا تملأ الطرقات أعيننا ... دفوفا يقرع الترحال أرجلنا
تلبدنا ذيول الخوف ... تسحلنا على آثار من ضلوا
وراحوا يمضغون حثالة الشكوى ... وفي المنفى يكنسنا هراء الوقت تاريخا بلا جدوى

من لا يملك ذاكرة لا يتذكر.. وانت بذاكرتك تطرح مشهد الشكوى تذكر به.. ولكن في يأس لا اتقبله.. وفي بؤس لا ارتضيه لك.. نعم للحياة وجه جامد معتم كالليل.. ووجه باسم جميل كالنهار.. وكالأقمار.. وكالأطيار التي تغرد.. خذ وجهها المشرق ولو في بعض أوتارك.. رجِّع للحياة. ومن الحياة لحنا يمنحنا وإياك رحلة عبور تأخذ من ألم إلى أمل.. ومن أمل إلى ألم.. الوجع دائما يضني.. ويغني.. :-

أيحملنا حمار الوقت أسفاراً معقدة ؟ عتيق سرها عنَّا.. بليد جرحها منَّا..

لندع الحمار.. وحمله.. نحن الذين نتحمل وزر ما لا نسترجعه، ولا نرجِّعه. (ماء، ودماء) حائر هذا العنوان.. فهل يبقي لنا شاعرنا الرشيدي رواء الماء. ويعفينا من حمرة الدماء؟.. مقاطع من قصيدته :-

تمـــازحني الحيـــاة ولـــست أدري ألـــون العمـــر مـــاء.. أم دمـــاء؟
كطفـــل بالـــدمى يلـــهو بليـــدا وفي أظفـــــاره نـــــار ومـــــاء!
عجيـــب بـــين خلـــق الله طبعـــي دوائـــــي في عيـــون الغـــير داء
نفـــضت غلالـــة الأحـــلام ريـــشا وعـــش العمـــر ينـــسجه الهـــراء

وفي قنوت يمزجه شيء من القنوط يتوجه إلى قدره حائرا لا يدري إلى أين يتجه:-

بـسطت يـدي اليـك فكنـت أشـقى مـن الأيـدي الـتي بـسط الـشقاء
تمـــزقني الظنـــون وليـــت شـــعري أكلـــي منـــك خـــوف أم رجـــاء؟

تساؤل عميق.. وخطاب شعري جميل فيه الصراع بين عقله وقلبه أيهما يأخذه معه.. الحيرة أحيانا رسالة يقظة.. أحاول جاهدا أن أتلمس عبر المسيرة محطة أو أكثر نسعد بشقاوتها معه.. ونشقى بسعادتها معه.. في كلتا الحالتين كان للرشيدي صوت مطبوع ومسموع..

(لغة العيون) شدتنا بصورتها :-

عطفـــا علـــيَّ بهـــذه النظـــرات لا تفجعـــي المـــسكين بـــالعبرات
ارجـوك غـضي الطـرف انـي عاشـق قـــرأ العيـــون وراء عـــشر لغـــات
فلـق الهـوى العـذري حبـة قلبـه فأســـال دمعـــا انبـــت الحـــسرات
قـد كـان يحلـم باللقـاء فراعـه شـبح النـوى في غمـرة الـسكرات
مـا عـاد يعـرف أيـن يعتـق عمـره هـذا الـسقيم بمفـرق الطرقـات
مـــاذا جـــرى قـــد قالهـــا وفـــؤاده يخبـو كمـصباح الظـلام الـشاتي!

حمل الجراح وراح ينقش حزنه   سرا يئن على رحى الخطوات

حتى الحب الذي أحببناه.. وانتظرناه.. وتمنيناه ذهب في مهب الريح.. ماذا أبقيت لنا في رحلتنا الشيقة معك غير أشواك لا تجرح.. وأشواق لا تبرح مكانها.. (البعد الآخر) يقول فيها :-

يراوغني وجهك الزئبقي   وكل طريق إليك شقي

تئن الخطى والنوى بيننا   أصم يحملق كالأحمق

أما كان يا صاح ذاك الطريق   اليك انتهى فمتى نلتقي؟

صور وجدانية رائعة في وصفها.. وفي توظيفها لمفرداتها أختمها بهذين البيتين المعبرين:-

أيا صاحبي والمودة غيض   يفيض من الزمن المهرق

كثير بحقك مني القليل   وانت أقل كثير بقي

أخيراً مع خاتمة ديوانه (لزومية مالا يلزم) التي ذكرني بها لزومات مالا يلزم لرهين المحبسين الفيلسوف والحكيم أبي العلاء المعري:-

لقد خانتك يا صاح التجارب   وغرتك الأماني بالمآرب

ظمئت فكنت اظمأ من سراب   ووجهك مبحر كشراع قارب

تقاذفك الرياح ولست تدري   أأنت إلى مشارق أم مغارب؟

وحولك من بني الدنيا رعاع   أقاربهم كما قالوا عقارب

على الأحقاد والبغضاء عاشوا   لئاما يفتلون لها الشوارب

يسرون العداوة في قلوب   تنوء بسودها سود الغوارب

أباعدهم عليك وعيد شر   وما أشقاك منهم بالأقارب

فإن سالمت فاحذرهم عدوا   وان حاربت فاعرف من تحارب

بهذه المقطوعة الساخنة في نبراتها، الدافئة في صدق دلالاتها يتوقف ركب الرحلة..

وللصدق.. ودون مجاملة فلقد قرأت مجموعة شاعرنا الموهوب حمد حميد الرشيدي وخرجت من قراءتي لها بمجموعة جمل جميلة تنم عن مقدرة في رسم الصورة الشعرية.. وشحنها بأدوات التعبير الموصلة إلى المضمون مباشرة دون افتعال.. أو سرد ممل يخل بجمالياتها.. مجموعة قصائد قصيرة.. إلا أنها متكاملة تمثل رؤية شاعر اختار في شعره أن يحتار.. لا للحيرة نفسها.. وإنما لتوظيف حيرته كخبرة.. وتجربة ساخنة لا تؤذي.. وإنما تؤدي إلى مفهوم الوعي الحياتي الذي ينشده..

رسائل إلى ابن بطوطه

(١)

- عبدالله عبدالوهاب العباسي.
- ١١٠ صفحة من الطعة الكبير.

ابـن بطوطـة رحالـة قطـع الأرض طـولاً وعرضـاً يستكـشف.. ويوظـف مـشاهداته تـذكيراً بهـا.. وذكـرى لهـا.. لأنهـا أقـرب الـسبل وأنجعهـا لنقـل صـور غائبـة عـن أذهـان الكثيرين ممن لا يقدرون على الترحال والتجوال في أرض الله الواسعة.

كثـرة هـم أولئـك الـذين جـابوا.. وغـامروا.. ورصـدوا لنـا إضـافات لا نعرفهـا عـن شعوب.. وعادات.. ومظاهر جغرافية وديموجرافية لعالم لا نملك المعرفة عن تقاليده.. وحركة حياته.. وشاعرنا اختار أن يكون رحالة بطلاً لديوانه.. ماذا يعني؟!

بداية عرَّج العباسي في رحلته :-

يا ابن بطوطة مثلك شدتنا الحان الغربة
أخذتنا أخذا. ساقتنا وخزا
حملتنا نحو مسارك فأضعنا درب العودة

ابن بطوطة عاد بعد اغتراب.. أين ابن بطوطة لماذا ضاع..؟

غابت عن أعيننا الشمس بغابات الليل الحالك
ضعنا. بل ضُعنا. لكنا لم نتسول
لم نسأل أحداً أن يؤدينا..

إنه ضياع لا خوف فيه.. ولا خشية منه.. إنـه مجـرد استـشعار بـضياع آخـرين يخـاف علـيهم صـرعة المجهـول في عـالم مجهـول.. العباسـي عـبر درب رحلتـه فمـن الـشام إلى الفـسطاط في قـاهرة المعـز.. مـروراً بالـصين. والهنـد. وأرض الـواق الـواق.. عـبر بعـضها

ارتجالاً.. وبعضها خيالاً.. ومع هذا آثر الصمت المطبق.. وكتم الأنفاس ولزم ركناً في باب زويلة انتظاراً لفرج قادم.. الصور التعبيرية لشاعرنا رقراقة وهو يشهد المشاهد من حوله صامدة.. وصامتة.. وأخرى متداعية..

أعوام مرت لا ندري كيف قضيناها!

وبأي دروب الله مشيناها!

يسأل ابن بطوطة أسباب نزوحه من مراكش.. وأشياء أخرى لم يُسمها.. ورحل..:-

القدس سلام.. وحنين..

زار الصخرة.. صلى الجمعة.. تذكر أبا الخطاب الذي أقفل الأبواب في وجه أعداء التاريخ.. تذكر وهو يسترجع المشهد ابن بطوطة :-

قيل.. بأنك لم تأتِ إليهم قط

وقيل بأنك سافرتَ إلى بغداد..

تبحث عن رفقة درب لدروب الأهوال

أما فارس رحلتنا فقد شد حزام بطنه.. لا أدري جوعاً.. أم تهيؤاً لسفر؛ طوَّف في مدينة القدس.. تجول في شوارعها وأزقتها الضيقة.. قابل الإنسان الضائع فيها..

استرجع صورة صلاح الدين المحرر.. وخالد بن الوليد الفاتح :-

قلت له قصة آلاف الأعوام (وهومر)

وكذلك ما كان لأهل (السومر)

كانت بين المقدس تاريخا، وأساطيرا

لكن التاريخ مجهول

وكأن التاريخ إذا صار مجهولا. يصبح مجهولا

هذا بعض ما حكاه.. وذكر به.. (أبا نواس) وإيوان كسرى بدار سليمان.. بعدها رحل.. لكن إلى أين؟!

بخيال شعره الخصب طوف الفضاء العريض.. وبسرعة مذهلة أخذه بساطه السحري إلى بلاد الواق الواق.. وقد ضاق ذرعاً ببغداد،

ومن يمكث في بغداد تصرعه الأحقاد..

هكذا جاءت رؤيته صائبة.. المشهد الحزين نفسه الذي تعيشه عاصمة الخلافة العباسية على يد تتار العصر الجدُد..

قيل لنا إنك تبحث عن مركب هذ.. وشراع تواق

قيل لنا إنك أصبحت من العشاق

فلتعبر بحر الصحراء إذاً.. ولتضرب في الآفاق..

وهكذا فعل ابن بطوطتنا.. امتطى شراع خياله الخصب.. عبر المسافات.. ولأن مركبته لا تحمل عَلَماً تُعرف به احتار أين يرسو؟!

يا أشرعة لا تحمل علماً.. أين سترسو؟!

طاف بخياله الرحالة العظيم (ابن ماجد) وهو يمخر بسفينته بحر الأوجاع.. ويضرب في اليم شمالاً فتخاصمه الريح وتأخذه إلى حيث لا يقصد:-

يا ابن الماجد نصرخ:-

هل تحملنا؟! هل نعبر بسفينتنا الأصقاع؟

والريح تهب شمالاً

وابن الماجد لا يدري من منا قد ضاع!

وتأخذه الحيرة كل مأخذ.. يستمر في تساؤله الحائر المرير:-

حططت بباب العراق!

لكن حين طرقت الأبواب تمنع من هم خلف الأبواب طويلاً

واصلت الطرق.. وصبري أن طلب يكون جميلاً

يا بحر الظلمات.. وها تتخطبك الأمواج

فمن شد عليك رياح الإعصار بديلاً؟

من قدمّ وجدا للتاريخ هزيلا؟

من جعل من العشق حديثا مقتولا؟!

لا أحد غير الإنسان حين يتمكن نسيان العقل.. وسبات الغفوة.. عبدالله بن سعيد

الأعرج في ظلام أيامه.. أخذه التيه فعاد قعيداً:-

لكني يا ابن بطوطة ممن حطوا في منزله

فإذا بالمنزل عيد يتلو عيدا..

قلت لعبدالله رويدك. هل أمكث ان شئت بعيدا؟

عبدالله إلى.. فمكثت بأرض الواق الواق سنينا..

شاهد خلال بقائه ذبول الزهر.. وموت التاريخ، وقتل الأجنة في بطون الأمهات.. والحقد الذي يبتلع بقايا البقايا من الحب.. رحل العباسي إلى مراكش.. اختار له نزلاً في أحد دروب الحمراء الضيقة.. على أمل أن يطوف من حوله ابن بطوطة كرفيق سفر في رحلة تاريخ يخاطبه:-

أسألك: أكانت مراكش تهواك؟

آخذك لنذهب نحو جبال الأطلس

ونقص القصة عن أرض الصين

أحلى الأيام.. وأكثرها حزنا من (بكين)

ينتظر من أستاذه الإجابة.. من أين عبر الدرب؟ وكيف اختصر مساحة السفر وهي طويلة طويلة..؟

يا ابن بطوطة هذي مراكش تسألنا عنك

تقول لنا: (ابني رحال)

مراكش تسألنا عنك..

أزقتها.. وحواريها.. والليل الممطر فيها

يا ابن بطوطة ألجمتُ لساني..

ودلفت إلى ساع السحرة والدجالين

إنسان العصر حزين..

إذ يذهب ابن بطوطتنا.. وحيث يشهد لا شيء يفتح لديه شهية الرؤية.. الأشياء متغيرة، ومحيرة. ومنفرة..

مراكش.. سيدتي البضة قد شاخت

لكن ولدت بنتاً تدعى (الدار البيضاء)

لا تعرفها أنت..

حططت بها أسألها عن معنى الأهواء

اسألها كيف استقبلت الغازين

بصدر مفتوح.. وبدون رداء..!

المدينة المبهورة بأضوائها.. وضوضائها.. صفعته قائلة:-

لا تعرف أدب الإصغاء!

وغنَّت له أغنية (بوشاح) من أرض الأندلس الخضراء.. واستكملت حديثها:-

قتل جنودك في الأندلس العشق   ويا ويل العشاق الشعراء!

لم يبق لنا مما تركوا إلا الشعر   وتاريخاً تحكيه قصور (الحمراء)

يأخذ خط السير إلى باريس.. مدينة النور.. والثقافة.. والحرية الطاغية:-

يا ابن بطوطة هأنذا أهبط باريس

بسيف مكسور، وبقلب موجوع خال

خيمت بقوس النصر بدون نزال وبدون قتال

تماماً كما هي حال الغزاة فتح شوارعها واحداً تلو الآخر.. وارتاد مقاهيها مقهى مقهى يبحث عن رجل محتال يأخذه من دون سؤال كبحار في سفينة قرصنته.. أو عضواً في فرقة أحد الدجالين.. لأن الأبواب موصدة لا تقبل المهزومين.. المأزومين في إراداتهم.. أخيراً وجد الحل:-

في باريس تلقفني بعدئذ طالب علم ضائع

قال:- أكون دليلك.. لكني جائع

وأنا زادي بعض بقايا حكمة أعوام الصبر

ويقطن في جيبي خرق واسع

أضحك أم أبكي.. قلت لنفسي:- أضحك

(فالضائع.. قد وجد الضائع)

دعني أبارك لك هذا الضياع.. وهذه الموهبة الشعرية الرائعة التي أخذت مني كل مأخذ.. إنها فلسفة ريادية أحسبها من أجمل ما قرأت.. سرداً.. وصياغة.. وفكرة.. وعمقاً.. يا ابن بطوطتنا الحكيم:-

تابع رحالتنا سيره.. شد رحاله.. عبر نهر السند.. جبال الثلج.. وغابات الأحراش.. الهند كانت مقصده.. ووجهته بالذات مدينة كلكتا.. بلاد الموتى.. والحمى الصفراء.. ولكنه آثر أن يستريح في طيبة الطيبة استعداداً لمغامرة كبرى تتطلب منه الجهد.. والإجهاد.. :-

يثرب صلوات تاريخ نابض
هذا (أحد) يتكلم، ويناجي (بدرا)
قصي يا بدر علينا القصة مرات أخرى
فأنا متجه نحو السند.. وأرض الهند، وعبر بحار كبرى
مركبنا هذا بشراعين، وخيشوم أخضر
ربان سفينتنا رجل قدته الأيام من الصخر الأغبر

(الليلة الغبرا تبان من عشاها)؛ مثل ينطبق على رحلة العباسي.. لن أستعجل الحكم.. سأتركه يتحدث بنفسه عن نفسه:-

يا ابن بطوطة في اليوم الثالث بعد العشرة
والريح وقد صارت صرصر.. صرخ الصارخ:-
(فلنشاهد يا ركاب) أمواج البحر ذئاب
والتاريخ كتاب.. شدوا وجه سفينتنا شرقا
شدوا وجه سفينتنا غربا..

السفينة الثانية على مهب الرياح العاتية تحبس أنفاسها ربان السفينة يطرق كل باب يطلب منا أن نستغفر.. أن نتوب.. ونتوب إلى الله. الريح انحسرت.. تكسرت أمواجها.. بحر الظلمات بدت آفاقه تطل بروحها.. البرق يخطف الأبصار.. الرعد يصم الآذان..

الريح تئن كما لو أنها موجوعة. السفينة مفزوعة.. بعض ملامح للموقف الرهيب زاده رهبة وخشية.. :-

يا ابن بطوطة ربان سفينتنا ضربته الحمى في وجع الليل

غدا يهذي.. هذا ويل يخزي..

الركاب الوجلون يتدارسون أمرهم ويتحاورون:-

من منكم قرأ كتاب الطب لابن سيناء القمر؟!

ابن بطوطتنا العباسي عرَّف بنفسه.. هو الذي قرأ الكتاب.. وهو الذي سيعمل الأسباب لعلاج ربانه المصاب.. شفي الربان وأرست السفينة مراسيها على شاطئ كلكتا الهندية... :-

يا ابن بطوطة قيل لنا:- إنك في هذه الأرض حكمت

أرسيت قواعد أمتنا عدلت.. وفصلت

كلكتا.. تعرف من أنت!

وتأخذنا الرسائل في تواصل جميل لسرد مشاهد الرحلة وشواهدها.. من مقطوعته عن الصحبة يقول:-

أرأيت إن كنت صديقاً لصديق فإذا بصديقك قد خانك؟

ألبسك لباس التهمة؟ أسلمك لسجن الغربة فإذا أنت وحيد؟

ما تعنيه شاعرنا ليس بالصديق.. إنه يرتدي من الصداقة قميص عثمان.. حري بمثله ألا يعد في عداد الأصدقاء، ومن العبث إلى الجد هذه المرة..

سهم أخضر في عينين نجلاوين اخترق سويداء القلب

فبت صريعاً للحب.. قتيلاً.. حملوني أبعد من قيس

ورموني في أعماق الدنيا مخبولا..

يا ابن بطوطة ما كنت أظن أن الإنسان يصير هزيلاً..!

من قال هذا يا عزيزي.. ظنك في غير مكانه.. الإنسان يصير هزيلاً.. وعليلاً.. نحيلاً.. وأصيلاً.. وجميلاً.. كلها مواصفات نحن نختارها لأنفسنا طباعاً..

تستهوينا.. فتهدينا تارة.. وتغوينا أخرى.. نحن نرصدها بعيني الرضى أو السخط.. نجمِّل منها ما نريد ونعلل منها ما لا نريد وفق عاطفتنا المتأرجحة بين ما تغوى.. وما لا تهوى

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

هكذا قال الشاعر وهو يزن في حكمة معيار نظرة بعضنا إلى بعض في مصداقية.. ووضوح.. أعود إلى نقطة بعد..

عدت إليها أخذتني بالأحضان

بكينا ما شئنا، فالفرقة نار

عيناها الزرقاوان.. الشفتان الناطقتان.. هواها الأزهار

أخذتني عبر دروب الماضي أرسم دارا فيها

إلى أين أخذته؟ وإلى أين وصل به القرار؟

سيدتي قد شق لك الأمس مزار

فخذيني في أهدابك طيفاً وردياً تطربه الأشعار

ماذا يبقى من عمر هدته الأسفار

شديني شدا.. فبصدرك يكمن لحن

يعجبني.. يعجبها الأوتار..

لا أدري هل استجابت؟ هي الخاسرة إن لم تعشق صوت تاريخ أطربنا.. وعذبنا بعذابات سفره، وعذوبة شعره..

في حلقة ثانية سوف أتناول ما جاء في رحلة شاعرنا الشيقة . والموفقة ..

رسائل إلى ابن بطوطة

(٢)

- عبد الله عبد الوهاب العباسي
- ١١٥ صفحة من القطع الكبير

في الحلقة الأولى تناولت رسائل شاعرنا إلى ابن بطوطة التي رصد فيها ملامح من مشهده الشعوري التاريخي لمدينة النور والحياة الصاخبة نقلة إلى بلاد الأفيال عبر الجبال المغطاة بالثلوج وصولاً إلى بلاد ياجوج وماجوج (الصين) عودة إلى وطنه.. ثم إلى وجدانه في قصة حب غير مكتملة.. هنا حط رحاله.. وأمال جمله أمام مشهد الصحراء التي يحبها وتحبه:-

مالَ بعيري إذ نحن على ظهر الصحراء

يسألني:- هل تحمل زادا ؟!

هل ريح صبا نجد ضربت من أجل قدومكَ ميعادا ؟

هل أمطرت الدنيا أفراحا.. أعيادا ؟

بعيره المائل ازداد ميلاً كمن يحاول التقاط عشب صحراوي اشتاق إليه.. أما هو فتبسم.. تلثم.. لكز دابته وعلى فمه عبارته:-

خـذني فالـصحراء مفازتنـا خـذني لـديار الحـب المعتـاده

خـذني حِمْـلاً إن ثقـل عليـك فما ثقل على محبوبته رغم عناده

الديار محبوبة.. إنها أغلى محبوبة لدى أهلها.. يريد أن يطأها بأقدام حانية.. يرى معالمها.. ويشهد عالمها كما لو أنه لم يرها من قبل:-

هذي صحراء الأحقاف.. وبيتك بين النهرين

وناي الريح بها يعزف الحانا وقاده محكـوم ان تـضرب فيهـا..

محكـــوم ان نعـــبر وادي الجـــن   وليـل ذئـاب سـاهرة تنتظـر رفـاده

أليست صحراء..؟ إلا أنها في عيني أهلها مسكنهم، وسكنهم.. هكذا عشقه الذي رُوِّع على غير انتظار.. بعيره مات.! :-

مات بعيري.. فتغنيت بآلام الفرقة

غنيت له يا ابن بطوطة موسوعات الغربة

بات وحيداً دون راحلة وسط صحراء قاحلة يصهره حرها.. ويزجره قرها.. ومع هذا عشقه لها يتوقد بين جنبيه لأنها داره ولأنها هبة أقداره. ومتحف تاريخه وآثاره:- أبدل راحلته بأخرى جاب الصحراء.. وارتسمت في وجهه صورة ابن بطوطة من جديد:-

صاحبتي يا ابن بطوطة أغنية من شام اليمن منابتها

وبيمن الشام الموعد منشودا..

أن ترسم يا ابن بطوطة قمراً في ليل الصحراء

أن تنقلب الدنيا في عينيك جمالاً يأخذك بعيداً

وترى موسوعتك بها آخر لحن غناه العشاق..

عشق شاعرنا العباسي يتجاوز عشق الحسناوات.. عشق تراث.. وتراب.. عشق أهل ووطن.. عشق حياة..

يا ابن بطوطة أسألك الله متى داهمك الشوق؟

وكيف أخذت مسارك للعودة مشتاقا؟

موعدك المضروب بطنجة الغراء هل ناداك؟

وهل الغيث مع الدرب وفاقاً؟

ويستطرد ابن بطوطتنا في رسالته :-

يا ابن بطوطة ها نحن وقد حثَثْنا السير

فبرق فوق رؤوس السروات

ويرسم في الصحراء طباقا

سالت وديان حنيفة. وبني عبد مناف

والمنتظرين صداقا.. عرس أقلق كل سكون الليل

فسافرنا غربا.. وغدونا شرقاً إشفاقا

فماذا يفعل من لا يجد به أهلا؟

ومع إحساسه بشيء من وحدته ووحشته إلا أنه أمام عشقه لطويته ومطيته كان الأقوى:-

سيدتي سلم نفي بأقصى الأرض

لجاء إليك اليوم يقدم أشواقه..

هاجس السفر إليه لا يهدأ.. كوريا كانت مقصده وقصيده..

من نيسابور.. حتى سيئول

وبلادك يا كنفشيوس تسائلنا عنك كثيرا

غلبته الحكمة أم ضل؟

كيف يضل السبيل يا صديقي من قال (لا تلعنوا الظلام، ولكن أوقدوا الشموع.. كان شمعة فلسفة لا يجرأ الظلام على قهرها) سرد لنا بعض ملامح عن هذا الفيلسوف الصيني الكبير:-

أقول لكم ذهب الغابة يجمع حطبا

ولقد أدرك في الغابة عجبا

قابله الثعلب والذئب الاثنان معا

وكذا سحبا تتبع سحبا..

كونفشيوس بكى.. من يأتي بالعصفور إذا؟

اختلفا من يأتي به.. وبحكمة الفيلسوف تركنا للعصفور أن يأتي وحده في حرية. وأمان لا خوف فيه.. الفيلسوف تساءل عن ذلك العربي الذي يتحدث بالصدق.. ويقول إلى أين.. ويغني شعراً لثريا إلى نجم في أعماق الليل.. ويحمل الذكرى العطرة من عذب الشرق.. ربما كان فيلسوفاً مثله.. رحالتنا شاهد سور الصين العظيم لصد غزوات الأعداء. إحدى عجائب الدنيا السبع.. الصين واحدة من عجائب الدنيا..

ومن الصين إلى بلد الإغريق.. اليونان كانت له وقفة:-

يا ابن بطوطة لو أني طير يصدح في روضته
وتردد من خلفي طيور الروضة لحنا موقورا
اجعلها ترقص.. ونيزك يا زوربا
فتذوب في بحر الإغريق سفيرا..
فأخائيل أنت هنا.. وحصانك طروادي
والسرج صناعة مراكش
ساعتها استلقي موزون النفس

الأماني الكبيرة لا تقيم عرساً لمن يحملونها إذا كانت أكبر من قدراتهم.. نعم يصنعونها شعراً ولكنهم لا يقدرون على صنعها واقعاً..

كاد يصبني الدوار في رأسي وأنا أتابع رحلته على الورق.. فجأة يأخذنا من محطة قريبة إلى أخرى بعيدة.. وبالعكس. هذه المرة إلى جنوبنا:-

يا وابل وادي الجوف ترفق
فابن بطوطة عاد إلى وادي أرحب
مسكين من يرد الماء بلا دلو كي يشرب
وكان مثال الرحلة للمغرب.
لكنك حين نصبت الأشرعة الزاهية الألوان
وناديت عليهم من أفيائك.
أيقنت بأنك وحدك قد تذهب..
وغدوت بحر الظلمات
خسارة تاريخ ! أومكسب

حتى هو أصيب بالصراع في ملاحقته لمعلمه الرحالة ابن بطوطة.. أنهكته النقلة من مكان إلى آخر.. شاخ.. ووخط الشيب شعيرات رأسه:-

يا ابن بطوطة، وخَطَ الرأس الشيب

وضاعت في أوهام سنيني. فأسلمت قيادي لظنوني

مسكين من ضاع بدرب الآلام

وبات أنين لياليه كأنيني

فارس رحلتنا تمثل في دواخله كل ضروب الشكوى يعترف بهزيمته في دنيا لا طعم فيها للنصر.. الناس تائهون.. وأحياناً تافهون:-

يا ابن بطوطة حين وقفت أسائلهم

من منكم طرق دروب الكلمات

ومدَّ لها حبلاً فأتته تردد (غنوني)

لم يجدوا رداً غير الصمت فعدت افضفض مكنوني

الحبشة.. إثيوبيا اليوم اشتاقته.. واشتاقه تاريخ النعمان بن المنذر.. غسان. ووفود أمية. وبني العباس. واللخميون. وسجيس. وطي. وزهير ابن أبي سلمى. والأعشى هؤلاء جاؤوا على متن التاريخ شغلوه. واشتغل بهم.. إنهم البعض الذين مر بهم ابن بطوطة. بحر القلزم..

يا طيرا لا تملك أجنحة.. ... ايان. وأعوامك في الأعوام تروس

خذني.. يا بحار جنوب القلزم ... خذني غرباً. صاحبتي فينوس..

اسألها أن تأخذني في أهداب الأحلام ... يا أرض سلمى طال بعادك..

وتتداخل الصور قديمها وجديدها حتى لا يكاد يعرف الواحد منا من أين يبدأ وإلى أين ينتهي..

وكأني مستلق جبل الهملايا.. القاهر بحر الصين

الرافض أن أبقى.. فيقال بأني في روما محبوس

أشرعت شراعي.. أبحرت كما شئت

ويبدو أنه اختار بلد الأرز لبنان الجبل. والسهل. لبنان الثلج والبحر.. لبنان الصيف. والربيع. والشتاء والخريف مجتمعة في مكان واحد: في وقت واحد..

أربع كلمات فوقك يا ظهر البيدر ونشيد الإنشاد يقال على جلعاد
امرأة من بيروت قدت من عاج يا ابن بطوطة اسألك الله أتعرف بيروت؟
النافذة الغربية للشام الرابضة على ضفة بحر الأنغام
ومن لبنان إلى توأمها سوريا.. من منكم جاء إلى الشام
هذا بردى يخترق صفوف الأزهار ويحملها للجار إذا احتاج الجار

مقاطع مجزأة من رسائل رحلة لابن بطوطة. أعادته إلى نزلة ذات ليلة قمرية فاح فيها الأريج تراءت له فيها صورة ابن بطوطة:-

رأيتك تحمل مصباحاً أخضر، وكتابا أصفر
أيقنت أنا أنك ضعت بليل العطر
فأمسكت بمصباحك.. اسألك،
أكانت ليلاك تغني للقمر الرابض بدروب السحر؟
أم أنك تحلم بلقاء تأباه؟!
قلت لنا:- كم تلد الكلمات كلاما
لكن ليس بليل القمر سواه
فحملنا عنك المصباح. وسرنا..
إلى أين هذه المرة؟

نحو وادي النسيان سافر. لكن مازالت توقظه الأداة.. أنه يخاطب مثله الأعمى أن يأخذه معه.. هل اصطحبه معه؟

يبدو أنه ظل وحيداً يسكنه اليأس.. بعد طول مناشدة وتوسل:- لقد أقدم على ما ليس في الحسبان:-

لكني أحرق سفني في عرض البحر
أجوب دروب الصمت نديما باب سنمار هوى
وبأسوار التاريخ رأيت حريقا مزعوما

أين مدينتك.. لعل بها مأوى للعشاق نلوذ إليها ؟
يا ابن بطوطة استسمحك إذا كانت للكلمات عيون
تنطق ألحانا.. وتشن هجوما.. فأنا قد جبت الغابات
وحطيت بوديان الصمت
وكانت للكلمات بدنيانا أوجاعا وكلوما
قمر أبلج. وزهيرات تهوانا..
سيدة من سبأ تلهب ذكرى بلقيس
وبأسوار المقدس مرعانا
يا مركبتي الغافية في الشطآن
أشد رحالي أن شئت. فولهان عشت
وتاريخي قد أصبح ولهانا
لا يرويني (السين) ولا (المسيسيبي)
لا أجد بردى أو دجلة تحنانا
يا ليت العشق نسيمه يلقانا..

في رسالة شاعرنا الموهوب ما قبل الأخيرة مع ابن بطوطة تحدث عن التيه الذي لا تورق فيه أمطار الصيف:-

والصيف يرخ ويرخ.. ودمعاتك تبكيك وتبكيه
لكأنك ما ضعت بليل النجمات.. وجدك يطعنك..
تصرخ في وحدتك.. وغربتك أضاعت منك الأيام
وتحلم أن تؤويك. وتؤويه..
لو قيل بأنك محزون لتحسرت
لو سكنت أوجاعك ساعتها لأنشدت لنا لحنا..
ولقلت لنا شعرا.. والأمطار تحييه..

وأخيراً.. مع رسالته الأخيرة.. نامت كلمات العشق.. فمن يوقظها ؟ وأحاديث تترى في

القلب :-

يوما نحمله للصبح. ويوما يحملنا. والآلام كواسر

هأنذا أشرعه في تيه البحر.. ألا ليت ليته البحر منائر

تهدينا حين الريح المسعورة تعوي.. وتمنينا إذا نحن نحاذر

استسمح شاعرنا المجلي.. وأستاذه الراحل أن أضيف شيئاً مستجداً لم ننصفه.. باريس أيضاً عاصمة السريون والثقافة. وبلاد الأفيال دولة صناعية كبرى.. وبلاد الياجوج وماجوج (الصين) دولة عملاقة عظمى يحسب لها ألف حساب وحساب. أما صحراؤنا الوفية فمن مخزونها تدفق الذهب الأسود البترول.. الذي بفضله قامت الجامعات. والمجمعات التي يجيء لها الربيع من كل مكان وعلى مدار العام.. وبفضله أيضاً قامت صروح المؤسسات الكبيرة والمدن الجديدة.. ومعالم حضارة مادية مشهودة.. ناهيك أنها موطن الحرمين.. وقبلة المسلمين..

شكراً لشاعرنا الذي أبدع وأخذنا معه في رحلة ممتعة قوامها خيال خصب.. يعانق التاريخ.. ويخاف على التاريخ أن يتحول إلى مجرد ذكريات؟

الأمل الظامي

- عمران محمد عمران
- ٣٧٠ صفحة من القطع المتوسط

شاعرنا المرهف الحس.. الزكي النفس.. على الرغم من ري روحه.. إلا أنه يطارد بأمله شبح الظمأ.. ظمأ حياة الماء لبعض مواردها.. لا كل مواردها.. ظمأ الحقيقة هو الأكبر.. والأكثر مدعاة للبحث عن ينبوعه المختفي وراء تلال ورمال محفوفة بسعار الرمضاء.. ووهج الصحراء..

الديوان بمحتوياته وبصفحاته الكثر يغريني مكرها لا بطلا أن أنتقي طبقاً شهياً ومنوعاً كما طبق الفاكهة من كل شجرة ثمرة.. وأحيانا أطباق أخرى ليس لها طعم الفاكهة وقبولها.. ففي بعضها المرارة كالحنظل.. أولها هذا الطبق المر.. (المنافقون)

أمرك المكشوف قد شاع، وفينا قد فُضح   قد عرفناك بوجهين.. وعِرضٍ قد جُرح
ولمسنا فيك طبعا بين عينيك نضح   وبصرنا بك شيطانا على الخَلق وقحِ

يرسم بريشته لنا بعض ملامح الصورة المعذِّبه :-

آه من واهج بصدرك يغلي   وقداً كالسعير أو هو أعظم
برحتك الهموم حتى غدوت   تحتسي زي الحياة صلابا وعلقم
أي كدح أراه أضناك دهرا   وحصاد هو السراب المخيم؟
يا لسوء الهموم كم قد رمتك   بسهام تهد منك وتهدم

المُعذَّبون في الأرض يا صديقي كثر.. والمعُذِّبون والمفسدون في الأرض أكثر، وأكثر.. مسلخ الحياة جزار وضحية.. شاعرنا كاد أن يشرق بريقه تحسر على حال شرقه:-

أيها الشرق علام الليل لم يبرح سماك؟!

وعلام الحين يسري في الدجى يبغي حماك؟!
وإلام النوم يا شرق محيطا برياك؟!
ليت شعري اليوم يا شرق متى نجني مُناكا؟
ومتى تملأُ هذا الكون أصداء علاك؟

كلنا ندري يا شاعرنا المهموم بأمته.. حين نفيق من سورتنا.. ونستفيق على قدرتنا وقوتنا ووحدتنا دونها سوف تنهشنا الذئاب المسعورة. (نجوى) فاكهة حلوة المذاق.. إنه يتلذذ بها شعراً :-

نبــع ألحـــاني ومغنـــى فكرتـــي وســــنا حــبي وملقـــى خطرتـــي
أنـــا اســـلوبك في دنيـــا الـــورى أتملــــى فيـــك أجلـــى نظـــرة
أنفـض الحــزن واشــدو بـــالهوى في مجاليــــــك وأردي شـــــقوتي
منـــكِ أســـتوحي ابتهـــاجي أبـــدا منـــك اســـتوحي معـــاني اللـــذة

أكثر من هذا التوصيف لا يضيف:- ومن نجواه إلى محراب نفسه :-

فُتـــات.. فمـــاذا نريـــد بـــه؟ انحـــرق أنفـــسنا في جنـــاه؟
انحرقهـــا في ســـبيل الـــسراب ونغـــرس أفكارنـــا في صـــداه؟
ونقـــضي لباناتنـــا في لعـــلّ؟ وفي ديـــب ذهـــري؟ ومـــاذا عـــساه؟
ونـــدلج في مهمـــه مقفـــر تنـــاهى دجـــاه.. وهـــاج أســـاه

أسئلة يطرحها.. وبين السؤال والإجابة تكمن علامات الاستفهام؟؟ والتعجب!! أسئلة نطرحها على أنفسنا.. وأنفسنا هي ذاتها العاجزة عن الإجابة لأنها نفسها مصدر العجز.. والركون إلى محطة الانتظار.. والتمني.. (قلب يتعذب) أشفق عليه شاعرنا.. طرح قضيته كما تلقاها :-

لا تـــسلني عـــن المـــصير فـــإني ظـــامئ القلـــب مـــوهن الأشـــلاء
في أتـــون العـــذاب ألفيـــت نفـــسي في لظى البـؤس في وطيس الشقاء

مــشربي علقــم تحــدَّر مــن صــا ب شــجوني ومــن صــديد بلائــي
وخيــالي قــد صــاغه الحــظ في لــ يــل الــدواهي ومــن دجــى البأســاء
في ربيـــع المنـــى قـــضيتُ شـــبابي وأنـــا اليـــوم في ربيـــع شـــقائي

وكما يورق ربيع الفرح ورودا وثمارا جنِّية يورق ربيع الشقاء حنظلا وشوكا وشراكا مؤذية.. هذه المرة انقلب ترح شاعرنا إلى فرح:-

حطمـــت قيثـــارة الاتـــراح والألم وصـار لحـن الرضـا والفـأل مـلء فمـي
لا لوعــة اليــأس تــردي همــتي ابــدا ولا الشجون ولا الأنَّات من شيمي
دفنــت شــوك الأســى في روضــة أنُــفُ مــن الــصبابة والانغــام والــشيم
عــشقت رشـف رضـاب الفـأل في زمـني وضـــقت ذرعـــا بـــدنيا الـــشؤم والألم
ومــا الــسعادة في الــدنيا ســوى شــبح فـــاقنع بـــدنياك بالآمـــال والـــوهم

هكذا تأتي قناعة شاعرنا في دنياه خليطا من العلم والوهم.. مزيجا من طيف السعادة ومن شبح القلق.. يريد أن يقول لنا إن الحياة قدرة واقتدار على قدر ما نأخذ تأتي قناعتنا.. والإيمان بحظنا؛ فالأماني كلها لا تدرك البعض النزر منها هو ما يمكن تحقيقه وللوطن الكبير، غنت قيثارة حبه :-

الأمـــل اللاهـــب هـــل يرتـــوي مــن غــدك المــشرق يــا مــوطني؟!
وســـورة في الـــنفس هـــل تـــستفي غلتهـــا مـــن معتـــد أرعـــن؟!
يــا مــوطني الحبيــب مــن طنجــة حتــى ريــاض الــشطر في المــشرق
مــا بورســـعيد غــير أبهـــا ومـــا وهــران في الخطــب ســوى المفــرق
عروبـــــة تـــــضوع في ربعنـــــا كمــا يــضوع النــور في الروضــة

صدى لذكريات عظيمة مرت يوم أن كان للعرب صوت وسوط.. حرروا بها أوطانهم من رجس الاحتلال على مستوى رقعة عالمنا العربي الكبير.. الآن الصورة مقلوبة.. ما طردناه باليمين عاد إلينا باليسار طوعا.. وكرها.. مناجاة واحدة من قصائده الجميلة:-

كهف آلامي وملفى خطواتي النائحة   وصدى مهجتي الظمأى ونفسي الكادحة
يا رحاب الأمل المر. ودنيا كالحة   أنت يا بيداء حدسي في الحياة الجارحة

•

أتراني من ثرى الحرمان يا شعر خُلقت؟!   لست أدري غير أني بت خوفا للندم
وفؤادي بات في دنياه مشبوب الطرم   وحبيبي بات موسوما بآيات الألم

•

وضميري بات موخوزا بوغد وصنم   أتراني بعدُ يا شعر عنيدا ما فرقت؟

كن كما أنت.. أنت ابن زمن يحتاج إلى فضفضة تدفع عنه غبار اليأس.. والبؤس كي يبرأ من سقمه ويأسه

كلنا واياه نأسف على ما آل إليه حال بعض شبابنا من تسيب وانسلاخ ولا مبالاة:-

أسفي على معنى الشباب غدا   هزءا، وعاد ربيعه إقفارا
وئدت به روح الطموح، فلم   يرع الحياة ؟؟؟؟ ونضارا

لا أدري لماذا علامات الاستفهام.. ليته استبدلها بمفردة محبة ملأ لفراغها.

الحب الشاعري يطرق بابه.. فيستجيب لضيافته مرحبا:-

يا حلوة الالفاظ يا شاعره   يا مبسم الأفكار والخاطرة
يا منية المشتاق في دهره   يا بلسما للمقلة الساهرة
صبٌّ معنى ذاب وجدًا ولا   لوم عليه ان هوى ساحره
ردي عليه لبّه واسمعي   شكاته ثم اجبري خاطره

بيتان معبران عن العشق زعمت أنهما لغيرها:-

زعمت بأنك عازف عن حبها   كلا، وقتلك شريعة العشاق

فلقـد علقـت بحـسنها وبغنجهـا ولكـم تلاقـي في الهـوى.. وتلاقـي

حسنا لو أنه أكد العشق من الجانبين لو أنه قال:- (ولكم تكابد في الهوى، وألاقي.. الشوق أشبه بالنار له لهيب ووهج):-

يـا ربـع لـو تـدرون مـاذا لـوى بقلـبي المـسكين يـوم الـسفر؟

لم يهـدأ الهـاجس مـن بعـدكم ولم يـذق جفنـاي غـير الـسهر

هذه المرة قلبه يطعم الفراغ يستبطن الفراغ الموحش:-

همـدت جـذوة الغـرام بقلـبي وانقـضت لوعـة الـضنى والعـذاب!

بـتُّ خـالي الفـؤاد بعـد اكتئـاب ناعمـا بـالكرى معـافى الـشباب!

لم يعـد طيفـه يلـوح أمـامي لم أعـد باحثـا ورا الاسـباب

انها استراحة فارس أجهده السير على درب الهوى.. آثر الاستراحة.. وكل راحة غنيمة ومكسب.. إلا أن شاعرنا سرعان ما يضيق باستراحته وينتفض على وقع لواعج بُعده:-

وحـسبت الفـراق يطفـئ نـاراً أججتهـا لـواعج الـشوق فيـاّ

فـإذا بـالجوى يهـيج اضـطراما وإذا بـالفؤاد يـزداد كيـا

كلمـا أوغـل البقـاء بـي اشـتدّ غرامـي وجـار سُـهدي عليَّـا

علـم الله مـا غفـى الجفـن يومـا بعـد بـيني إلا سـخينا دميـا

الاستراحة يا صديقي فترة نقاهة واستجماع قوة لمعركة قادمة.. وهكذا فعلت.. الشاعر في بحر شعره أشبه بالسمكة يموت حين يبرح بحره.. وشاعرنا عرّفنا بتلك الحقيقة:-

قالوا.. عزفت عن القريض.. فقلت (لا) لكـن أسـباب القـريض شـوارد

كانـت حيـاة الأمـس وارفـة الهـوى والقلـب مـشبوب العواطـف واجـد

واليـوم لا قلـب يهـيم ولا جـوى بـين الجـوانح أو نـديم صـائد

والـشعر عاطفـة وضـرية خـافق يـومي بهـا حَـوَر وصـدر ناهـد

الشعر عمر ينبض بالحياة.. أوله عشق.. ونهايته استرجاع ذكريات.. إنه يستريح من أجل ان يتحرك من جديد.. أبداً لا يتوقف إلا إذا ماتت المشاعر.. للمال معيار في ميزان شاعريته.. مازاد عن حده انقلب إلى ضده.. المال احتياج تلك مهمته.. مازاد عنه مجرد أرقام لا تعني شيئا أكثر من الهم والركض وراء هدف خاسر.. هذا ما يعني شاعرنا قوله:-

حسبي من المال ما أغنى عن الناس ... مازاد ليس بذي طعم وإيناس

مالي من الكسب إلا ما أكلت وما ... لبست من حلل تُزهى وأحواس

لو فكر الناس ما انصاعوا إلى جشع ... يهد منهم كيان الروح والباس

الأمل الظامئ واحدة من مقطوعاته الموحية بجمالياتها اختار منها بعض أبيات لطولها:-

ملء كفي من الحياة سراب ... ومن اليأس والعثار حراب

الأماني العذاب أودعت الر ... مس وفأل الورى عفته الذئاب

(عفته) من العفو وعافته من العياف الأخير هو ما أراده.. حسنا لو أبدلها بكلمة (أبته) أي رفضته.. ألم شاعرنا عمران بحجم طموحاته التي تكسَّرت على صخرة الواقع.. طموحات وحدة أمة عربية واحدة.. :-

كلما قيل وحدة العرب لاحت ... فطربنا لها وهان مصاب

فرقة تبعث الشجون تباعا ... ويذيب الفؤاد منها التهاب

أين؟ أين العهود؟ اين الموا ... ثيق؟ بل اين الإخاء؟ أين الكتاب؟

باعدت بيننا الدسائس والأ ... هواء أردت رغابنا الأوشاب

لا مزيد أفضل مما قلت.. فقط أضيف كلمة بلسان خصومنا الذين يذكون نار فرقتنا كي ينالوا منا واحدا تلو الآخر.. الحكمة التي تقول:- (فرق تسد) ولقد تفرقنا طائعين.. أو مكرهين.. إشكاليتنا أن العطار لا يصلح ما أفسده الدهر..

(من غم إلى فرح) نقلة سعيدة ننتظرها جميعا، فقد أتخمنا دموعاً:-

سقامك يضنيني وبرؤك لي سعد ... لأنك مني الروح والقلب والنِّد
تملكني ليل السهاد بروعه.. ... وسالمني شهرا إلى ناره الوجدُ
ومازلت في قيد الهموم مكبلا.. ... أصارع أتراحي ويملأني الوقد

إلى أن جاء الفرج والبشرى :-

إلى أن شفاك الله من سقم علّة ... فبتّ قرير الروح يغمرني الحمد

لفرحك يا صديقي فرحنا.. فالحياة قيمة لا تُعوض بأخرى..

بين النظرية والتطبيق، كما بين الممارسة ونقيضها يتحدث شاعرنا بلهجة ساخرة:

وتطوف بالبيت العتيق عشية ... ترجو ثواب إلهك الرحمن
وأراك بعد هنيهة في لجة ... من زاخم الأحداث والأدران
كلا فمثلك للأنام منافق.. ... دامي السريرة، مقفر الوجدان

شاعرنا يريد أن يقول إن العقيدة قول وعمل لا ينفصلان ولا ينفصمان، ليس لها وجه طهر وآخر للغدر والتجاوز. تمنى فارس رحلتنا على أبينا الأول آدم لو أنه لم يلدنا.. من فرط ضيقه بما نصنع بأنفسنا وبغيرنا من البشر :-

يا ليت أنك يا ابانا لم تلد ... لتعمّ هذا الكون أسباب الهنا
بطر البنون فأوغلوا في بعضهم ... سفكا وعسفا جائرا ملء الدنا
غدت الوحوش وديعة في طبعها ... وبنوك رمزا للبشاعة والشنا

يا عزيزي الكون دون كائن ومكونات عدم.. والجنة من دون ناس ما تنداس كما يقولون.. وجنة البشر الأولى في أرضهم وديعة سماوية كي يعمروها إلا أنهم دمّروها.. أما الوحوش فما برحت مفترسة حين تجوع.. وحوش البشر تفترس وهي متخمة، هذا هو الفرق.. مرة أخرى يحملنا شاعرنا على أن نبتسم.. بمقولة ابتسم لحياتك تبتسم لك الدنيا.. ليس دائما.!

لا تلق دهرك إلا باسما جذلا ... ماذا يفيدك من غم وأحزان؟

امـض الحيـاة بهـيج الـنفس مغتبطـا ودعــك مــن بــث آهــات وأشــجان
واقنــع بميــسورها لاتخـشَ مخمـصة ســبحان مــن قــسمّ الــدنيا بميــزان

سبحانه جل وعلا.. أما نصيحتك فيسهل إملاؤها شعرا.. ويصعب تطبيقها على أرض الواقع، كلنا يتمنَّى ولكن شرط أن يوافق راجح.. وراجح دائما لا يطيع.. (إن طاع راجح..) مثل لما يستعصي حله..

وعن الشعر يتحدث الشاعر:-

ايـه صـحبي لا تبخـسوا الأدب الحـقّ ولا توهنـــــوه بغيــــا وخدشــــا
ربّ شــعر قــد عــدّل الميــل يومــا ويــراع قــد أبــدل المــوت عيــشا

وحتى ننصف.. في الشعر ما أمال القائم.. وأنار الغائم! وامتدح الغاشم! الشعر فيه النقيض وضده إنه صوت ومزاج متقلب كأهله.. وأخيراً أصطفي من مقطوعته (لا تلمه) أبيات ثلاثة أختتم بها هذه الجولة.

لا تلمـــه إن هـــام في هيفائـــه فهـــو أدرى بـــشأنه وعنائـــه
ودّع القلــــب ســــارحا يتملّــــى في أتــون الهــوى لذيــذ شــقائه
ذاك كنــه الغــرام مــن عهــد عــادٍ مــا علــى الــصب مــن وقيــد بلائــه

ويدورنا جميعا نقول ما علينا.. اختار الجنة حبه أو النار.. فهو حر.. والحرية أحيانا تضر.

شاعرنا الصديق عمران محمد عمران، المسالم جدا. الهادئ جدا، امتعنا جميعا من خلال رحلتنا الجماعية اودعنا مكنونات صوره من خلال أبيات شعر صادقة كانت بردا وسلاما ومائدة شهية غنية بأطباقها المختلفة.. منها ما أمكن التهامه.. ومنها ما استعصى على الفم والهضم لا على الفهم.. الشكر الجزيل له.. على أمل أن يخرج من دائرة صمته.. وأن يسمعنا صوته من جديد.. فالأصوات الصافية قليلة كالعملة النادرة نبحث عنها لنأخذ منها.

الينابيع

- محمد بن علي السنوسي
- ١١٠ صفحات من القطع الكبير

الينبوع مصدر الماء المتدفق الذي يمد الجدول بأعذب ما فيه من ري تسعد به الأراضي العطشى إلى وردها..

وللفكر ينابيعه، حيث ري الحياة الذي يرتوي به ومنه ظمأ الفكر الراكد الذي يحتاج إلى تنشيط يستوعب من خلاله ما عجز عن مناله من معرفة..

السنوسي شاعرنا الراحل فجّر لنا ينبوع فكره.. صاغه شعراً كي نقرأه.. وخطاباً نتملاه ونتأمل في مضامينه.

(الرسالة. والرسول) قصيدة مجيدة المحتوى جمع فيها بين دلالة الرسالة إلى الحق.. وبين مصدر تلك الرسالة السماوية السمحة :-

من الجزيرة من أرضي ومن بلدي ... تألق النور، نور الحق والرشد

ومن رباها. رباها الطائرات ثرى ... تنفس الصبح من (بدر) ومن (أحُد)

وأشرقت بابن عبدالله وأتلقت ... رسالة الله زاه نورها الصمدي

تدعو إلى الحق في سر وفي علن ... في قوة تتحدى كل ذي صيد

ويلتفت إلى قومه.. إلى الخلف بعد السلف الذين أسلموا جفونهم للنعاس صارخاً فيهم (اصحوا !)

فليت قومي وقد هبت رياحهموا ... لا ينفلون عن القناصة الجدد

لا يركعون لغير الله إن ركعوا ... ولا يقولون إلا الحق إن ركعوا

وفي ختام قصيدته الطويلة يقول:-

وسوف يبقى هدى الإسلام منتصرا على الطواغيت والإلحاد والريب
وكل إفك وبهتان يراد به محو الحقيقة لا ينجو من العطب
(كناطح صخرة يوماً ليوهنها) من البلاهة قطع الصلب بالخشب

الشطر الأول من آخر أبياته استقاه من مقولة شاعرنا القديم:-

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأدمى قرنَه الوعل

روحه الدينية المتوهجة تطغى على شعره.. وتتملك مشاعره.. ينتزع منها الصور المشرقة ويطرحها خطابات عظة وإرشاد.. في مقطعوته الثانية (ثاني اثنين) ويقصد بهما رسول الإنسانية وهو في غار حراء مع صاحبه أبي بكر الصديق..

يا ثاني اثنين في دار هي الغار إن اختيارك للمختار مختار
ويا رفيق الهدى والليل معتكر والأرض ترجف والأهوال إعصار
أبصرت أشباح أقدام وهمهمة وألسناً تتناجى (تلك آثار)
يا صاحبي لا تخفْ الله يحرسنا بلطفه وللطف الله أسرار

يسترسل في رحلة شعرية يقينية من قوة رسالة.. إلى ضعف جهالة.. إلى الردة الأولى في عصر النبوة وما تلاها من وهن.

تفرّق الجمع وانحلت شكيمتهم وانهار إيمانهم بالله فانهاروا
نقلد الغرب إلحاداً وزندقة ومن تحلله نجني ونشتار
ولا نقلده علماً وتقنية ولا انطلاقاً له نفع وإثمار

شاعرنا وضع أصبعه على الدمل كي يفقأه.. تقليد لا تجديد.. أخذ بالمظهر لا بالجوهر.. وتلك مشكلة ما بعدها مشكلة.. ومن عقيدة الحياة.. إلى رصيدها:-

رصيدك في بنك الحياة غرور إذا لم يغطيه تقى وضمير
وفي شركات المال سهمك خاسر إذا جف إحساس ومات شعور

لكأن شاعرنا معنا يتفرج على لعبة المضاربة، الضاربة في الأسهم، حيث الحيتان

الكبيرة تبتلع الحيتان الصغيرة الفقيرة.. تستلبها بقايا بقايا نعجتها الواحدة كي تضمها إلى نعاجها التسعة والتسعين دون أن ينتصر لظلامتها أحد..

عبدنا حطام المال حتى كأنه إله على كل الأمور قدير
وسرنا إليه خاضعين كأننا قطيع شياه ما لهن خفير

ومن نار المال الجَشِع.. إلى نور القلوب الذي لا طمع فيه ولا احتكار.. ولا استثمار يتحكم فيه الكبار

من صميم الحياة ارتشف الشعر وفي كأسها أصب الرحيقا
وعلى نورها أسير وإن كانت طريقي عواصفاً وحريقا

•

رُبّ يوم رأيت فيه الأماني حلوة المجتنى تسيل عذوبه
فتأملتها فكانت طريقي نحوها سهلة وكانت قريبه

•

أحسب أن مفردة الطريق مذكر لا مؤنث.. الصحيح (كان طريقي.. لا كانت)..

غير أني صددت والحر يأبى شرب كأس به الدنايا مشوبه
والصدى للنفوس أكرم إن عا مت بأقدامها جسوم غريبه

(أمامك الدنيا) مشهد حي لا يكلفنا أكثر من نظرة فاحصة ترى وتتعمق في رؤيتها برؤيتها ورويتها..!

أمامك دنيا ترهق القلب والعقلا فيا خاطري رفقاً ويا ناظري مهلا

تمنيت من قلبي أنني قلت هذا البيت.. لجماله وجلاله:-

جرت وجرينا وانتهينا ولم تزل نسابق في غلوائها الصقر والوعلا
مشينا دجاها والضحى في عيوننا وحزنا ضحاها والدجى يغمر العقلا

فدعها كما شاءت تدير أمورها فما كفها حلما ولا بطنها جهلا

رائعة نظرته إلى الحياة.. مزيج من حكمة وفلسفة لا يقوى على طرحها إلا متمكن يتملك ناصية شعره باقتدار..

(الموج والشاطئ) جاران لا يفترقان.. يضم الموج بكفه الشاطئ فيعتب عليه.. ويتباعد عنه أخرى فيغضب منه لارتياعه..

ماذا يقول الموج للشاطئ في مده الهادر والهادئ؟
ومن ترى يعرف أسراره من كاتب منا ومن قارئ؟

•

يختلف الليل به والنهار والبدر كم هلّ به واستدار
والشمس كم دارت بهذا المدار وكم هوت تجري بذاك القرار

وينتهي في رائعته الى التشبيه الجميل بين موج يثرثر فما ينتهي، وبين إنسان يثرثر فما يشبع:-

يثرثر الإنسان منذ الأزل ثرثرة الموج بحضن الجبل
لكنه في غيّه لم يزل.. وكلما ازداد صعوداً نزل

أين من هذا الشعر شعر المُحدثين.. المتحدثين بلغة اللغز.. والتسطيح.. والارتجاج؟!

البصيرة هي التي ترى.. والبصر هو الذي يحدّد أبعاد الرؤية.. لا بصر دون بصيرة.. كما لا عين دون حدق وشرايين

قال لي وهو يستجيد المزايا شكل نظارتيك حلو الزوايا
قلت:- لكنها تريني قشورا حين ارنو ولا تريني الخفايا
لِمَ لَمْ يخترع لنا العلم منظارا يرينا ماذا تسر الحنايا؟
قال:- لو كان ذاك أقفرت الدنيا ولم تأتلف عليها البرايا

حوار أفكار مشبع بجماليات الطرح والتصوير أجاد فيه شاعرنا الإبداعي الراحل السنوسي.. كان مفكراً جيداً.. السراب أشبه عن بعد بالماء الذي يتشوق إلى جرعته العطاش.. الماء يُروي لأنه ري نابع.. والسراب يظمي لأنه خيال خادع..

أرحْ عينيك من لمع السراب   وقلبك من أمانيه العذاب!
وعد عن القشور وإن تراءت   رقاقاً في الضباب وفي السحاب
فقد فاض الظلام على حياة   تفيض بها الكؤوس بلا شراب

يخرج من دائرة الماء المشروب والمسكوب الى ظمأ الحياة. وعطش الروح وأوار الطموح..

فقد صبغ السراب حياة عصر   مخضبة الأظافر.. والإهاب..
وصرت أشك حتى في مياه   أخوض بها.. ولو بلت الثياب..

الشك في مواجهة الشك يقين يرقي إلى درجة الشك.

عقدة الأسى قد تتحول إلى عقدة نفس هي الأخطر.. شاعرنا أحس بعقدة أسمى.. إلى أين انتهت به العقدة؟

أتريدين أن يكون بياني   رائع اللفظة عبقري المعاني؟!
كيف يا أمتي وانيَ في جنبك   جرح يهزني من كياني؟!
كلما أبصرته عيناي فاضت   بالأسى راهبا وبالدمع قاني

إنه لا يقدر على طرح ما يتمنى.. فالهزيمة كسرت مجاديف شعره.. والذئاب تنهش جسد أمته من كل جانب:-

أيعيث الذئاب فينا ونحتار!   ونهار!.. يا له من هوان!

يترحم على أرواح قادة قادوا أمتهم إلى النصر وانتصروا على القهر والهزيمة:-

رحم الله خالداً والمثنى   وأبو أيوب.. والفتى الحمداني

شعر شاعرنا محلّق بمشاعره نحو السماء.. كل وردة فيه تستهويك بشمها لأنها

نكهة شمم.. ورائحة همم خلدها إحساسه بأن الحياة عطاء.. وإباء.. وحرية. وصحوة من كبوة قد تطرأ.. نشم معاً وروده اليانعة ذات اليمين وذات الشمال وقطار الرحلة يذرع مساحة السفر دون توقف.

(الحق المهان) (التضامن الإسلامي) (الأرز والنخيل) (الكيان الكبير) كلها زهور نود شمها وضمها إلا أن اليد قصيرة.. والرحلة قصيرة أيضاً فمعذرة..

من مقطوعته (البحر الأخضر) اجتزئ منها أبياتاً ثلاثة تتناول سلاح الأديب الذي يلتزم بأدب الحرف:-

أتظـــن أن خـــصامنا وخلافنـــا ... في الـــرأي يكـــسر للمـــودة معـــصما
قلـــب الأديـــب نبالـــه.. واصـــاله ... ذهـــب يزيـــد علـــى الغـــرام تـــضرما
وضـــميره الأدبـــي لا ينتابـــه.. ... وقـــر ويـــأنف ان يـــسف تكرمـــا

اخترت الأبيات الثلاثة لا لأنها الأجمل من بين جميلاته.. ولكنها تكشف جانباً مَرَضياً غير مُرض في واقع جدلنا على مستوى المهنة.. نثور لمجرد النقد ونغضب لكلمة هادئة هادفة تشير بأصابعها إلى ضعف في قصيدة شعر. أو قصيدة نثر.. نملأ دنيانا ضجيجاً وسباباً وخروجاً عن مألوف الحوار والرأي الذي يوصل إلى الأفضل.. الخلاف في الرأي يجب أن لا يفضي إلى الاختلاف..

أول قصيدة في ديوانه تتحدث عن الحب.. الحب الكاذب الذي لا طعم له ولا لون ولا رائحة:-

ضـــحكت حـــين قـــال إيـــاك أهـــوى ... أنـــا يـــا (هنـــد) لـــيس لـــي عنـــك سلـــوى
ورنـــت نحـــوه بطـــرف كليـــل ... لمـــح أهدافـــه يرفـــرف هـــزوا!
أتـــشكين؟ قالهـــا في انتقـــاد ... واعتـداد؟! قالـت:- أجَلْ تلـك دعـوى

فسرت له صواب رؤيتها نحوه :-

أنـــت لـــو كنـــت يـــا حبـــيبي حبـــيبي ... صـــادقاً كـــان لـــي في فـــؤادك سلـــوى

كـم تمنيـت مـا تقـول وأمّلـتُ فكـان الحـصاد لغـواً ولهـواً!

وكيف انتهى بها الحال في تجربة حب خادع :-

ذاب عمـري. وشـاب شـعري وأصـبحتُ حطامـاً ولم أنـل منـك جـدوى

عـد عـن هـذه الطريـق فـإني أنـا أدري بمـا تريـد وتهـوى

لا. لـن أكـون لعبـة كفيـك فنفـسي أعـز شـأواً وأقـوى

كانت عزيزة في عزتها وحشمتها.. رفضت أن تكون ألعوبة حب خادع.. ومخادع.. ولأن من يملك طرفاً من رداء الفلسفة يتعلق بالفلاسفة والفلسفة.. حتى ولو كان خيالهما مشدوداً إلى طائر أعمى يجثم على غصن شجرة، الفيلسوف كان في رحلة سفر.. أدركه التعب.. ألقى عصاه تحت فيء شجرة شخص ببصره.. رأى الطائر القابع في صمت مكسور الجناح:-

فـرأى طـائراً علـى فـرع غـصن غـائر النـاظرين أعمـى سـقيما

واسـتخفت بـه الحماقـة واسـتلقى مـن الـضحك هازئـاً متهومـا

كيـف يـسعى لرزقـه؟ كيـف يمـشي؟ فاتحـاً محـضراً وسـينا وجيمـا

وهو يتساءل لمح طائراً آخر يحلّق في سماء الشجرة ثم يركن إليها، حيث يقعد الطائر الأعمى ويمد منقاره إلى منقاره يطعمه ويسقيه. فيلسوف شاعرنا كان متمرداً أسلم على المشهد.. آمن بأن للكون إلهاً وأن للكائنات رباً.. وللرحمة فسحة في حياة المخلوقات الأخرى أقلها في حياة الناس، حيث المادة أعمتهم.. والمطامع أغرتهم.. والأهواء أهوتهم.

(شد الحزام) مأخذ من الشديد والشدة.. لها معان ثلاثة.. في المصطلح الاقتصادي يعني التقشف وضغط الاستهلاك.. ويعني أيضاً شد حزام الراحلة حتى لا تقوى على الوقوف ومثله شد القيد بالنسبة للمتهم لشل حركته ومنعه من الهرب.. ترى أي الثلاثة أخذ به شاعرنا السنوسي؟!

يبدو أنه شد حزام آخر هذا ما كشف عنه بقوله:-

شد الحزام تقولها وأقول لست أجيد حزمه   أنا خصم كل يد سواك تشده وتفض ختمه
مدت أناملها تزيح خصائلاً كالليل ظلمة   فبدى ضياء الفجر فوق جبينها نوراً ونسمة
قلبي يحب دائماً في حبه خلق وحشمه   ويهيم بالغد الحسان ولا يبيح لهن حرمه

إنه شد حزام حب.. أرخت قيده غلطتان يسيرتان.. أولاهما (فبدى) والصحة (فبدا) والثانية (الغد الحسان) والصحة (الغيد) (كيف أسلوكِ) عنوان يطرح التساؤل وينتظر الإجابة عليه:-

كيف أسلوكِ والرؤى والأماني   عن شمالي طيوفها ويميني؟!
شاخصات إليك تهتف بالقلب   وتجري به كمجرى السفين..
حملت نفسي الحنين لقلب   يتجنى على الهوى والحنين!
أنا منه في لفحة الياس مال   وهو مني في نفحة الياسمين

الحب اليأس حب بائس لا يعيده إلى صوابه كل زهور البساتين وعطورها.. عليه شد حزام اليقين بالحب وإلا توقف.. أخيراً مع آخر مقطوعاته الجميلة بعيداً عن شدّ الحزام. ومد شراع السفين.. وقدُّ الحسناوات اللواتي أثرن لواعجه.. وبعيداً أيضاً عن أحلامه التي اغتالتها إحباطات زمانه.. بعيداً عن كل هذا يطرق بوابة الشعر الحر لأنه حر..

لا العود عودي ولا الأوتار أوتاري   ولا أغاريدكم من شدو أطياري
من أين جئتم بهذا الطير ويحكموا!   لا الريش ريشي.. ولا المنقار منقاري

إنه يرى في الشعر المنثور مجرد محاكات تغريبية.. إن لم أقل تخريبية المزاج.. إيقاعها وقع وجرسها دون نغم.. وبنائها الشعري المتكامل مجرد أنقاض لا يبني بيتاً.. هكذا يرى..!

وصرت أسمع ألفاظاً مقلقلة   طرق المسامير في دكان نجار..
أني أرى في جناحيه وسحنته   سمات (اليوت) لا سيماء بشار

سود، وحمر، وسفر لا انسجام له   كرسم (بيكاس) يعمى فهمه القارئ

يعني (بيكاسو).. والألوان المختلطة التي لا تكشف لك عن وجه واحد تميّزه.. وتستنبطه.. شاعرنا يعشق أصالة الشعر ويأبى معاصرته المرتبكة.. والشعر مضمون ومحتوى.. ومثله النثر مضمون ومحتوى.. بتجرده منهما لا شيء..

وبعد.. ثرية رحلتنا مع شاعرنا محمد بن علي السنوسي.. كان فارس كلمة باقتدار رحمه الله.. وإلى لقاء.

صوت الحجارة.. وأصداء الصهيل

- عبدالله سالم الحميد
- ١٠٠ صفحة من القطع المتوسط

نعم للحجارة صوت.. وللصهيل أصداء.. ولكن متى؟!

حين يتحدث الحجر بلغة المقاومة.. وحين يرجع صوت الصهيل وسط غبار لا يعترف بالهزيمة ولا التراجع.. سمعنا صوت الحجر كأجمل ما تكون الموسيقى بيد أطفال الحجارة.. يقذفون بها دون خوف في وجه الدبابة.. كما لو أن ايقاعها ايقاع ربابة.. أما الجياد.. وصهيلها فلم اسمعه.. كل الذي تناهى الى سمعي صوت عويل لا صهيل ماتت بين تجاويفه، إرادة ما كان لها أن تموت لو أنها استرجعت بعضا من كرامتها.. وبعضا من تاريخها.. وبعضا من بعض كبريائها..

للشاعر الصديق كلمته.. أي حجارة يعني؟ وأي صهيل يقصد؟

خارج إطار العنوان.. بعيداً عن الرمي والجري كان عناقه مع أمه..

«يميتني صوتك الأشجى، ويحييني يا جنة من رحيق الحب تشفيني
تشنجت في جحيم العجز أوردتي وشرشر الحزن في نبضي.. وتكويني».

يسترسل في مقطوعته. في معزوفته الجميلة متعاملاً مع همه وشجنه متفاعلاً مع شتات دربه. متعاملاً ولكن بخشية مع المشاهد الشيطانية.. والسرابية مناشدا احب الناس الى قلبه ألا تتركه للهم.. وألا تدعه فريسة للغم.. وللشكوى التي تغشيه.. وكأنما مسالك الحياة أمامه وعرة وموحشة.. أنه يستصرخها:-

«يا واحة في خريف العمر تهتف بي انداؤها ضوعت بالماء والطين
وذكريات تسامت في تراكمها ومدلجات السها والسهد واسيني».

لا نعرف لماذا المواساة.. «ولا كل هذه المخاطر.. ربما آثر أن يتركها دفينة داخل

نفسه إلا من أمه التي استنجد بها ولجأ الى صدرها لأنها دون سواها طوق نجاته من عضة ملماته، السر ما زال غائباً..

الحجارة بدأ ايقاع ضرباتها يشنف الاسماع هكذا يوحي العنوان «الحجارة وسام الشهادة. وسام الفرح»:-

«أشعلوا فينا القصائد

كل جرح فيكموا أيها الأبطال شاهد

قاتلوا عنا.. فما فينا فدائي مجاهد

إننا محض جلامد..

نحتسي الذل. ولا نفتأ نرتاد الموائد

قاتلوا عنا.. وموتوا

إنمانحن اليتامى. والثكالى. والقواعد».

لغة جسورة في خطاب الوعي المعذب المتقلب المتأرجح بين جماليات الصورة.. وضبابيتها.. بين نشوة من يقارعون بأجسادهم الصغيرة العارية آلة الموت دون خشية.. وبين قتامة الصمت في حياة الذين يكتفون بالفرجة.. او الهمهمة التي تذوب في مرجل الانكسار والانتظار..

«كل شبر في ربانا - في حمى الأعداء - شاهد

جاهدوا عنا.. نشاهد..

علمونا كيف يغلي الحجر الناري من سمر السواعد»

ويمضي شاعرنا الحميد في معزوفته الحماسية كمن يلقي محاضرة عن الحياة أمام أجساد لا حياة فيها.. وينتهي به المطاف الى قطاف حر مغلق بورق سوداوي من شجرة خريفية عارية كتب على جدار جذعها:-

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولأنه شاعر مرهف الحس آثر هذه المرة ان يعزف لنا على أوتار الخطأ.. عن أي خطأ يتحدث؟!

«في طريق الخطأ.. نصبوا لي مجزرة
حولوها مقبرة..
في طريق الخطأ شتتونا زمرا
أخرجونا في العراء..
سفكوا الدم البراء. قتلوا الأنبياء»

لم يترك لنا فرصة التأمل ولا التفكير كي نعرف ماهية الخطأ الذي يتحدث عنه.. بل عاجلنا:-

«كل شرخ فوق اشلاء جراحاتي خطأ لم يعد يصرعني عنف النبأ..»

لماذا لأنه الممزق على جادة طريقه يلتهمه حريق المذلة والهوان.. بل أكثر من هذا لأنه الوغد الصفيق.. مهلا ايها الصفيق النار لا يطفئ لهيبها إلا ماء الاحرار الذين تتملكهم إرادة الشجاعة وإرادة حركة الانتصار ذودا عن قيمهم.. وتراثهم.. وترابهم.. وانسانهم.. بعيون مفتوحة تكشف المخاطر.. وتردم المقابر.

ومن بكائية مجزرته ومقبرته يبعدنا قليلاً الى فرح طالما انتظرناه على احر من الشوق والشوك معا.. يوم أن سقط كاهانا.. ذلك الحاخام العنصري الدموي.

«وانتفضت اوردة الحاخام
وكشر في وجه التاريخ العربي. وهام
وتولى.. يرفض. ينفض. يبغي
وتمادت مهزلة الحاخام على جرحي
كم عزفت أوتار الحاخام في اشلائي من انغام»

سرد دافئ املته فرحة ما سيأتي.. وقبل أن ألج الى بوابة الفرحة اشير الى ملاحظة عابرة تختص بشطره الأخير وهو يتحدث عن معزوفة أوتار حاخامه.. الأنسب ان تأتي على اشلائه لا فيها.. هكذا احسب.. ولأن الحاخام مازال ينفش ريش زهوه وساديته ونازيته رفضا للحل. قتلا للأطفال كغيره من مجرمي الحرب وعتاتها راح يطرح الأسئلة تلو الأسئلة:-

«مـن يمـنح ميـثير وسـام الـرفض؟ من يفتح في افق الحاخام نوافذ للاقناع؟

ويفتـل مجـدول الـنقض من يردي صوت الوغد برصاص الفصل؟

فلقد اوغل في الهتك. واخطاه النصل واسترسل في شبق الحقد وتسفيه الأحلام»

تساؤلات وجدت جوابها من طلقة جسورة اخترقت صدره من بندقية فدائي كانت النهاية لحياة ارهابي.

«الصالة» تركتها مغلقة بقفل لا املك له مفتاحاً ولا ارتياحاً.. و«صربيا. سرينتشا التشرد والنزوح» مفرداتها مشردة على غير عادة شاعرنا تطل منها لغة المباشرة وكثافة المفردات التي تؤدي الى مفهوم واحد.. ادعها لشاعرنا الكريم إذا مارغب ضبط حركتها الشعرية وللمة اطرافها من واقع مقدرته الشعرية التي لا اشك فيها..

«صدى الصهيل» النصف الثاني لعنوان ديوانه «وقد فرغنا من نصفه الأول» «صوت الحجارة»

«مـن كهـف قـام الهمـام عـنترة واسـرج الخيـل. والخيـال.. والـشجون

وامتشق الحسام. ونفض الزرود. والدروع. وطـاف في المـضارب الغريبـة المـزورة»

هذا ما يمكن ان يتصور لمن طالت به غفوة الكهف سنين وسنين.. ثم بعث من جديد ليطوف فيما حوله بعيون ملؤها الغرابة والدهشة.. ولكن كهف عنترة غير كهف أهل الكهف.. عنترة همه حصانه. وسرج حصانه.. وعبلة وجدانه.. ونخوة انسانه.. انه مشوق.. ومشوش الذهن..

«يبحث عن معادن الرجال. والخيل والبغال يـسأل النـاس عـن الـديار. والاطـلال.

عن فارس نامت عيون الأرض وهو لا ينام يبحث عن ملامح الفخر. والوفاء. والسلام»

كل ما يلقاه على دربه كلاب تنبح. واسود تزأر. ومضارب دون حدود. ووجود دون وجود.. آثر ان يلقيه خلفه ليعود من جديد الى مرارة بؤسه ويأسه سائلاً دون اجابة عن آثار عبس وكليب.. عالمه غير عالمه واناسه غيرناسه.. لم تجده فتيلاً وقفته العنترية على اطلال بني عبس كما حاول شاعرنا ان يمد من أمد رحلته التي استغرقها بحثا

عن حلم ضائع.. كل حصادها استرجاع لذكريات طواها الزمن ولم يبق لها مشاهد وشواهد اكثر من حيرة وحسرة على لبن مسكوب لا يمكن استرجاعه.. وعاؤه بقي فارغا..

أمر على «بوحه» مرور الكرام.. واحط في محطة هواجس ذلك الغريب المعنى.. استقرئ سطورها:-

«على ما يرام.. على ما يرام.. نشيد.. شربناه قبل الفطام

عبرنا الزوايا.. وجرنا السقام وذقنا المجاعة.. والجوع سام»

ضروب من المعاناة لا تنتهي في رحلة شاعرنا لم تسعفنا ببسمة ثانية نسترجع معها انفاسنا.. وكأنما الأفق الشعوري لديه خميرة ألم لا مكان فيها لأمل.. دمعة عذره فهو يطرح لنا تجربة حياتية انسانية تتسع باتساع آفاق الخيال الشعري الموسوم بالقلق.. والمحكوم بتشاؤمية النظرة وسوداويتها في عالم الحب فيه ينحدر تحت ركام الحرب.. لهذا لم نستكثر على شاعرنا في ديوانه تراكم المفردات الحزينة الأطلال «القبور» «القحط» «القفر العميق» «الصحراء التي تضيق وتكاد تتحول الى كهف تلفه وحشة الصمت ووحدة المكان والسكان.. ناهيك عن سرابية الصور الخادعة وما تفضي إليه من خيبة أمل وفشل..

«هواجس موظف غريب» تجربة تحكي موقف موظف صغير أمام رئيسه. كيف يتعامل معه.. وبأي وجه يقابله..

«ان قدم التماسه لحضرة المدير اشاح وجهه..

وجه المدير فجأة قد امتقع وامتشق الحسام من مكتب أمامه

ووقع البدع كأنما الموظف المسكين قد ابتدع

او حاك ما يحوكه ضرابة الودع اوصدت الأبواب نحوه

وكل شيء في شأن شأنه امتنع قيل له:- دعواك وفق المتبع».

سرد لبعض الجوانب السلبية في حياة علاقات البعض ببعضهم يواجه الوجه الآخر

الأكثر نصيبا وحظاً حين يركب موجة المديح والنفاق لمن يرأسه..

«لو اصطنع. ونافق المدير. والرئيس

واصـــــــفياء المجتمـــــــع دون التمـــــــاس يرتفـــــــع

وان أتـــــــى او انقطـــــــع فعـــذره مـــبرر. وعتبـــه قـــد ارتفـــع

وامـــره ميـــسر. وترقيـــات مثلـــه تـــــسير عكـــــس المتبـــــع»

صياغة انشائية ترسم صورة اجتماعية لاتكاد تخلو منها مجتمعات عالمنا النامي تحكمها العلاقات والصداقات.. وددت لو ان شاعرنا أحسن صياغتها صورة واطارا وهو القادر على ذلك..

في مقطوعته تلك وهو يعدد المساوئ المنسوبة لمن لا مساوئ يؤاخذ عليها جملة «عتبه قد ارتفع»..

وارتفاع العتب اتساع مداه وظهوره.. والصحيح «عتبه قد رفع» أي طوي ونسي..

شاعرنا الحميد بجميل مشاعره ينقلنا من مسيرة الى أخرى.. ومن صورة الى أخرى.. تارة نحلق معها به.. واخرى لا نقوى عن البعد كثيراً لأن الاجنحة لم يكتمل ريشها بعد.. هذا ما لمسته في بعض قصائده.. وايضا في قصائد جل الشعراء ان لم اقل كلهم وانا واحد منهم.. تارة ننفعل وتأتي الصورة أكثر اشراقاً.. واخرى نفتعل فتبدو في تركيبتها وفي بنائها الشعري أكثر اخفاقا.

ثم ان شاعرنا الغالي اختار تقطيع اوصال شعره.. الشطر الواحد يتحول الى عدة اشطر ربما لاستغراق مساحة الصفحة.. وهو ما لا أؤيده لأنه يؤثر على تركيبة الشطر الايقاعية والموسيقية ويحوله الى مجرد مقاطع نثرية متناثرة..

بحسابات الرحلة والمساحة الزمنية لاستغراقها لم اجد البد من اجتزاء البعض والمرور عليها مرور الكرام.. «هواجس من ذاكرة الحزن والفجيعة». «تخيلات على صفحة سراب» «عيد وبشائر» «فأمامنا محطة غير عادية تملأ القهقهة فضاءها. والقهقهة لغة ذات ابواب.. واحيانا ذات انياب.. تماماً كالضحك الذي يُبكي.. والبكاء

الذي يضحك.

ماذا عن قهقهة شاعرنا المُجيد عبدالله الحميد؟!

«الآن تفر.. تزمجر.. تقتحم الأجواء

ترتاد الصحو.. وتخترق سراديب الغيم

تفتض الضحكات الهزلية

نمتد.. نثرثر..

نغرق في لفظ القهقة الثرثارة

اقلعت الطيارة!!»

يبدو ان شاعرنا في رحلة.. أهي رحلة سفر؟ ام ان طيارته ذاتها محورالحديث الذي سيكشف عنه:-

«يحملنا هذا الطير الفولاذي خفافاً

يحملنا مثل الأطفال. الانعام. الاشياء الأخرى!!»

مشكلة.. بل مأساة ان يتساوى الركاب في حسابات الوزن دون تمييز بين من يملك العقل ومن لا عقل له.. لهذا فإن القهقهة ظلت سيد الموقف.. لأن الحديث ذو شجون..! انظروا كيف يفكرون وعلى ماذا ينظرون لمن وهبهم مثل هذا البساط السحري العلمي الفسيح. والمريح وماذا يقولون في احاديثهم وهم يتطلعون عن بعد الى الأرض التي تبدو صغيرة أمام عيونهم.. وفي أحلامهم وعقولهم ايضاً:-

«سخره الله ليخدمنا ذاك النذل الغدار

فدعوه يفكر عنا

يصنع كل رواحل راحتنا

الطيارة. السيارة.

يبتكرون صنوف الفتنة والايثار»

حكاية التنابلة الذين يأسرهم الترف المادي والتبلد الذهني.. عقول معطلة تقتات على فتات ما يصنعه غيرهم. هكذا جاء رسم الصورة الشعرية.. واخالها صورة منتزعة من

زمن لا مكان له في عالم العلم والعولمة.. ان وجدت.

«أغلى من الحب» مسك الختام لشاعرنا.. وهل هناك اغلى واحلى درجة من الحب..؟

«تشتتني الدنيا وتصفعني الشكوى	فأصمد للبلوى.. والجأ للنجوى
ويخفق في صدري شعور مجنح	يخاطب عبدالله فيك الذي اهوى
فما أنت إلا النبل نبضا وهاجسا	تمازجه في الخير عاطفة اقوى»

ايا كان المقصود بهذا الحب فلقد اجاد شاعرنا الحميد وامتعنا برحلته.. وبروحه.. وبشعره.. بل وبعذاباته العذبة.

أشرعة الليل

- عزة فؤاد شاكر
- ١٣٠صفحة من القطع المتوسط

كما أن للبحر أشرعة يبحر عليها العابرون على صفحة الماء فإن لليل أشرعة يبحر عليها الحالمون والعالمون على حد سواء.. فالليل حلم ويقظة.. حلم يعكس حركة اليقظة وقد يتجاوزها إلى الأضغاث بفعل الكوابيس.. وعلم بعضه حب.. وبعضه صب.. وبعضه الثالث انتظار.. وترقب.. بعضه شرود عن الواقع والآخر تأمل يسرح بالخيال في تيه لا مقر له.. ولا مفر منه.

شاعرتنا عزة اختارت من الليل أشرعته كي تبحر بنا عبر أمواجه وسكونه.. عبر هدوئه وقلقه.. عبر خوفه وطيفه الذي لا ملامح له لأنه يستقر في أبعاده كل الصور والملامح..

حسنا جاء شراعها الأول حباً أبوياً يخترق ظلام النفس، وظلم النفس :-

في أعمـــاق حـــب دفـــين	لا يقـــــــــــــدر
يـسري ذلـك الحـب مـع دمـي	إلى قلـــــبي الـــــصغير
الـــذي ينـــبض بالحيـــاة	أحبـــه ذلـــك ال حـــب
في رعـــــشته الربانيـــــة	الـــذي وهـــبني الله بـــه..

وهو يبادلك نفس الحب ما دمت تحبينه.. الحب ثمرة ربانية جَنيّة نطعمها معا.. ومن فاتته تلك الثمرة فإنه يطعم الجوع والجفوة حتى ولو كان غنيا..

تـــساؤل خفـــي أســـائل	نفـــــسي عنـــــه..
أعـــانق وســـادتي	بـــدموع عـــيني

وأشـــكو لهـــا لوعـــة الفـــراق إلى مـــــــا لا نهايـــــــة..

لكل أعمارنا نهاية يا عزة.. حتى ولو كان حبنا طوفانيا يجرف مشاعرنا بصلف.. كما تشتكين الفراق.. كلنا سنفارق ويشتكيه أولادنا وأحفادها.. سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.. الحياة مرحلة.. محطة قطار نتوقف عندها طالت أم قصرت وذاك عزاؤنا.

فصبرا جميلاً.. ما نيل الخلود بمستطاع..، حبها تتملكه الرعشة.. إلى أي حد؟ وبأية صفة؟

رعـــشة حـــب سمـــاوي طـــاهر كنقـــاء الـــثلج

يتوغـل مـني في أقـصى الأعمـاق ترحـــل بـــه مـــني الطيـــور

يعطر كل الأفياء..

جميل أن يتسع الحب.. أن يأتي كبيرا وليس ذاتيا نرجسياً انانيا بمساحة الكون.. وساحة الناس :-

حب هو دنيا الكون

أراه هنا.. ويلوح هناك

كما في العتمة والإشراق

حيث لا حدود له.. ولا سدود تقف في طريقه.. هذا الحب النقي يا شاعرتنا افتقدناه في حياتنا.. لدينا حب من نوع آخر.. حب الذات.. حب المال.. حب الظهور.. حب النفاق.. حب الحرب.. وحب التسلط على حقوق الضعفاء.. ومن الحب ما قتل.. لم نفقد الحب.. ولكن موازينه اهتزت وتخلت عن مواقعها وواقعها.. ولسوف يعود الحب لأن الحياة حب.. والحب حياة.. ألم يقل لك الحب إنه الوجود وإنك صغيرة تحتمين بدفئه.. وتحتسين كأسه الحلو..

ومن الحب إلى الخواطر :-

درب طويـــــــــــل وليـــــــل كحيـــــــل

وحـــــب مليـــــل وأمـــــل ضـــــئيل

ماذا جرى يا عزة؟ كنا معك حالمين.. والآن معك عالمين.. خرجت من الخيال الرومانسي إلى الواقع.. وعن الواقع تتحدثين.

ليل بلا قلب — وقلب بلا حب
وعيون بلا هدب — وحب بلا حب..

عريتِ الواقع من أوراقه الخضراء القليلة.. لم تبق لنا منه إلا أوراقه الرمادية العليلة.. معك الحق.. فقد كبرتِ عن الطوق.. تجاوزت أحلام الصغر وما أحلاها.. وعشتِ واقع الكبر وما أمرّه.. مرحلة تجربة لابد منها لكِ ولغيرك..

فيوم علينا ويوم لنا — ويوم نُساء.. ويوم نسر

تلك هي سنة الحياة.. وطبيعة الأشياء ومتغيراتها..

أعطني قلبي — أعطني حبا
لأعيش بآمالي — لأحيا لحياتي..

الأشياء لا تسترد.. وإنما تصادر.. لا يهم أن لا يعطيك أحد ما تطلبينه.. المهم أن تعطي ذلك الأحد ما يطلبه.. إنه الإيثار والتسامح.. في وطنياتها لوطنها غيرة وخوف.. غيرة من النسيم وهو يلثم خد وطنها.. وخشية من قدم غاصب يتطلع إليها في طمع..

أغار عليها من لثم خديها — أغار من قدم غاصب ترنو إليها..

الغاصب يا عزة يُخشى منه ولا يُغار من قدمه.. الغيرة حب.. والغاصب رعب دونه الحديد والنار.. الغاصب يا شاعرتنا قرأناه واقعا على أرض الرافدين.. وتراب فلسطين.. وأماكن أخرى استباح أرضها وعرضها وكرامة أهلها.. ألست القائلة في مقطوعتك (جرح فلسطين)؟

بلد جريح — وقلب يئن
طفل صغير — يبحث عن والديه
كبرياء الجراح — تبحث وراء البطاح

كل هذا بسبب الانبطاح والتشرذم والضعف.. والهوان:-

مــن يهــن يــسهل الهــوان عليــه ... مـــا لجـــرح بميـــت إيـــلام

ومع هدأة الليل وصمته يطيب لعزة أن ترسم لوحتها في حدود استطاعتها:-

في ذات مساء

وبينما يهدي إلينا القمر

أجمل الذكريات

كان ذلك اللقاء

يذكر بماض لم يكن بالبعيد

كان فيه التيه..

والاشتياق البعيد..

حــائر ذلـــك العقـــل الـــصغير ... الـــذي أصـــبح يعبـــث بـــالتفكير

لماذا لأن أفكاره تائهة ممزقة بين طرقات الزمن ومطرقته.. لا تقوى على تحديد المكان..

أمسيات شاعرتنا مضت إلى غير رجعة

انتظـــرت.. ولم أفكـــر بعـــده ... مـــسكين أنـــت أيهـــا القلـــب

الـــذي يـــضم بـــين الأذنـــين ... أحلـــى شـــعور وأرق إحـــساس

القلب يا عزيزتي عاطفة.. والعقل شعور وإحساس.. فهل العقل هو المسكين..؟ أم القلب؟

ومن هدأته إلى حكاياته.. الليل وعاء يستوعب الخيال.. والواقع وما بينهما.. يستوعب الأحلام.. والأضغاث.. فعن أيها تحدثت.

في الليــل الطويــل أحــدق النظــر ... حيـــث الظـــلام بـــلا حـــدود

يــزرع ضــوءه القمــر ليــورق الأمــل ... ومثلمـــا في الكـــون زخـــم هدوئـــه

هناك صراع.. دائم ديمومة الأزل

وأعطت لنا نماذج لصراع الأشياء ضد الأشياء.. الظلام وضوء القمر.. اليأس ومزهر الأمل.. الحلم وفراقة الحلم.. :-

أملك قلباً عنيداً ينتظر موعدي السعيد

وما زالت تنتظر على أحر من الجمر.. فهل تكون اللقيا..؟!.. لا أعرف..! :-

الحلم بالنسبة إليها قاسم مشترك أعظم.. من لا يحلم لا يعلم.. أحلام اليقظة.. أو يقظة الأحلام كلتاهما في حياتنا مصدر استشعار واستمرار.. وعزة هذه المرة واكبت حلمها بالنغم.. انه حلم وردي يستجيب له السماع ويطيب نحوه الاستماع.. :-

رأيتــــك حلمـــاً.. وسمعتـــك نغمـــاً | أناديك في سكوني على ضفاف بحيرتي
أرى وجهـــك بـــين ورود حـــديقتي | بلونهـــا الأرجـــواني ألمـــح طيفـــك
يهـــيم بعيـــداً.. ليهـــرب مـــن واقعـــي | تـــرى أيـــن المـــصير؟ أيـــن الملتقـــى؟
ســـامحك الله.. ســـامحتك لأدمعـــي | الـــــتي ضـــــاعت ســـــدى..

أدركت أنها تعيش يقظة حلم لا حلم يقظة ما برح أن تلاشى على فتح عينيها لترى الأشياء دون أشياء

فقـــتُ مـــن غفـــوة حلـــم | ولم أجـــــدك معـــــي.!

هذه المرة رفعت عقيرة العتاب على من تحب.. متأسية بمقولة الشاعر القديم..

إذا ذهـــب العتـــاب فلـــيس ود | ويبقـى الحـب مـا بقـي العتـاب..

لماذا هي عاتبة؟ لقد انتظرت فتى أحلامها طويلا في ليلة شتوية موحشة. ولما لم يأت قالت عاتبة:-

ليتك تذكر قلباً تحطم على صخرة حب عنيدة

أبــت إلا وان تنهــي بــين طياتهــا | وعلـــى صـــخورها ذات الحـــب
الـــذي ولـــد.. وترعـــرع | بـــين أحـــضان زهـــور الربيـــع

واستنشق شذاها..

لم لا تذكر ذلك القلب

الذي طال انتظاره..

لقد ضاع وجودي.. وانتهى..

موقف درامي لحب مأساوي من جانب واحد انتهى إلى لا نهاية.. إلا إذا كان الضياع نهاية.. كما تركها تركته غير آسفة ولا نادمة.. إلى أين هذه المرة..؟ أنها تسائل خطواتها وهي تتحرك تائهة شاخصة بنظراتها نحو الأفق البعيد لعل في الأفق طيفاً من حبيب.. :-

إلى أيـن يـا قـدماي تـسوقينني؟　　إلى حبيـب.. أم إلى حافـة الهاويـة؟

لا.. لـــــن يكـــــــون!!　　بكــل عنفــوان أرفــض الهاويـــة

على هذا النسق من الهروب.. والبحث.. والرفض.. تتشكل ملامح صور شاعرتنا.. أحياناً مبتورة.. وأحياناً مأسورة. :- وأحياناً مقهورة، ومع هذا لا تتوقف عن السعي والطراد. والاطراد في خطابها الشعري النثري الفني المحدود المساحات، الغامض النهايات.. المتشابه في سرده وديباجته.. شاعرتنا قريتنا معها في هذا التصور إلى كلمات للذكرى..:-

كلمـــــــات مبعثـــــــرة　　لا تـدري إلى أيـن يأخـذها الهـوى

إلى قمـــة حـــب عاليـــة!　　أم تلقـــى إلى آخـــر الهاويـــة

كلمـــات ضـــلت طريقهـــا　　إلى متـــى تجاهـــل حبهـــا؟!

واحدة من أجمل قصائدها النثرية الفنية حبكة.. وديباجة.. بعنوان (زورق بلا ملاح):-

زورق تائـــه بـــلا مرســـى　　بـــين موجـــات البحـــر العاليـــة

حـــائر يبحـــث عـــن مـــلاح　　يأخـــذه إلى بـــر الأمـــان

مزقـــــه الـــــضياع　　ورمـــى ببقايـــاه مبعثـــرة

على شاطئ الحرمان..

حسنا لقد أجادت.. المضمون جلي.. والإطار اللفظي جميل ومعبر.

مقطوعات لا يسمح زمن الرحلة بالتوقف عندها.. (هل نسيت؟) و(الطريق)

و(خداع) و(القلب الصغير).. و(حبيبتي) و(قلبي) و(حياتي).. عناوينها تنم عن مضامينها.. القلب واحد.. والحب واحد.. وما بين القلب والحب صراع ينتهي إلى خداع.. أو انخداع.. أو انتظار.. نادراً ما ينتهي في لغة الشعراء إلى انصهار لا وجع فيه ولا شجار معه..

عزة الأم. الحبيبة.. والقريبة اختارت زنبقتها السمراء كي تودعها أحلى ما لديها من نغم..

زنبقتي السوداء حبيبتي السمراء
أنظر إلى سحرك الجميل إلى داخل قلبك العميق
لألملم النظر حول سمرتك يا قمر

النظر يا شاعرتنا رؤية.. والرؤية مشاهدة.. والقلب في الداخل لا يرقب السمرة ولا يصورها.. ان المرأة في جسدها.. في وجهها.. في سحنتها الظاهرة.. دعي القلب لدقاته.. وامنحي النظر الفرصة إلى التعمق في مشهدها الذي لا يحتاج إلى غوص نحو الداخل..:-

حبيبتي السمراء شعرك الجميل يهفهف على خديك
وعلى عنقك الطويل ليلثم ثغرك الهادئ الوديع
عيناك يا حبيبتي كالسهام ترمي في قلبي هواكِ
ونظرتك يا سمرتي..
يا حلوتي اعمق من ماء البحر..

وأخيراً مع شاعرتنا عزة فؤاد شاكر يترجل بنا الركب.. تقف القافلة أمام سلة التفاح وقد أغرانا شكل عنوانها:-

البحر واسع الأبعاد لا حدود تقيد المكان
مركب.. وملاح.. يتهيبان حيث لا هدف..
خلف نجمة تؤوب في وله

لتسقط في أقصى المغيب

فيما وراء حدود المكان

وأنظر إلى نفسي.. أبحث أين أقف؟!

أقول لها.. قفي أمام سلة التفاح حذار أن تأكليها فتطالك غواية حواء.. تطلعي إليها.. مصمصي بشفاهك تفاحة منها.. تمتعي بجمالها.. أما البحر.. والمركب.. والملاح فدعيها لمن يستسهل الخطر ويهوى المغامرة.. نصفنا الحلو أشبه بتفاحة بستان كوني لم ينصفه النصف الخشن.. وإنما أبقى عليه داخل زنزانة رجولته.. لأنه الحاكم بأمره وحده.

وبعد.. وقد خلصنا من أشرعة الليل وهي تتحرك عبر سواده في رحلة بيضاوية مطاياها طيعة.. خطاها قصيرة لا تجهد.. حاديها تلقائي في حدوه وشدوه وشجوه.. شعرت أنني مع شاعرة لحداثتها وضوح.. ولتحديثها لغة بعيدة عن الغموض والتكلف.. حداثة هي خارج دائرة حداثة الحداثة التي تعوزنا جميعاً إلى ترجمة لفك رموزها.. لا يهم.. أن تأتي جمل الديوان منثورة.. وعلى أي نحو تصنف؛ شعر منثور.. نثر فني.. الفكرة أولاً.. والوضوح ثانياً.. وعفوية الطرح دون تكلف ثالثاً وأخيراً..

لشاعرتنا عزة فؤاد شاكر الشكر.. ومع ديوان لشاعر آخر.

انتفضي أيتها المليحة

- أحمد صالح الصالح
- ١٢٢ صفحة من القطع المتوسط

المليحة تظل مليحة وهي قائمة.. أو نائمة.. ساكنة أو منتفضة.. لأنها مليحة.. أما شاعرنا المسافر.. وهو المسافر دائماً فلعله يرغب أن تنهض من سكونها.. ومن قعودها كي تتحرك معه رفيقة درب.. وصديقة سفر.. ليكن له ما شاء.. وليكن لنا معاً كمتابعين معرفة نوع حركتها سريعة أم مثقلة.. متحركة أم ساكنة.. لا حراك فيها.. بداية يطرح شاعرنا سؤاله :-

تتساءلين.. متى الإياب من السفر؟ ومتى يطيب لمن تغريه الحروف المستقر؟

يا انتِ. بعض هواي اتعبه السفر وامضه كيد الرموش. وما يجيء به الحور

بين جهدين وبين إجهادين يعاني تعب سفر.. وكيد رموش.. المسافر يا مسافر لا يخشى التعب لأنه اختار.. والمحب لا تخيفه الرموش ولا تمضه لأنها بوابة النظر إلى عينيها السوداوين، أو العسليتين.. أو السماويتين.. والرموش حراب تدافع.. وتدفع إلى الغوص في أعماق الرؤية.

شاعرنا للمرة يطرح السؤال على نفسه:- (أين وجهي؟):-

كان للحلم شهيه..

كان للحالم من أوطانه بعض بقيه

ليلة واحدة حمراء فيها.. وانتهت فيها البقيه

كل هذا لا يكشف للمتابع وجهة الوجه التائه.. لعل في توابعه ما يجيب.. وأخاله أوصلنا من خلال ركام من التساؤلات إلى ما يعني.. :-

من يبيع السيد المخلوع أرضا

من يبيع السيد المملوك بيتا

من يعير السيد المغلوب نعليه. وزيتا يطبخ الزاد

في كل هذه الأشياء وهي بعض من كل وجد وجهه تائهاً بين هبات الريح..

وعذابات الروح.. ذكريات طواه الجهل أو التجاهل لا بد من رؤيتها بوجه لا يضيع..:

إن للذكرى حديثاً قبل أن تطوى فصول الوطن المذبوح

بين البحر. والبحر تذكّر..

ان غرناطة كانت عربية. وتذكر

صار في القدس لدايان عشيقات وبيت

وله أصبح في القدس هوية..

هذا بالأمس.. اليوم يوم شارون وموفاز ونتنياهو.. كلهم فاز ببيت في القدس.. وهوية عبرية فوق جدرانها.. وما دمت تُذكّر يحسن لي أن أذكر شاعرنا.. أن كثيراً من الجُمل الشعرية التي تفتقر إلى علامات استفهام مهملة.. وبعض من لا يتطلب علامات استفهام مثبتة.. أخرى تقطيع أوصال أبياتك أقتطع جانباً من رونقها وتواصل طرحها.. إنه منحنى ومنحى لا أحبذه..

و(بلقيس).. أي بلقيس يعني.. أتلك اليمنية التي كشفت عن ساقيها وهي تطأ الأرض البلورية الفاضحة..؟ أم بلقيس القباني الذي قيدها بشعره فأخصب لها الشعر. وأغضب من أغضب..؟ أم بلقيس ثالثة لا ندريها ولا نعرفها؟ :-

بلقيس كم فتحت عيناكِ قافية ... وأزهر الشعر في الأحداق مبتسما

بلقيس خلفتِ بحر الشعر منشطرا ... فكل قافية لم تلتئم ألما

بلقيس عفواً تعصتني شوارده ... وسيِّد الشعر في المأساة ما سلما

عرفناها.. بلقيس نزار قباني:-

نزار ارجع هذا الحزن أفئدة ... مر المصاب مشى في أهلهم عدما

مفردة مر تحتمل معنيين (مُر) من المرارة و(مَرَّ) من المرور.. وكي لا يلتبس المعنى لدى المتلقي يجدر أن تعطيها حركاتها (مُرٌّ) بالضمتين.. رثائية كانت قفلتها أكثر

إيحاء.. :-

بـيروت إن جـراح الغـدر موجعـة وأوجـع الغـدر غـدر الأقـربين حمـى

مسافر يتواصل في رثائياته.. وتساؤلات يطرحها عناوين.. وينتظرها إجابات.. (كيف يموت الخوف).. أين علامة الاستفهام؟ :-

بسام الشكعة يعرفك الأطفال مضيئاً في الطرقات

يعرفك الزيتون.. وصبر الفلاحات..

وتغنيك على مهد رضيع أم في القدس

تبارك مجدك سحرا في الصلوات

نابلس متيمة.. ولكم تعرف أنت

ترمُّل وطن كيف يكون. وكيف تموت وتولد مأساة

كلمة أنت لابد من وضع حركتها (أنتَ) للمخاطب الذكر وأنتِ (للمخاطبة الأنثى).. الرثائية معبرة بدلالاتها.. وصورها الحزينة أمام مشهد الرحيل لرجل مناضل. وفي قلبها تحدث الذكرى.. وتحدث صالحة للحدث.. وللتحدث.. وللتحديث.. ليته أفصحها.. من دلالات شطره الأول استبان أن القلب هو الذي يُحدَّث:-

يُحدِّث قلبك؟! من رعشة الشوق بين الضلوع

لا أجد معنى لعلامتي الاستفهام والتعجب انهما دخيلتان على الجملة.. إلا إذا كانت في صيغة كليهما.. أن كان الأخير فهما لازمتان لما بعدهما..

وأن تسبيح الشفاه كنار تواج

كتيار موج عصي القلوع

وأن توقظ الحلمات العطاش الشفاه

وأن يحمل الصدر أحلى الهدايا لتأخذ زينتها الأرض

يستطرد في سرده للصور السائلة.. أو المتسائلة عبر عصور الأساطير مروراً بعصر كسرى أنوشروان وصولاً إلى اشتهاء لذة حب تعقبها أخرى.. وفي نهاية المطاف قطاف حنظلي :-

دعـــيني.. وأول ذكـــرى عرفـــتِ فـــإن الزمـــان بمـــا أنـــتِ أدرى

لعل ما كان يأمله شراباً ألفاه سراباً لا يروي..

(أعيذكِ) لها دلالة العشق المتيم الذي يصهر القلب.. ويمهره بخاتم العتب.. :-

حلولـكِ في قلـبي. وبـوح مـشاعري وفي النـبض كـم تـأتين نفثـة سـاحر

سـرتْ بـي إلى دنيـاك عـين بـصيرة وتـأبى الليـالي أن تكـوني مُـسامري

نَهاب الهوى.. أن ينـشر الـشوق بيننا وتخفي حديث الحب عن سمع عابر

نعم نهابه.. لأن الحب في بعض عالمنا مسكون بالشك، والريبة.. وما هو أدهى.. ولكن شعلة الحب تأبى أن تتراجع رغم ستار الخوف..

ما برح شاعرنا يتمنى ويتغنى بأمنياته خشية أن يلوحها خريف القطيعة البارد:-

أعيـذكِ مـن اثـم الـصدود وظلمـه ومـن رحلـة النـسيان عـبر مـشاعري

أعيـذكِ أن يغتـال ظنـكِ طيـبتي ومثلـكِ في سمعـي وانـسان نـاظري

من جانبه لا خوف.. الخشية من الجانب الآخر.. منها.. أو من يتحكمون في مشيئة قلبها وحبها.. إنه يرفع عقيرته منادياً ومناجياً.. يموت النداء وتجف المناجاة.. لا صوت ولا أثر. هكذا يعمد الشعراء.. ويختارون لشعرهم نهاية حائرة.

مسافر لا يمل من مداعبة النحل ليس حباً فيه وإنما حباً لرحيقه.. والمرأة أشبه بالنحلة أنها تقرص.. إلا أنها تجود بأجود ما عندها..

وإذا كان الهوى عنواناً.. فإن لكل عنوان جملاً توصل إلى دلالاته.. (حديث الهوى):-

يحـــدثني قبـــل أن التقيـــك هـــوى بـــين جـــنبيَّ لا ينـــضب

وشـــوق تمـــرد في أضـــلعي وقلـــب يحبـــك لا يكـــذب

فلمـــا التقينـــا، وعـــانقتني ودللـــت ثغـــراً كمـــا يرغـــب

تعلمـــت كيـــف تجـــيء المنـــى وكيـــف أمـــور الهـــوى تغلـــب

صورة للخطاب الوجداني تمور حيوية.. التجربة توصل إلى الحقيقة.. ولكن لكل حقيقة غائبة سبب لم يفسره شاعرنا لنقرأه..

هذه المرة مع لهيب حروفه وهو يواجه الزمن بسلاح الضعف.. لأن الزمن دائماً الأقوى..:-

أخذ الدهر كل شيء مليح غير ما فيك من لطافة روح
يوم أشعلت في الحروف لهيبا ملك الحرف كل معنى فصيح
تستعيدين نالدا ليس يبلى وتعيدين فيه عذب القريح

لقد ظلمت الزمن. ظننته شحيحاً. إلا أنه أبقى لشاعرنا لطافة الروح.. وذكريات لم يقدر النسيان على نسيانها.. هذا كثير..!

مسافر يسترجع التاريخ كشاعر.. والتاريخ الذي نتذكره ونذكره بالخير رصدناه في إشعارنا دون أن نضيف إليه الجديد... بل إننا أحبطناه داخل ذاكرتنا الزمنية.. حولناه إلى متحف مغلق لا يكاد يزوره أحد.. أبو الطيب المتنبي كان شاهداً..

قالت حذام (امرتهموا أمري بمنعرج اللوى)

وما قاله شاعرنا يندرج في هذا السياق:-

نقضوا أكفهموا.. وداكوا الأمر فيما بينهم..

وتذاكروا مأساة صفين وللأحداث رائحة النسيء

والخيل عاكفة على أكفان بلقيس تسف دموعها

والنوق أعطش حزنها شمس الظهيرة..

والمروءة لا تجيء

استنجاد أشبه بصرخة في وسط وادٍ.. أو أذان في مالطة يُراجَّع.. ويَرْجع دون صدى.. ومع حذام ثانية وهي تقول :-

(إنهم لم يستبينوا النصح)

واتخذوا حديث إفك.. بعض حديثهم

ابن أبي ملول.. وبنو قريضة، وكافور الأخشيدي، والعجل الذي لا يخور.. وعزيز.. يلتفت إليها المسافر وفي فمه جملة موجعة تضيف المزيد والمزيد..

ضاجعوا قطر الندى في القدس

وافتضوا الخيول العربية..

قرأوا التلموذ في الجامع جهرا

رقصوا في قبة الصخرة عريا

مارسوا الشهوة فيها وتساقوا

لا غريب يا شاعرنا.. المفسدون في الأرض ماذا تنتظر منهم..؟ للحقيقة لنقل ماذا ننتظر من أنفسنا لأنفسنا؟ القدس ليست وحدها التي تصرخ.. وبقايا فلسطين ليست وحدها التي تستصرخ.. شبعا واجمة. والجولان يجلدها الجلاد.. والعراق يمزق.. ولبنان تتصارع. وسورية على كف عفريت.. والسودان سودانان.. والمسلمون في كشمير، والبوسنة، والفلبين، والشيشان.. والحبل على الجرار.. من أين نبدأ وإلى أين ننتهي..؟ انطوى عهد خالد، وعمرو، وصلاح وجاء عصر السفاح يبشر بديموقراطية الاحتلال والإذلال والاستسلام.. في الفخ أكبر من عصفور.. دع أبا الطيب في مرقده لا توقظه حتى لا يبكينا أمواتاً ونحن أحياء!

مسافر.. يطرح الأسئلة.. وغالباً ما يجيب عنها.. أو تنتهي عند إجابة :-

تنادين؟! في لحظة العشق. من أين يأتي الخريف؟!

وأنى له أن يجيء القلب يريد؟ وحب له أن يشاء؟

تعيدين بعض الحكايا..

وتلقين في وجه هذا المساء همومك..

ألا تعلمين من يبتدي زمن الشعر؟

يعبر في كل نسغ. يبث خوف العيون النواعس؟

كالنبض يسري بكل الدماء

أسئلة تليها أسئلة.. يشخص أخيراً في عينيها :-

بعينيكِ ألقيت هذا العناء ومسحت عن تعبي في الرموش

ومارست فك قيودي.. فما كان؟!

قيدها وحدها هو الذي كان.. وكبرياؤها وحده هو الكائن المتحرك.. إنه يريدها.. ويريده ألق ذكريات.. هوى مستبداً، شفاهاً تتحدث عن شوقها في غرور.. وثغراً شهي المذاق.. يبدو أنه عاد خالي الوفاض كما عودنا.. :-

المليحة تطل علينا من جديد.. هل هي منتفضة؟ أم أنها مغمضة العينين..؟

أفضت إلى دار العلوم كأنما للحسن في أهدابها تسبيح

ألقت إلى روادها بفنونها فإذا الفؤاد متيم وجريح

أتجاوز التوصيف وتوظيف المفردات إلى الزبدة :-

يا من إليكِ تلفتت عين الرضا وتساءلت. فإذا الجواب شحيح

يقتادني هذا الدلال كأنني طفل لديك حديثه مفضوح

ماذا نركت أنا؟ كتاب شاعر وقصيدة عنوانها التبريح

لا أشتهي إلا يديك تضمني تأتي لخفق مشاعري ونبيح

النهاية معروفة.. لا شيء مما تمنى.. الشعر خيال.. والشاعر دعاؤه الذي لا يملك القدرة على التصرف.

(من أجل من؟) عنوان شاعري.. والقصيدة تقرأ من عنوانها :-

تذودين عينيك عن طيبات الهوى بين غار مهيض ونار

من أجل من أنبتوا اللحم واستقرؤوك الكتاب؟

والقوا على مسمعيك أحاديث عشق رديء مرير الحوار؟

علامات استفهام ثلاث كانت ناقصة وأضفتها.. شاعرنا يتعذب لعفة مُغتصبة نهشت الذئاب البشرية حرمتها وشرفها.. عيون زائغة.. وأطراف مرتعشة.. وقميص قُدَّ من قُبُلٍ.. وضراعة لا تنتهي.

بعينيك كم أسكنوا من مآسي

وقدوا قميصك..

لا يفقهون عن الحب الا اغتصاب المحار

والا صفحات يقلبها مسافر.. يبحلق في سطورها بين نار الغضب.. وعار الفضيحة.. وغار المأوى الذي لا يستر العري لأنه ملجأ للذئاب..

(لم يأت زمان الغيث..) المحطة ما قبل الأخيرة.. إنه مخلوق غير خليق يعرِّي مظهر مخبره.. اجتزئ من القصيدة أحد مقاطعها :-

سبات الملتف بهذا الغمد طويل	يضاجع هذا الحزن عيون الناس
يمرق كالسهم مع الأهداب	يقعقع بالشنآت لكل الأجناس
هذا الفاسق يأتي الفاحش بين الحلم	هذا الفاسق يفقد عيناً قدر النطق
يفقد دوماً أخذ الحق	يجاهر هذا الفاسق بالرجس

قلبي يعرف أن الصمت هوان العصر

بهذا القدر باح.. وصمت على صياح الديك عند الصباح.. أخيراً مع القصيدة العنوان:- (انتفضي أيتها المليحة) يقول فيها :-

يا أيها المغلول بالذنوب	موجعاً بنفسه وبالأغراب.. واليهود
يا واحدا له من الأشياء ما يريد	يا قزما تسكنه المعاصي طلعه الصديد
تعيذك الغيلان من شرورها	تطلبك الأجنة المخبئات للقصاص

يستطرد في سرده.. إلى ضحية الغيلان الزاحفة من خلف الحدود.. :-

يا حلوة.. تُغسل في الصباح والمساء بالدموع

انتفضي.. انتفضي..

أثوابك الفضفاضة اشتهتها جوقة الغلمان

عيناك بحر ليس يملك الهدوء بعد الآن

مناطق الحلال والحرام صبَّها الفساق

وا فضيحة الأعراب!! يا لعزة القبيلة

تناسخت في بضعك الرؤوس والأذناب

انتفضي للحرف سطوة، وللكلام صولجان

قولي لكل العاشقين الصمت مات بعد الآن..

هذا ما قاله لها.. لعلها قرأته.. أو ستقرؤه في قادم الأعوام.. إنها حرة.. والحرة كالحر لا يبيتان على ضيم. ولا ينامان على قهر.

وبعد.. مليحة شاعرنا آثرت أن تكون بطلة رحلة سفر مع مسافر.. أثْرت الرحلة بمادتها إمتاعاً.. واثَّرتْ فيها إشباعاً واندفاعاً.. المليحات أحياناً يستجبن.. وأحياناً يتمردن.. في الاستجابة عذوبة.. وفي التمرد عذاب يستطيبه من يرى في الحياة مغازلة حب، أو منازلة حرب لا بد منها لإذكاء شعلة الصحوة.. الحياة صحوة قلب.. ويقظة ضمير الحياة حب يسمو على حب الجسد.. شكراً لشاعرنا مسافر.. ولمليحته الأمل في أن تكون رمز جمال خَلقي، وخُلقي.. ودافع حركة تعوض بها صمت الراقدين الذين يستغرقهم السبات.. وتنعاهم الحياة.

أول الغيث

- د/ أحمد بهكلي
- ١٢٤صفحة من القطع المتوسط

نعم أول الغيث قطرة ثم ينهمر كما يقول الشاعر.. ولكن غيث الشعر ليس ماء نعبه وسط أفواهنا كي نقتل به الظمأ.. إنها مشاعر تجيش داخل نفس الشاعر محاولاً بها قتل جفاف النفس.. وقحط الحس.. هذا ما عناه البهكلي في ديوانه.. بقي أن نتعرف إلى أي مدى أعطى نهلا يمكن اغترافه.. واستلطافه..؟ أحس أنه أعطى.. هذا ما سوف نتعرف عليه من خلال استقراء سطور ديوانه:-

بداية جاء خطابه الشعري لأمه.. والأم حياة.. ووطن.. وحضن دافئ يشعر بالحنان والحب..

أماه أعلم أن الصوت لن يصلا وأنْ سيرتد نحوي يحمل الوهلا

عشرين عاماً أنادي لم يجب أحد حتى غدوت بأني لم أجد مثلا

ملاحظتان:- عشرين عاماً لم تسبقها أداة نصب أو كسر.. ومن حقها أن تكون مضمومة.. (عشرون عاماً).. ثم (حتى غدوت) وددت لو أبدلها بكلمة (خشيت، أو ظننت) إنهما أقرب إلى المعنى.. والدة شاعرنا البار بأمه ضاق به الصمت بعد رحيلها جسداً، إلا أن روحها ماثلة وحية بين عينيه.. إنه يخاطبها:-

لكنني يا نزيل الغيب ما وهنت عزيمتي وفؤادي عنكِ ما شغلا

ما زلت أفرش أوراقي وأشرعها بساط ريح وما أزجى وما انتقلا

بساط ريحه لا يتحرك.. ربما غيوم وهموم أحزانه ثبتتها على الأرض دون حراك.. ماذا يريد أن يقول دون بساط؟؟

عشرون ما فعلت يا أم هل رحمت طفلاً ترحلتِ عنه صار مكتملا

مـا اجتـاز ثالـث عقديـه الربيـع وفي   فوديـه نـذر شـتاء جمَّـد الوشـلا

بيتك الأول يحتاج في آخره إلى علامة استفهام (؟).. (فوديه) تعني بها (فؤاديه) مثنى فؤاد، والواحد يملك فؤاداً واحداً.. أحسب أن الأنسب مفردة (عينيه) أو في (فؤاده) وهو الصحيح.. مقطوعته تحمل الشكوى من عالم اليتم، ولوعة الفراق..

(عجين النـار) صوت شعر يتغنـى بـه لأنـه ورد خـاطره، وحـزن حياتـه، وفـرح أملـه.. إنـه يتنفسه كالماء والهواء لا يقوى على فراقه..

قبـل اجتيـاح الـشعر تجتـاحني   كآبـــة أشـــتاق أن أفرحـــا

تـــصطف في جمجمـــتي أوجـــه   غريبـــة تكتـــب لـــي مـــا أمحـــى

(الجمجمـة) مفـردة عظميـة لا شـفافية لهـا.. حسناً لـو أبـدلتها بمفـردة (دواخلـي) إنها أنسب.. ويسترسل:-

حتـــى إذا مـــا غـــاب وعيـــي بهـــا   وحاولـــت العينـــان أن تلمحـــا

والتقـــت الـــذاتان ذاتـــي أنـــا   وذات شـــيء مثـــل بـــرق امـــصحا

(وحاولـت عينـاي) أجمـل صـياغة.. أمـا (امـصحا) فأجهـل المقصود بهـا.. إن كانـت للصحوة فإنها لن تجهدك كثيراً (صحا) تكفي.

وعن عجين ناره الذي يحوجه النضج كي يسهل التهامه.. إلى قبسه:- لعله يواسيه.. ويخفف عنه وقع لوعته ومأساته بليلاه..

سـدى هـذي الـدموع، وذي المـآقي   فـــلا تجـــزع لنازلـــة الفـــراق

ألا كـــم عاشـــق قـــد ذاب لهفـــا   علـــى حلـــم التواصـــل والـــتلاقي

(لهفـا) الأنـسب (لهفـة) وكـي لا يـضار وزن البيـت يمكـن الاسـتعاضـة بمفـردة (شـوقاً) أو (حباً) أو (صباً).

فيـا قـيس اليمـاني كـم تنـادي   علـي ليلـى.. وليلـى في العـراق

البيت جميل.. لأن مساحة الصوت لا تقدر على قطع مسافة ومساحة هائلة يبن اليمن،

والعراق.. ومع هذا صوت العشاق لا يعترف بالمساحات، ولا بالحدود.. لأنه صوت عشق أسرع من صوت الأذن.. إنه يستحث قيساً من مرقده كي يتحرك!

وجُبَّ جمال هذا القفر حتى تلين، تلين، تصبح كالنياق

هنالك سوف تعبر في هدوء إلى ليلى، وتفرح بالتلاقي

القصيدة يا شاعرنا لا تخلو من ارتباك يسهل الفكاك منه بشاعريتك.. كذلك البيت الذي طلبت إلى قيس أن يستحث خطاه.. وأن يطبع بها الصحراء كي تلين.. أن يتقمص هو نفسه شخص الناقة لا دورها.. الفكرة واضحة.. والتعبير عن الفكرة مفككة يمكن تداركه لو أنك قلت مثلا:-

وجُبّ بعاد هذا القفر طياً كمن يسعى إلى كسب السباق

عزاء الشاعر.. لا نعرف لمن؟ هذا ما يمكن تلمسه من خلال تجاويف أبياته:-

مُتْ كيفما شئتَ إن صبرا وإن كمدا فالشعر ما راض شيطاناً ولا طردا

كم بات حولك هذا الكون منطفئا وبتّ يا شاعر الأحزان متقدا

يغفو الخليُّون إن جُنَّ المساء هنا وأنت طرفك ما أغفى ولا هجدا

إذا نظرتَ يميناً لم تجد أحداً! وإن نظرت شمالا لم تجد أحدا!

وحشة.. ووحدة، وعزلة تنضح بها أبيات شاعرنا لمن؟ حتى اللحظة لم يبح لنا بالسر..

يضمّك الوهج العلوي منحدرا من السماء فتهفو نحوه صعدا

الوهج العلوي لا يأخذ إلى الأسفل لأنه وهج.. الخشية من الوهج السفلي الذي يشد إلى أسفل.. الشاعر يا عزيزي بشعره شعور متحرك يرفض استكانة النفس متى كان صادقاً.. إنه كما قلت:-

يفجر الصخر ماء، والطوى شبعاً ويشعل الثلج ناراً والجفاف ندى

إنه بهذا يخاطب شاعراً.. وشعراً يأنس له.. ويطيب لسماعه :-

يا شاعري لست بالعاني، وإن عنيت هذي القوافي، فلا، لا، لن تضيع سدى

هذه مجرد أمنيته تدغدغ حواس مشاعره.. تصطدم بواقع حياة أخرى أقوى من أن تنصت إلى ثرثرة الشعر.. وهمهمة النثر.. الحياة قدرة عكسية على فرض الواقع خارج إطار الفكر..!! الشعر لا أنياب له!

(أول الغيث) اختارها العنوان لديوانه.. يقول فيها :-

أول الغيث قطرة يا ضافي ... ثم يهمي على السنين العجاف
يرعش الماء ذاهل الطين يحيي ... منتهاه مغلغلا في الشفاف
ويندي جفاف نأي الأحبا ... ء فما بعد ذا الندى من جفاف

غيث ومطر مقاومة من أجل الحرية.. بدايته قطرة تروي عطش الظامئين إليها.. شاعر الصبر هو فارسها كما اختار لها..

شاعر الصبر أشعل الماء في النار ... وما عاد اجرد الظهر حاف
والفيافي التي طوته تلاشت ... وطواها بعزمه في لحاف
هو قد كان ذات يوم كموج ... دون ريح تزفه للضفاف

واليوم ماذا كان؟ :-

أسرج العزم من مناه بُراقا ... مكنته قوادم، وخوافي
ومضى يكتب البطولة سفرا ... عبقري الشباب زاهي الغلاف
تتشظى له المنى بحجبتيها ... واقعاً مزهراً لحلم قوافي

شاعر الصبر عنوان لفارس يتحدى القهر والعدوان على حقه في الحياة.. إنه المجاهد على أرض فلسطين القابعة تحت نير الاحتلال:-

شاعر الصبر قد أحلتَ هشيم ... الوقت روضا مرنح الأعطاف
شاعر الصبر لن تضيع دماء ... عطَّرت أنجدا وأحيت فيافي
رمزنا أنتَ في الجهاد ولكن ... ما لنا يا رفيق غير الهتاف

مقطوعة معبرة مستصرخة تستحق أن تكون عنواناً.. :- ومع صغيرته ندى

يهدهدها.. ويداعبها في حنو:-

صغيرتي ندى... لأنني أذوب في الأطفال
أخشى على الأطفال.. إرثي لهم
سفحت سوداويتي على الورق قبل الغرق
لعل من يقدح عينيه لكيما يشعل الفتيل
يصحو على لثغة طفل لاجئ جميل
يلتاع في لبنان، يهيم في العراق أو إيران، أو في ربا الأفغان
فيشعل الفتيل للقنديل
في مصنع الحليب لا مصانع الحروب

فكرة شاعرنا البهكلي تمر عبر جادة الألم وهو يرقب أفواج المشردين، واللاجئين، والجوعى من أطفال العالم، يذكر طفلته الصغيرة ندى.. بها.. يراوده حلم جميل أن تنتصر السنبلة على القنبلة.. أن يعم السلام، والحب.. أن يعيش الطفل أحلام طفولته دون خوف

وفي مكان القنبلة
تزهر ألف سنبلة
أمنية جميلة لو أنها تحققت..

(عامان) أنشودته لأطفال الحجارة وأبطالها الذين يواجهون مجنزرات المحتل بصدورهم العارية.. :-

عامان مرًّا.. كأن ما مرَّ عامان ... وأنتَ تخصبنا قسراً كبركان
عامان يا سيدي ما رفرفت شفة ... الا جريتَ عليها نهر ألحان
أنعشت روح الإباء والرفض في وله ... .. أيقظتها بطلا في جفن وسنان
ولم يكن لك فيما جئت من مدد ... إلا خلاصة إقدام وإيمان
أعلنتَ رفضك للتدجين إذ خنعت ... نفوس قوم به في ذل إذعان

ردمـت بحـر الخيانـات الـتي زكمـت أنوفنـا منـه لم تعبـأ بخـوان

ويختتم قصيدته الجميلة المعبرة.. بهذا البيت :-

فـارجم فـديتك وارجـم إن أرؤسـهم قد أينعت فارجم القاصي مع الداني

من مواجيد فقير.. فكرة ذات دلالات موحية بكاريكاتوريتها.. فقير يرسم على لوحة حياته رسماً بيانياً من باب.. يرفعه الله إلى أسفل! :-

انتهـى قبـل ابتـدائي مـا ابتـدا بعـد انتهـائي

وانـا خمـسون قفـرا بـين جلـدي، وردائـي!

انـزع البحـر برملـي أدفـن الـصحرا بمـائي!

أكتـسي عريـي وإنـي أتعـرى بكـسائي!

امتطـي وجهـي وأرنـو عـبر رجلـي للمـوائي

بـات مثـل الـثلج صـيفي بـات كالنـار شـتائي

مثلمـا الطبلـة رأسـي مثلمـا الوحـل حـذائي

صور عكسية رسمها شاعرنا باقتدار تعبر عن حياة مخلوق لا رفيق له إلا الفقر:-

خطـأي الأوحـد أنـي أنتمـي للفقـراء

الفقر ليس عيباً.. عاشه الأنبياء.. وذاق مرارته الرسل.. رعوا الغنم.. وواجهوا صعاب حياتهم بالجلد والصبر.. بيت شعر لشاعر:-

الفقـر! ذقـت لحكمـة قدسـية حيَّـاك في مـدلولها الفقـراء

لشاعرنا خماسية جميلة تقول أبياتها:-

إذا لم تحد غير هذي التباريح في راحتيك

وقد جف من حلقك الريق، والصوت في شفتيك

وما ثم إلا الظلام يعرش في مقلتيك

وخلفك سد، وسد، يقهقه بين يديك!

فمُدَّ إلى كاشف الضر كفيك.. يمدد إليك..

هكذا يسعدنا شاعرنا بصوته القوي.. وبشعره الذي يفيض إيماناً.. وأملاً.. وقوة..

ملاحظة يعرش في مقلتيك أحسب أن (يعشعش في مقلتيك) أقرب إلى المعنى..

أتجاوز بكم ومعكم بعض قصيد شاعرنا اختصارا لزمن الرحلة (أشجا الشجا)، (الطاووس) بعدهما ننصت معاً إلى ما يقول:-

أقول إن الدجى أزرى به الوضح　　والمدلجون بدرب الظلمة انفضحوا

يا فتية في ربا أرض السلام (بخٍ　　بخٍ لكم) أنتم الآمال والفرح

يا ليتني إذ نأت عني عزيمتكم　　غدوت صخراً حوته القدس أو رفح

تمنى وهو البعيد عن عراك الحرية أن يتحول إلى صخر يقذف به وجه المستكبر المستعمر.. أمنيته سبق بها غيره من الشعراء تعبر عن وفاء.

معاً، وبكم نمر مرور الكرام على محطاته (أرجوزة الحجر) و(الفصيح الصامت) و(الغصن والفنوس) وجميعها تستحق التوقف لجودتها..

ويسترعي انتباهنا عرض شاعرنا على محبوبته أن تقبل..! تقبل ماذا؟ :-

يداي قد مُدَّتا، مدي إلي يدا　　فالصخر لان هنا، والجمر قد بَردَا

عهد النفار تولى، لم أعد كلفا　　به.. ومخزون صدي اليوم قد نفدا

أنت الحبيبة قد أرخصت مرتضيا　　من أجل عينيك حتى الأهل، والولدا

كثير هذا التنازل يا شاعرنا.. وسخي باهظ هذا الثمن الذي قدمته.. يلين صخرك! يبرد جمرك، مخزونك من الصد والنفور فارغ لا اختلاف عليه.. الخلاف أن يرقى الثمن إلى بيع الأهل، والولد.. أمر غير مسموح به حتى في الشعر لأنه شعر اللامعقول..

أقول لعزيزي قل لهندك:-

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد　　ووفت أنفسنا مما تجد

ولكن حذار أن يأخذك عجزك إلى الاستبداد حتى وإن أكده الشاعر:- (إنما العاجز من لا يستبد)، قصيدتك رائعة رغم خيالها الضارب في متاهات العشق.. ورغم أن

الضعف في الحب أمام الحبيب ضرب من التوسل الذي لا أميل إليه..

يا هند ها أنا قد مزقت أشرعتي وجئتُ يا غادتي الحسناء مرتعدا
هل تقبلين إيابي بعد طول نوى أو ترفضين فأبقى أبرم العُقدا

أظنها سترفض ما دمتَ تستجدي.. المرأة تحب الرجل القوي حتى وهي تكرهه.. وتكره الرجل الضعيف حتى ولو تظاهرت له بالحب.. (آت) حلمُ مستقبل مجلل برداء بيضاوي شفاف.. :-

أكاد أرى في الأفق نفح عبيره يهدهد في آفاقنا الألق الخابي
ويجتاح بيت العنكبوت رياحه فينصب هذا القفر من بعد إجداب
وينتشر النحل المُغيب يبتني خلاياه يجني الشهد حتى من الصلب

إنه يحلم بنصر من الله لعباد الله في مواجهة مع أعداء الله وأعداء رسله :-

إذا كان إرهاب العدو مسبة فإني - ومرحى بالمسرة – إرهابي
وإن لم أكن يوماً لقومي وملتي وفياً، فإن الموت في القفر أولى بي

هكذا وبهذه القوة الإيمانية يرفع عقيدته مستشهداً بقول الله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ} .

الإرهاب هنا انتصار للحقيقة والحق.. ليس تهمة يُخشى منها ويخاف حتى ولو كانت من أعتى دول الدنيا وأشرسها..

أخيراً.. مع شاعرنا الصادق بمشاعره.. الوفي لوطنه ولأمته الصديق أحمد البهكلي في مقطوعته الأخيرة من ديوانه (أول الغيث) (لا بد) أنها آخر غيث شعره.. المؤطر بالأمل:-

لا بد من أن تطلع النجوم لا بد من أن يزهر الهشيم

الهشيم يا شاعرنا تذروه الرياح لأنه نهاية ازهار لا بدايته.. في مقدورك مثلاً أن يكون (لا بد من أن يورق النعيم)

لا بـد مــن أن تــرقص الفيــا في   مــن فرحــة، وتنــضج الكــروم
يكــاد عطــر الفــأل يحتــويني   وقــد تهــادى لــي بــه النــسيم

إنك محظوظ يا صاحبي.. نوافذنا وأبوابنا مفتوحة لقدومك أيها الأمل، أنتَ لنا رمز حياة كريمة ننتصر فيها على أعدائنا المتربصين بنا.. المناوئين لطموحاتنا.. الطامعين في خيراتنا..

فــالحق غــالٍ صــوته مقــيم   والباطـــل الــواهن لا يـــدوم

وأضيف من عندي:-

فــالحق عــالٍ.. صــوته عظــيم   والباطـــل في كفاحنـــا مهـــزوم

شكراً لشاعرنا بهكلي أسعدني كثيراً كثيراً في شعره.. أما القليل القليل فإنه يحتاج إلى مراجعة متأنية كي يكتمل بها نصاب ديوانه:-

وأجزم أنه بموهبته قادر أن يعيد إلينا كامل الأوصاف بكل انصاف.

الحنين

- محمد عاكف
- ٧٠ صفحة من القطع المتوسط

الشاعر التركي محمود عارف قدم لنا طبقاً شهياً من حنينه الدافئ، عرَّفنا به دلالة وترجمة أحمد الخاني.. حنين الشاعر دون فواصل.. إنه عنوان واحد متواصل تتحرك داخل دائرته الشعرية كامل الرؤى والأخيلة المجنحة.. هو بالنسبة إلى رحلتنا محطة واحدة نطوِّف بغرفاتها.. ودهاليزها وشرفاتها، بل حديقتها التي تستوعب فوق تربتها أطياف الربيع المخصب.. وبقايا من أشجار عصفت بها أيدي الخريف القاسية.. (القافلة) مطية تحط داخل المحطة.. وتنوخ تحت في ظلالها ترقب ما وراء أسوار الدار:-

وجه السراب كموج الزورق الغرق ... يصب بركانه من هامة الأفق
لفح الصحارى لهيب طار من سقر ... مع السراب غرير النار في الشفق
يشوي اللهيب ضلوع الجيد لامعة ... هذا السراب دموع الرمل في الخُرق

شاعرنا يهوى الفجر.. ويهفو إلى السحر.. ويتطلع إلى الموج المتدفق وسط خياله السابح في بحر الحياة:-

أأنت؟ يا موج بحر نام اغنية ... قبل الغروب على شطآن مرتجف!

لا يطيق انتظار الليل المطبق بسواده.. ولا صحراء دواخله اليابسة والعابسة.. يريد وهج الصبح.. واخضرار الصحراء.. وخرير المياه :-

يا وهج روحي يا صحراء فابتسمي ... وعللينا. فأنفاس المساء دنفي

ويبرق الأمل.. وتشرق تباشير عيد منتظر طالما رنا إليه في شوق ولهفة :-

في كل يوم لنا عيد يجددنا ... لما ثوى قرصها في جرحه النزف

غيم.. وطل على صخر فيورق لي ومض المحاجر فازجر دمع مغترف

صحراء شاعرنا بدت مخصبة معشبة لأنها المكان، والزمان، والحياة :-

كحل الصحارى أنيق في نداوته يخضل هدب الشذا في دوحه الخمل

الطل يتساقط برذاذه فينعش التُرب.. والنهار أطل بإشراقته رمز فجر جديد.. :-

أطل صبح به الآمال والألق وهاجت النوق في البيداء تستبق

هذا أجمل ما يحلم به الرعاة.. فهو بالنسبة إليهم متعة الحياة وربيعها :-

صرنا عطاشا من الآمال. حببها للروح فجر من الأعماق ينبثق

إنه أكبر ثراء من فجر الآفاق.. لأنه فجر أمل يعتمل في دواخل الإنسان لا مكان لليأس فيه.. وفجر حب يشتعل يرنو إلى غايته.. :-

لحني تهادى أصيلا. دامعا ولها جذب من الوجد يملي سر بهجتها

يا دار ليلاي روحي في الهوى سُفحت دفنت شعري. شعوري عند روعتها

•

كل الأحاسيس غرقى في بحار سنى من بحر انوار ليلى عب واغترفا

يا نشوة الروح هل يصحو بغفوته؟ أم مات من وجده في حبها دنفا؟

•

تفديك يا مهجتي. يا نور مقلتها منا النفوس. فما الأرواح والمهج؟!

كل هذا السرد الوجداني المطرد أخذ بتلابيب شاعرنا التركي محمد عاكف.. إلى أين وصل بغرامه وهيامه؟ هل عاتبه أحد على حبه..؟ هل عاقبه أحد عليه؟ ربما:-

وعاتبوني.. وقالوا:- لو صبرت له وكيف صبري؟ دموعي مقلة الدِّيم

وصرت في رحلتي سمعي وباصرتي قلبي جريح.. عُلا (الإسلام) كالحلم

هذا الحب الطاغي في نفسه لم يكن غرام حسناء.. هذا التجشم الصعب لصحرائه.. هذا الظمأ لنوقه.. هذا السفر المضني لم يكن من أجل (ليلى) فاتنة بقدها ونهدها، وندها..

كان أسمى من كل هذا وأروع:-

لأجل قلب تلقى ساجدا ضرِعا　　لأجل روح تبدى في النوى جَزِعا
لأجل كعبتك الأسنى بها شغفي　　لأجل آيات قرآن بهن دعا
لأجل آيات خلق لا انتهاء لها　　لأجل دمعة من لبَّى ومن سمعا

يرفع شاعرنا المسلم كفيه نحو السماء في ضراعة وابتهال :-

رباه فامنح لنا سراً يجددنا　　كي ننتضي في ضيانا السيف والقلما

ويلتفت يمنة ويسرة.. وكأنما يحاول أن يحصي كل من حوله كي يُسمعهم صوته:-

أخي متى وحدة الإيمان تجمعنا　　ففي تمزقنا كهفي غدا وطنا!
يعشوشب الليل في داري ويُكبت في　　كهف المحاجر سيفا فالدجى وَرِما
الصبر أزهر. كدنا نحسد الرمما　　فالضوء أخضر. هيا نعبر الأمما

شارة العبور الخضراء مفتوحة للسالكين يطالب باجتيازها قبل أن تقفل المسالك شارتها الحمراء.. يريد شاعرنا عصر نهضة جديد لا تخلف فيه؛ في قاعة بيته الواسعة لوحة عنوانها (لا بأس) مضمونها يقول :-

هل ترى المصباح في الروح انطفأ؟　　هل جفاك الصبح؟ ما أقسى الجفا!
بسمة الآمال فجر مورق..　　ورياض، ونعيم، وصفا
يا ظلالا رقصت أهدابها　　كنسيم الروض. روحي!.. قد هفا
شفق أخضر في روح الفتى　　أي دمع من يؤوس قد شفى؟!

اليأس القاتل شبح يجثم أمام شاعرنا يستفزه نحو الصمود والصحوة.. إنه يخشاه.. ولا يخشاه :-

لو طعنت اليأس في أحشائه　　صرت بالإيمان جيشا ظافرا

وفي زاوية من زوايا القاعة لوحة صغيرة عن الغرباء.. غرباء الديار :-

زحف الغرباء لأوطاني　　سرقوا من حيي إنساني

سملـــوا عينـــا. ذبحـــوا طفـــلا سـلبوا شـيئا مــن أركــاني
في روحـــي خنقـــوا صـــرخاتي في جفـــني دفنـــوا بنيـــاني
ويـــل للغريـــاء تمـــادوا أيفيـــق الثـــأر بأوطـــاني؟!

لوحة فمها صارخ تشير إلى داء الأعداء.. وتتساءل مع نفسها ومع غيرها عن الدواء الذي يصد داء الأعداء؟ المأساة أن الداء استشرى واستفحل خطره في الجسد العربي والإسلامي.. كانت هناك غربة وغرباء فلسطين.. واليوم غرباء جدد على شط دجلة والفرات. وفي الشيشان. وأفغانستان.. ومواقع أخرى تستنزف الجسد وتمتص دمه دون رحمة..

شاعرنا في ديوان حنينه يحن إلى الماضي يوم أن كان للإسلام صوت يلعلع في سماء مناراته.. ومناداته للصلاة:-

على نفسي سفحت اليوم دمعي غريـب الـروح في زهـري. وطلعـي
فـلا صـوت الأذان غـدا ينـاغي به (حي على الصلاة) شدا بسمعي
ولا صـوت الإمـام. وكـان قـبلا لكـــل ملمـــة. وأمـــان روع
إذا يتلـو فـسمع الكـون يـصغي فـصار اليـوم في هجـر. ورفـع

لرسول الإنسانية محمد عليه السلام حديث هذا معناه أو نصه:- (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء..) عالمنا يعيش غربة روحية.. وفوضى اجتماعية.. وأطماع استعمارية..

يمـــزقني انقيـــاد للـــدنايا أأضحى الطهر في فهم الخطايا؟!
كـأن لهـم مـع الأنـوار ثـأرا فأزهـار الـضيا أضـحت هـدايا!
إذا كـان النهـار غـدا ظلامـا فـآلامي تزيـد علـى المنايـا
ولكـن مـا وجـودي في وجـودي إذا لم أنتـزع قلـب الرزايـا؟

إرادة.. قهرها صمت الصامتين.. وعبث العابثين!

وفي أحد زوايا أيكته اليافعة بثمارها لفتت الأنظار لوحة شعارها:- (حينما تندى الجباه) تتحدث عن إنسان دامع الشجو مقلتاه تهميان بمائهما الساخن.. يلفه الشرود بتساؤل:-

شارد الأهواء.. قل لي موطني   إن حقي في حياة الكرم؟

سيف تاريخي شكا.. من كمما   كيف يبقى في جراب الظلم؟

(من كمما) عبارة غير واضحة.. يمكن أن تكون جلية لو جاء الشطر كما يأتي: (سيف تاريخي شكا من غمده) وبصرخة إيمانية :-

صرخة الإسلام تبكي. أسْمِعْ لها   مَن سيصغي لدموع اليُتم

أي لؤم ملحد في أرضنا   والبرايا أتحدث من حولنا

وأيضاً مفردة (أتحدث) صحتها (اتحدت) من الاتحاد إلى أن يقول :-

إن ما ترشحه جبهتنا   قطرة صغرى.. أما ضاق المدى

خوفه من طوفان قادم مؤشراته تنبئ عنه وينتهي به مطاف خطابه:-

حينما تندى جباه جبلت   بدماء الذل تصبح سيداً!!

في ركن حالم تضيئه شموع متوقدة كان لشاعرنا التركي معها وقفة تساؤل:-

وسألتني: في الشرق طفتَ فما ترى؟!   فبكى فؤادي.. قبل عينيها جرى..

سألَتْ وبادرت الحديث. سبقتها:-   (أضحت مغاني النور قفزا أحمرا)

فلقد رأيت الشرق مسلوب النهى   أمما بلا رأس. وكان على الذُّرا

فغدا يتيما قد همى مُرَّ الدما   ورأيت دربا ليس فيه من سرى

شريط حزين من مشاهدته الكثيرة عن شرقه الشارق بتخلفه:-

وارى وجوها خُددت آماقها   تتبختر الزفرات في أناتها..

وارى ظهورا قُوِّست منخورة   قد تنتحي دهرا لبعض فتاتها

وارى. واسمع كل آن آهة   تتصدع الآهات من آهاتها

من السبب في كل هذا التراجع والموجع؟ هذا ما أشار إليه بقلمه :-

فالغرب قد غسل الدماغ. وروحنا ... جفت. فلا تندى ببذل هباتها!

وأرى قلوبا أحكمت أقفالها ... وأرى عقولا همها رد الصدى

وأرى نفوسا ما ضمائرنا؟! غدت ... صدًّا.. فلا تجلى بآماق الندى

ورأيت غابات ترحّل حسنها ... لا تعرف البذل الهتون. ولا الفدا

هذا ما تحدث عنه شاعرنا التركي المسلم محمد عاكف من خلال انطباعاته عن شرقه منذ عدة عقود من زمن.. ترى لو أن شاعرنا استيقظ من إغفاءته الطويلة الطويلة على شرقه الجديد الأكثر معاناة، ماذا سيقول.. أحسب أنه سوف يسترجع بيت المتنبي :-

رب يوم بكيت فيه فلما ... صرت في غيره بكيت عليه

البكاء لا ينفع حتى للنساء.. إنصافا لهن من تلك المقولة المطاطة:- (البكاء للنساء).. هل نسينا (الخنساء)؟

مشهد جديد في جولتنا داخل صومعته الثرية والغنية بمحتوياتها.. وتحفها الفكرية الأثرية:- (إلى متى النزاع؟)

شجاني يا أخي عِبَر عتاق ... شعوب الشرق انعام تساق

فما الجدوى (لأمثال). أتروى ... من التاريخ مشربها النفاق؟!

وهل فتحت عيون الشرق طرفا ... على ما كان؟ ضاق بها النطاق

يصل به التوصيف. والتوظيف لمفرداته الساخنة حد التفجر :-

غيوم. في سواد. باحمرار ... همت بالدار. هل بسم الوفاق؟

فشمس المشرق تغرب كل صبح ... وتشرق في المساء من المغيب

جراح قد تغرّد في شهيد ... والف دم جرى زمن الحروب

ولا زالت دماء الشرق سيلا ... ويربو في الجبال. وفي السهوب

كأني به يرسم لوحة مستقبلية لما هي عليه الحال في فلسطين، والعراق، وكوسوفو،

والشيشان، وأفغانستان.. وحيث يوجد مسلمون.. تطاردهم تهمة الإرهاب.. ومعاداة السامية.. والتمرد على ديموقراطية لا تعترف إلا بحقوق صانعيها وحدهم دون سواهم..:

ألا انظر. قد نثرنا في البوادي فهل دمع تبدى من حبيب؟!

أأحجار القبور - غدت حطاما معان من سطور في جباه

حتى القبور جرى نبشها.. حتى المقابر الجماعية لقتلى المسلمين ما زالت تبحث عن دليل يدل عليها لكثرتها.. :-

جباه عوالم كانت قديما المسلم من رفاتي.. يا إلهي

اذا لاستيقظت ذرات وجدي وقالت عِبْرة:- هل أنت لاهي

فهذا الستر أجيال تقصت علام اللؤم فيكم والتباهي؟

وكأنما كان على وفاق مع شوقي في مقولته :-

إلام الخلف بينكموا إلامَ؟! وهذي الضجة الكبرى علامَ؟!

وفي الختام داخل مكتبته.. وإلى جانب مصحف كريم.. ومسبحة.. وبخار عود طري ذكي نقرأ معه ابتهاله أمام محراب خالقه:-

إلى الرحمن سار القلب.. فرّا واضحى الموت في الهيجا ممرا

عُلا الإسلام نبغي.. لا المجرا لباغي الليل قد هيأت قبرا

لننسج من خيوط الليل فجرا لننجب للدنى حرّا وفخرّا

استجاب الله دعوتك.. ما أحوج شرقنا إلى عقيدة تذود عن حياضه.. وتبطل مكيدة الكائدين..

عندما تتشظى الأشواق

- خليل إبراهيم الفزيع
- ١٧٥صفحة من القطع المتوسط

الأشواق حين تتشظى تقذف بحممها في كل اتجاه.. تماما كما هو البركان حين يتفجر.. البركان ثورة موت.. والأشواق ثائرة حياة مغموسة بالحزن تارة وبالفرح أخرى.. شاعرنا الفزيع اختار لديوانه هذا العنوان.. إلى أي مدى تناثرت أشواك وأشواق عاطفته؟

(حريق الأقصى).. شواظ من نار كواه.. وصرخ :-

قفر الجرح من الأقصى فمه   شهد العالم ماذا آلمه
واستنامت همم القوم ولم   تنفض الوهم نفوس ملهمه
يا حريقا شب في الأقصى وما   أيقظ الحرق نفوسا مسلمه
مثل هذا الغدر في تاريخهم   لم ير العُرب عهودا مظلمه

أبيات رائعة أربعة تلخص أنشودته الطويلة المستفزة أجاد حبكتها وصياغتها وفكرتها.. شاعرنا له محايلة يخاطب بها ابنة الناس:-

يا ابنة الناس ما الذي تبتغينه   من حياة قصيرة مجنونه؟
غير دفء في عاصفات الليالي   وحنان له القلوب رهينه
وشعور بأن في الناس خيراً   وسلاما وأمنيات مصونه

إنها عظة أعطاها لابنة الناس الوجلة.. والخائفة على مستقبلها.. لم يترك لها أن تجيب.. هو الذي سأل.. وأجاب..

الحزن لديه سعادة.. ماذا أبقى شاعرنا للسعادة.. لقد صادر حقها بجرة قلم.. جردها من

الحلم الجميل.. والأمل الواجد :-

لا تحزني.. فالحزن مقبرة السعادة

لعله أراد أن يذكي لديها إرادة الحركة.. وأن تطرد من مخيلتها أوهام الغد :-

هيا اسرجي فرس العبور إلى الإرادة

ودعي الكآبة حين تشتد المآسي

فالليل تعقبه تباشير الولادة

ولادة الصبح الزاهي باشراقته.. ولكن ماذا بيد ابنة الجيران.. إنها لا تقدر على تغيير مجرى أحلامها.. إنها متعسفة.. وغير منصفة.! :-

شاعرنا طوَّف بمرابع ماربيا الأندلسية :-

يا نفس لاح الهوى الفتان فاحترسي	وحصِّني القلب من طغيانه الشرس
فكم حصون هوت. كانت مناعتها	عصية. فانطوت في حالها النفس
لكن قلبي اكتوى من نار غانية	تُردى مفاتنها من نبع أندلس
أرى هواها الذي يطغى على عجل	يحاصر القلب في عنف وفي هوس

إنه بين المطرقة والسندان.. بين نارين أحلاهما مر.. نار يخشى عليها أن تحرقه.. وأخرى يلمس دفئها ويستجيب لجمرها الذي لا يحرق.. اختار ألا يكون فراشة حب تصطادها النار ملء رغبتها.. وأن يكتفي بالعزف والتغني.. وربما أيضا التمني:-

عزفت حلمي على أنغام بسمتها	إذ القصيد احتسى من يومها السلس

استرجع وقد بهره حسن مرابع الفردوس المفقود.. تذكر (الحمراء) وقرطبة وطليطلة وغرناطة.. واكتفى من عيده دون حمّص:-

لم تدر فاتنتي أن الفؤاد غفا	في لذة الوصل أضحى غير منغمس
وان فارسها المغوار قد هزمت	خيوله ما درى الخيال بالفرس
وأن جرحا صحا تخشى عواقبه	في القدس نزَّ كما في أرض اندلس

في فخه أكبر من عصفور.. آثر أن يصمت دون وداع.. تاركاً نجواه لآخره..

ألا يا ليل ان القلب ملتاع من الهجر يعاني فرقة الأحباب في حزن وفي عسر

مضت أيام.. والأيام كم تفني من العمر أقضي الوقت مهموما. حزينا تائه الفكر

رجوت الطيف فاستعصى وما للطيف من عذر لعل خيالها يأتي بأحشاء الدجى يسري

لماذا يا عزيزي مزقت أوصال قصيدتك وأفقدت شيئا من بريقها.. لقد ظلمتها.. لقد اعادتها نيابة عنك إلى بيت شعرها المقفى حتى لا تحس بالفرقة.. ومن نثر ما لا ينثر إلى أسر البعاد حيث يقول :-

أهمسك؟ أم هو العسل المصفى؟ أم الشوق المؤجج ليس يخفى؟

إذا يسري ففي النبرات دفق من النجوى تفوق المشهد وصفى

يحاصرني البعاد إذا تمادى على نفسي. وعندي النفس لهفى

جميل هذا الاستطلاع.. يبحر في خياله ما بين وعود باللقاء عانق خطرات فكره وأمانيه طوى عليه آهاته الحرى متمنياً اللجوء إليها يوما ما. ماذا بعد؟

لقد نهل ثمالة الأحزان.. وفرغ كأس هواه :-

وأورثني البعاد شديد حزني معنى في هواك فكيف أشفى؟

سارعْ إلى طبيب القلب.. واخصائي الحب قبل أن تدعها هي بائسة.. وترحلَ هي يائسة.. فالقيد.. والصد مؤشر فشل.. خذ منها ما تبقى.. :-

ويبقى صوتك الشهدي وهما وإني في الخيال أراكِ أوفى

كل شيء في الخيال جميل.. وأجمل منه ألا يُرتهن الخيال أمام رهان الواقع.. عش الحقيقة كما تراها.. وكما رأيتها :-

أنتِ حلم؟ أم خيال توارى.؟ أم نشيد؟

به انتشاء السهارى..

أم أمان خبئتها في ضلوعي؟

(خبأتها) الهمزة على الألف لا على الياء هكذا أحسب.. إنها الحقيقة التي تستوطنك خيالاً فما تحصل منها على النزر اليسير.. المناجاة اعتراف :-

طرقت بابك في ذل يسريني — وكم ندمت على ما فرطته يدي

هاذي عطاياك لا تحصى عليّ وكم — حمدت نعماك في عسري وفي رغدي

يبدو أنها دعوات كريمة أمام من أكرم.. حسبك الاعتراف يا عزيزي.. إنها منك خطاب اعتذار عن خطأ ما.. والاعتذار عن الخطأ فضيلة حتى لو لم تقل لنا نوع الخطأ.. الله رحيم بعباده.. والذين لا يخطئون هم الذين لا يعملون.. لا أحد في حياتنا يملك العصمة من أمره..

شاعرنا.. وهواه. والجنة مرتع صباه.. أنه يتذكر :-

موئل أنتِ للهوى والجمال — ما حياتي إن لم ترقّي لحالي

ملهمات من ذكريات دهتني — ورمتني في واحة من خيال

في بحور يضيع فيها وشوق — يتمته على البعاد الليالي

ما حنيني لغير وجهكِ سلوى — كيف أسلو وأنتِ ذات الدلال

جنته يبدو أنها معشوقة كالحسناء تنطلق وتُستنطق حتى ولو كانت صامتة..:

ما حنيني لغير وجهكِ سلوى — كيف أسلو وأنتِ ذات الدلال؟

أنتِ حب حملته في ضميري — ذاك صرع على المدى قد بدا لي

البعاد وحده فجّر في داخله أشواقاً لا تحصى.. إنها بطاقة حب لمن أحب.. ومن الحب إلى العبث في خطابه (دع العبث):-

خفف ملامك فالهوى أقدار — ودع العتاب فللهوى أسرار

جرِّب تباريح الصبابة كي ترى — إن المحب من العقاب يضار

أبداً يا صديقي لا حب دون عتب.. ويبقى الود ما بقي العتاب.. ما يضير المحب العذاب لا العتاب لأنه خطاب تصحيح لهفوة أو جفوة.. غير هذا يظل قطار الوصل قائما

والــذكريات بخــاطري لمــا تــزل نِعــم الرفيــق.. إذا يطــول مــسار
شــيدت جــسرا للمحبــة راســخاً عجبــا فكيــف يهــده الاعــصار؟!
لا لا تلـم يـا صـاحبي: أو لم تقـل خفــف ملامــك فــالهوى أقــدار

بين الشعر والوجدان خيط رفيع لا ينفصم ولا ينفصل:-

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان على انغامـه غنـى خلـي القلـب ولهـان
وكـم في قطبـه دارت تبـاريح وأشـجان وكم في الشعر أفياء. وكم للفكر ميدان
أيـا شـعرا مـلأت الكون تغريـدا لـه شـان رسمت الحلم ألوانا لها في القلب أوطان

توصـيف جميـل لثنـائي أجمـل.. الـشعر في صـدقه.. والوجـدان في خفقـه.. مـن الـرابط الجميل إلى شكوى لا ارتباط بين آمال صاحبها وماله! :-

يــا مــن شــكا مــر الحيــاة وبؤســها وعليــك مــن نعــم الحيــاة قلائــد
هــلاَّ وعيــت بــأن رزقــك موكــل بمــشيئة الــرحمن كيــف تعانــد؟
لكــن ســعيك في الحيــاة ملــذة فاجعــل مــرادك في الحيــاة تجاهــد

أبيـات وعـظ.. واقـع الحيـاة يـا شـاعرنا يختـصره قـول إلهـي معنـاه:- ومـن عبـادي مـن لا يصلح إلا الفقر.. ولو أغنيتـه لطغـى.. الغنـى غنـى القلـب.. رجـل يخدمـه مالـه أسـعد مـن آخر يخدم مالـه.. الثـروة بـذل وعطـاء، وانفـاق في سـبيل الخيـر، وليـست اكتنـازا وبخـلا.. الـشكوى سـتظل قائمـة إلى أن يـرث الله الأرض ومـن عليهـا.. ألـيس هـو القائـل جـل شـأنه {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ❁ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} .. بلى ..

أجنحة بلا ريش

- حسين سرحان
- ٢٠٠ صفحة من القطع الكبير

السفر مع شاعرنا الكبير الراحل شاقة وشيقة.. شاقة لأننا أمام شاعر يمتلك أجنحة غير منظورة حلّق بها دون ريش.. وشيقة لأنّ فارس المرحلة يقدم ألواناً طباقاً شهية.. وغذاءً فكرياً دسماً.. تناولناه جميعاً افطاراً، غداء، عشاء.. دون أن نصاب بالتخمة لأنها مكونات غذائية فكرية فطرية كهوَ.. بدوية كهوَ.. أصيلة كهوَ.. ما تذوقته سأطرحه أمامكم مجاناً دون فاتورة دون إلزام.. وإنما بالتزام هو بعض حقه عليّ. لا أبتغي إلا التفاتاً.. طلب متواضع لا يكلف حلم خياله كثيراً.

يا من أود لو انني ... سوط تحركه يمينه

أمنيات كثر.. غير السوط.. عقيدة. وظل وسيف ومعقل. وسريرة. ومنام. ووفاء. وتاج كلها تمناها.. بعد أمنياته جاء خطابه

يا من حلا للقلب مر ... الصاب فيه وهان هونه
واستعذبت نفسي الهوى ... من اجله. وبدا كمينه
الحرب أنت حسامها ... والصلب أنت له تلينه

إذا كان هذا هو حالها.. فكيف بقلبه الأرقّ من الصلب.. والأحق بالرأفة.. شاعرنا أمام قوة رهيبة هي امرأة.. هو رهين لمحبسها.. ولقدراتها الفائقة.. أنه يعترف بالعجز أم سلطتها وسلطانها.

أبغي لك العمر الطويل ... تزيد من عمري سنينه
لك شاعر بالعجز والتقصير ... ترهقني ديونه

مـــــاذا ســــــتفعل في فـــــؤاد أنـــــــت فطرتـــــــه ودينـــــــه

لم يقل لنا لا تصريحاً ولا تلميحاً من يعني.. أهو حب لإنسان؟ أم حب لعقل؟ أم حب لسلطان شاء أن لا يسميه.

(فكرة.. شحنة من الذكريات.. والحياة ذكريات:-

كم ذكريات قد أتت وتصرمت فتنسى أواليها وتنسى التواليا

والمرء في الدنيا مواقف جمة يسادر فيها العيش مراً. وحاليا

ينسيك هذا الدهر ان راح مرها ويطمس ذاك الحلو إن جاء غاديا

إنه دعاء العمر يا شاعرنا الراحل يستوعب الحلو. والمر.. الحلو يمر سريعاً وخاطفاً.. أما المر فإنه يظل بذكراه أكثر طولاً وعرضاً.. ومع هذا لا شيء يتغير في مسيرة الكون..

فيـــــوم علينـــــا ويـــــوم لنـــــا ويـــــوم نُـــــساء.. ويـــــوم نـــــسر

هكذا قال شاعرنا القديم.. وهو نفسه ما يقوله شعراؤنا الجدد.. لا جديد تحت الشمس.

يكاد ريب الدهر يوحي بأنني طويت.. ولم يشعر بذاك.. اللياليا

وكم احتقب حزناً ولم أدر لذة فما الفرق بين الحي والميت ثاديا

الفرق بينهما أن الحي يستشعر صروف زمنه.. أما الميت فإنه جسد بارد لا نبض فيه.. ينخزه الدود.. يتبقى منه روح في مواجهة حسابها. شاعرنا الراحل تجرع من الحزن كأسه في حياته ولكن بإباء وشموخ.. كان بإرادته أقوى من الهزيمة.. لأن العزيمة لديه لا تنثني.. حتى وإن توجع..

قولا لذات اللمى.. من يعني بقوله؟ وهل قالاها أم هو نفسه قالها؟

قولا لذات اللمى هل جاءها خبر؟ فـإن صـاحبها أودى بـه الـسفر

طالت على الجسد الولهان شقته واستفحل الداء واستشرت به الغير

وملـه الـضجر العاتي وهـل أحـد يقوى على أمره أن مله الضجر؟

إن الهمـوم وإن خفـت محاملـها ليـل علـى لهـب الأبـصار معتكـر

توصيف أصيل وجميل انتهى بخطاب منه مباشر:-

يـا ذات عينين سـوداوين شـابهما ... سحر فكاد بما قد شاب ينسحر

وذات خدين ما احتاجا على قبل ... الا ورقاً رفيفا كله سحر

ماذا يسرك من خدن على رمق ... شلو تبلغ منه الناب والظفر

لو لم يعش كان إحجى بيد أن له ... حظا من الشقو لا يبقي ولا يذر

تذكرت شعر عمر ابن أبي ربيعة في جزالته.. وأصالته وأسلوب طرحه.. وانتقائه لمفرداته..

ما كان أحلاك لم لو ينطمس أثر ... فيك القذاة ولو لم ينطبق بصر

سكنت في الترب بيتاً ما تْحل له ... عرىً ولا يتنزى فيه مصطبر

لقد سبقت فهلا يستريح ثرى؟ ... وهل يكفكف من غلوائه حجر؟

رثائية رائعة استكثرها عليه من استكثر.. وكان الجواب:-

ما صدقوني أناس حين قلت لهم ... بأن حسنك حسن مرهب. خطر

يعود مع خيالها الغارب يَذكر.. ويتذكر.. ويُذكر.

هلا ذكرت - وان لم أنس – صبوتها ... إلى اللقاء وإن لم تنفع الذكر

عصافر الخلد لا تقوى على قدر ... فكيف ينسج في أحلامنا القدر؟

كلنا ننسى.. فما سمي الإنسان إلا لنسيه.. فينا من يتذكر. وفينا من لا.. فينا من يسبق تذكره بعد نسيان.. وفينا من يسبق نسيانه تذكره. وحبيبة شاعرنا من هذا الفصيل :-

لتذكرني مليا.. ثم تنساني ... يا شعلة من هوى في زي إنسان

أرى رسوم الهوى في اثره انطمست ... واستعجمت. ونبت من بعد تبيان

فلا حلاوة ثغر يوم قبّلني ... ولا طلاوة جرس يوم غناني

برود. في برود في برود.. النسيان هو المسيطر..

راحت كأحلام ليل في قصير صدى ففدّ عن زمن من بعد أزمان

ماذا لو كنا شيوخاً هرمين كما هي الحال مع شاعرنا؟!

لو كنت شيخاً.. أيا له من سؤال؟ يُضحك ربات الجمال الثقال

من أنا؟ إن لم أراك معروريا ظهور اعوام عراض طوال؟

إني لذو شيخوخة اطفأت جذوة قلبي بعد فرط اشتعال

سهل أن يشتعل الرأس شيباً.. وصعب أن يشتعل القلب عيباً.. سرحان الفيلسوف يزيدنا وضوحاً:-

ألست بالشيخ. وقد شمّست رأسي خيوط الشيب بعد الظلال؟!

أبيض ما سرت به مقلة قد اشعل الفود. واورى القذال

القلب مني قد براه الضنى والجسم قد ادخل فيه الكلال..

شيخوختان اعترف بهما شاعرنا. شيخوخة شعر.. وشيخوخة قلب.. وأبقى لنا شباب شعر لا يشيخ.. ورغم إيماننا بحياة شعره إلا أنه لا يجد له شارياً في سوق الكساد:-

مضى راغبا بالشعر يحسب أنه يسوق الدراري. أو يقود العرعرما

ألا ليت شِعر الشعر ما بال حلبه سرابا؟ وقدما يحلب الماء. والدّما

ورُبَّت شعر قيل في غير أهله كمثل المصلى غير أم تأمما!

ترنمت محزونا على فرط ضيقتي وماذا على المحزون ان يترنما!!

هذه المرة يتمرد على كبر سنه.. يتظاهر بأنه شاب مشبوب الحركة.. له عنفوانها وعنفها.

ألم تر أني بعد خمسين حجة أصوّت حتى لم أجد لي داعيا

واني لم أبهج بعمري مرة ولم ألف يوما ضارعا متشاكيا

ألم تعلموا أنيَ على فرط كبرة من العمر أصبحت امرأً متصابيا

كـأن العيـون الـسود حـين أرومهـا   على الطيف ذرًّا باهر الضوء حاليا

لا أحد في البشر يحب الكبر .. أو يعترف بالكبر الا العمر نفسه بملامحه المتجعدة التي لا تقوى كل أدوات التجميل ومساحيقه على تجميله..

الطلل باقي أثر كان في يوم من الأيام حياً يرزق.. أو يورق.. ويُقطن.. حتى بقايا الذكريات أنها تبني طللا في جوف قلوب أصحابها:-

في جـــوف قلـــبي طلـــل دارس   عفـى عليـه الـدهر حتـى محـاه

يعـــج بالآمـــال حتـــى هـــوى   في ذكريـــات كـــان فيهـــا رداه

آثـــار حـــب. ومغـــاني صـــبا   أيـــام كـــان العمـــر حلـــو جنـــاه

كـم حـل فيهـا مـن حبيـب مـضى   طـواه في ربـع البلـى مـا طـواه؟!

تلك هي الحقيقة ولا شيء سواها .. في قلوبنا اطلال.. وظلال من الماضي نتصورها .. ولا نقدر أن نسكنها لأن أركانها متهاوية حين يختطف الموت زهرة عمر متفتحة.. يعاجلها الأجل على حين غرة.. الجلل يكون أكبر .. وادعى للحزن.. دمية الحسن كما أسماها.

يـا دميـة الحـسن في افيـاء وارفـة   مـن الخمائـل يجـري حولهـا المـاء

مـا كنـت أحـسب أن المـوت مرتقـب   فيـك الأوان إلى أن مـسك الـداء

وأنـت صـامتة لا الـنفس جازعـة   وان تـأفف مـن بلـواك أعـضاء

ومفردة تأفف معبرة إلا أنها على ما أحسب لا تتناسب والموقف.. ربما مفردة (وان تأوه) أوفق.. لقد أغمضت الدمية الحسناء كما أسماها عينيها لقدرها المحتوم.. ودَّعت.. وودعها شاعرنا بقوله:-

لكـم تأسـيت والتأسـاء ذاهبـة   سـدى.. ولا تنفـع المخـزون تأسـاء!

سرحان الرائع صوت حب لا يخف.. ونبع عشق لا يجف.. إنه أشبه بطائر غريد ينتقل من شجرة إلى شجرة.. ومن ثمرة شعر إلى ثمرة مشاعر.. أجهدتني ملاحقة وجدانياته.. إلى الحد الذي أعفيت قلمي من رصدها مجتمعة.. اخترت البعض.. وودعت البعض.

شاعرنا يتطلع إلى أعلى حيث النجم السابح في فضائه البعيد.. يخاطبه.. وربما يعاتبه نجم شعري في الأرض يناجي نجماً درياً في السماء.

رأيتك يا نجمي.. فهلا رأيتني؟ وكيف تراني في قرار فلاة؟
فأرهفت إحساسي وذكّرتني الهوى قطفت جناه في ربيع حياتي
واسقيت لي حلما أراه على المدى عصيا فعاد الآن جد مواتي
منحتك من شعري واكبر غرسه واهديتك المختار من خطراتي
وقال أصيحابي لقد فاتك الهوى ألا رب شيء عاد بعد فوات

ما فات لا يعود.. قد يعود بشكل آخر.. وبصورة أخرى.. وبمذاق آخر.. شاعرنا القديم أكد على هذه الحقيقة بقوله:-

ما مضى فات.. والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

ليته كان مثلي.. بماذا؟ وعلى ماذا؟ على هذا التشبيه الذي عناه شاعرنا؟

صاح من دهره. وبث شكاة وتمنى لو كان في العيش مثلي
موقنا أنني سعيد.. وأني أقطع العمر في نعيم وفضل
لست أدري ماذا أقول ولكن ليته كان مثلما شاء مثلي

•

ليته عاش مثلما عشت حتى لا يغرنه خداع المظاهر
أظهر الصبر للأنام وفي أعما ق قلبي بركان فيزوف ثائر

•

ليتني كنت مثله فارغ القلـ ـب خليا.. وليته كان مثلي

بهذه الصورة الجميلة رسم لنا جانباً من رؤى الناس الذين لا يرضون بقناعتهم.. وبواقعهم.. ويغبطون غيرهم على خير لا وجود له في حياتهم..

حديثه عن الأقدار جاء باقتدار:-

مـا أدرك العـالم مـن مطلـب	مثـل الـذي يدركـه الجاهـل
سـيان عنـد القـدر الفاسـق	الأعمـى هـوى والمرشـد الفاضـل
قـد يـدرك النـائم آمالـه	اذ يحـرم المسـتيقظ الامـل

الحياة حظوظ أكثر منها استحقاقاً.. هكذا يريد أن يقول.. وهكذا أريد أن أؤكد على ما يقول.. وعن نفسه يقول:-

ان قاتـل المـرء ففـي مكسـب	أو ناضـل المـرء فعـن نفسـه
فالبـدر في أفـق السـما سـاهرا	ليسـتمد النـور مـن شمسـه
والـشهم يـدمى قلبـه راضـيا	ليكـسب الفـن علـى طرسـه
وغايـة المفـرط في طهـره	كفايـة المفـرط في رجسـه
والمـرء لا تعـرف اعمالـه	حتـى يُـوارى في ثـرى رمسـه

قوس قزح تأملي فلسفي له أكثر من مشهد محصلته أهداف السعي.. وغايات الحركة نهايته ذكرى بعد أفول شمس الحياة. ولأن الحياة طموح ومطلب يتساءل شاعرنا.. كيف؟ وكيف؟

كيف لا نستطيع أن نهجر الذل	ونبغـي علـى الحيـاة سـبيلا؟
كيـف لا نجعـل الثبـات طريقـا	كيـف لا ترجـع الأمـاني هيـولا؟
كيـف لا نـستطيع نبـذ التجـافي	لنجـاري الأنـام مـيلا فمـيلا؟
كيـف لا نـستطيع نيـل المعـالي	كيـف لا ترجـع الحيـاة الأولى؟
كيف نمنـا. والنـاس يقظـى وكـ	ـيف النهج حتى نذلل المستحيلا؟

لا مستحيل يا شاعرنا في وجه الإرادة التي تحسم خُطاها في وجه خَطاها.. بالعمل والعمل.. بالصدق والارادة تشاد صروح الحياة سامقة شامخة.. المهم الحركة.. ومن سار على الدرب وصل.

السرحان بعدسته اليقظة اللاقطة يشخص فيما حوله.. فلا يراها.. يسأل أين هي؟

حللت دارا ولم تحلل معي فيها — من كنت أمحضها حبي وأصفيها
شط المزار فلا وهم يقربها — ولا خيال على العلات يؤويها
كأنني لم أكن يوما بجانبها — ولم أرد عليها من أغانيها
كل ادكار تلاشى بعد شورته — مثل السمادير: ماتت عين رائيها

لم يلق إجابة بعد.. لعل لها العذر وهو يلومها.. الهائم وجه شارد لا يدري أين يتجه.. وأين يذهب رسمه شاعرنا في مقطوعته:-

واسع الخطو مهرعا لا إلى شيء — ولا ملويا على الشيء ذاته
وتراه يجول أي مجال — يتحدى الملتاث في وسوساته
ذاهبا. آيبا. اليفا. عنيفا — فَقَدْ إحساسه ألدُّ صفاته
المحياه أم لمرآه يمضي — ما يبالي هلاكه من نجاته؟
سدفة الليل عنده مثل نور الصبح — سيان في اتجاه انفلاته!

إنه عمى الألوان.. عمى العنوان.. عمى البصيرة.. مجرد لحم يتحرك مع هبوب عاصفة عمياء تمتد لترتد. هكذا المترددون.. المرتدون في نهج سيرهم.. نتنقل مع فارسنا داخل حقل شعره.. من ثمرة ناضجة إلى أخرى.. هذه المرة يجتذبها وإياه ظل أرخى عليه الليل ستاره.

الليل يدفعني اليك اذا سجا — فأطل في حلك الظلام.. واهتدي
طورا. وطورا. أنني قانع — أن ليس إخفاقي علي بسرمد

يهدهد من رَوح من يعني.. وقد خشي عيون الحساد. واللائمين.. ورقباء السوء...

دعهم.. فمن لزم الطريق سحقته — ما دمت تحبوني بعطف دائم
وتمدني بالوصل. لا انا عازف — عما أريد. ولست أنت بآثم

سعي بريء القصد والغاية لا يخيف أوصله.. ولج به باب المكان.. وتم البقاء:-

ولـئن شـددت علـى يـدي بحـرارة   وجـذبتني. فجلـست غـير بعيـد
فالحـب يعلـم انـني لا مـائن   فيـه. ولا انـا قابـل لمزيـد..

انتهى المشهد.. اعقبه مشهد آخر مضحك لأنه مع الشيطان..!:-

ضحك الشيطان حتى مات من   مـلإ يـركض فيـه. ويـضل
ضحك الـشيطان إذ أصغى الى   ضـحكات مـن رؤوس فارغـة
ضحك الـشيطان حتى قهقها   وهـو يـروي لبنيـه الماجنين
قـصة الكنـز الـذي يملكـه   أفعـوان مـن تـراث الاولـين

كل هذا اضحكه باستثناء مشهد واحد ابكاه:-

مـرة لم يـضحك الـشيطان مـن   هولهـا ثـم تـداعى للبكـاء
أن رأى إثْـوِي قـوم في الثـرى   ثـم أمـسى فـوق اعنـان الـسماء
ورآى سـيد قـوم. حالـه   مثل حال الكلب في فصل الشتاء.

حتى الشيطان رغم نزغته ونزعته الشيطانية آلمه ان يرى من لا يستحق في مكان من يستحق.. هل سمعتم.؟ هل قرأتهم؟ هل رأيتم من يستطيب كأس الهم شرابا له يتلذذ بجرعاته؟ انه شاعرنا الذي يدعو غيره ان لا تفوتهم رشفات من كأس الهم:-

إشـربْ بكـأس الهـم حتـى تفيـق   فكـم ازاحـت مـن سـتار صـفيق
وكـم ألاحـت عـن وجـوه المنـى   كمثـل زهـر الـروض حُلـوِ البريـق

•

الهـم مـا الهـم سـوى متعـة..   نـادرة تـسكب فـيض الغمـام
علـى قفـار أجـدبت. وانحنـى   منهـا الـسنى. ثـم اتانـا الظـلام

شاعرنا حر في ان يختار كأسه.. اما نحن جميعا مع من يقول.. ابعد عن الهم وغني له.. لأن الهم شر.. يسوق إلى ما هو أشر.. وفارسنا شاعر اتهمه من اتهمه بهوان شعره..

وارتخاء مشاعره.. ما كان منه الا ان قال:-

فقلت لهم لا تعجبوا. او تبهرجوا   فإن كلا الأمرين امسى مفندا
أفي عصر صاروخ وفي عصر ذرة   وعصر فضاء يترك القاع اجردا
يهدد فيه العلم قطان ارضنا   بأسرهمو. لا يترك الفرد اوحدا

وبصفة المستنكر لشعارات الحضارة المادية.. وبلغة المستنفر من اخطارها يقول:-

لعمر ابي. ما اصلحوا شأن امرهم   فكيف لو احتلوا الكواكب فرَّدا

طاب له ان يبقى في القاع شاعرا.. من ان يمتطي ظهر سفينة فضائية كافرا بقيم الإنسانية والعدل.. ومع هذا لم ينس الفضاء وإنسانه:-

أتغزو السماء. وانت الضعيف   وانت الاسيف فما اجهلك؟
وتحلم بالمشتري صاعدا..   وبالأنجم الزهر لو صحَّ لك!
وتركض من هاهنا. أوهنا   كأنك درَّكت عليا الفلك
ججارين يتلو خطاه شبرد   ويتلوهما من غزا مجهلك

وتعلو نبرة خطابه وهو يطرح الأسئلة:-

عجزتَ عن الأرض حتى عثرتَ   حجيما. تعذَّر ان تُمتلك
واهدرتْ حق الشعوب التي   لويتْ عراها. فما اختلك
أفي الأرض ينضب منك النهى   وفي الجو تنشد حظ المَلَك؟!

اردد معه.. وترددون معي. ومعه عبارة "ما اجهلك" اعيدوا للأرض سلامها وحرية انسانها.. او ارحلوا عنها إلى أي فلك تشاءون دون عودة.. حكمة تقول "اكرموا عزيز قوم ذل" حسين سرحان لم يغفله.. قال عنه:-

لا تهنيٍّ بعد الذي كان مني   قد كفَى.. آذني الزمان هوانا
سخريات الأقدار تحبس كف القو   م في بأسه ليخشى الجبانا

عـشت حتـى رأيـت كـل حمـار راكبـا في وغـى الحيـاة حـصانا!!

فابتـسم ان اردت. او فابـك شـجوا خـضرت سَـورة الزمـان قوانـا

بل اننا جميعا سنضحك مع شاعرنا.. وشر البلية ما يضحك لأنه ضحك كالبكاء. فـارس رحلتنـا يستحـشنا الـسفر.. يـستعجبلنا علـى الـرغم مـن شـعورنا جميعـاً بـشقة الرحلة معه.. يأخذنا القطار دون توقف اختصارا لمسافة الزمن والوقت.. يتوقف بنـا امـام لافتـة تحمـل هـذه العبـارة "ستعلم عـيني".. الفـضول وحـده جمّـد خطواتنـا استعـصاء للخبر..

سـتعلم عـيني انـني سـوف لا ارى محيــاكِ إلا ان يــشيب غــراب

فــوالهفتي. والهفــتي. أي لهفــة تلــهُّفَ صــديان عــداه شــراب

سـيمتد مـا بـيني. وبينـكَ مهمـه وتــضبح فيــه أكلــب. وذئــاب

رغم الحواجز.. ومشقة السفر يأخذه شوق نحو الابحار.. فتنة الصورة وطغيان سحرها أخذت بتلابيبه. :-

أجَمَّـة مـاء الوجـه. حلـوة طعمـه نــدى فوقــه حــسن بــه. وشــباب

لعينيـك تـزدادي. وزجـر مطـيتي وايــن اصــالي مَــرّه وعــذاب

فيـا ليـتني ادري أألقـاكِ بعـدها الا كـل مـاء مـا عـداكِ سـراب

مقطوعة رومانسية حالمة وصارخة في وَجْدِها. وجِدِّها.. ملاحظة عابرة هو خطأ مطبعي في مفـردة "محيـاكَ" حيـث جـاءت مفتوحـة للمـذكر وهـي للمؤنـة شـاعرنا يعجـب مـن النيسان.. والنسيان لازمة للإنسان.. فما سمي الإنسان الالنسيه:- يمكن له ان يعجب لو لم ينس.! :-

وعجبـت للنـسيان كيـف يـصيبني في طفلــة غيــداء لا تنــساني

ان اللــسان وأن تجعَّــد ناســيا رطـب بـذكركِ. والـضلوع حـواني

تـأتينيَ الاخبـار عنـكِ كأنهـا وقـع النـدى في الزهـر والافنـان

فتجـدُّ عاطلـها. وتفتـق كُمهَّـا وتحيـــل حائلــها إل فينـــان"..

بهذا المعنى يحق له ان يتعجب لأنه لم ينس رغم عجبه لنسيان مزعوم لا اساس له.. الحب حين يكون ضراما مشتعلا يصعب نسيانه. "الطيف المشرد" خاطرة شعرية يقول فيها:-

اعيش كالطيف. في ليل وفي حُلُم يغشى العيون. غريب اينما ضربا
يتيــه في ظلمـــات نـام سـامرها نـوم الخليين لم يألو الكرى طلبا
يظـل يعتـسف الآفـاق مُـدَّ لجـا لا يـستقر. ولا يقـضي لــه أربـا
مـشرد لـو أوى في مقلـة حلمـت او هومـت. اذنـت بالـصحو فانقلبا
كأنــه وهــو مطــرود بــلا تــرة عـصاه في كفـه تستـشعر الحربـا
شـيء عدتـه أداة الجـدب وارتفعـت عنـه. ولـو علقتـه الأرض لا نجـذبا

التيه في مضارب العشق لعاشق طريد ومشرد لا تجدي فيه مواقع النجوم.. ولا البوصلة.. ولا حتى طلوع الشمس من مشرقها نحو مغربها. الطيف لديه يتحرك في كل اتجاه.. يطارد قلبَه.. او يطارده قلبه دون قرار أو استقرار.. انه اشبه بريشة في مهب الريح اقتلعتها الريح من جناحها لا تلوي على شيء.. ولا تؤدي إلى شيء..

أرجوزة" او تلك الدمية التي تحركها الأصابع من وراء الستار. كي يتلذذ على مشهدها المشاهدون.. يضحكون لها.. ويضحكون عليها. :-

لقــد مللـــت العمـــر الملفقــا مللتـــهُ.. فـــلا تزدنـــي رهقـــا
اسـعد حينـا. ثـم يبلـوني الـشقا حتـى ارى في الـثلج مـا قـد احرقـا
وفي المـوامي الفـيح مـا قـد اغرقـا تناقــضا لـــيس لـــه مـــا ســبقا
ولم يكـــن في أي عـــصر طرفـــا ولــيس في الغــيِّ. ولا أهـل الثقــي
لكنـــه ســم ســـقاه مـــن ســقى ان كـــان محمـــرا. والا ازرقـــا

يريد ان يقول لنا ان لا شيء.. مجرد لعبة يتلهى عليها الآخرون.. ومن "الا رجوزه" إلى

"التبلد" وكلتاهما تصب في مجري واحد..:-

تبلد الذهن بالأهواء واشتغلت ... بنات قلبي بأمر غير مفهوم
لا في السماء. ولا في الأرض انشده ... فإنه مثل غيلان الدياميم
إذا التمست دليلا صاح في قدر ... وقال: هل قيس مجهول بمعلوم؟
في أي جو ترى العنقاء لو سبحت ... واي أرض ترى السعلاة إذ تومي؟
اتبتغي الشيء لا تدريه. هل كتبت ... عليك قسمةُ شقو جدًّ محتوم؟

ويأتي الجواب على السؤال دون إبطاء.. :-

اضغاث حلم سمارير رؤى! هذر ... غريبة بين تأويب. وتدويم..

حين يتبلد الذكر تبقى الأشياء جامدة كجموده.. احلامها اضغاث. دماؤها سراب.. وهياكلها خراب.. واسئلتها حيرة.. واجابتها ايضا مجبرة..

"ما اتقلها عيشة!" حتى تأتي الحياة كئيبة مملة فإنها اشبه بالحمل الثقيل الذي ينوء بحمله ذلك الشقي الذي يحاول الهرب فما يقدر:-

ما كان اثقلها من عيشة تعست ... لولا الحميًّا. ولولا رنة العود
دعني اذق لذة الإحساس في دعة ... ما دام حبل الأماني جد ممدود
اما الملاح فما يُبدي بهم كلفَا ... الا الذي شاء ان يُمنى بتنكيد
هذي تدور. وهذا صادح غرد ... عيش لعمرك موعود بتخليد..

هناك مقولة تقول: "لا يجمع الله بين شرين" وإذا كان ثقل العيشة النكدة مر.. فإن في الجانب ما يمكن له أن يطري الوجه الشاحب.. وان يطرب.. شاعرنا استعان على أموره بالجانب المؤاسي والمواسي مليحة تدور وعود يرجع ألحانه.. إنه شبه تعويض، اخيرا.. وقد ناهز شاعرنا الرابعة والخمسين من عمره كان له مع التاريخ ذكرى:-

وفي اربع من بعد خمسين حجة ... غِنى.. او يظل المرء بالعيش غانيا!
عليها بلاويها. وفيها نعيمها ... ومنها المنايا اذ تدس الأمانيا

وغنيت في ليلى أسلي حشاشتي فلما استبان الفجر اصبحت باكيا

جُهلنا. واجهلنا الحليمين بالورى وهل لعليم ان يرى متغانيا؟

فما عُمُرٌ يمضي.. وما عُمُرٌ أتى سوى جرعة تلقى الى المرء صاديا

قضى شاعرنا عمره وقد ناهز السبعين.. لم يكن جاهلا.. ولا متجاهلا. ولا مجهولا.. كان علما في صبره.. وفي شعره.. وفي كبرياء نفسه.. اخذ من متاع الحياة اليسير.. واعطى للحياة الكثير الكثير.

اذا كان بدوي الجبل قد اعطى واوفى بشعره. فإن بدوي الصحراء السرحان تفوق عليه جزالة في اللفظ. واصالة في الطرح.. وعمقا في المشاهد.. اشعر بهذا.. كما اشعر بتقصيري الإلمام بكل روائعه في ديوان "اجنحة بلا ريشة".. فكل ريشة متطايرة من اجنحته تعني قصة. وقصيدة.

رحم الله شاعرنا الراحل.. لقد ابقى لنا ما يخلده كرائد من روادنا الكبار الذين عضتهم أنياب الحياة فانتصروا عليها ضاحكين. وساخرين.. ومسافرين.. وقد حملوا همومهم معهم.. واعطوا لنا بعض العناوين للتذكير.. والذكرى.

إلى أمتي

- د/ عبدالرحمن صالح العشماوي
- ١١٥ صفحة من القطع المتوسط

كُلٌّ منا يغني على همِّه.. على ليلاه.. على أمه.. العشماوي اختار أمته الأشمل. فهي القريبة. والحبيبة.. والأم الرؤوم.. فيها يجد المسكن. والسكينة.. ومنها يستوحي التاريخ بما له. وما عليه.. وعليها يبني حسابات المستقبل.. وجسور الحركة القادمة إلى ماهو أمثل وأفضل.. بداية مع وقفته القصيرة

ســـــاعات تمتـــــد بفكــــري تـــــصبح في نظـــري ســــنوات
لحظــــات تــــنفخ في الـــذكرى تبعـــث في القلـــب الحـــسرات

كثير على شاعرنا تمزيق الكلمات.. إنها عملية تفريغ لصورتها المتماسكة.. أشلاء الكلمات كأشلاء الموتى تفرغها من روحها.. حاولت أن أُلملمها نيابةً عنه..

وتظـــل الحـــيرة في فكـــري والأمــــل الباســـم أشـــتات
والليــــــل حكايــــــة آلام ظلمــــــات تتلــــو ظلمــــات
والـــشاعر قلــــب مخـــتلج والليــــل يبـــث الآهـــات

الليل حيث يفرغ الإنسان من نهاره ويستلقي تحت ستاره فرصة للتنفس.. وتحسس دنياه.. وتلمس ما يجيش في خاطره من صور هي في مكوناتها صورة نفسه اللاهثة.. اللاهية.. العابثة. العابسة.. الفرحة.. والمجروحة أيضاً.. ماذا يريد من الليل أكثر من هذا. تلك وظيفته التي لم تصدر بمرسوم ولا بتوصية.. :-

يا أمة طه. والدنيا عِبر تنفعنا.. وعظات
وإليكِ بعثت حكاياتي.. ولقد تنفعك الأبيات
فرويداً.. قد يبصر قلب مالاتبصره النظرات..

هاتِ ذكرياتك.. هاتِ عِبرَك وعبراتك علها تغسل عن القلوب أوضارها.. وتنفخ عن العيون غبارها:-

إلى أمتي.. صوتي. وفي القلب أشجان
ولي رغم أشجاني يقين. وإيمان..

يُعاود خطابه إلى أمته في أكثر من مقطع :-

صيحات وجد تحركت وإن ضمها مابين جنبيه ديوان
في كل نبضة خاطر.. وومضة إحساس. لها خُطّ عنوان..

مقطوعة أشبه بمقدمة شعرية لديوانه.. أولى ومضات إحساسه صرخة حق:-

لا تجزعـــي إنـــي مثـــابر	إنـــي علـــى ألمـــي لـــصابر
مـــا حـــيلتي والجـــرح يغلـــي	كـــي يـــصوغ لـــي المـــشاعر
والـــــذكريات تهزنـــــي	ودمـــي مـــن الأحـــداث حـــائر

يبدأ سرد أحداثه:-

شـــتان بـــين زماننـــا القـــا	ســـي. وصـــوت الفـــسق جـــاهر
وبـــلال تحـــت الـــصخرة الـــصما	ء لا يـــــصغي لكـــــافر..
بـــل قالهـــا (أحـــد) لـــرب	الكـــون مـــن قلـــب مـــصابر
(أحـــد) وتطعـــن كـــل زنـــد	يـــق. وتـــؤلم كـــل جـــائر
يـــا خالـــداً بـــشريعة	الإســـلام (والإســـلام) عـــامر
وُلّيـــتَ أمـــراً يـــا أمـــين الله	والـــــرحمن ناصـــــر..

ويخلص شاعرنا من تفكيره وتذكيره بالماضي المجيد إلى تحذيره:-

يـــا أمـــتي أفمـــا لهـــذا الـــسهد	في دنيـــــاكِ آخـــــر
أو مـــا علمـــتِ بـــأن دا	ر الخلـــد حُفـــت بالمخـــاطر
الله أكـــبر في ذرى الـــد	نيـــا تحطـــم كـــل فـــاجر

لم يبـــــــــقَ إلا أن نُـــــــــتم بناءنـــــــا. فالجـــــــذر غـــــائر
لم يبـــــــــقَ إلا أن نُجمِّــــــــــع شملنــــــا فالركــــــب ســـــائر

بالتوحيد ننتصر.. وبالتوحد ولم الشمل نقوى.. وبالحيطة والحذر نسلم.. وبعلامات استفهام لا بد منها في أبيات شعرك تكتمل الصورة. :-

(غريب) يطعم غربة وطن.. له صوت مبحوح:-

غريـــب.. وأوطــاني تُــداس وأمــتي تعــاني. دمــوع الظلــم يــشتد صائله
غريـب.. وهــل في هــذه الــدار منــزل لمــن في ســواها تــستفز منازلــه؟!
ألا ليـت شـعري يـا بـلادي متـى أرى خميساً من الأبطال سارت جحافله؟
يجمِّعنـــا شـــرع حكـــيم.. وســـنة فيبـدو لنـا زيـف الـضلال وباطلـه
أيـا أمـتي قـد يـأنس المـرء للـهوى ويـشتاق للـدنيا. وفيمـا مـشاغله..
غريـب انختـار الحيـاض وماؤهـا؟! غثاء وحوض الدين تصفو مناهله!

دعوة تجمع بين مطمع الدنيا.. ومطمح الدين.. لا تعني الإلهاء بالأولى ولا الانكفاء عنها.. وإنما في مواكبة مع القيم الروحية والإنسانية التي هي أصل الثراء..

الخطاب الديني لدى شاعرنا العشماوي يحتل المساحة الواسعة من شعره.. فمن دعوة إلى دعاء.. ومن دعاء إلى عودة.. ووثبة إيمانية:-

عـــودي فقـــد أغلقـــت بـــابي وســـئمت شـــوقي. واضـــطرابي
مـــا أنـــتِ غـــصن. هـــل رأت عينـــاكِ غـــصنا مـــن تـــراب؟
مـــــا أنـــــتِ ظـــــبي لا. ولا وَرد، ولا حلـــــــو اللبـــــــاب

كل هذا الكلام أجفلها. أغاظها :-

قالـــت:- أتعتـــزل النـــسيب ولم تـــزل غـــض الإهـــاب..؟
وقلـــوب أهـــل الـــشعر لا تقـــوى علـــى حـــل الـــصعاب؟

فأجبتهـــــــا لا تعجـــــــبي.. مـــــا فرصـــــتي. إلا شـــــبابي..
مـــــا الـــــشعر إلا عُـــدتي أجلـــو بـــه طـــرق الـــصواب..
مـــــالي.. وللأوهـــــام قـــد أغلقـــت دون الـــوهم بـــابي..

الشعراء يهيمون.. والغاوون يتوهمون.. كلهم في وادٍ.. وفي أفق سارح يُهومون.. تلك هي الحقيقة رغم الإنكار.. محطتنا مع شاعرنا العشماوي رومانسيته.. قمرية.. إخالها مضيئة:- (حديث القمر).. والقمر يتحدث بضوئه الموحي في صمت بليغ.. شاعرنا سبقه بالخطاب :-

أتعـــشق مثلـــي الرُّبـــا والـــسحر فتهـــدي الـــضياء لهـــا يـــا قمـــر؟
أتعـــشقها؟ أم رثيـــت لحـــالي فجئـــتَ تـــشاركني في الـــسهر؟
أيـــا بـــدر عنـــدي أحاديـــث شـــتى ســـأنقل عنهـــا الأعـــز الأغـــر

يسرد على القمر أحاديثه.. يسترجع معه التاريخ.. الرسالة المحمدية.. الفتوحات الإسلامية.. يرسل القمر شحنة ضوئه خطاباً ناطقاً :-

وقـــال: أَتعـــني الرســـول الكـــريم؟ أَتعـــني الـــصدِّيق؟ أَتعـــني عمـــر؟
أولئـــك مَـــنْ ســـطروا للعـــلا أجـــلَّ الـــصفات وأغلـــى الـــسير
فهـــلا جعلـــتم لبنيـــانكم؟ أساســـاً مـــن الحـــق يـــأبى الـــضرر؟
ومـــن لاذ بـــالله في دربـــه كفـــاه المهـــيمن مـــن كـــل شـــر..

خلاصة الحوار.. وزبدته.. مرة أخرى أذكر شاعرنا بعلامات الاستفهام اللازمة المهملة.. التي أعدتها إلى مقعدها حيث يلزم أن تكون..

استسمح شاعرنا كغيره إذا ما تجاوزت البعض من مكنوناته الشعرية. فلا الوقت ولا المساحة المتاحة تسمح..

(همسات مشاعر) و(كلمة حق) و(صرخة مرصعة بالإخلاص) و(في رحاب الحق) وعناوين أخرى تجاوزتها والعين مشدودة إليها..

أتوقف بكم أمام مشهد ما زال يبكينا ويشكونا لأنفسنا.

رُبَّ ليـل طويتـه دامـع العـين أناجيـك مـن خـلال الظـلام
حُلـم أن نعـيش لحظـة شـوق تحـت ظـل الحـلال رغـم الحـرام

أبيات. وأبيات تطرد الأسئلة (كيف؟ وكيف؟ وكيف؟ تنتهي إلى خطاب مباشر

أنـت جـزء مـن الفـؤاد فـأولى أن تهـزي الـيقين في إلهـامي
فـارفعي الكـف للـسماء ونـاجي خـالق الكـون أن يعـز مقـامي
فهنـاك اللقـاء يحلـو هوانـا في فلـسطين تحـت ظـل الـسلام

شاعرنا يبدو أنه عثر على مفتاح خزنة مملكة الشعر.. ولَجَها .. قرأ أوراقها.. عثر على أسرارها الخفية.. إنه يحدثنا.. :-

لا تـذكروني شـاعراً يـا بـني قـومي فمـا بالـشعر نلنـا الرجـاء
بـل فـاذكروني عاشـقاً للعـلا يبغـي لـدين الله كـل ارتقـاء
لـن نبلـغ الآمـال في دربنـا مـالم نوحـد سـيرنا باللقـاء
وهـل يهـز العـضو جـسماً إذا لم تكـن الأعـضاء ذات التقـاء؟
يـا شـعرنا المقتـول إحـساسه عفـواً فقـد أصـبحت مثـل الـشواء
يأكلـه النـاس.. وقـد راقهـم مـن أدعيـاء الـشعر هـذا الـسخاء

لم يعثر في خزنة الشعر إلا القليل القليل فيما يمكن صرفه في بنوك الحياة.. الكثير من هراء في هراء..في هراء.. ومن الإفلاس إلى الإحساس مع يقظة الضمير:-

لا يُـلام الزمـان حـين يجـور كيـف يـصفو.. وهمنـا التكـدير؟
قـد اثرنـا كـوامن الـدهر فينـا فلمـاذا نلـو مـه ونثـور؟
لا تلومـوا الزمـان يـا قـادة الفكـر فلـومُ الزمـان أمـر خطـير
نحـن أولى بـاللوم.. ذاب التـآخي في لظـى الحقـد مـات فينـا الـشعور

كيف يرقى إلى المعالي غوي؟ كيف يشدو مع الصباح أسير؟
طائر أدمت الجراح جناحيه ومازال بالخيال يطير

انه الضمير.. ما برح يبحث له عن حي يوطّنه ويستوطنه.. ويستبطنه حركة فاعلة تكسر حاجز التردي والعجز. والتقهقر إلى الوراء.. عالم بلا ضمير غابة وحوش.. (العيد) عنوان فرحة حين تعكس الشمس المشرقة الأطياف القزحية مؤذنة بالربيع.. بالماء الحي والنماء الروحي.. عيد شاعرنا مختلف:-

عدت يا عيد والجراح جراح لم تُحقق لأمتي الأمنيات

يسترجع عبر طفولته يوم كان يستقبله بالأغاريد والأناشيد:-

كنتَ يا عيد حين تأتي أغني حيث تحلو في فجرك الأغنيات

والآن جفت اللحون.. وتجمدت أطراف البسمة.. ولم يبقَ لشاعرنا إلا استرجاع الماضي في شعره.. الماضي مجرد ذكرى لا يعود :-

ذكريات على شواطئ قلبي قد رست سفنها وفيها عظات
أنا فيها رأيت مكة حيرى وعليها من الأسى ظلمات!
ثم شاهدتها وللحق نور في رباها وللهدى وثبات
جرَّ فيها الزمان أثواب مجد نَسْجها العزم يرتديه الأباة

هذا هو عيده (انتصار لا انكسار) وعزيمة لا هزيمة.. وسلام لا استسلام.. أي عيد مهزوم بأهله بمثابة مأتم.. :-

يا رفاقي وفي ضمير القوافي حسرات وخاطري حسرات
فاعذروني إذا أفاقت شجوني يوم عيدي وسالت العبرات
هو عيد لكن حملتُ فؤادا فيه من غيرة الأبيّ سمات

ويضع نقطه فوق حروفه دون أسئلة:-

كيف يشدو وإن أتى العيد يزهو بالأماني وبالرضى يقتات؟!

كيف يشدو ولليتامى الحيارى تحت ظلم من العِدا أنات؟!
كيف يشدو ومسجد القدس يشكو وبلادي أعيادها ويلات؟!
أيها العيد لستُ عيدي فمهلا إن عيدي أن ترفع الرايات.

عيد ينتظره العالم بأسره.. حيث لا ظلم ولا ظلام.. وسلام لا استسلام.. وحب ملء القلب لا رياء فيه ولا خداع.. العيد مدينة فاضلة سكنها إفلاطون بفكره.. إلا أنه عجز عن دخولها بقدميه.. معجزة..

شاعرنا شاء له أن يلطف الجو بعد أن سخنه بحرارة الألم.. وصقيع الخريف.. قدم لنا مشهد البلبل وهو يغرد.. وينغم نشيده.

يا ملاكا إذا تقدم حرف في حديثي إليك تاه البريد
لست أدري أأَنت من أهل د نيانا أم الأرض لورأتك تبيد؟
لا ترعني يا بارك الله في الحب الذي منك طيبه المعهود
وإذا ما رأيت مني صدودا ففؤادي قسا عليه الصدود
وإذا ما افتقدت في الأرض وردا فعلى وجنتيك تزهو الورود

إنه بلبل لا كل البلابل التي تطير.. في الفخ أكبر من العصفور.. شاعرنا استعار من صورته ومن صوت ذلك الطائر الجميل المغرد.. قدَّمه أخيراً دون لبس أو تورية:-

دار نشر على سناها أفاقت ناعسات المنى ومات الشرود

من يخدم المعرفة له في كل نبرة أنشودة وفي كل سطر من كتاب أغرودة.. المعرفة جدول حياة بجفافه تموت الكلمات وتصمت الأسئلة..

(صراع مع النفس) حالة صراع.. وحلبة منازلة بين ما تشتهي وما لا تشتهي.. والنفس بقدر ماهي جوهر نفيس حين تسمو إلى الأعلى.. فإنها أيضاً أمَّارة بالسوء حين تهوي إلى الأسفل:-

ايه يا نفس قد لهوتِ كثيرا آن أن تطلبي الهدى والرشادا

طال بيني وبينك الأخذ والرد فهل لا أبديتِ لي استعدادا؟
وتركتِ الهوى فما ينفع اللهو ولن يبلغ العصيّ المرادا
وإذا الأرض أجدبت ذات يوم فهي تبغي من زارعيها اجتهادا

هنا يا شعرنا نستنطق سوياً الحقيقة دون أن نناجي أنفسنا.. أن نطلب منها أن تفعل.. أو أن نطالبها بألا تفعل.. نحن هنا كمن يفسر الماء بالماء. أو يجمل صورة وجهه كي يراه في المرآة بمساحيقه.. من هي النفس.. إنها أناس..! إنها نحن نتجاوز ما يرسم خطوطه العقل.. ثم نلقي محاضرة التنبيه على هذا التجاوز.. نعم أنا معك في التذكير.. ولكن التذكير أولاً مرده وعي يقظ مصدره الحركة قبل أن تتحرك.. واللسان قبل أن يتفوه.. والقلم قبل أن يسكب مداده..

اختتم قصيدته الرائعة بهذه الأبيات المستفزة.. المستنفرة..

وإذا خلد العزيز إلى الذل فأولى أن يخدم الأوغادا
غير أن الهوان صعب على الحر ويأبى المجاهد الأصفادا
وجميل بنا إذا عنَّ خطب يا رفاقي أن نترك الأحقادا
فإذا ما أردتم المسير بلحق فجميعاً تقدموا لا فرادى

أشير إلى الكثير من أبياتك المتساءلة.. نيابةً عنك أعطيت لها علامة الاستفهام اللازمة؟ أخيراً مع شاعرنا عبدالرحمن صالح العشماوي في ديوانه (إلى أمتي) مع حواره مع التاريخ.. ماذا قال للتاريخ؟ وماذا أخذ منه؟

على جبهة التاريخ مكنَّتُ قبلتي وقلت له حدِّث بأخبار أمتي
فأصغى وفي عينيه ثورة أدمع أثارت دموع الحزن في حوض مقلتي
أيا أمتي.. آن الأوان لتسمعي حديثاً مع التاريخ حرَّك لوعتي
حديثا يُشيب الحرفُ قبل أوانه إذا ما أذيعت فيه أسباب حسري

كل هذا مدخل شعري وعاه التاريخ وسمعه.. بأية إجابة تحدث التاريخ هذا ما

ننتظره معاً؟!

فقــال وفي عينيــه ثــورة غاضــب — تــذوب علــى إصــرارها كــل ثــورة

أأروي لكـم أمجـادكم؟ وخطـاكموا — تـسير بكـم مـن عثـرة نحـو عثـرة؟

أنــا دفــتر المجــد الــذي تعرفونــه.. — وهـل يحـرق الأمجـاد صاحب حكمـة؟!

فهـل أنتـشي والجـرح يغلـي بـه دمـي — ويـذكي تعـاميكم عـن الحـق آهـتي؟

وهــل أنتــشي والعــار يكتــب عنكمــوا — ويطـوي سـجلي صفحة إثـر صـفحة؟

اروم شموخــاً ثــم أعلــم أنكــم — دفنـتم شمـوخي في أسـاي وحـسرتي

ألا يـا سـقى الله الزمـان الـذي مـضى — ومــا فيــه مــن حــق وعــدل وعــزة

وينـتفض التـاريخ وهـو يمـسح بيـده المتجعـدة شعر رأسـه الطويـل المسترسل خلـف كتفـه.. كمـن يهـم بالحركـة في غـضب.. يـستمهله الـشاعر في رجـاء.. يقـف التـاريخ مكانه منصتاً:-

رويـدك قـد أيقظـت لوعـة خـاطري — وأخفيـتَ يـا تاريخنـا الحـر بـسمتي

لقــد كنــت أرنــو للحــديث لعلــه — يزيـل جـراح القلـب يـدفن شـقوتي

ظننــت بــأني حــين أسمــع قــصة — لقــومي ســأروي بالمفــاخر غلــتي

ولكــنني أدركــت أن الــذي بــه — تــزول جراحــي لــيس إلا هــزيمتي

صـحيح فهـل زال الأسـى عـن مكبـل — بــذكر ليــال عــبر ماضــيه مُــرة؟

يطلب من التاريخ أن يذكره بالجانب الآخر.. يريد أن يقول له ما لا يريد التاريخ أن يقوله - لأن سواد صفحاته أو صفعاته تهد القوى.. التاريخ الحقيقي أبداً لا يكذب. البشر أحياناً يزيفونه يلبسون الحق باطلاً. والباطل حقاً.. يشوهون مرحلة بيضاء.. ويبيضون مرحلة شوهاء.. وفق مزاجهم.

من الصعب استنطاق التاريخ قبل قراءته.. بل التأكد من سلامة أدبياته.. ورواته.. وسجلاته.. وشاعرنا وقد أمسك بمفتاح الخزنة وفتحها وقرأ مابين السطور كان على

حق في حسن ظنه بالتاريخ الذي لم يزيف.. التاريخ لمس صدق الأسئلة.. وأعطى الأجوبة وهو يهم بالرحيل:-

هنا وقف التاريخ يعصف بالأسى ويهتف مسروراً بعزمي ويقظتي

بني أمتي إن الحياة رخيصة إذا لم نقم فيها بإحياء شِرعة

ويملء فم التاريخ صرخة إيقاظ :-

أفيقوا فما للذئب يا قوم ذمة وأكبر عار أن أضيّع ذمتي

(يا أمتي) يقولها التاريخ.. ويقولها الشاعر.. وأقولها أيضاً.. فنحن نعيش عصر أخطار وأشرار.. يحفزنا أن نكون الأحرار الذين لا يقبلون الضيم.. ولا يرتضون المذلة.. الوجود وجود.. الجود بعض معطياته.. جهداً.. وجهاداً.. وإلا بالت علينا الثعالب.. وغطت حاضرنا الطحالب.. أبداً لن نكون هكذا.. لن يعقم رحم أمتنا.. الأمل كبير.

وإذا الأمس آت غداً

- إبراهيم المثنى الغامدي
- ٢٤٥ صفحة من القطع المتوسط

الأمس لا يعيد نفسه.. ولا اليوم يسبق غده.. حتى ولا حاولنا جاهدين مجهدين.. قد نسترجع ما خسرنا فيه.. إلا أننا لا نسترجعه كمرحلة عمر.. ولمحة سفر.. ولكن لماذا أستبقُ الحكم على شعر لم أقرأه.. ربما أجد فيه قناعة رؤية غابت عن بالي أستعيدُها معه موافقاً ومثقفاً..

بادئ ذي بدء أعتذر لشاعرنا إذا ما اختزلت الكثير من عناوينه لكثرتها الكاثرة وفق ما تسمح به مساحة التناول.. بداية مع أولى محطاته:-

لأمته السلامية وقد تجاوزت المليار بثلثه يتوجه بندائه:-

أيا مليار أمتنا دمائي ... تناديكم فمن يفدي ندائي

أسير على بقايا من رفاتي ... وأنتم لا يحرككم رجائي..

أراني اليوم والأقصى أسير ... وقد ألفت مآذنه بكائي

فلا تجديك يا أقصى دموعي ... وما يجديك يا أقصى غنائي

أبيات بليغة أربعة تختصر دلالات قصيدته الطويلة.. يكاد ينتحر فيها أمل دغدغه وتملك خواطره.. أنا معك يا صديقي إن من تعنيهم ينامون لا يوقظهم إلا طوفان كطوفان تسونامي هذا إن أعطى لهم الصحوة. والأمر لله من قبل ومن بعد. ولأن اليأس مطيته فقد ركب بساطه باحثاً عن شيء مفقود:-

مالي وما لليل ساعات طوال ... حيرانة أوراق شعري في الخيال

تتحكم الأقمار فوق وسادتي ... وسماء قريتنا سؤال في سؤال

هذا هو المدخل الشاعري الجميل.. ماذا وراء الداخل؟! :-

كنـــا معـــاً بـــالأمس لـــه جالـــسين ... علـــى بـــساطي عنـــد مفـــترق الـــتلال

كانـــت تـــود بـــأن يطـــول لقاؤنـــا ... ونـــود لـــو نُقـــش الهـــوى فـــوق الرمـــال

واليـــوم تهجرنـــي وتنـــسى لحظـــة ... فيهـــا تعانقنـــا وقلنـــا مـــا يقـــال

مـــاذا جـــرى لحبيـــبتي؟ مـــا بالهـــا ... رسمت حـروف البعـد في لـوح الوصـال

أشعر بهذا الخيال الرائع أنني أمام شاعر ملهم يحسن رسم الصورة بلحاظها وتقاسيمها ورومانسيتها.. أما ماذا جرى فأمر محير..!

أدع جدار الأمس للأمس فقد تهاوت أركانه على وقع غضبة الزمن.. يهمني جدار اليوم، وأخبار القوم.. ومرابض الصحوة والنوم. النوم.

(حيرة) تملكت ذهن شاعرنا يبحث لها عن مخرج.. اختزل منها هذا الشطر المعبر الذي لا يحتاج إلى تفسير ولا تعليق:-

أصـــبحت غريبـــاً في وطـــن ... يكتـــبني شـــعراً لا ينـــشد

فرحلـــت بعيـــداً في زمـــن ... لا أجـــد القلـــب بـــه يـــسعد

لأن الشعر الذي يوقظك غير صالح للإنشاد.. رحلتك عبر الزمن لا تعفيك من أن تُنشد شعرك لربما يوقظ صحوة نائم.

ولأن الأحلام نجوى.. فيها عشق ليل على أنغام قيثارة حب..

ســكنت الحــب بــستانا وقــصرا ... فمــا اســطاع النــوى قفــزاً لــسوري

خيراً اخترت.. وسكنت.. وأمنت على قلبك، وعقلك من لصوصية القلب والعقل.. غنى لولديه.. وغنى لأمه فيهما وجد نفسه لولديه قال:-

رأيتكمـــا فكـــان البـــوح حتمـــا ... وكـــان الـــشعر يـــا ولـــدي نـــشوى

وغنى لأمه فقال:-

لـــو أن الـــتي شـــغلتني ... وعزمـــت رحـــيلاً يبعـــدني

فالـــــشوق ســــيمكث يبعـــــدني ... لأعـــــود لقلــــــب يحــــــضنني

أبيات ثلاثة تختزل في تجاويفها كل معاني البنوة والأبوة.. كم أنت رائع.. (هو الحزن كما هو) مقطوعة معبرة أقتطع منها:-

وســـتبكي يومـــاً يـــا قلـــبي ... ليعـــود الحـــزن كمـــا كـــانَ

وســـتعرف أنـــك لـــن تنجـــو ... وســـــيبقى همـــــك أزمانـــــا

ذكرتني بقارئة فنجان نزار قباني.. بيتان عن قصيدة طويلة نجترها نحن الشعراء دون خجل تحمل قارئها على الملل، (لا فض فوك)..

شاعرنا الإبداعي إبراهيم الغامدي رجع إلى نفسه يُرجع لها لحونه:-

أبكـي وأضـحك إن يـومي كـان ... سلفا وأنت النفس حولي تدركين

لا زلت اغرف مـن شظايا الخوف ... مـا يـدمي قـوامي إنـه مـا تعلمـين

القصيدة تنزع إلى التصور التأملي النفسي من خلال مقاطع متباينة إلا أنها مشدودة إلى بعضها أشبه بحلقات السلسلة منها :-

وأمـوت، أحيـا في الحيـاة وأبتغـي ... أني إذا ما كنت الشقاء سترحلين

فـدعي مكانـا فيـه أرجـو راحـتي ... ودعـي بقـائي أنـني مـوت يحـين

(ثقاب الأمس) إحدى محطات قافلته الشعرية.. :-

منقبـــة فـــلا خلعـــت نقابـــا ... لوجـــد الأمـــس، أو ردت جوابـــا

أكلـم عينهـــا الكحـــلاء شـــوقا ... فتبـــدو حـــين تلمحـــني اضـــطرابا

لعله اضطراب الخجل والعفة أفزعَها من نظرات شاخصة إليها خشيت منها لأنها لم تعتدها..

حمل ثقيل ينوء بكاهله كل منا حين لا يرى شمس نهاره.. ولا هدوء ليله.. إن الشكوى تبدو مُرة.

نهـــاري شمـــسه دومـــا تغيـــب ... وليلـــي قـــاتم، مـــرء غريـــب

ودومـــا نظـــرة الأحـــداث بـــؤس — وسـيل الحـزن مـن قلـبي صـبيب

يـــروعّني ســـراب الأمـــس فكـــراً — ويـــشقيني إذا نطـــق النحيـــب

ماذا أبقيت لنفسك يا عزيزي.. لليأس حد اسمه إرادة الحياة التي لا تستسلم دائماً تقاوم، لا تركع وإنما تساوم، الحياة معركة..

(كأنكِ) هكذا عنون قصيدته لسارقة أحلامه :-

كأنـكِ قـد بلغـت القـول جهـدا — ومـــا كنـــت الـــتي تخفـــين ردا

أقـــــارئتي وأشـــــعاري رثـــــاء — كأنـك قـد نطقـت المـوت سـردا

تناســـى قلبـــك الأيـــام قربـــا — كأنـــكِ قـــد ألفـــتِ الآن بعـــدا

ولأنها سرابية ألقى في وجهها خطاب كبرياء :-

كأنـكِ لم تكـوني اليـوم شـيئا — ومـا كنـتِ الـتي أهـواكِ سـهدا

العاشقون المغرمون بصباهم وصبوتهم يلجأون كثيراً إلى الإبحار يمتطون مراكبه التي تدور حول نفسها في حيرة بلهاء.. :-

مـــــركبتي تختـــــار مـــــسارا — وضـــــميري يعلـــــن إصـــــراري

ورحيلـــــي بـــــؤس اجرعـــــه — ودمـــــوعي تبكـــــي أقـــــداري

والبحـــــر كـــــبير وكـــــبير — وســـــيمكث دهـــــراً إبحـــــاري

حتـــــى يوصـــــلني شـــــاطئه — مـــن حيـــث ســـيبدأ مـــشواري

ولأن غرامه لا ينتهي عند حد.. وبكل الوسائل الممكنة اختار لنفسه هذه المرة نافذة غرام يطل منها :-

الليـل أجمـل مـا يكـون مـن الـسكون — وجمالـك الأخـاذ أجمـل مـا يكـون

ويقـــرب نافـــذة الغـــرام شموعنـــا — والـشعر في عينيـك يـسبح في الحـنين

هكذا رآها في عينيه قصيدة وفاء :-

إنـــي رأيتـــك في الوفـــاء قـــصيدة — فتبـسمي حـسناً جمـيلاً في العيـون

شاعرنا يتهم العمر بالجهل.. فهل معه حق؟!.

ما كانت الأيام تدري ما القدر الا وكل العمر يسأل ما الخبر ؟
وتر، وعزف، والبدايات التي كانت تحدثني وتمنحني الصور
إني على حال، وبؤس ظالم إني على شؤم يمكّنه الحذر
تبدو ليَ الأيام صعبا حالها غم، وهم صاغه جور البشر

أقول لصاحبنا مقولة ذلك الشاعر :-

دع المقادير تجري في اعنتها ولا تبيتن إلا خالي البال

ما استطعت إلى هذا سبيلا:- الحياة قدر لا خيار لنا فيه لنا فيه يوم مسرة، ولنا فيه يوم مضرة.. المحتسبون لأقدارهم هم الأقوياء.

مداد الأمس في ذاكرة شاعرنا مليء بالسواد.. وأوراقه مليئة بالثقوب. هذا ما أوحت به أبياته المقهورة:-

يجيء الأمس مذعورا ويومي ليس يحميني
وأوراقي مبعثرة ووجهي ليس يخفيني
ومالي حيلة أبدا ومالي من يواسيني
واطلال تحدث نفسي فمن ذا اليوم يبكيني

بلى.. يا صديقي.. لكي تبرأ من انهزامية الموقف لديك سلاح الجلَد.. إنه يقضي على الشماتة.. وجحود الناس:- جربه:-

وتجلدي للشامتين اريهموا إني لريب الدهر لا اتزعزع

كثافة التوصيف والتوظيف للمفردات طاغية في بنائه الشعري.. أجمل ما فيها أنها تنزع إلى صور مختلفة لا تخل بالسرد وإن كانت ترهقه..

فمثلاً مقطوعته (كأني) ذات الستة عشر بيتاً سيطرت عليها المفردة ذاتها ثماني مرات دلالةً على التشبيه الذكي

كـأني لم أكـن بـالأمس جـدا ومـا كنـت الـذي أهـداك وردا

كـأني مـا عـشقت البـوح حرفـا كـأني لم أصـن في القلـب ودا

المقطوعة تطرح السؤال:- لماذا يلجأ الشاعر وقد مر بضائقة يعرفها من حوله أن يذكر بها وهي معلومة؟ أليست النكران والتجاهل؟

في كتاب جده ومن كتابه قرأ الكثير وطرحه درساً مستفاداً:-

هـذا كتـاب لـيس فيـه مقدمـة صـفحاته بيـضاء غـير مرقمـه

في حرفـه قـول عظـيم غـامض بوابـة الحـب العظـيم محطمـه

لـو أن منهـا مـا رأيـت دموعهـا إلا وشـيئاً في الفـؤاد وهمهمـه

وفي مواساته منه يناشد بوابة الحب العظيم القديم أن تصبر لأن الصبر مكرمة.. نصيحة حكيم ملؤها الحكمة..

(الزمن الآتي) يستقبله عن بُعد رغم أن ملامحه غيبية لم تظهر:-

الـريح تقاتـل أشـرعتي تهتـك في الأيـام مـسيري

لا جـزر ارسـو فيهـا لا شـطئان تـؤديني..

ماذا يطلب؟ بل ماذا ينتظر.. حاضره حاضر ألم عرفناه.. مستقبله يرسمه على جناح المستقبل أمنيات مسكونة بالانتظار:-

سأظل رهيناً منقاداً لحياة تبدو أزهى سيكون هناك رفاق، وتكون النشوى

•

أمـل يبـدو أجمـل كانـت آمـالَ سعداء سنرقى، نتفانى لا نحمل أثقالا

منا الدعاء ومن الله الاستجابة.. لعل، وعسى..

(النورس) مقطوعة تحلق مع طائر النورس في فضاءاته.. تحاول انتزاع ما يجيش في صدره نحو الطائر من رؤى.. ناطقة بلسانه

لا شـيء هنـاك سـيعرفني لا شـيء هنـاك سـيذكرني

الخـوف جـدار مـن طـين | والبيـت جحـود يقـتلني
وسمـاء القريـة لا تخفـي | ليـل يتحـول في الـشجن
ألـبس أقنعـة واقيـة | الوجـه.. جميـل يأسـرني
فطيـور النـورس معركـة | يجهلـها مـوج طـوقني
سـتطير اليـوم محلقـة | وبعيـداً عنـه سـتأخذني
وأعـود أعـود لـشطئاني | كـي أعـرف شـيئاً عـن وطـني

هل تمنى أن يكون نورساً يهاجر إلى حيث يطيب له المكان؟!

البؤساء لشاعرنا.. ومثلها بؤساء فيكتور هيجو.. الدراما مختلفة متباعدة إلا أن محورها البؤس والشقاء والمعاناة يقول الغامدي:-

القلـم سـيكتب آلامـي | فـالحبر تـأوه في قلمـي

•

والدفتر في لحظة إحساس يقلب صفحة تاريخي | أتـساءل مـاذا يـسكنني في يـوم جنـوني؟

•

هـل تخـذلني شـيئاً أسـئلتي؟ | أجـوبتي مـا كـنت أراهـا تنـصفني

•

المـوت سـيلعن رحلتـه | لكـني لا أحمـل زاداً لمعـادي

•

مـا كـنت لوجـه المـأتم رسـاما | خـارطتي يجهلـها البحـار دلـيلا

•

كـل لا أعـرف بعـد رحيلـي | ورحيلـي في عـين البؤسـاء

•

سيكون أكفانا .. فدعوني أحزمتي ... فالوقـــت يـــداهمني امـــرا

•

قـد لا أجـد الأسـفار بداخلـها ... فهوايــاتي تبـــدو ســــرا ..

•

خطأ مطبعي ألفت نظر الشاعر الكريم إليه.. يكمن في جملة (فدعوني أحزمتي) وصحتها (فدعوا لي أحزمتي).. القصيدة مغلفة بضباب الفكرة لم تستكمل عناصرها الموحية بالمأساة كما أتمنى.. وإن كانت طرحت جانباً من زوايا الصورة أحسبها معبرة. (فكر، وألم) اعتصرهما خطاباً لأمه الطاعنة في السن يبثها من خلاله الشكوى وربما المشورة والنصيحة.. ومن كالأم يضحي من أجل إسعاد أبنائها:-

أمـــاه.. الــنفس تـــؤرقني ... ولهيـــب الوحـــدة يحـــرقني

وفـــراق حـــصيرك يـــا أمـــي ... مأســـاة تنخـــر في الـــشجن

كـم كـــان شـــعوري مهزومـــا ... إذ كـــان الفكـــر يحيرنـــي

إن كنـــت أعـــيش بـــلا وطـــن ... مجهـــول الخطـــوة في الـــزمن

فكـــثيراً كنـــت أجالـــسه ... وكـــثيراً كـــان يـــؤنبني

ســـيظل زمانـــاً يـــؤلمني ... ســـيظل مكانـــاً يـــسجنني

تداخل الصور بين فكره وألمه.. بين أمه وذلك الذي كان يجالسه ويضيق من تأنيبه يجعلني في حيرة لا أجزم بموحياتها.. الذي استوحيته من سياق الطرح.. إن المعاناة في الداخل.. وإن الشكوى أيضاً من الداخل..

(صلاح الدين) نعم على كل شفة.. نتذكره مع كل انكسار.. وعند كل هزيمة.. ولقد تذكره شاعرنا وهو يطعم مرارة الانكسار والهزيمة:-

فـوارس أمـتي شـجعان حـرب ... إذا مـا لاح في الأرض التنـادي

وإنـك يـا صـلاح الـدين رمـز ... وغـيرك لم يـزل رهـن انقيـاد

فأقــــصانا يدنــــسه يهـــود ويغـــريهم بأقـــصانا التمـــادي

(سبعون عاماً) خريف عمر.. وقد يكون ربيع عمر لمن أحسن عنايته وسقاه ماء الحركة ذات البركة بعيداً عن الهموم والمشاكل..

مالي وللافتراضات وجبر الخواطر.. سبعون حولاً مساحة لا يستهان بها تقرب إلى نهاية السفر..

سبعون عاماً، والعواصف، والشجر والموت يسبق ظلنا.. أين المفر؟

المفر يا عزيزي منه وإليه.. إنه القدر المحسوم لكل كائن حي.. وتبقى الأعمال الجليلة إذا كانت هناك أعمال تخلد ذكرى صاحبها..

يتساءل الشاعر.. ربما مع عزيزٍ غالٍ لديه :-

هل يومك الموعود حان لقاؤه؟ والشمس شاهدة علينا والقمر؟

ويخاطب أمه :-

أمـــا أنـــا فـــستعرفين حكـــايتي سحب يموج بها الكثير من المطر

الله ربـــي لـــست أعبـــد غـــيره حتى أموت على فراش من مدر

يكفي هذا.. إنها نهاية كل مؤمن يعرف ربه..

بين العظة والبكاء حاجز نفسي وفاصل.. ولكن ماذا بيد كاتب يقلب الصفحات لا يملك المعرفة إذا كانت بوابة المحطة مفتوحة أمام قطار الرحلة.. أم لا ..

الدموع يا صديقي أنبل المشاعر وأصدقها وأبلغها.. إنها تسبق الفصاحة اللفظية تعبيراً عن مكنونات النفس.. بل إن البكاء مطلب صحي نحن في حاجة إليه في زمن تحجرت فيه المشاعر.. وتفجرت داخله قنابل الجفوة والقسوة.. عيوننا تغسلها الدموع.. ودواخلنا المثقلة بالحزن تتنفس بعد أن نبكي ونجود بالدمع.. حتى ولو كان كثيفاً مخيفاً يفتقر إلى (سجلات بكاء).

بكـــائي.. في ســـجلات النكـــاء حـــروف ترتـــوي حـــبر الـــشقاء

فيـا بؤسـي، ويـا طـول انتظـاري علـــى زمـــن يـــساومني دوائـــي

فليـــت العمـــر ينـــصفني صـــراعا ويبكـــيني إذا نطقـــت دمـــائي
وداعـــاً، والهـــوى يبكـــي ودِاعـــي إلى أرض سيـــــسعدها لقـــائي

انتهت الرحلة مبللةً بدموع ساخنة لا بد منها.. الحزن شهادة حب.

أنشودة الحزن

- محمد سعد المشعان
- ٢١٢ صفحة من القطع المتوسط

الحزن ينبوع رحمة متدفق لا يتوقف لأنه لغة دموع تتفجر من مآقي الأحياء.. الأحياء الذين تعتصر حياتهم قبضة الحب والرعب والصب.

الحزن لغة يخاطب بها الحس النفس حروفها ألم. ومدادها حنين وأنين.. وأحياناً أمل.

شاعرنا الحبيب الراحل المشعان شاعر حب إنساني ينسج برد شعره تارة ممزوجاً بالوجع.. ومرة مغلفا بستار لا يخلو من حكمة ضاحكة رغم بكائية دلالاتها.. هكذا عرفته.. وألفته.. فارس كلمة سيفها لا يجرح.. وإنما يمرح في ساحة المنازلة. أو المغازلة متى طاب له.

مع شاعرنا في باكورة ديوانه:- (ليلى) ولأن لكل شاعر معشوقة حب يحاورها أو يناورها.. ماذا عنهما؟ :-

وتسألني عمن أحب.. وأنه ليحجم إعجازي عن الوصف لا يقوى

لماذا عجزه عن التوصيف.. لأنها الشمس في نضارتها تارة. والماء في ريه أخرى.. والنار في حرارتها ثالثة.. ولهذا يستجلي.. ويشكو:-

وإني لأشكوها إليها.. وإنها لتشكو كما أشكو في أعظم الشكوى..

إلى أين انتهى بهما المطاف أمام هذه الحيرة الطاغية؟

على جانبي واد من الشوق والهوى كلانا يرى سلواه في العدوة القصوى

أفقنا على شكوى وبتنا على جوى فيا رب عجل باللقاء أو السلوى

ويحاول في النهار أن يسلمها.. أن يزرع بذرة أمل في قلبيهما:- تطرد هاجس

اليأس:-

فلا تأسي يا (ليلاي) في غمرة النوى فقد تنسج الأيام من جنحها مأوى

ولأن الحب نعمة غنى له:-

أتقول: قد همست إليك وسرك المكبوت نار

يا شاعري أنا إن بكيت فليس في الحب اختيار

يا شاعري لي مثل ما بك والهوى داني الثمار

أقدم فديتك ما هويتك خلسة أو خوف عار

لأنه حب نهار لا يعرف الاحتماء بعتمة الليل.. الحب وضوح.. وطهارة.. ومن حب إلى حب آخر زاده شعر وفقر وكبر وضياع

إلى العربي..

إلى من عزَّ بالنسب

إلى من تاه بالخطب..

إلى من زاده شعر

إلى من ندبه الفقر

إلى من عِلمه الكبر

تعازينا على ما ضاع

بهذه الصرخة يستفز ضمير أمته.. يستنهضها.. يستبطنها بمشاعر الخيبة.. وتساؤلات الواقع:-

أنبئتنا عن القدس وعن ماضيك بالأمس

وأشياء أخرى سأل عنها. يعرفها إلا أنه تساءل لمن يعرفها ومن لا يعرفها.. وتملكه في النهاية صمت الجواب. أمام مجموعات شعره النابضة بالحياة احترت كيف أختار.. فلكل قصيدة نكهة.. ولكل مقطوعة مقطع جميل تود لو توقفت عنده ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه. سأتجاوز عن البعض لأتناول البعض الآخر.

أعطى لذلك العيد لون الاحمرار لأنه عيد خطب. نهاره ينهر.. وليله دون نجوم. الأقصى يرزح تحت قيود الاحتلال.. والدم الفلسطيني يراق على صخرة القهر كما تراق دماء الأضاحي:-

لا عيد والأكباد في كنف الخيام تُفطر

لا عيد والأطفال أيتام ولمّا يكبروا

لا عيد إلا حين نثأر عندما نتحرر

القيد اتسع.. لم يعد الأقصى وحده السجين.. العراق سجين.. وعالمنا العربي والإسلامي يرهب السجان لأنه سجين إرادة.

قوافي شاعرنا منحها بعض الشيء.. ما هو؟ :-

لا تعودي فلم يعد في وجودي	لخريف الشتاء إلا برودي
عنفواني كم راح ينمو استعاراً	وضحايا الحرير أقوى شهودي

لاحت بوادر شيبه.. الشعيرات البيضاء بدأت تتسلل داخل غابة شعره.. :-

قبضة الأربعين تلوي جموحي	غضنت وجنتي وشدت قيودي
كلما ثرت والحنايا جحيم	راح سيف الزمان يجتث عودي

نحن يا راحلنا كالشجرة تذبل غصونها على مشارف الخريف.. وكالثمرة تتساقط بعد أن تمثل إلى النضج.. لا غضاضة في هذا ولا غرابة. :-

ومن خشية المشيب إلى خشية المغيب.. القمر يُغتال :-

آمنت بالله لا تخليد للبشر	من لم يمت بالعوادي مات بالكبر
الموت حق فما حي بمنكره	وسالف الدهر سِفر ضج بالعبر
فمنذ (قابيل) والأرزاء هائجة	ومورد الموت لا يفضي إلى صدر

أين موت قمرك يا شاعرنا؟ :-

لو أن دنياك دار لا فناء بها	ما غاب وجه رسول الله في مدر

يـا فيـصلاً غـاب عهـد للقـراب ومـا　　كانـت شـباتك إلا ضُـجَّع الـشرر

تجـول في حلبـة الإسـلام منتـصرا　　وبـين عينيـك اشـراق مـن الـسور

قمره الغائب عُرف.. انه المرحوم الملك فيصل الذي اغتاله الغدر لأنه وقف وقفة الرجال أمام الطغيان دون أن يخاف

الشعر بحر.. والابحار به واليه يحتاج إلى زورق يمتطيه ويعبر به صدر الماء..

يـا زورقـا انحـل المجـداف كاهلـه　　وهـام في صـفحتيه الـشوق والـسفر

أمـا سـئمت مـن التجـوال شـاهقة　　تلـك الصواري وجوف اليم معتكر؟!

وحولـك الـريح لا تنفـك زائـرة　　ففـوق صدرك عـالي الموج ينكسر؟!

ضاق بطول التجديف.. يستعجل الهدف.. يشخص ببصره نحو اليابسه:-

هـلا جنحـت إلى أرض أضـعت بهـا　　لحنـا يحـن إلى تكـراره الـوتر؟

لـو كنـت يـا زورقـي مثلـي أخـا ولـه　　بـدار ليلـى لطـاب الليـل والـسمر

يـا زورقـي ضقت بـالتجوال واحترقت　　جـوانحي لهفـة والقلـب منفطـر

ولكن الزورق لا يفهم معنى المناجات.. وقد لا يستجيب لها لو أنه سمع.. لقد أسلم أمره إلى الله:-

سـر أيهـا الـزورق الطـاوي جوانحـه　　علـى أمانيـه حتـى يـأذن القـدر

لو أن ليلى، معه لأسكنت وحشته ووحدته وغربته.. ولما طلب العودة..

(الأسوار) بعضها حي تلمسه ونفسي تشعر به في دواخلك.. وشاعرنا المتمكن المشعان له حكاية مع أسواره:-

بـيني وبينـك يـا (لـيلاي) أغلالـي　　وهـادر المـوج تاهـت فيـه آمـالي

و(سبعة) كـالدوالي جدَّ في عنقـي　　لهـا شـؤون فهـل تـدرين مـا حـالي

بـيني وبينـك إن أومـت بـأجنحتي　　بواعـث اللهفـة الحمـراء اقلالـي

بـيني وبينـك صـحراء اهـيم بهـا　　شـوقا ويعـذلني في حبهـا الـسالي

كلها سدود واقفة في دربه لا يستطيع اختراقها ولا تجاوزها كي يصل إلى ليلاه الذي عذبها شوقا وعذبته شوكا. وربما انتظارا والانتظار أحر من الجمر..

(مضغ الصخور) قصيدة يطغى عليها الرمز.. التفكير المتأني يفك قفل رموزها.. فهي (شقراء) تمثل جانبه من عالم ضاق به صدره لأنه حاول احتواءه.. وقهر إرادته:-

شقراء قد أضفى ذووك على بلادي ألف زود
وتقيأوا في موطني حقداً أشد من السعير
إني كأرضي تريض الإنبات من بذر الفجور
عودي إلى أهليك في كهف التآمر والخيانة والشرور

(غزل الدموع) رمادي هذا المرة كأنه يتصبب في عينين غائرتين.. ومن وجه شاحب.. ومن جسد أنهكه المرض.. :-

وقف الطب حائرا.. والطبيب	حينما أزمعت وحان الغروب
ورمتني بنظرة غالها الضعف	وجيش الآلام فيها يلوب
وتداعت إلى المآقي دموع	وتمطى في وجنتيها الشحوب

نظرت إلى حبيبها في انكسار ووهن قائلة :-

يا حبيبي أتذكر الأمس واللقيا	وثوب الحياة زاه قشيب
أينه اليوم والحنايا حطام	وفؤادي يموت فيه الوجيب؟

دوام الحال من المحال.. الزهرة تولد مع الربيع.. وتذبل وتتعرى مع هبة الخريف.. وأعمارنا كالزهرة. طفولة. شباب. رجولة. ثم كهولة. ثم نهاية..

شاعرنا المشحون بالحب. وبالكرب يطرح السؤال الذي لا يملك إجابة عليه :-

أي خطب إذا استحال التداني	وتوارى عن الحبيب الحبيب؟
ودهى جنة التلاقي فراق؟	وغزا القحط وردُها والهبوب؟

أفصحَ لنا عن هبوبه.. وافسحَ لنا مجال الاقتراب من نقاوة حبه:-

يغفر الله يا ابنة العم سيري	أنا في الدار - إن رحلت - الغريب

(بسمة المشرق) في وجهه غاضبة ترفض الخديعة والمكر.. انها تتحدى.. وتحذر رغم مسوح بسمتها الظاهرة شكلاً :-

لست جسرا فاحذري من غضبتي ... لم أعد أهواكِ يا (بنت اللتي)

تدّعين الحب - بهتانا - وفي ... رأسك المسعور تطوى سيرتي

لماذا. كل هذا؟.. لقد عبرته لأن بيته خيمة. وأن جمله يحرس خيمته ويؤنسها.. عيرته بأنه نازي كهتلر. قولٌ مقيت كهذا لا يصدر إلا من غربية يمينية متعصبة لا تطيق شيئاً اسمه الشرق.. الربيع في أفق شاعرنا حضن لا يبخل على ساكنه بدفء حنان (ولمسة حب) أحياناً يلقاه ويرتمي فيه.. وأحياناً لا يرى فيه حضنا ولا حصنا يحتمي به..:-

مات فصل الربيع بين يديها ... سنة الكون.. ما الربيع بباقي

صوّع الروض حينما هده الحزن ... وناحت جحافل العشاق

قد يعود الربيع أما ربيعي ... وسنا فرحتي ودنيا اشتياقي

فهو باق هناك في عالم القهر ... وحسبي لقاء يوم التلاقي..

قالها وهو في غربة عن وطنه.. يعني به أن الربيع المستعار بكل نضارة زهوره لا يبل عطش عاطفته المجبولة على عشق الربيع حيث يقطن الأهل.. ويسكن المحبون.. وتبرض الورود الصحراوية من غيث السماء..يؤكد شاعرنا هذا المعنى في أنة غربته:-

يا حادي العيس لا ترحل وخذ بيدي ... إني إلى الأهل والأحباب مرتحل

(نجد) التي عاش في أفيائها سلفي ... متى إليها إلى آمالنا نصل؟

يا أرض (نجد) سقاها الغيث همت بها ... تحنو الروابي ويحنو السهل والجبل

ثورة الشك في نفسها كادت تقصيها عنه.. أهو شك غَيرة؟ أم شك آخر غيره له أسبابه ودواعيه؟!

تكاد مخاوفي تقصيك عني ... وتدرج في رداء الشك أمني

وتلفح بالسهاد صفاء عيني ترى الاطراق عنك هو التجني

لقيتك بعد أن شابت قواف حوت زفراتي الحرى ولحني

أرى في ناظريك مدى سروري إذا ما شئت أو أسباب حزني

نسجت الشك حولي ألف طوق فصرتُ مكبلا والشك سجني

قصيدة شك ذكرتني بثورة الشك للشاعر الأمير عبدالله الفيصل التي غنتها له أم كلثوم ويقول مقطعها:-

أكاد أشك في نفسي لأني أكاد أشك فيك وأنت مني

بحر الهوى.. ونهر الهوى.. وجدول الهوى جميعها تستوعب أشعار شاعرنا الراحل محمد المشعان فهو ينتقل من جدول إلى نهر ومن نهر إلى بحر دون أن يكل أو يمل.. بل انه يتجول في الصحراء.. والجبال.. والأودية مترسما خطوات دقات قلبه العامر بالوجد. إنه لا ينسى ولا يشبع :-

إذا كان قيس قد تخاذل ركبه لتباين الأسباب والأغراض

وذهبت أرعى في النوى ماضي الهوى وتخر انقاضي على انقاضي

فلأبسطن إلى يَدي (ليلى) يدا ولأحفظن قداسة الأعراض

(ليلى) بالنسبة إليه رمز امرأة.. أن يمنحها هذا الاسم لأنه يستهويه..

يبدو أننا معاً نمر بمرحلة جفاف.. أو استخفاف يدفع إلى التمرد منها هي لا منه هو:

مزقتُ آخر مكتوب يذكرني بنزوة الأمس ليت الأمس لم يكن

شفيت من وهم (قيس) لم يعد قدري أهراق دمع الأسى في دارس الدِّمن

ولأنها أنانية الحب.. نرجسية الذات أفصحت عن مكنوناتها :

حب التملك في صدري له وهج وثورة الشك تدنيني وتبعدني

كان أكثر منها تمرداً وتمنعاً:-

إن كـان حـبي لهـا ذنبـا أثمـت بـه   أسـتغفر الله مـن حـب يـؤثمني

الحب ليس ذنب ما كان طاهرا الذنب أن لا تحب..

الشاطئ التالي له ألحان

عامان مرّا هما سهمان في كبدي   يا منية النفس ما أشقاك أشقاني

قلبي وقلبك في وادي الهوى نبتا   لكن قلبك حل الشاطئ الثاني

ليت أن شاعرنا حرّك قاربه الذي يبحر به ولا يتوقف اجتاز حاجز الماء.. أو حاجز البعاد أو الهجر كي تنتهي الشكوى. هل أن قاربه دون مجاديف تقوى على مواجهة الموج؟ ربما هو أدرى.!

اختار شاعرنا هذه المرة لؤلؤة جنوبية:-

لا تغضبي.. لا أدعي أني نبي   عـودي إلـيَّ وجريـي

لئن ما أكن من العواطف   فاغـضبي أو فـاعتبي

أنا لست أمدح فيك أنثى   أو أسـير لمـآرب

إن كنت ابني في الرمال   مـدائني.. فأنا الغبي

كوني كما شاء (الخليج)   فأسـعدي أو عـذبي

لم يفصح لنا شاعرنا المشعان شيئاً عن مشيئة خليجه حتى نحكم جميعاً له. أو عليه..

(ليلى العامرية) واحدة من ليالي عشقه حملها شكواه لعلها تخفف شيئاً من حمأة بلواه:-

(ليلى) وهل تدرين ما بي   يا شعلة صهرت شبابي

(كوبيد) أعجز سهمه قلبي   فـسدد بـالحراب

مـاذا أقـول لأدمـع   مـدرارة مـن حـر مـابي؟

يا ليت ما بين الديار   مـن المهامـه والروابـي

يطـوى.. فتقـرب دارنـا   ويكـون بابـك عند بـابي

كلمة (ليت) يا راحلنا لا تعبر بها.. قال عنها شاعر قبلك

ليتَ وهل تنفع شيئاً ليت   ليت حمارا بوح فاشتريت

شاعرنا القديم أمنيته كانت حماراً لم يحصل عليه. وأمنيتك قمراً ترقبه فما تدري أيبقى أم يغيب.. (كوبيد) صحته (كيوبيد) (أمام التابوت) وقف الشاعر خاشعاً يسترجع حياته الراحلة.. وذكريات عيشه الرغد.. ثياب العز وأكل الوز. مناصبه العالية.. شهامته.. سمو أخلاقه.. كل هذا لا يغني عن حتفه.. الموت لا يفاضل بين غني وفقير بين مثالي وحقير.

وجاء الموت منتخبا كراما   فلم يأبه لغيرك واصطفاك

لأن منازل الجنَّاة حنت   إلى لقيا الأحبة في لقاك..

كما أن للمنية موعدها.. فإن للأيام دورتها:- فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُساء، ويوم نُسر ماذا قال عن دورة أيامه؟! :-

اليوم تحفر في ضلوعي   لا أستطيع أن أعيش بلا محبة

ويلاه.. ماذا في غدي؟   دورة الأيام غريبه

تسقيني الأحداث مُرُّ   هل صرت للأيام لعبة؟

وتقودني من كربة شوها إلى أظفار كربه..   الكأس حتى اعتددت شُربه

يكفي.. فقد طار الهنا   وقتلت بالأحزان سربه

لست وحدك الذين يتسلمهم معترك حياتهم ذات اليمين وذات الشمال.. قدر الحياة لا مفر ولا منجاة منه.. الإيمان هو الأقوى.. وأخيراً يحكي لنا شاعرنا الراحل محمد المشعان عن خصوصيته.. (إني. و إني) ماذا قال:-

إني أحن إلى (الرمال)   وشياه قومي والجمال

والنجر يستدعي الضيوف   ونار أهلي والدِّلال

والبرقع المحظوظ لامَسَ   وجنتَي (بنت الحلال)

إنـــي أحـــن إلى البـــشوت   إلى المـــسافع والـــشيال

أشياء كثيرة حنَّ إليها وذكرنا بها (الجدر) و(السمر) و(شمُّ الأنوف) والشمس وهي تبسط نورها فوق الرمال و(البهم) و(الناقة الصفراء) و (الراوي) وهو يحكي حكاياته وأساطيره.. و(المهلهل) و(الخيل) (وهي تصهل).

استرجع جزءاً من حياة صباه كاد ينقرض في زحمة المعاصرة والتحديث.. أراد أن يقول لنا.. إنه يحن إلى تراب ماضيه.. وإلى تراث ماضيه أكثر.. ولكن حنينه لماضيه لا يحجب عنه واقعه المليء بالإجهاد والتعب.. بداء السكر. والسمنة. والجلطة. والضغط. وفقر الدم. والكلسترول . والتلوث.. وتحول الإنسان فيه إلى مخلوق مصنّع معلّب ومعذب بعذابة حضارته وعذوبتها.. وترفها وكسلها.. إنه يبحث عن رجال الأمس الذين قاوموا. واستقاموا. وأقاموا مجتمعاً متماسكاً لا تخترقه الفرقه ولا تغريه أطماع المادة..

مَن لي بهم. وخيالي المسجون في عيني غزال
يهفو فتوسعه سياط اليأس موفور الكلال

رحم الله شاعرنا كانت نشوة حزنه درساً.. وكانت تجربته الشعرية صادقة لا افتعال فيها.. تمنيت لو أنني قرأتها واحدة واحدة لأنها جديرة بالإشارة والإشادة.. إلا أن المساحة المتاحة لا تسمح.. وإلى حلقة جديدة بإذن الله.

قصائد في ذاكرة الوطن

(١)

- عبد الله سالم الحميد
- ١٦٠ صفحة من القطع الكبير

(١- ٢)

ذاكرة الوطن تتسع لكل الأشياء.. إنها المخزون الذي يستوعب كل الطموحات، وجميع الإحباطات.. والإسقاطات.. يفرزها ثم يبرزها من خلال عرض فوتوغرافي جغرافي وديموغرافي تبين معه ملامح الصورة الجميلة منها.. والدميمة.. وما هي بين بين.

شاعرنا الحميد من مخزون ذاكرة الوطن.. ومن فرائد ذاكرته الشعرية، وملاحقته لحصاد غيره شاء له أن يجمع نماذج لشعراء قدموا للوطن نفحات شعورية تزخر بالنماء.. والانتماء. والعطاء.. كما تفضل مشكوراً وجمعها يحسن بي تناولها من خلال عرض هادئ يستبطن ويستوطن جماليات صورها ومقاصدها.. وبشيء من الاقتضاب غير المخل.. وغير الممل.

بداية.. مع شاعرنا أحمد سالم باعطب في مقطوعته (وطن يسعى إلى المجد) يقول:

وما أرضنا إلا الرياض ترعرعت ... عليها أمانينا سلاماً ومغنما

فما أنبتت إلا شهاباً وكوكبا ... وما أرضعت إلا غيوراً ومسلما

نزعنا خوافي المعتدين فكبكبوا ... وقد بلغوا أمراً من الشر مبرما

أتونا بأثواب تفوح خيانة ... وألسنة تجتر من جوفهم دما

هذا صوت وطن لا ينزع إلى الصمت.. ولا يفزع من غوغاء الصوت.. وإنما ينطق بثقة المؤمن الذي يحذر ويحاذر.. يدافع ويجاهر دون خوف.. إنه يحاول كشف أقنعة لأبناء أعداء.. ولأصدقاء أعداء.. ولغرباء أعداء يتربصون بأمن وطن هو موطن الأمان

والإيمان.. وأرض الإسلام والسلام.

(في صمتها يتخلق الوطن) قصيدة أحمد الصالح الذي سافر بها خياله كمظلة شعورية تطوف في سماء وطنه حباً وعشقاً:

أراكِ تطلين من شرفة القلب.. فافترشي ثومة القلب أرضا

ومدي عليك الشفاف سماء..

لك البيد تخفق ملء السراب..

لها الأفق المتكأ.. والزمان المدى.. والضياء البصر

جميل ما قلت.. وأجمل من الجميل أن تحل السحاب محل السراب.. السراب بقيعه يحسبه الظمآن شيئاً فما يجد إلا مضاعفة الظمأ.. وحسرة التجوال..

(قراءة في وطن الضياء) للشاعر أحمد العرفج.. يقول فيها:

وطني.. ابتداءات الزمان ... ورعشة الأشواق في مهج المدى

وطني أمان الخائفين.. ودفقة الماء الزلال ... على ارتعاشات الظمأ

ووطني.. ووطني.. وطني كثيرة تلك التي رددها في شوق بصياغة حديثة.. وحداثة مقبولة.. التراب أرضيتها.. والتراث تاريخها.. والحب قطبها المتحرك..

(سيد الصحراء) عنوان للشاعر أحمد عبد الله بيهان:

رؤى تهب للوجدان نشوته الكبرى ... تهل كأطياف البشاشة بالبشرى

أطلت من الماضي السحيق كهالة ... من النور تحوي بين لألائها بدرا

من الكوكب الساري المحاط بموكب ... من الزهو ما أحلى التألق والمسرى

قصيدة طويلة تتحدث عن توحد بلادنا.. ورفع راية توحيدها على يد الباني المغفور له الملك عبدالعزيز.. ملاحظتان.. أولاهما في الشطر الأول من القصيدة (رؤى تهب للوجدان) والصحة (رؤى تهب الوجدان)، والثانية في شطرها الثالث والأخير (ما أخلى) والصحة (ما أحلى).

الشاعر البحريني المرحوم أحمد بن محمد الخليفة ساهم بأنشودته الوطنية تحت

عنوان (تحية إلى الرياض):-

قالوا الرياض فغنى القلب وابتسما ... لأنها للضواري معقل وحمى
يشتاقها الطرف أن لاحت مرابعها ... خلف السراب تثير الشوق والهمما
أهذه أنت؟ ما أبهاك في نظري ... صنت الأواصر في الأنساب والرحما
فيك البراءة ما شابت طهارتها ... شوائب كلما رجس الهوى هجما

(الضواري) أخشاها على رياضنا كملجأ.. اصطفي لها أن تكون هكذا؛ (لأنها معقل لا ينثني. وحمى).. السراب أيضاً.. اليباب أفضل منه..

(عبق الماضي مجد الحاضر) من أبياتها أختار الآتي:-

مدن تتيه على الزمان وتزدهي ... لبست من الأنوار ثوباً أقشبا
ومصانع تقتات نفطاً خالصاً ... وتحيله عيشاً رغيداً أرحبا..
فليهنأ الحرَمان في أم القرى.. ... وبطيبة حيث الحبيب المجتبى

(وطن يناديني) بقلم ثريا العريض.. مقاطع موحية بجمالياتها:-

هو وطني يناديني
يهمس البحر في صدي وأشرعتي ... أيبعثني؟ أيرحل بي؟
يمازج حزنه العاتي.. بداناتي ... يفسر لي تعاويذي.. أهازيجي

نداء الوطن دعاء حياة تبعث.. وترحل.. ولكن إلى حيث يطيب الرحيل.. ويطيب المقام.. لا شيء غير الوطن.. أغاريد وأغنيات تترطب بها شفاهنا الظمأى إلى كرامته وسلامته، وحريته.. ووئام بنيه.. إنه البيت الكبير، وطاؤه أمن.. وغطاؤه فداء وتضحية..:

(تحية شعر) لشاعرنا حسين عرب.. يقول فيها:-

خفقت فوق عرشك الأعلام ... وتغنت بمجدها الأيام
وترامت بك البشائر في الشرق ... وفاضت برحبها الأنغام
ومشت خلفك العروبة صفاً ... واحداً ليس يعتريه انفصام

إيه عبدالعزيز يومك يوم الضا ... د.. مجداً.. وإنك المقدام

هكذا بهذه الروح خاطب موحد الجزيرة.. وباني نهضتها حيث التفت حوله قلوب بنيها في مهرجان حب.. لصولجان حكم لمَّ الشتات وقضى على الفرقة..

أما شاعر الألم الراحل محمد الحجي فله صوت أمل تغنى به.. وشدا له..

في موكب البعث غنِّ الشعر تغريدا ... وأرسل اللحن في دنياك ترديدا

وأسمع الكون أنغاماً مرتلة.. ... وامنح خيالك أفقاً ليس محدودا

لقد رأيت بأرض العرب جامعة ... قد شيدوها على الإيمان تشييدا

الناس تضحي لهم مصباح داجية ... ومنهلاً للشباب الحيّ موورودا

هذي الشواهد إنا سيرنا أمم ... ولم نعد نستسيغ العلم تقليدا

قالها شاعرنا بمناسبة ذكرى إنشاء جامعة الملك سعود لاحقاً جامعة الرياض سابقاً.. وددت لو أنه أبدل كلمة تضحي بكلمة أضحت وكلتاهما صحيحة.

(موطني) عنوان جديد للشاعر خالد سعيد الزهراني :-

لا دار بعدك أبتغي من دار ... يا موطناً.. يا مولد الأخيار

يا قبلة الإسلام والأمل الذي ... تهفو القلوب إليه باستنفار

يا طيبة الأحياء فيك حياتنا ... وثراك يحييني بخير مزار

يا مجدنا الباقي.. ومهد حضارة ... ملأت سماء الكون بالأنوار

في أرضك الغراء شمس حياتنا ... وعلى ثراك بقية الأسرار

أغرودة مليئة بالحب يجليها عشق شاعر يستشعر قيمة الوطن.. وواجب المواطن.. أشير هنا إلى أن الشطر الثاني من البيت الثالث جاء مغايراً في قفلته.. أبياته نهايتها حرف (ر) ونهاية هذا الشطر حرف (د) وكي تتوحد أرى إبدال الدال بالراء.. وبمفردة (بخير مزار).

شاعرنا خالد محمد الخنين جسد صورة وطنه شمس خلود لنستمع إليه وهو يشدو:

لـك العلياء يـا وطـن الفخـار ويـا همـس الخلـود علـى المـدار
ويـا نعمـى مـن التـاريخ فاضـت ملامـح في البطـاح وفي القفـار
يمـر الـدهر منتـشياً بعـز مـشى في كـل ناحيـة ودار
إلى العليـاء تنتـسب القـوافي وهـذا الرحـل يوغـل في نـزار
لنـا رحـب الجهـات فكـل درب طليـق الخطـو.. مكتمـل المسار

توصيف شاعري مصدره القلب.. وصدق المواطنة.. أما شاعرنا صالح بن حمد المالك فله رؤية لا تقل عن سابقيه التصاقاً وعناقاً لترابه وتراثه:-

أفـاخر فيـك يـا يـوم الوئـام وأشـدو في محاسـنك العظـام
ففـي ذكـراك أفـراح وبـشرى وأعيـاد لنـا في كـل عـام
بـك ائتلفـت قبائلنـا ائتلافـاً صـدود الـود، مـصداق الـذمام
وفيـك تـصافحت كـل الأيـادي وتمـت وحـدة بعـد انقـسام
سـتبقى خالـداً أبـداً عظيمـاً مثـالاً للعطـاء علـى الـدوام

المناسبة اليوم الوطني لبلادنا الغالية.. ومن المالك إلى د. عاتكة الخزرجي، تحت عنوان (سلام.. سلام.. من دجاها إلى الفجر)

أطلـي علـى قلـبي كإطلالـة الفجـر فقـد كـاد هـذا الليـل يعصف بـالعمر
أقلـي عتابـاً وأرفقـي بحـشاشة برتهـا يـد لمـا تـزل طبهـا تـبري
أطلـي فأنـت الـروح للـروح والهـدى وأنـت الهـوى للقلـب والـوحي للـشعر
أطلـي.. أطلـي أنـت دنيـا مـن الـرؤى تطـوّف بـي رفافـة اللـون والعطـر
وتـنقلني في عـالم كـم حببتـه جمـيلاً.. جمـال الله في آيـة الكثـر

لقد أظلت.. وأظلت.. وما أضلت لأن روحها ريح إيمان.. وعاطفتها عاصفة محبة.. وعنوانها عنوان سعد وفأل لن يخيب بإذن الله. :-

عباس محمود العقاد له صوت مقروء ومسموع في أرض القداسات في شخص مَن لملم شتاتها.. ووحد جهاتها.. ورسخ وجهاتها وتوجهاتها.

أرض النبـوة حـين تم فخارهـا | خلعـت عوارفهـا علـى الـدأماء
ملـك أنـاف علـى القلـوب بعزمـه | واتم ذاك بمـا يـراه الرائـي
جمـع المهابـة في العيون وفي النهـى | وسمـاً بمجـد أبـوة.. وإبـاء
الـشرق والإسـلام قـد سـعدا بمـن | يعلـو بآلهمـا إلى الجـوزاء

شاعرنا عبدالله سالم الحميد سافر في هوى وطنه دون أن يجهده المسير.. أو يثني عزمه رحلة البحث عن معشوقه الوطن.. غنى له وأجاد :-

أسـافر فيـك.. ومنـك إليـك | ويحـضنني الـشوق في مقلتيـك
أسـافر عنـك وفي غـربتي | أحـن حـنين الحـزين إليـك
حـضورك في خـافقي لهفـة | تـؤرق نجـوى الحبيـب لـديك
مرافـئ رحلتنـا غربـة.. | وكـوخي بأرضـك أجمـل أيـك
سـلام عليـك متـى نلتقـي | وفي كـل حـين سـلام عليـك

وطنك يحب كل بنيه المنتمين إليه.. العاملين من أجله.. المخلصين لمسيرته.. إنه يرد عليك السلام.. ولا شيء أحسن من السلام.

شاعرنا عبدالله بن عبدالرحمن الزيد.. زودنا معاً، وعودنا فيض مشاعره.. وها هو الآن يوقع بقيثارة قلمه ترتيلات نجدية في تضاعيف الخليج.. أجتزئ بضعة أبيات من أغنيته الرجوع:-

لفجـريَ إجهـاش بإنـشاد مهجـتي | يجيش كطيب الوعد في ليلة المسرى
ولليـل توقيـع تـولاه صـيب | مـن العمـر أولانـي إلى أنـسه عمـرا
لأيـامي الأولى تفـرّ مـواسمي | ولـي في نـشيج الـروح في نشوة البشرى
إلى دارة في الوشـم تهفـو مـواردي | وأنثـال مثـل المـوج في نـشوة البـشرى

أجـيء كمـا يـأتي الربيـع لفـصله   وألـثم قبـل الوجـد نـوارة الـذكرى

إنه حب عقل يتجاوز حب العاطفة.. يحن إلى الأشياء من حيث هي أشياء لا من حيث إنها مراتع ومواقع لعشق جسدي كحب مجنون ليلى لليلاه.

شاعرنا عبدالله بن خميس جدف بزورقه العاشق في بحر وطنه.. قيادة.. وأمة.. وريادة..

إذا ذُكـرتْ للأكـرمين شمائـل   يـضائلها مـن عاهـل العـرب ذكـره

وإن يـك قـرن في الأنـام مفـضلا   فأفـضل مـا بعـد الخلافـة عـصره

فللـه مـا أبلـى، ولله مـا انطـوى   عليه مـن الإخـلاص، والنـصح سـره

وإن مـن التوفيـق للـشعب أن يُـرى   ينـوء بأعبـاء العظـائم خـيره

فـدم للعلـى كهفـاً، وللعـرب ملجـأ   وللـدين بـالبيض الخفـاف تقـره

القصيدة قالها منذ أكثر من نصف قرن.. المناسبة ذكرى فتح رياض العرب.. وبيتهم الكبير.

(كفيتنا عنت الليالي) للشاعر عبدالمحسن الكاظمي يقول فيها موجهاً خطابه الشعري للمغفور له الملك عبدالعزيز:-

إن كـان في العهـد الأخـير ليعـرب   ملـك فأنـت لهـا المليـك الأول

أو كـان عـدلك في الرعيـة شـاملاً   فـسناك في الـدنيا أعـم وأشمـل

رمـت المطـامع يعربـاً فوقيتهـا   لـولاك لم يـسلم ليعـرب مقتـل

يئس الطموع وخاف مفصل كيده   لمـا رأى بـك مـا يحـز ويفـصل

وكفيتنـا عنـت الليـالي كلمـا   جـاءت ليالينـا بمـا هـو أليـل

قصائد في ذاكرة الوطن

(٢)

- عبد الله الحميد
- ١٤٠ صفحة من القطع الكبير

(٢-٢)

أما شاعرنا عبيد مدني فمقطوعته انطباعية زاخرة بالوفاء للقيادة والزعامة التي نقلت شعبها من عصر البداوة إلى حاضرة التحضر:

بـــدت المعـــالم ـ في شـــفير الـــوادي　　فاســتوفز الركـب الـشعاع البـادي
حيــث الجلالــة ـ في أجــل صــفاتها　　موصـــولة الإســـناد بالإســـناد
حيــث الحميــة والبطولــة والقــوى　　محفوفـــة بكماتهـــا الآســـاد
حيــث العروبــة مــشمخر مجــدها　　ـ في طـــارق مـــن عزهـــا وتـــلاد
بــل حيــث عاهــل يعــرب وإمامهــا　　ورئيـــسها ـ في الأمـــن والإرعـــاد

ومن عبيد مدني إلى الشاعر الكبير علي أحمد باكثير وفي نفس المناسبة الوطنية:

قـــل للعروبـــة وهـــي باكيـــة　　تـــذري الـــدموع وتـــشتكي البرحـــا
قـومي امـسحي عينيـك وامتثلـي　　هـــذي الجزيـــرة تعقـــد الـــصلحا
وامـــضي إلى عبـــدالعزيز يُـــزِلْ　　عنـــك الـــسقام ويـــضمد القرحـــا
بيـــت الجزيـــرة إن مـــضيت لـــه　　أضـــحيت هانئـــة بـــه فرحـــا
أمـــل العروبـــة ـ في قـــضيتها　　بـــين الريـــاض يجـــول والبطحـــا

يعني ب(البطحاء) أبطح مكة المشرفة.

كل من هؤلاء الشعراء رصد بريشته حركة التغيير في هذا الوطن.. صاغها برؤيته

وأسلوبه الخاص.. إلا أن القاسم المشترك الأعظم واحد.. هو هذا الوطن.. وبناة هذا الوطن.. وحماة هذا الوطن.

(أنت الرياض) لشاعرنا د. غازي القصيبي أختار منها هذه الأبيات الموحية بدلالاتها وشفافيتها:-

أحبك حبي عيون الرياض ... يغالب فيها الحنين الحياء

أحبك حبي جبين الرياض ... تظل تلفعه الكبرياء

أحبك حبي دروب الرياض ... عناء الرياض.. صغار الرياض

لم يذر شيئاً في الرياض إلا وغنى له.. حتى العناء ينسيه الغناء في الرياض لأنه مؤشر حركة.. ونبض حياة.. ومن شاعرنا القصيبي إلى شاعرتنا فاطمة القرني، وهي تمطر شعراً في مقطوعتها مطر.. والرياض تفرح بالمطر وتغني له.

سلاماً فيا في نجد ما عاند الحيا ... ثراك وما جرعت من لوعة الفقد

سلاماً وإن أعلنت حربي وإن تكن ... أغاني مرجوعاً صداها بلا ردّ

يقولون تهمي نجد من لي بقطرة؟ ... أفيضا على الخالين لفحاً على خدي؟

أصداً لمن غنتك عمراً من الهوى؟ ... أغدراً بمن قاسمتها صادق العهد؟

سلي النخل، هزي الجذع، ألف حكاية ... طواها الأسى تنهلُّ تدرين ما عندي

فاطمة أبدعت في صورها.. في تساؤلاتها وفي إجابتها.. كانت موفقة.. حين يبرز في مخيلتي اسم شاعرنا الراحل محمد حسن فقي يتراءى لي نبع متوهج متموج تتداعى أمامه السدود لأن تياره يخترق السدود بجسارة وجدارة، في أدبياته جاءت أبياته معانقة لليوم الوطني.

هو يوم بداية التوحيد فيه تمت على يد الصنديد

منذ ما شب للعرب الشهم فكان العميد وابن العميد

ظاهروه فجاءهم بقديم مستفز.. وجاءهم بجديد

وحد الشمل بعدما انفرط الشمل وكدنا نضيع بالتبديد
ابن عبدالعزيز تنضح ذكراه بعرف يفوق عرف الورود

أما شاعرنا د. محمد بن سعد بن حسين فله خاطرة شعرية تستوعب الولاء كله لقادة وريادة هذا الوطن:-

صور البطولة فوق بابك تنطق ... ويحدث التاريخ وهو مصدق
يروي أحاديث البطولة وهي في ... سفر الزمان حقيقة تتألق
أنت الإمام وأنت رائد أمة ... تهوى الوفاء وللمروءة تعشق
يصغي إليها الدهر فهي ضميره ... دين ودنيا والإله موفق
تمتاح من فكر الإمام فترتوي ... ويهزها للمجد شوق مغرق

شاعر وطني آخر هو الأستاذ محمد بن سعد الدبل الذي عانق فجر الرياض حماساً وإحساساً:-

أذن الفجر واحتراب العوالي ... يبدئ الليل كرّها ويعيد
كم تنحى يخاطب المجد سراً ... ألمعيا نماه مجد تليد
وهجير الزمان ذكرى زمان ... يبتليه عبدالعزيز الحفيد
قال:- يستلهم الحياة ثناء ... ومضاء يكنُّه التسهيد
إن مني نَجْد المروءات؟ هل لي ... في سماء الرياض فجر جديد؟

وقد كان الفجر الجديد في رياضنا الجميلة.. ومن فجر رياضنا إلى الوطن الأشمل حيث شاعرنا محمد سعد العجلان:-

يا أيها الوطن المزروع في حدقي ... يا موطن المجد والأعراف والألق
فيك الهدى شعّ نوراً يستضاء به ... فأشرقت في الدنا قدسية العبق
جاء البشير بها علماً ومنفعة ... تقول:- اقرأ وهذي سورة العلق

شمخت في عالم الأهواء يا وطني فكنت كالكون مهوى كل معتنق

إليك تهفو قلوب المسلمين فما يشيح عنك بوجه الحب غير شقي

أبيات تشع حباً.. وتهيم قلباً.. وتنضح جمالاً.. منها يسلمنا المطاف إلى قطاف شاعرنا محمد العباسي البغدادي:-

قم فألّق عن الجفون كراها واركب الجيد واستفز سراها

واطلب الأمن من نبال مهاها واحترس من قوام قيد ظباها

وترنم من الغرام بسعدى وتزود برشفة من شفاها

بأبي غادة تميس دلالا.. أنا مغرم بها.. ومن قتلاها

تتهادى بين العراق ونجد وزرود بين ريم نقاها

أبيات رائعة.. وتوصيف شاعري أخاذ.. ملاحظة:- الشطر الأخير من الأبيات المختارة ناقص، وأحسبه هكذا: وزرود ما بين ريم نقاها.

ولشيخنا الراحل محمد بن عثيمين قصيدة تحدث فيها عن مآثر الملك عبد العزيز، منها قوله:

عبد العزيز الذي نالت به شرفا بنو نزار وعزت منه قحطان

ملك تجسد في أثناء بردته غيث وليث وإعطاء وحرمان

خبيئة الله في ذا الوقت أظهرها وللمهيمن في تأخيرها شان

ودعوة وجبت للمسلمين به أما ترى عمَّهم أمن وإيمان

فجئت بالسيف والقرآن معتزما تمضي بسيفك ما أمضاه قرآن

ومن راحل إلى راحل.. ومن شيخ إلى شيخ نقف معاً على خاطرة محمد متولي الشعراوي الشعرية:-

هنيئاً فهذا اليوم عيدك يا علم صفا لك وجه الدهر وابتسم الحكم

وكنت هلالاً كم يكافح في الدجى فجاءك فهد في توقده فتم
أقام بأرض الطهر دين سمائها ولم يجتذبه قط ما قنن الوهم
كذلك هدي الله من ها هنا بدا ومن ها هنا أيضاً بتطبيقه أتم
فقدتك يا صقر العروبة إنما وجدتك في أبناء كلهمو عصم

أبيات الشعراوي قالها بمناسبة عيد العلم.. ومن عيد علم إلى علم أبطال مع الشاعر محمود شوقي الأيوبي:-

لغير سجايا العرب لم تخضع القنا ولا عاود الأفكار إلا هوى الغنى
صبوت إلى غيل الضراغم صبوة تشاطرني وهنا فتورثني الحزنا
إذا صرخت حرب القروم وشمرت وجدت الذي لم يعرف العيّ والأينا
هو القائد الجرد السلاهب في الوغى عليها كماة يحسنون به ظنا
هو الملك الحامي تراث جدوده من العُرب لم تعرف شبيهاً به خدنا

(قرن التوحيد والبناء) عنوان وطنية الشاعر د. ناصر عبد العزيز العرفج:-

قرن من الدهر شعت من صحائفه من قمة المجد أشكال وألوان
هبت على أرضنا ريح مدمرة قد أعقبت فرقة وانهار بنيان
جهل وسلب وأمراض ومسغبة عاشت بلا قيمة يعلو لها شان
عبد العزيز شبيه الغيث مقدمه أعطى النماء وأضحى الشكل يزدان
بوركت يا دولة بالدين قد حكمت والعدل ديدنه والتوحيد عنوان

الشطر الأخير مهزوز يحتاج إلى تثبيت في بنائه الشعري.. يمكن استقامته بهذه الصيغة:- والعدل ديدن..

وأخيراً مع آخر الشعراء - إن جازت لي هذه التسمية - مع الإمام يحيى حميد الدين:

صدرت للوئام زفرة تؤم الرياض تستضيء صداها

هـي تـدعو إلى الوفـاق وتستنـصر منـا حميـة تهواهـا
وتنـادي يـا للـشهامة والغـيرة أيـن الحفـاظ؟ أيـن ناهـا؟
لمليـك متـوج مـن نـزار أعجبتـه ربيعـة في ذراهـا
ورأتـه شـيبانها علـم الاجـلال بـسطامها وقطـب رحاهـا

عند هذا الحدّ ننتهي مع شاعرنا الصديق عبد الله الحميد في كتابه (قصائد في ذاكرة الوطن) الذي جمع فيه وأوعى قصائد حب للوطن.. ولقيادة الوطن.. قالها شعراء قدماء ومحدثون.. ولمناسبات متعددة.. وبأساليب طرح متعددة.. استعرضتها مجرد استعراض من خلال هاتين الحلقتين للتعريف بها.. دون أن أحملها ما لا تحتمل من الوجهة الفنية الشعرية.. فالمناسبة مناسبة عرض لهذه المعطيات الشعرية التي تزخر بالحب.. والانتماء والثقة بمستقبل مشرق لهذا الوطن.. دعامته قيادة حكيمة.. وشعب وفي يثق.. ويتشوق.. ويعشق جماليات الحياة.. وحركتها دون تباطؤ يجمع فيه بين الأصالة والمعاصرة المتجددة دائماً المتوهجة دائماً، ولأنها مناسبة حب وانتماء ورصد لملامح من هذا الحب والانتماء لوطن نحبه تراباً وتاريخاً وتراثاً ومستقبلاً، كما أحببناه ماضياً وحاضراً، فإنني أستأذن صديقي الحميد المشاركة بأبيات ثلاثة حاولت أن أضيف إليها رابعاً فأعيتني الحيلة وفشلت.. تقول أبياتها:-

أحبـك يـا أرضـي ولـستِ بخيرهـا ففي غيركِ الأنهار والخصب والفنن
ولكنـك الأبهـى فأنـتِ حبيـبتي وأنـتِ لـي التـاريخ والأهـل والـوطن
ومـن يعـشق التـاريخ أهـلاً وموطنـاً يبـيح ربيـع الأرض لـو أنـه الـثمن

هذا بعض مما جمعه شاعرنا الحميد من نماذج لشعراء قدامى ومحدثين عن الوطن وفاء له.. وفي شعرنا المعاصر الكثير الكثير من الوطنيات المشرقة والمعبرة عن حبها والتصاقها به، فهل يجمعها الحميد في كتاب قادم؟ هذا ما أرجوه.

غناء الجرح

- د/ محمد العيد الخطراوي
- ١٨٠ صفحة من القطع الكبير

وتر الجرح حين يغني يأتي شجياً.. لحونه باكية.. وأوتاره شاكية.. شاعرنا آثر أن يعزف لنا لحناً بكائياً عبر قصده وقصيده.. الحب لديه صب.. والحلم لديه وجع يسترجعه.. ربما انتظاراً لانتصار في داخله يلملم شتات شوارده التي تحلم بأمل غائب في ضبابيات المجهول.. عن قافلة الصباح المتجهة قال:-

وأريـــد وجـــه سمائنـــا ... فعيوننـــا لـــن تـــستبينه
لم تبـــق غـــير نجيمـــة ... في الأفـــق تائهـــة حزينـــة
يجتـــاز ضـــوء بريقهـــا ... أكفـــان غيمـــات مهينـــة..

حتى النجوم في عينيه مشهد جنائزي ملفوف بالكفن.. باستثناء غيمته الوحيدة الشريدة:- إنها أمله المتبقي:-

أشـــعاع نجمتنـــا الـــذي ... تقتـــات منـــه عيوننـــا
وتعـــيش تحـــت ســـنائه ... آمالنـــــا ونفوســـــنا
لا تبتعـــد عـــن دربنـــا ... إن الظـــــلام يميتنـــــا

النجمة اليتيمة جذّرت في دواخله الأمل.. إنه لا ييأس.. إذ لا يأس من رحمة الله..

سنـــسير رغـــم مغيبهـــا ... حتـــى تـــضيء شموعنـــا

الظلام الموحش الذي توسّد مشاعره لم يستكن له.. والجرح الذي يئن في أعماقه لم يستسلم لآهاته.. إنه يبحث عن دواء وشفاء. :-

بُحّ صوت النداء يا قلبي الدامي ... وغـــاض الوجـــود في ناظريـــا

وتلاشى الضياء من حول روحي　　وكؤوسي تحطّمت في يديا

ليس بعد تحطّم الكؤوس من فرحة لنفوس البائسين اليائسين.. إلا أن شاعرنا طرح اليأس جانباً رغم بؤسه

رغم كل الأشواك سار حثيثاً　　نحو آماله يسوق المطيا

هازئاً بالظلام غير مبال　　يرقب الفجر والصباح الوضيا

وعلى جثة الصباح يوالي　　سيره لا يريد صبحاً شقيا

هكذا ثقافة الحي.. إنها لا تستسلم للضعف.. وإنما تقاوم كي تقوى..

(غناء الجرح) معزوفة إيقاعها نغم ممزوج بالألم:-

لهفة الشوق تبعث الحلم حيا　　يتهادى على ذراع الثريا

يطأ الحاضر الذليل ويُلقي　　بنشاراته مكاناً قصيا

ثم يلوي به الطموح إلى أن　　يجعل الشهب مركبا ونجيا

أي لوم على السجين إذا ما　　حنَّ للفجر مُشرقاً ووضيا؟!

اللوم يا شاعرنا أن يستسلم سجين الإرادة.. فالحياة إرادة لا تقبل الظلام ولا الظلم.. بهذا التحدي كان يخاطب إخوة له يقضون حياتهم داخل زنازين عذاباتهم داخل فلسطين المحتلة:-

يا أخا الجرح قد مللت الفيافي　　وسئمت الأشواك تنخز فيا

فاطرح كل مركب ليس يجدي　　وإلى الموت يا رفيقيُ هيا

ثم اولم لموكب الجوع وامـلأ　　دنَّه بالشراب نهلاً وريا

والتزم دوحة الحياة وناد　　يا فلسطين ها أنا عدت حيًّا

لعل وعسى أن نحيا بفلسطين. وأن تحيا بنا..

شاعرنا الخطراوي قدَّم اعتذاره.. لمن؟ وعلى ماذا اعتذر؟

اختاه يا من نورت　　دربي بمعترك الظلم

بحـــديثها المعـــسول في أذنـــي كأشـــذاء الـــنغم
هـــل تغفـــرين خطيـــئتي؟ فالـــصفح عنـــوان الكـــرم
أنـــا شـــاعر قـــد هـــزّه ألـــق الـــشباب فمـــا التـــزم
أنـــا ظـــامئ والمـــاء في بئـــر بـــلا دلـــو يُـــزم
رفقـــاً بقلـــبي إنـــه مـــن لحمـــة مزجـــت بـــدم

كل هذا الاعتذار عن حب بريء لم يطله.. ولم يطفئ به أوار قلبه لأن بئره العميقة دون دلو.. لم يسلم من العتب واللوم:-

صـــفعات لومِـــك زلزلـــت أســـاس نفـــسي بـــالألم

حسناً لو أن شاعرنا أبدل مفردة أساس بأركان.. أحسبها أنسب.. ومع اللوم ما برحت قيثارة حبه تنطق:-

اختـــاه مـــا جـــدوى الأســـى والجـــرح في الـــصدر انكـــتم؟!
مـــاذا عليـــك لـــو أنـــني أشـــبعت زهـــر الـــروض شـــم؟!

لعل شم روضها لغيرك دون أن تدري..من حقها أن تختار نصيبها، وحبيبها حتى ولو كان غير شاعر.. الحب نصيب حتى ولو كان الحبيب مصيبة تنفجر في وجه الحب بعد شهر عسل لا يطول..

نتجاوز معاً ضياع شاعرنا فقد اهتدى من جديد من ضياع شكه ليحصد حصاد شوكه..

حطـــم العاصـــف نـــايي وحشـــا في الحلـــق رملـــه
وســـرى المـــوت بلحـــني جافيـــاً ينفـــث غلـــه

●

كـــل مـــا ســـرت بـــدرب عثـــرت رجلـــي بقـــبر
هـــازئ مـــن خطـــواتي فـــاغر فـــاه لـــضري

حقل أشواكه أغرق مسالك أشواقه بروق لا تبرق بعد أن اطفأتها الريح.. جامل حظه ورغم تودده إليه تجاهله حظه.. فرحته بالحلم تلاشت.. عاش دنيا غريبة.. وحياة قاسية كئيبة هكذا جاء نصيبه.. وقدره

أنـــا لم أذنـــب ولكـــن قـــسمة الحـــظ العجيـــب

آه مـــن ظلـــم الليـــالي لم يطـــب منهـــا نـــصيب

لا تنس أيضاً ظلم الوجه الآخر.. النهار إنه كثيراً ما ينهر.. وينخر العظام رغم وضوحه..

في ديوان شاعرنا (غناء الجرح) ألف شكوى وشكوى.. الجرح بترجيعه الحزين.. لا أقدر على استجماع أنغامه.. وإنما سأمر على بعضها مرور الكرام.. وكل خواطر شاعرنا الخطراوي كريمة.. (نشار النعش) و (أمسية في العيد)، و(إلى مسافرة) ومع (اليأس) إطلالة سريعة:-

لا توقد الشمع ما نفسي براضية ولا فـؤادي يهـوى النـور والألقـا

لقد أغضبت يا صديقي (كونفشيوس) فيلسوف الصين العظيم القائل: (لا تلعنوا الظلام ولكن أوقدوا الشموع)..

دعـني لأحلامـي الـسوداء عاريـة كما السعالى إذا ما جابت الآفقا

مـــسعورة بمحيــا المـوت طاعمـــة دم الـضحايا ولم تـترك بهـا رمقـا

يأس ضارب في آفاقه.. وفي أعماقه إلى درجة القنوط القاتل:- أليس هو القائل؟!

فظلمــة الليـل مـا عـادت تـؤرقني بمـا لهـا مـن قتـام راح منطبقـا

بصيص من أمل باهت بات يلوح في أفق شاعرنا على خجل ووجل:-

ما أبشع العجز في عيني فمنظره يـثير في نفـسي الأدواء والحرقـا

كم قدرة انطقت بالبطل صاحبها وأغـرس العجـز ذا حـق فمـا نطقـا

الاعتراف بالعجز بداية البداية لصحوة قد تأتي..

بين (رحلة الضباب) و(عيون الفجر) جاء الاختيار للفجر وعيونه:-

في ربـا يافـا وفي سـفح الجليـل أشـرق الفجـر علـى دق الطبـول
يـزرع النـور بأحـشاء الـدجى ويـرد العـزم في نفـس العليـل

صوت المقاومة وهي تزرع الذعر.. وتنشر الخوف لدى الدخلاء الذين استعمروا.. واستبطئوا الشر والمكيدة لأصحاب الأرض:-

مـن أزيـز المـدفع الرشـاش مـن لغـم ينـسف مـسعور الـصليل
مـن صـواريخ ارتمـت شـاهقة فـوق أرض اللـد في ساح الخليـل..

الصورة يا شاعرنا باهتة.. ماذا تبقى من الأرض السليبة في قبضة الجلاّدين.. ؟ هم الذين يزرعون ألغامهم، ويدكون بصواريخهم وقنابلهم بيوت الآمنين ويهدمونها على رؤوس سكانها.. هم الذين يجرفون حقول الزيتون، ويحرقون الأخضر واليابس.. ما كنا بالأمس نبكي منه لسوئه.. أصبحنا اليوم نبكي عليه.. ومع هذا لا يأس.. الحرية أقوى مضاء من الحرية مهما استشرى جنونها.

(نداء المجد) صوت صدق للقضية قتله الشعراء والكتّاب بكاء وعويلا دون أن يحرِّك للنيام جفونا.. نتركه (للأنشودة المبحوحة)..

كليلـة كابيـة النجـوم وزهـرة في مفـرق الهـشيم
أو بـسمة مخنوقـة الأصـداء بدمعـة محمومـة خرسـاء

مقدمة شعرية لا تحمل على الفأل.. :-

يـا لعنـة مـن غـابر الزمـان حلـت بنـا مجنونـة العنـان

أية لعنة يعني شاعرنا ؟!

أغنية في البداية أيقظت الربيع في الجفون، وزرعت الصباح في بيادر الشجون، فاختصرت الأرض بمخزونها الأخضر.. وطابت بها الأنفاس.. ومن ربيع الأرض إلى مربع الأرض، حيث الدم يسيل على مفرق الأقصى وخاصرة (المسيح) في بيت لحم.. مشهد حفظناه عن ظهر غيب..

المشهد الآخر في رحم الغيب.. الأغنيات في ديوان شاعرنا المجيد متلاحقة يصعب

اللحاق بها، واحدة تلو الأخرى.. منها أغنيات تائهة يصعب الوصول إليها نتركها للزمن.. وأخرى متواجدة يسهل الحصول عليها مثل (أحزانه)

أيها العيد ما لفجرك يبدو ... قاتم الوجه باخل الأنداء

وعيون الورود في كل روض ... تتحاشى بشاعة الأضواء

سؤال لا يحتاج إلى سؤال.. إجابته فيه! الفجر يكره القتامة.. والورد يأبى البشاعة.. الضدان لا يلتقيان حتى ولو اجتمعا في نقطة درب.. أو لقطة شعر..

يفرح الشامتون والحر يبكي ... موئل الرسل مهبط الأنبياء

نحن نحيا على فتات قديم ... حافل بالفخار والعلياء

غير إنا نعيش شر حياة ... دنستها ضراوة الأرزاء

إشكالية حلها ميسور.. أن نصنع.. أن نضيف إلى تاريخنا الموروث تاريخاً مكتسباً جديداً نصنعه بأيدينا.. لعلنا نعمل، الأمل قائم متى خلصت النوايا ومن عيون الأحزان.. إلى ألحان الخريف.. الأول حكاية يُتْم لا إرادي القهر عنوانها.. والثانية ألحان خريف عارية من أوراق نغمها الربيعي..

ها نحن نعقد للخريف مواسما ... محروقة الألحان والأصداء

ومراجل البغي الأثيم تؤزنا ... أزًّا كحلم فراشة رعناء

تمضي مواكب حشدنا في سخفها ... مخدوعة بصفاقة الخطباء

والقدس في كف العدو سبية ... مهتوكة الحرمات والأفناء

يا قدس هبت للكفاح جموعنا ... ما فتح إلا رائد الأبناء

كان هذا يوم العاشر من رمضان يوم أن كان لفتح فتح.. ويوم أن كان للعروبة نخوة.. وقوة.. لم يبق من ذكريات رمضان إلا مرضان كامب ديفيد. وأوسلو.. ومدريد ووادي عربة.. والقناعة بالفتات والشتات..

ومن البلوى القائمة إلى النجوى الحالمة. نقلة لذيذة الطعم علها تسلينا ولو من

باب العزاء

أي نجـــوى تـــرددت في كيـــاني كرفيـف النـدى علـى الأقحـوان؟
كالـضياء الطـروب في ليـل عـرس عبقـــري الأنغـــام والألحــــان
راحـــت الغانيـــات في جانبيـــه تنـــشر الحـــب للربيـــع الحـــاني
يـــا لهـــا جنـــة دخلـــت إليهـــا تهـــت في ســـحرها، وذاب كيـــاني

بعد حنين الحب يتأتى حنين مجدافه الأشبه بسراب يوم قائظ بعيد الخيـال.. نتجاوزه، فمساحة الرحلة تأخذنا خلسة.. النزيف إحدى محطاتها التي تجاوزناها نحو تل ينبت الزعتر:-

القلـــــب يـــــصفق منبهـــــرا بـــــصمودك يـــــا تـــــل الـــــزعتر
بـــشموخك يـــسخر في ثقـــة بـــسعار البغـــي ومـــا ســـخر

بعد تل الزعتر الذي بهرنا شموخه جاءت كارثة (صبر وشاتيلا).. على يد السفاح شارون وعملائه.. ومجزرة قانا بصواريخ بيريز.. حجبت عن أنوفنا شم (تل الزعتر) الذي هو بدوره تحول إلى مقبرة موتى لا زعتر فيها ولا رائحة إلا رائحة الأجساد الممدة.. والأحلام المبددة.. (س)، و(جيم) خطاب محاكمة حب.. أو عتب.. لا أدري:-

وتـــــسألين عـــــن كـــــآبتي وســـــــــرها الـــــــــدفين
عـــن مهجـــتي الـــتي تلفهـــا الغيـــوم بجوهـــا المحمـــوم

ليس هذا فحسب هو ما سألت عنه..عن نظرته الشاردة.. عن قلبه الملتهب الأوار، وسحنته المصفرة المضطربة مثل غابة محترقة. :-

وتسألينني ما الذي يجعلني أثور من غير ما سبب!
إذا التقى الرفاق، واعشوشبت بهم خرائب النفاق!

وتسأل.. وتسأل.. وتسأل.. وفي نهاية المطاف :-

أواه يا حبيبتي لو نكتفي بالحب والهيام والعـيش في الأوهـام وعـالم الأحـلام!

شاعرنا العاشق لأمته طوَّف بحبيبته يطالبها أن تسأل فينيقيا في صور والجولان

وحنبعل. وقرطاجنة. والشهباء، وحطين. وقطز، وبيبرس وجالوت.

هل تركا تاريخنا يموت؟

فهل يفيد يا حبيبتي معرفة الجواب.. ونحن في اللحود؟!

وكأني بها ترد على تساؤلاته الكثيرة.. والمثيرة قائلة:-

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

أخيراً مع (الوداع الدامي) في خطاب حواري بين أم وابنها:- الأم تناشد وحيدها:

ابني الوحيد، ويا منار حياتي لا تتركنِّي قد يحين مماتي

أقضي بلا ولد يؤنس وحشتي وبدون من يبكي ليوم وفاتي

وحيدها يرد. وقد طفرت الدموع الساخنة من عينيه:-

كفى النواح فقد دعاني الداعي وتجلدي أماه يوم وداعي

وطني دعاني للجهاد وإنني نحو المكارم والجهاد لساع

القدس يا أماه في أيدي العدا كالشاة غابت عن عيون الراعي

أنا إن أمت أماه أفدي موطني وأعيد دين الله للأصقاع

آثر الشاب أمه الحرية، أمه الوطن، أمه التاريخ على أمه التي أنجبته.. واحتضنته لأن الذود عن وطنه وأهله ذود عنها:-

إني أحبك والبلاد أحبها ومحبة الإسلام في أضلاعي

من أجلكم أماه أبذل مهجتي كونوا معي بالقلب والأسماع

ولأنها كما هو أيضاً تحب الوطن، والعقيدة قبَّلته.. وودّعته وهو يحمل رشاشه إلى ساحة الكرامة والفداء.. كلاهما فدائي.

وبعد أقول لشاعرنا محمد العيد الخطراوي كانت رحلتنا معك متوهجة ومبهجة رغم جراحها.. وأتراحها.. إنها صوت يقظة ضمير نحن في أمس الحاجة إلى ترجيعه كي لا ننسى.. ويجرفنا الطوفان على حين غفلة..

الإنسان

- د/ ظافر بن علي القرني
- ١٠٣ صفحات من القطع المتوسط..

الغوص في أعماق الإنسان أشبه بالغوص في أعماق البحار.. حيث المحار واللؤلؤ والأودية المعشبة والمغارات والأسماك والحيتان المفترسة.. وحيث الضحايا الذين ابتلعتهم الأمواج.. وحيث السكون والصخب..

هكذا الإنسان بحر متلاطم من الأشياء كل الأشياء.. منها ما يحبب إلى النفس.. ومنها ما تجفل منه الحواس.. إنه المزيج من تناقضات تتقاطع داخل أعماق يطفو بعضها ليرى.. ويغفو بعضها خلف ستار الأسرار حتى لا يكاد يلحظه..

شاعرنا القرني بديوانه.. وبعنوانه المثير استحوذ على فضولنا كقراء.. وكان لا بد من الغوص في تجاويف سطوره كي نتعرف من خلالها على (الإنسان ذلك الشيء) بحثاً عن ذلك الشيء الذي أثاره واستثاره وعمد إلى رصده شعراً.. ومشاعر..

من قصيدته (العروة الوثقى) جاءت الاشارة خاطفة وسريعة إلى هذا المعنى:-

كلنا أشياء في كف الحروف ... فإذا ما شان حرف شان فكر
وإذا ما زان حرف زان إنسان وعصر ... وتصرفنا بعقل رغم هوجاء الصروف

ويزيدنا وضوحاً في تعريفه للإنسان :-

إنه الإنسان من يفتح أبواب الحياة
إنه الإنسان من يصنع أطواق النجاة
ليس من يحيا ويفنى نوره الهادي هواء

هكذا يرى شاعرنا إنسانه شمعة تضيء.. ودمعة ترحم وتحب وتبكي وتضحك وتسخر حين يتعرى الفهم. ويتعدى الظلم حدود حقوق الآخرين.. ويتجاوز العقوق حدود

الحقوق.. وتتداعى ابجديات القيم أمام طوفان التنكر لكل الأشياء الجميلة.. ألمس في شعر شاعرنا شحنة إيمانية تطل من بين ثنايا سطوره.. ودفقة انتمائية لوطنه تتوازعها أبياته.. :-

سوف ابقى شامخ القامة مرفوع العماد

دون ديني.. فبلادي

وحسناً لو أبدل حرف الفاء بالواو لكان الأنسب.. هذا عن الوطن في عروته الوثقى.. وحسنا ايضاً لو باعد بين شعره وبين المباشرة.. وتكثيف الكلمات إلى درجة الإرهاق والإرباك كقوله في أسطورة الغي:-

واعتصر القول ليَّ الشدوق فلا عين في العين إلا وفت

مجرد نموذج لتراكمات لفظية تعقد لدى المتلقي الفهم وتنال من جلاء الصورة الشعرية وديباجتها..

وعن الجسد يتحدث شاعرنا ظافر القرني:- وبين الجسد والروح تتنازعه اغراض الشعر مثقلة بقيودها.. :-

أعلله يحمل القلب في دفتيه

إلى حفرة الهول حيث السؤال

الذي لا يجاب بيسر

وحيث اللظى جانباها

فما كنت فيها ازكي

وكنت اتمتم تمتمة الروم

مبتورة الحركات.

ومنزوعة البركات.

فكيف أكون.

إذا هلك الناس في ساعة

تفك الأواصر بين ذوي النزعة الواحدة؟

هل كان يتحدث عن القبر.؟ وأي قبر اصطفى؟ وأية صلة بالآتي تشده إلى الجسد..

وكيف أكون وما كنت اسمع

خير من النوم في تلكم الفترة الواعدة

هذه ساعة الحق ياما ظننت الظنون بها

وغرتني الواحة الباردة..

في درب المتاهة مع شعر شاعرنا جاء التواصل مثقلاً بالتفكير لولا مسحة إيمانية شاء لها أن تحتل مكانا تهدئ من ثائرة السير ليس إلا..

سلام على المرسلين كما ... سلام على سيد الخلق ما

همى داكن السحب من فوقنا ... وما خرت النصب الجامدة

الجسد يا صديقي كي نستغرق تشريحه لا بد له من مجهر ومشرط واخصائي وغرفة عمليات مخبرية لا لكي يُشرّح.. وإنما لرسم خيوطه ودقاته وصولا إلى وظائفه وأدواته.. واحسب أن الجسد في ديوانك ما زال يكتنفه غموض المحاولة رغم صدق المحاولة.. ومن الجسد إلى الوهم.. والوهم مرض نفساني يؤثر على ثبات الجسد وحواسه وأنشطته المختلفة..

وقرأت قبل النوم ... أن النوم قبل النوم يضني

وقرأت بعد النوم ... أن النوم بعد النوم يفني

ماذا بعد النوم وماذا قبله؟ لقد ضبط شاعرنا ساعته متحريا وقت السلامة من هواجس راودته دفعته إلى الاستزادة من القراءة ليستشيط به التحري والتمني وليقضي ساعة في ضبطه التوقيت قبل أن ينام..!! ثم لينفخ في زجاج الآلة السوداء بعد أن مسح وجهها بالقطن.. يمضي شاعرنا على هذه الوتيرة دون أن يوصله إلى حقيقة الوهم.. فالساعة وضبط التوقيت وسطحها المجالي على رسغه كانت الشغل الشاغل لشاعرنا.. ولي أنا الذي خرجت من المتابعة صفر اليدين لا أعرف من الأمر شيئاً..

على هذا النسق من السرد الغامض تشدنا قصائد الديوان بقيد من الحيرة والغموض لا نكاد ننفك من ثقله..

(أيها) قصيدة تقول بعض أبياتها :-

ارسم سلمته ملامحي

فالعصر هذا عصر مسخ ملامح الإنسان حيا

اجعل لنا ذكرى هنا في اللاحقين

وسوف لا أنساك في المتقدمين

فأنت في عقلي وفي عينيّ مرسوم المحيا

في أبياته تلك اقتراب من الفهم يمكن التعامل معه كأداة تعبير عن مضمون يحاول شاعرنا القرني ايصاله دون فوضوية في عضويته وبنائه الشعري.. ودون تلوث في تركيبته اللفظية..

يا أيها الفكر المخاتل نفسه

هذا التلوث في الطبيعة ما كفى

أعمى العيون.. وما كفى

صم الأذان.. وما كفى

نخر العظام.. وما كفى

فأتيت كي تحتاج هذا الواهم المسكين

هل ألفيت شيئاً؟

يبدو أنه لم يجد شيئاً رغم كثافة الدخان، وضبابية الأفق واختناق الأنفاس.. أما شاعرنا فظل في مكانه متماسكاً يهفو إلى صفو الحياة متيما.. بل ويتيما لأن النار من حوله تضخ دخانها في الأفق دون أن تجد من يطفئ لهبها المتصاعد.. المتباعد.. وعلى وقع الدخان يتساءل شاعرنا.. :-

هل بعد هذا الحب

نسمع صوت من يدعو بنا

هيا إلى البغضاء هيا ؟

ولأنه يكره دخان البغضاء وغبارها ساقته خطاه سريعاً إلى ما بين الدخول وحومل حيث امرئ القيس تقول الروايات:-

أن امرأ القيس كان هنا وحده يحتطب
وكان إذا اقبل الخصم يغلي من الغيظ
عطشان من وهج الفكر
ملتهباً من وميض البيان.. رمى الفأس
ثم رماه بأخرى من الشعر
فارتج من سطوة القول
وانهار حتى إذا ما تشادى هرب

وتتحدث الروايات إليه بأكثر من هذا في سرد روائي إنشائي ينتهي به إلى حقيقة ثابتة مؤادها أن الشجيرات مثل الشجيرات.. والفأس كالفأس.. والنفس كالنفس مشحونة بالرعب.. يعقبه تساؤل:-

فما بالنا كلما ننبذ الفأس　　ثم نلوذ بأعنف بيت من الشعر
بل بشواظ من الشعر يعمي العيون　　ويضمي المسامع في القبلتين

لأن الفأس يجتث من الرأس نزق الشعر.. ويحتز ما شذ في الجسد من عصب.. ويخلص في النهاية إلى الطرح الأخير من تساؤله:-

فهل يا ترى في العصور القديمة　　كان على حالنا من كذب؟!

لا أملك يا صديقي الجواب.. عند امرئ القيس الذي كان وحده يحتطب.!

الشاعر الغالي القرني ينزع في شعره إلى تشبيه الشيء بالشيء نفسه تاركاً قارئه في حيرة من أمره حتى وهو الشاعر الذي يتحدث عن تآلف الشعراء في عالم مفتون..

ماذا سنكتب أيها الشعراء عنه.

وما نقوله؟

أنقول كان الصدق صدقاً؟.

والجميل به جميلاً؟

والحديث بلا شجون..

الثوابت السلوكية يا شاعرنا تنتفي بانتفاء وجودها.. الصدق لا يكون إلا صدقاً، والجميل لا يكون إلا جميلاً.. من قال غير هذا تعوزه المعرفة والدليل.. أمر جميل أن يتعامل بروح استقرائية تبحث عن الفضيلة الغائبة.. وأجمل من ذلك أن يخرج بتصور لا ابتسار فيه ولا تكلف فنحن معه في قوله:-

لولا الحياة لما عرفنا المر في ريب المنون

نحن معه في أن يتحول الخنجر المسموم إلى وردة بيضاء تبحث في مدى المحراب عن أطياف تسر بها العيون كما يقول.. ولكن تبقى الأمنيات وحدها رهن التطبيق على أرضية الواقع.. والواقع المعاش لا منطق له لأنه ينطق بلغة غريبة عن مدارك العقل..

(الإنسان ذلك الشيء) يتعرى حين تكتسي موجة ثلجية غاضبة.. والموجات الباردة تهتز لها ابدانها صيفا وشتاء بعامل الخوف والغدر..

أيا صاحب الغدر

لو لجَّ قول الفتى بالعثار

فالنفس بالفكر متسقة

أين أضحى الذي ابتعثه من تسام

وأين الذي بعثني من مقه؟

لعل شاعرنا بما يعنيه ويشير إليه ويبحث عنه تحت ظلال اللغة التي افردها عنواناً لهذا الاستفهام الغامض فهو أدرى بشعابه وبالحروف التي راودته في السر محاولاً قذفها في لظى المحرقة لو أنها تجسدت له في شكل مخلوق يتخطى..

عن (رمضان) الضيف الكريم الذي يشبع الجياع.. ويسعد النفوس.. ويشنف الأسماع يقول (القرني) عن الناس:-

هـذا يتمـتم بالفـضيلة   وذاك يحـرث في الرذيلـة

وعلـــى ضـــفاف الـــورد يعـــصف بالـــشعور الحـــب
يـــسقي الزائـــرين متاعـــه مـــن أحـــرف اللغـــة الجميلـــة

جميلة هذه الأبيات الموحية بروحانية الشهر وجماله وجلاله.. انه يسترسل مشغوفاً بصيامه وقيامه وكرمه..

ويهـــب كـــل للـــصلاح فـــذاك ينفـــق مالـــه
واخـــوه يـــصلح حالـــه وإذا دعـــا الـــداعي بنـــا
نهفـــو إلى المحـــراب نـــستبق الـــصفوف
يكاد يختنق الإمام من الزحام

صورة وصفية خالية من الشوائب تؤكد قدرة شاعرنا على صياغة الحدث لو أنه تأمل وتمهل في املاءات شعره وخيارات مفرداته.. واقحامه لجمل اعتراضية مرتبكة تسيء إلى الديباجة.. وتنتقص من قيمتها..

ولأنه يهوى السفر إلى مواقع الغمام كان لزاماً علينا أن نطير معه بأجنحة متابعة كي نستشرف دلالات تلك الرحلة وحصادها لعل قطراً من السماء يبل الظمأ..

تمضي، وتحتضن البشر
وتجول في كل الجهات
فلا ترى إلا الدعابة والرحابة
واخضرار القفر والحب الذي ملأ النظر
حب يحيل المر حلوا
والسماء الصحو تبعث في عروق الصب رائحة المطر..

حب، أو حبات مطر رطبت شفاهنا الظامئة واترعت أرضنا العطشى ونحن في رحلة لم تبرح مكانها على الأرض.. السحاب وحده هو الذي قام بالرحلة ونحن الذين استقبلنا قطره فرحين مرحين.. وهذا يكفي..

الدائرة في شعره تتسع.. افقها أرحب.. وأكثر شفافية واشراقاً:-

يمور في دائرة مهولة

مداه نصف قطرها الممتد فيما حوله

منحصر كخطوة كسولة

أو غرفة ضيقة عن حقها خجولة

أو قرية، قبيلة. مدينة. دويلة.. أو دولة

فتارة يتيه في ارجائها

وتارة يكاد يخترق المحيط

من ذلك المجهول الذي يتولى أمر الدائرة ويرسم حدودها؟ لعل لدى شاعرنا الخبر اليقين..

تـــــشعبت أهـــــــواؤه تبعثـــــــرت أعبـــــــاؤه

فـــــساعة مخططــــــة وساعة يخذله التخطيط

أمر محير أمر الدائرة ذات المركز الثقيل والشريرة الباهتة الخطوط التي تحمل شعار التفكيك والقنوط.. وأمر محير أكثر ذلك المجهول الذي يأتي ويبتعد، يدنو فيرتعد لأنه غير مستعد

وما درى لجهله بأنها يهمها وصوله..

لغز لا يمكن لنا حله.. لأن مفتاح الحل في خزنة شاعرنا.. ربما لخصوصية الدائرة ومن يدور حولها..

وأخيراً.. ارهاصات حب شاعرنا الأخير.. وهل كالحب يأتي مسك ختام..؟

ارفق بنفسك..

ليس هذا وقت تشتيت النظر

أنسيت ما بيني من الماضي.. وما بين الحوار

لا تقطعن مودتي

وتسير في شرك المسافة واهماً

تستشرف الأفق البعيد

فتسبتد بي العبر..

مقطع جميل من رسالة حبه تؤكد قدرة شاعرنا على اعطاء شعر أجمل وأفضل حين لا يتعجل.. فالصورة كما قرأتها موحية بالعذوبة والرقة والعتب..

أقول لصديقي د. ظافر القرني وبكل صدق.. في ديوانك ما شدني إليه.. فهما.. وفيه ما أبعدني عنه هضماً ربما لعيب اتحمله.. أو لغموض في تركيبته واجترار في جمله يتحملها غيري.. بكل الصدق أشد على يدك على أمل عطاء متجدد، متوهج بالصور والمعاني، والأخيلة.. المفهومة والمهظومة..

جرح الليل

- د/ إبراهيم محمد الزيد
- ٩٦ صفحة من القطع المتوسط

ليس الليل وحده الذي ينكأ ضحاياه بالجرح.. النهار أيضاً له جراحاته.. الإحساس بالوجع لا وقت له.. ولا هوية له.. ولا مكان له.. انه يواكبنا. ويناكبنا ونحن قيام. ونحن نيام. ونحن جلوس.. تارة بمقدمات محسوسة.. وأخرى بمفاجآت ومواجهات غير متوقعة.. وجرح شاعرنا الليلي الزيد ربطه بالليل لعله الأدرى بجرحه وتوقيته..

بدأه بعزيمة المواجهة والمجابهة كي يهزم الهزيمة لا أن يطأطئ لها رأسه ويستسلم لتداعياتها :-

ولقـــد هزمتـــك يـــا هزيمـــة   فعـــبرت أفكـــارا جميلـــة
ووقفـــت موقـــف صـــامد   صـــلب القنـــاة. ولـــي عزيمـــة
ولقـــد كبـــوت بعثـــرة..   فتقوّلـــوا.. مـــن ذا يقيمـــه؟!

حسناً جاءت ارادة شاعرنا صلبة العود تتحدى الخطر.. وتتصدى له دون أن تهون أو تلين.. لأنه حر.. :-

كانـــت جراحـــاتي عظيمـــه   والحـــر تجرحـــه الجريمـــه
كانـــت مـــشاعر يعـــرب   حـــرى تقطعهـــا النميمـــه
والـــشامتون تجمعـــوا   يحكـــون عـــن فِكـــر ذميمـــه

وهنا بيت القصيد :-

الجـــرح وحّـــد أمـــة   قامـــت بملحمـــة عظيمـــة
فـــإذا العروبـــة قـــوة   تخـــشى وليـــست بالغنيمـــة

لعله أراد بهذا الاعتزاز حرب شهر رمضان المبارك يوم أن جندت أمتنا العربية كل إمكانياتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية وفرضت واقعها كقوة سادسة حينها.. ولكن ماذا بعد؟ الشامتون عادوا إلى مواقعهم.. والجرح النازف في جسدنا العربي المنحول أفضى بنا إلى الفرقة.. والقوة التي لم نحسن توظيفها بعد أدت بنا إلى الضعف.. تَحْسَبُنا جميعاً وقلوبنا شتى.. ومع صخرة شاعرنا الزيد:-

لا تغضبي يا صخرتي — لا تؤخذي من فعلتي
اذ جئت نحوك هاربا — هل تحسنين تحيتي؟!

حتى الصخر يا صديقي وهو الصلب القوي يرفض تحية الهاربين.. ولكن لماذا الهرب. أسبابه ودوافعه.. إنه إحساس باطني مغلف بستار الخوف الذاتي.. شاعرنا طارده شبح الظلام الذي يخيم على السفح.. لجأ إلى القمة عله يلقى بصيصا من نهار

صونيه عن همس الريا — ح على سفوح القمة

وليته ترك السفوح واختار بدلاً منها الروابي الأكثر اقتراباً من القمة.. (فلربما) مقطوعة ذات دلالة إرشادية اجتماعية تحكي واقع تجربة مرة نعايشها تلخصها الحكمة القائلة: (عدو عاقل أفضل من صديق جاهل).. الأول يبنيك.. والثاني يهدمك ويؤذيك..

فلربما كان الصديق — من العدو أشد غشا
يلقاك يبسم ثغره — ويقلبه حقد تفشى
يلقاك بالوجه الكذوب — إذا أتيت إليه هش!
وإذا ابتعدت هنيهة — نبذ القناع وهام نهشا

عظة أخلاقية ملؤها الصدق.. نبذَ القناع جملة صائبة.. وإن كنت أحسب (خلع القناع) أقرب إلى الصواب

(جراح الليل) حيث العنوان للديوان.. وحيث كُره الليل الشديد لشاعرنا:-

إذا جَنّ الظلام يضيق صدري — وأفرح عندما يأتي الصباح

بعض أسباب كرهه :-

ويـــنعم غيرنـــا بلذيـــذ نـــوم ويمضي الليل تعصف بي الرياح

إنه هنا أشبه بالمشرد الذي لا أرض له وطاء. ولا سماء له غطاء..

خيال شاعرنا مرعوب من أهوال الظلمة ما إن يحاول مَدَّهُ حتى يرتد إليه خاسئاً وهو حسير.. لأنه موثق بقيد الليل وجراحاته.. :-

أرانـــي في المـــسير بـــدون قـــصد ضـــياع قـــد يظـــن بـــه طمـــاح!

أمـــرٌ بغربـــة. وعـــذاب وجـــد حبـــيس لـــيس يقـــربني انـــشراح

يكفيه من آله أنه وحيد يشعر بالغربة المتوحشة لا دار له. ولا خيار لديه.. يرقب الشمس حين بزوغها كي يقلب فيها طرفه لعله يلقى في وميضها روح ارتياح له.. ويتساءل في النهاية:-

أَإنْ ضـــاقت بنـــا ســـبل. وغامـــت لنـــا ســـبل إذا اختلطـــت فـــساح

وهـــل تبـــدو الـــشموس وقـــد تلـــوت بآفـــاقي.. فيغمرهـــا انفتـــاح؟

وهـــل يـــأتي بُعيـــد العـــسر يـــسر؟ وبعـد الـصمت هـل يحلـو الـصداح؟

أسئلة يطرحها.. دون إجابة.. مشكلة الإنسان إنه يطرح أسئلة يدرك إجابتها لو أنه وضع الأصبع على الجرح.. شاعرنا مفتون بحب وطنه. وكلنا كذلك نموت حباً وتعلقاً بأوطاننا..

مـا في الـتغني بحـب الـدار مـن بـاس اذا أتـى الحـب عـن صـدق وإحـساس

فحبك الدار. حب منك ساكنها وحبـك الأرض إيمـاء إلى النـاس..

بيته الثاني أعاد إلى ذاكرتي مقولة مجنون سلمى. أو ليلى. لا يهم

أحـــن إلى الـــديار ديـــار ســـلمى أقبـــل ذا الجـــدار وذا الجـــدارا!

ومـــا حـــب الـــديار شـــغفن قلـــبي ولكـــن حـــب مـــن ســـكن الـــديارا

شاعرنا بكل تأكيد يحب وطنه أناسا. وديارا. وخيارا.. :-

أفـدي ثـراكِ بـلادي أينمـا وُجـدت　　　بـدافق مـن دمـاء القلـب والـراس

إنه لا يبالي في سبيل حبه ما يلقاه من عنت.. وجهد:-

فمـوطن المجـد لا أرضـاه ممتهنـاً　　　ولـو فقـدت بـه تـرداد أنفاسـي

فحبـة الرمـل في أرض ولـو ظمئـت　　　أغلى مـن التبر بل أبهـى مـن الماس

هذا هو الحب الكبير الذي يتعالى على الجراح لأنه حب إيمان.. وحب الأوطان من الإيمان.. ومن الوطن الأم.. إلى الحب الذي يستوطنه قلباً وعاطفةً مشبوبةً.. (كيف نلقاك؟!)

(تبسمت ثم قالت:-　كيف نلقاك؟) (يا هائماً من بهذا الدرب أغراك؟)

(إنه فتى أحلامها.. هي التي لم تدخر حيلة في البحث عنه إلا أنها ضلت السبل ولم تظفر بمرآه.. ترى هل رد عليها؟! يبدو أنه ظل صامتاً يستمع.. ويستمع.. ربما ليزيد من ضرام شوقها إليه وتعلقها به.. إنها تقول في النهاية..

رفقـا بنـا إن أطلنـا في تـشوقنا　　　الحـب أنطقنـا.. إنـا عـشقناك..

مـن منطق الحب أن نحمـي توددنا　　　مـن أن يـضيع. ولا يحميـه إلاك..

لقد استخدمت في خطابها الشعري له لغة التعظيم.. لغة الجمع وهي مفردة.. كأن تقول (بنا) و(تشوقنا) و(أنطقنا) و(عشقناك) وهي لغة جائزة إلا أنها غير مستحبة..

أوصلنا شاعرنا الزيد إلى نهر الحب كي نغترف معه جميعا بعضاً من قطراته العذبة.. حب كان وطنا.. ووطنه الصغير كان (أبها) حيث الجمال.. والطبيعة الأخاذة الآسرة..

كنـتِ أبهـى مـن الاقـاح وأحلـى　　　صـمتك الحـر لم يكـن بالغريـب

هـاكِ قلـبي فتحتـه فاغرقيـه　　　أبـيض اللـون كالـسحاب المهيـب

وددت من شاعرنا المجيد لو أنه تخلى عن حرف الفاء في كلمة فاغرقيه.. ولو أن شطره الثاني جاء على النحو التالي (أبيض اللون مثل مزن مهيب) البياض مصاحب للمزن حين تواجهه أشعة الشمس..

فيك معنى الوفاء إن جئت يوما ... حائرَ هائما بعصر رهيب
قلت اهلا. ومرحبا. ثم سهلا ... عش بقلبي. وفي مجال رحيب
لن يضام الشعور (واديك ابها) ... نهر حب.. وفوقه كل طيب

لماذا فوقه وحده.. الطيب من فوقه ومن حواليه.. حسناً لو أبدل مفردة فوقه بمفردة حوله إنها الأكثر اتساعاً..

(ما بال قلبك) أغنية مواساة لمن تأسى ومن حوله ما ينسيه مأساته.. :-

ما بال قلبك في هم وتسهيد ... حديثك الآه كالحيران في البيد
وجنة الله في عينيك ماثلة ... عذراء باسمة.. في بهجة العيد

يطرح أمامه كل الصور الجميلة التي قد تأخذه إلى رحاب الفرحة والأمل.. الشمس الساطعة.. الورد في كمائمه.. الفجر ببشائره.. الأغصان في تراقصها.. الطير في تغريده.. إنه يستحثه الخروج من سوداوية نظرته المتشائمة..

فطلق الآه.. ما الآهات موصلة ... الا إلى مهمه الأوهام. والدود
من يطلب المجد والعليا بلا سبب ... رمى به الوهم في ذل وتشريد.

لا أحد يا صديقي يطلب المجد دون سبب.. حري أن يأتي بلا تعب.. المجد الوصول إليه شاق ومضنٍ.. ولن يكون أبداً بلا سبب. ومن (وادي أبها عسير) إلى (شهار الطائف) يأخذنا شاعرنا معه في رحلة ممتعة تتقاطع فيها الصور بين جماليات السرد الشعري. وجماليات الصورة.. والمزج بين الحبين.. العاطفة والعقل.. الجسد والروح..

ووجدت نفسي في شهار ... ما بين منتزه. ودار
وعلى الضفاف خريدة ... ريَّا يحار بها النهار
ربطت (بوُجٌ) طرفها ... حور. وفي الخد احمرار

حوراء شاعريته يتدفق أمل الحياة في قلبها.. قوامها يتثنى وهي تشخصه بعيون والهة. هكذا صورها

وقفـــت تطـــل كـــشاعر فقـــد التأمـــل في الحـــوار

وعلـــى الجـــبين غلالـــة شـــفت بقايـــا مـــن خمـــار

كل هذا الرسم الشعري الوجداني حفظناه كمتلقين.. أو متفرجين.. ماذا بعد هذا التوصيف الكثيف في جمالياتها؟ لقد رسمها شاعرنا قمراً أضاء جوانحه. أبحر في بحر نظراتها عَبَر آلاف الديار.. وفي النهاية عاد إلى (وُجِّه) و(شهاره)..

ألفيـــت قلـــبي واجمـــا مـــا بـــين (وُجّ) و(شـــهار)

قلـــبي يـــرف علـــى يـــدي قـــد عـــاد مبتهجـــا.. وطـــار

إلى أين طار لا أدري.. وإلى أين اختفت عروس شعره لا أدري.. ربما السر في بطن الشاعر..

شاعرنا الزيد امتطى بساطه السحري وحلق طليقاً يرتاد جماليات وطنه هذه المرة إلى (نجران)

نجـران يـا فجـراً أطـل علـى النيـام يـا قمـة شمـاء طاولـت الغمـام

إلى أن يقول:-

نجـران ملحمـة تمـوج بهـا البطولـه ريانـة بالمجـد.. ترويهـا الرجولـه

نديانة معطاء تعمرها الفضيله

نجران الأمنية. ونجران الأغنية. ونجران الملحمة.. ونجران النماء.. والفداء.. والإباء صفات ومواصفات لجزء من وطننا الغالي أسبلها عليه استحقاقاً.. وعناقاً.. ووفاقاً.. كان وفياً لنجران الذي يستحق منا جميعاً ألا ننساه قولاً. وعملاً.. الحس القومي في وجدان شاعرنا متوهج.. تحدث عن زنجبار وعن جوليوس الذي أودى بأرواح عشرين ألف من سكانه..

عشرون ألفاً قد قتلتَ وما رويتَ من الدماء

وطردت آلافا لجهلك قد حسبتَ بهم غباء..

ليست زنجبار وحدها التي تعتمل أوجاعها في صدره الدروب جميعها تشكل له ضيقاً

وفزعاً ورفضاً إنه يتحدث عن الدروب المظلمة الظالمة..

تهت ما بين الدروب المظلمات ... واعتراني الشك في أزهى حياتي
كلما أغمضت عيني هاربا ... من رؤاه لجَّ في تلك الشكاة

إنه اليأس الذي ضاق ذرعاً به.. والذي لاحقه كظله وطارده كشبح مخيف.. الظلام بكل أشباحه وخفافيشه مرعب يحتاج إلى شموع تبدد وحشته.. كما قال كونفشيوس حكيم الصين العظيم (لا تلعنوا الظلام ولكن أوقدوا الشموع) شاعرنا يتحدث عن الغباء بأية صورة رسم لنا لونه ومذاقه ورائحته إن كان للغباء لون وطعم ورائحة

ألاقي في محبتها عناء ... وتلقى في مودتنا وفاء
وتطعمني اللقاء بها صباحا ... فتخلفني وارتقب المساء
وامنحها الوداد بكل قلبي ... فتجهبني. وتحترم الرجاء
أراها في الدنو كبعض نفسي ... ونفسي يا أخيَّ بدت سماء

على هذا النحو من سرد العناد من جانبها.. نكران الأمس.. واحتساب الوفاء رياء. العناد والجرح في مقابل البراءة والوصل.. الشوك بدلاً من الشوق.. مع هذا الشيء ونقيضه ترتسم علامة تعجب عريضة لديه..

وأعجب أنني أتعبت نفسي ... فلا حقاً أصبت ولا رداء
وصلت بها الغرور وقد تمادى ... وأُبْتُ وفي مزادتنا خواء
وبعد متاعب من طول سعيي ... عرفت مسيرتي. كانت غباء

يا صديقي الوفاء أبداً لا يكون غباء.. وفيتَ لها فتنكرت لك.. لا أنت بالغبي بحبك.. ولا هي الغبية بنكرانها.. إنها لعوب ماكرة تريد إشعال نار دون إطفائية..
دعها للزمن لسوف يؤدبها.. اسمعها صوت كوكب الشرق وهي تغني حسيبك للزمن

لا عذاب. لا عتاب. ولا شجن

تشكي مش حاسأل عليك

تبكي مش حرحم عينيك

ياللي ما رحمت قلبي

دارت الأيام عليك..

ونحن جميعاً معك في دورة شعرية.. من محطة إلى أخرى كلها تشويق (كيف عادت) و(ليل وقمر) و(لم لا أعود) و(يا قمر) و(تباريح الشجن) محطات لم يسمح بنا زمن المسيرة اللاهث التوقف عندها لكثرة المحطات المنتظرة.. (هيا نعود) موقف متمرد تستحقه تلك اللعوب الماكرة.. لعله يعنيها أو يقصد ماكرة أخرى لعبت بخياله إلى درجة الخبال..

فكـــــــــرت أن أنـــــــــساك　　وأن أزيـــل مـــن خـــواطري هـــواك

وأن أمــــــر راحــــــلاً هنــــــاك　　هنـــــــاك للبعيـــــــد.. لا أراك

إلا أنه احتار في مسيرته. وأخذ ينسج خيوط فرقته راسماً لوحدته طريقاً آخر منافياً لمودته.. كان عليه أن يرحل

ورحت في مسيرتي

مهاجراً من بلدتي

مجاهراً بسلوتي

يخاطبها.. أو يخاطب مخيلتها. لا أدري

قولي بأنني جحود

قولي.. نسيت أنني جمود

قولي.. كما تبغين. أني لن أعود

من بلدته التي ذاق فيها مرارة الجفاء والصد رحل إلى المدينة لعل وعسى.. قد يحالفه الحظ ويلقى العوض..

قـــــصدت جانــــب المدينـــــة ألـــوذ مـــن عيونهـــا الفطينـــه

محـــــاذرا دروبهـــــا الأمينـــــه تحـــار بـــي وســاوس ســـجينه..

لعله الهروب الذي لا يعني طلاق الحب.. وإنما انطلاق القلب نحو رحلة لقاء جديد ينسيه لوعة الماضي..

(كنف النجوم) محطة جديدة شغلت بال شاعرنا الزيد وشاغلته فلا هو استوطنها حباً. ولا هو استبطنها هزيمة..

مازلـــتُ أشـــرب للقمـــامن راح والنـــاس في طـــرب وفي أفـــراح

يتبـــادلون مـــن الـــوداد عواطفـــا وعـــــواطفي مـــــشبوبة بنـــــواح

أناس في واد وهو في واد آخر.. هم لبسوا ثياب السعد أما هو فقد اتشح سواد الليل رداء له.. لماذا كل هذا؟

لكل هذا الانفراد والانطوائية المحببة لديه هروباً من واقع لا يحس به. ولا يستأنس لحاله وجد نفسه يمتطي بساط سحره الشعري نحو الخيال محلقاً فوق الضباب بعيداً عن ساحته التي ضاق ذرعا بها..

أبـني مـن الأفكـار جـسراً ناعمـاً تحيـا بـه الآمـال بعـد جمـاح

أجتـازُ فيـه مـن الوجـود عوالمـا بَعُـدت.. وكنـت طويتهـا بجنـاح

فـتراح نفـسي بعـد طـول وسـاوس وتقـر عـيني بالفـضا اللمـاح

مفردة (فتراح) إخالها محتاجة إلى إصلاح.. الصحيح (ترتاح).. همسة لصديقي الزيد خذني معك إن كان بساطك السحري يتسع لأكثر من راكب في فضاء الخيال العلوي.. جميعنا في حاجة إلى نزهة عقل.. ورحلة حكمة.. للهجوم نظرته في مذكرة الشاعر.. هجوم إرادة لا تنثني.. وكرامة لا تهون.. وحياة لا تقبل الوهن..

لا تـــسألن عـــن الـــصديق وخـــذ الحيـــاة مـــن الرفيـــق

مـــن عـــاش ينتظـــر الرفـــاق فقـــد تمـــدد كـــالغريق

على هذا المنحى جاءت أبياته حازمة جازفة تعمق مفهوم العمل من أجل تحقيق الأمل دون انتظار ولا كسل..

فـــافتح طريقـــك بالكفـــاح ... المـــــر. إن جثمـــــت صـــــخور

عليك اجتيازها تسلقا.. أو حفرا.. كي لا ترتد لك خطوات.. :-

اعمـــل ســـواعدك الجريئـــة ... في الأصــــــائل. والبكــــــور

وخـــض الحيـــاة بعزمـــك ال ... جبــــار. بــــالحزم الكـــبير

وإذا تزاحمـــــت المناكـــــب ... فانهـــــــض إلى المـــــــسير..

مـــا عـــاش مـــن تـــرك الـــصراع ... لكـــي يـــسائل عـــن نـــصير

بهذه الرؤية تحرك قلمه.. إنه يقول ما قاله شاعر قبله..

مـــا حـــك شـــفرك مثـــل ظفـــرك ... فتـــول أنـــت جميـــع أمـــرك

ويمضي في مقطوعته (حين الهجوم) المحطة قبل الأخيرة لهذه الرحلة معه:-

ومتى تكاثفت العواصف أو تلبدت الغيوم

وتجهم الأفق الكبير من الرياح. من السموم

ورمتك بالرعد الغضوب وزمجرت حين الهجوم

ونفت عليك قدادها وقد استبد بك الوجوم

إياك أن تحني الجبين. وتستكين إلى الهموم

مفردة (ونفت) أجهلُ المقصود بها.. قد تكون. وقد لا تكون.. أحسب أن مفردة (رمت) أكثر وضوحاً للمعنى..

وأخيراً مع آخر محطة.. عنوانها غير مشجع فهو يعني الويح.. ولكن هذا قدرنا مع شاعرنا الذي آثر نهاية الويح على نهاية المسك:-

لـــست أشـــكو مـــن الحيـــاة لبـــؤس ... أو مـــشوق أضـــر بـــي يـــوم نحـــس

لـــست أشـــكو مـــرارة العـــيش لكـــن ... كـــل شـــكواي مـــن جريـــرة جنـــسي

يمقتـــون المقـــل مـــن غـــير ذنـــب　　　وهــو فــيهم محقــر حــين يمــسي

كاد يقول لنا من يعني :-

طـــيروا للفـــضاء بـــضع رجـــال　　　وعلـــى الأرض مـــن يـــئن لبـــؤس!!

أســـسوا للـــدمار صـــرحا قويـــا　　　والـــسلام المهـــيض مـــن غـــير أس

عرفناهم يا شاعرنا.. إنهم أولئك الذين أذاقوا الشعوب المستضعفة ويلات الحروب طمعاً في احتلالها وإذلالها والتحكم في خيراتها.. إنهم الأغنياء مادة.. وإنجازاً علمياً.. الأغبياء سياسةً.. وتنكراً لحقوق غيرهم.. إنهم الطامحون إلى الفضاء الطامعون في الأرض..

ينبـــذون الزنـــوج في كـــل أرض　　　عقـــدة اللـــون أتعبـــت كـــل حـــس

وإذا قلـــت يرعـــوي القـــوم قـــالوا　　　إنمـــا أنـــت مَـــنْ أُصـــيب بمـــس

مفردات تهمة المس والجنون لم تعد كافية.. الإرهاب تهمة جديدة تنتظر كُلَّ مَنْ قال كلمة حق.. كُلَّ مَنْ ناضل من أجل تحرير وطنه.. كُلَّ مَنْ قال للمحتل عن أرضه ارحل لا مكان لك هنا.. حق قوة الأقوياء سبقت قوة حق الضعفاء يا صديقي وبعد.. بعد رحلة ممتعة مع شاعرنا المجيد د. إبراهيم محمد الزيد. عشنا معه. وعايشنا إرهاصات فكره.. المزيج من الشكوى. والوجع. والتمرد.. وأحياناً الحيرة التي لا تعني الغباء وإنما المساءلة وطرح الكثير من علامات الاستفهام والتعجب..

بعد هذه الرحلة أودعكم إلى لقاء متجدد بإذن الله.

شمعة ظمأى

- أسامة عبدالرحمن
- ١٥٠ صفحة من القطع الكبير

الشعر هواية وغواية.. هواية يلهو بها الشعراء، يلوون بها أعناق الكلمات يقولون بها ما لا يفعلون.. وغواية يصدقها الآخرون حتى ولو كانت مجرد خيال سارح ضارب في متاهة الفكر.. ولنا في الآية الكريمة أصدق مثل.

{وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ} (صدق الله العظيم).. ومع هذا فإن في الشعر ما يتناغم وحركة الحياة وروحها متى جاء هادفاً.. وصادقاً.. وأمينا.. أقول هذا لا أعني به شاعر اليوم، بل أعني به كل الشعراء وكل شعراء الشعراء شاعرنا يبحث عن خبر فاته.. أو لم يأت بعد.. إنه يطالب فتاة حلمه أن تخبره.. (خبريني).

لم أزل أقرأ ما بين النجوم الزهر آلاف الليالي
وأصيد الكوكب الدري لو مر على نهر الخيال
لم يزل مثلي الأعلى، ونبراسي أبو زيد الهلالي

فارس يتأسى بفارس.. والفروسية شجاعة موقف.. وشجاعة حركة.. وشجاعة ثبات بالمبدأ.. (لم أزل أحلم) استغرقها توصيفا مشبعاً ممتعاً.. ولكن ماذا بعد (لم)؟ وقد مد طرفه في الأفق بحثاً عن محاريب الجمال.. هل وجده..؟ وإذا ما كان وجده فهل حصل عليه؟ ذكراها بالنسبة له عبق.. تمنى.. وتمني.. وتمني.. هل فاز بأمنياته؟

صرخت ليلى وسيف العزة القعساء مصلوب حيالي
ما استشاط الثأر غضبانا ولا هب مغاوير الرجال!
أخبريني.. ونسيت الجرح في ليلى، ودمعا كالآلي
وتجاهلت نداء العزة القعساء للسحر الغوالي!

وتركت المجد مقتولا على الأرض.. وأهملت سؤالي.

أبيات معبرة صارخة وجميلة وهو يشهد ليلاه مضرجة بدمها تستصرخ دون مجيب لأن الشهادة مفقودة.. والنجدة موؤودة.. ليلى العامرية أيضا بكت من مرقدها! (المارون والنكسة) مقطوعة طويلة اجتزئ منها بعض مقاطعها:-

يـا رفيقـا بـين حـزبين تجلـى الاقتـدار ... وتسامت كبرياء النفس واعتز الفخار

وتهـاوى تحـت كفيـه شـعار وشـعار ... وهـو كالبيـداء صـمتا ووقـور كالوقـار

ورفـاقي دأبهـم غـزل ونقـص وشـجار ... ونفـاق في كـؤوس بالمراعـات تـدار

وضع أصبعه على الدمل محاولا فقأه... :-

يـا أخ الـصمت، وللـصمت جـلال ووقـار ... قتلت نفسك نفسي ألبستها كل عار

كشفتني فاقد الهمة في ضاحي النهار ... جردتني من فخار الأمس، من كل اعتبار

هل تريدون أكثر من هذا صرخة واحتجاجا على حال أمة تقبلت نكبتها ونكستها وهي نائمة كقطة في سباتها دون حراك؟ هذا يكفي.. يطلب من الريح أن تزمجر بعد أن فقدت الروح نبضها.. والجسد حركته.. والقوة إرادتها واستشعارها بالخطر..

زمجري يا ريح في البيداء فالبيداء قفره

لم يعد فيها أنيس يودع الأنجم سره

أو مهاد ضمت البدر وغذت فيه سحره

أو سيوف تتلالى في الليالي المكفهرة

فجرّت في عمقها ألف نهر للمجرة

يلح على الريح أن تزمجر عوضا عن زمجرة الإنسان الراكد.. إلا أن الريح محتجة لا تزمجر وينتهي المشهد الحزين عند هذه الأبيات:-

سـقطت حطـين، ضـاعت كـل أشـعار المعـره

وسـبى نـيرون ليلـى وسـقى التـاريخ جـوره

صــــدئ الـــسيف فلـــم يـــنهض لثـــأر أو لثـــورة
قــد مــضى الرعــد ولم تثبــت علــى الــصحراء قطــره
ومـــضى العـــز، ولم ينـــشر علـــى التيجـــان عطـــره
وانتهـــى المجـــد ومـــا زلنـــا نيامـــا في الأســـرة

أبيـات أسـرة بـدلالاتها، حزينـة بتـداعياتها لأن الإنـسان نفـسه صـدى كمـا صـدى سيفه..

رسالة من شاعر لفيلسوف فرنسا الكبير براتراند رسل.. يقول فيها وباقتضاب:-

هـل لأفلاطـون، أو سـقراط أراء خفيـة؟　　لم تشع في اليأس إلا بعد أن ذاقا المنية؟
أيهـا الفـارس في ميـدان حـرب فلـسفية　　كم رفعت الراية الحمراء من أجل القضية

براترانـد رسـل كـان مـدافعا شرسـا عـن حريـة فلـسطين وحـق شـعبها في الحيـاة.. يتساءل شاعرنا/:-

أيها الفارس ما للحق قد صار ضحية؟　　وفلـــسطين لمـــاذا وئـــدت وهـــي صـــبية؟
قـل لبلفـور لمـاذا فوقهـا سـلط غيَّـه؟　　كيـف أهـداها كمـا شـاء لأفَّـاق هديـه

بلفور يا صديقي يهودي بالهوى والهوية أعطى ما لا يملك لمن لا يستحق..

في عطاءات شاعرنا نزعة.. وفزعة قلَّ ما تجدها عند شاعر آخر.. إنه يحترق كرماد قضيته.. وكأجساد ضحايا ها ليس في فلسطين وحدها وإنما على امتداد وطنه العربي الكبير.. واكب بشعره كل التحولات.. كل الانتصارات.. وجميع الانكسارات رصدها بقوة والدموع تملأ محاجر عينيه.. ينادي (دهره).. والدهر نحن الذين نحركه.. نقتله بجمودنا، أو نحييه بصمودنا:-

يا دهر مهلا كفى يا دهر ما كانا　　من غفلة بات فيها الطرف وسنانا
إن مـــسَّ أجفاننـــا نـــوم وقهقرنـــا　　فلــن يُمــسَّ لنــا مــن بعــد أجفانــا
وإن طوتنـــا ليـــالٍ في حوالكهـــا　　عـشنا فقـد أذنـت بالـصبح دنيانـا

لم يفقد الأمل رغم كثافة جهام الليل.. أوقد شمعة وراح يبحث تحت ضوئها:-

هنا قد تبلج وجه الصبح واندحرت ... جحافل الليل، والإشراق حيانا

مفردة (قد) زائدة شعرية يحسن استئصالها رحمة بالشطر..

سنسترد من الأيام ما سلبت ... ونستعيد من الأمجاد ما كانا

وسوف نعلي صروح المجد عالية ... ونبتني فوق سطح السحب مغنانا

يا عزيزي.. بتواضع تريد أن تبني فوق سطح بيوتنا الأرضية سكنا.. وحرية.. وتقدما.. السحب نتركها لمن لا مكان لهم على وجه البسيطة. (الحضارة الجديدة) شغل باله بها:- إنها مطلب ينشده الذين ما زالوا متخلفين عن الركب..

يا نهضة في الغرب أشرق نورها ... قد باركت خطواتها العلماء

لم تعرف الدنيا لها مثلا ولا ... حلت بها تاريخها العلماء

الشطر الأخير أحس فيه بعض الارتباك.. أتمنى لو جاء هكذا (حلت على تاريخها العلماء) ويعود من الغرب إلى الشرق في مقارنة.

فإلام يحيا الشرق في أوهامه؟ ... وعليه تنشر ثوبها الظلماء؟

فرضت عليه قوى التعصب عزلة ... ورمته في بحر الردى الأحماء

إن كان ماضيه مفاخر جمة ... قد خلدته صروحها الشماء

فاليوم حاضره غداً متعثراً ... وله من الوهم الكبير عزاء

لا عزاء في الوهم.. ولا في التخلف.. صحيح أن خصومنا يريدون مصادرة عقولنا وتفريغها من واقعنا.. ولكن نحن أيضا نتحمل جانبا من اللوم.. والعتب.. مفردة عزاء الأنسب منها رثاء شاعرنا يهتصره الشوق.. ويعتصر خلجاته الشعورية..

مواطن الخلد ما للخلق عبثت ... به الليالي وما للمجد قد غربا

إني لأذكر ماض فيه مؤتلقا ... بنى الحضارة، والعرفان، والأدبا

أضاء للغرب مسراه بأندلس ... حتى بنى عجبا يتلو به عجبا

وراح يـــبني علـــى الجـــوزاء دولتـــه ... مـن الحقيقـة شمـسا تـدفع الريبـا
لا تذكروا الأمس للذكرى مجردة ... أو للتأســي، ولا تبكـوا الـذي ذهبـا
أعيـذكم أن تكونـوا مثـل أرملـة ... تبكـي الزمـان، ولا تلقـى لكـم دأبـا

شوق إلى ماض موصول بحاضر يجدد خلاياه.. ويجذر رواسيه ودعاماته.. ويربط حلقاته بعضها ببعض.. ومع (الراحلين) كان له وداع..

قـل لـي بريـك، مـا وراء الأفـق؟ ... مـاذا خلـف غيهبـه الـسحيق؟
نمـضي فـرادى تـاركين وراءنـا ... دمعـا يـسيل علـى الطريـق
ونـواح أرملـة يـصم الأفـق ... وهـي تكـاد يقتلـها الـشهيق
وصـراع طفـل زائـغ النظـرات ... وحـزنهم صـمت أريـق..

(صمت أريق) أحسب أن مفردة (صمت سحيق) أقرب إلى الحالة.

كـل يمزقـه الأسـى برماحـه ... ويهـده الحـزن العميـق

لم يعط شاعرنا للمشهد صورة مكتملة.. أعطى وصفاً.. ولم يطرح تشخيصا للحالة الجنائزية.. ومن مشهد الراحلين إلى مشهد اليتيم

نبت البؤس بجفني وأدمى مقلتيا
وسقاني ما سقاني من أسى شق عليا
أين من يحضن آمالي، ويرعاني صبيا
يا لنفسي أي دهر أنشب الظفر قويا
هل يرد الريح غصن لم يزل غضا نديا؟!

اليتيم يا عزيزي ليس بموت أب، أو أم، أو هما مجتمعان.. اليتيم بمفهومه الحي عناه شوقي بقوله:-

ليس اليتيم من انتهى أبواه من همِّ الحياة وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له أما تخلت أو أبا مشغولا

يتامى دون أبوين اعتصموا بالجلد والصبر، شقوا طريقهم في الحياة.. خلدوا بخلود أعمالهم..

شاعرنا الإنسان يحمل في داخله أماني كبارا طرحها طرحاً جميلاً.. إنه يقول:-

ناءت بي الأثقال.. وانتفضت أمانيّ الكبار
لو كنت أملك من سليمان أفانين اقتدار..
لقطعت بالسكين عقد الشمس من جسد النهار
ووضعته في كف أرملة وأيتام صغار
لجعلت من قدري فراتا ترتوي منه القفار
لجمعت فيض مشاعري ونسجتها أحلى إزار
ونثرت فيه النجم فوق النجم طوبى للنثار
ومنحته للنفس تسمو أن يدنسها شنار

بعض أمانيه الكبار.. ولكن اليد قصيرة والعين بصيرة.. تكفيه أمانيه شهادة تحسب له.. ولأن الناس أصناف كانت له رؤية :-

صنف من الناس ألقاه وتلقاه ... عذب الأحاديث بشري محياه
تكاد من ثقة بالود تألفه ... وتصطفيه أخا للعمر ترضاه
وفيه ما فيه من حقد ومن حسد ... نفس الكريم ونفس الحر تأباه
يصب خلفك أقوالا مقولة ... ولا ضمير عن البهتان ينهاه
قد كنتُ مثلك مخدوعا بمظهره ... وكنتُ قبلك فردا من ضحاياه

الإنسان يا صديقي مخبر لا مظهر.. جرِّبه.. تعامل معه قبل أن تعقد معه علاقة صداقة.. الصفعات أحيانا هي المحصلة لمن لا يأخذ الحذر ويحسن الاختيار.

(اليأس، والشموخ) لا يتفقان.. اجتمعا معا على صعيد واحد في مقطوعته:-

جفت دموعي فاستغاث بكائي ... وطغى قنوطي فاستفز رجائي
وعفت على قلبي غيوم من أسى ... أنحت عليه بوابل البأساء

ويحي أأركن للقنوط ومهجتي | تقتات ما في الكون من أرزاء؟!
والأرض حولي مكفهر وجهها | سيان في الإصباح والإمساء؟
إن كان جرحني الزمان بكأسه | بؤسا فلست بأول البؤساء
أو كان هاجمني الزمان فإنه | هو واحد من جملة الأعداء
سأظل أرنو للحياة وأجتلي | نعماءها في غمرة الظلماء
وإذا تعلق فوق جفنيَّ الأسى | أمحوه مثل بقية الأقذاء..

الإنسان إرادة كبرياء لا تنحني أمام العاصفة.. لا تتعرى أمام هبوب الخريف.. وإنما تظل شامخة تتحدى الأنواء.. والأهواء لأنها إرادة حي..

نفس النقيضين (اليأس) والشموخ و(القمر، والظلام)، يا ترى من ينتصر؟

يا أيها القمر الذي مجدته من ألف عام
يا من نسجت له من الأعماق أبيات الغرام
إني صحوت ولم أعد للحلم أخضع كالنيام
عادت إلي رجولتي واستيقظ الشرف المضام
فكسرت آنيتي وأوتاري وأهرقت المدام
وحلفت إني لن أراك ولن أخلد في الظلام

ما ذنب القمر يا شاعرنا.. إنه يجلو الظلام.. دعه يسبح في فلكه يمزق ستار الدجنة من حولك كي لا تخلد فيها.. المتيم بتاريخه إنه خير رفيق.. يشدو لبلده.. ومن فينا لا يشدو.. ولا يشكو مرار الغربة عنه؟!

وعدت إليك يا بلدي واشواقي بلا حد
لثمت ثراك ممزوجا بدفع فاض عن حدي
ومرت فوقه شفتاي ينبوعا من الشهد
رشفت كآبة الحرمان فيها.. ضقت بالبعد

فراقك سامني ذلا وبعدك فت في عضدي
سيبقى حبك الريان في قلبي إلى الأبد..

الوطن أم.. حين نبتعد عن أمنا نتحول إلى يتامى نبحث عن حنان مفقود لا نجده إلا حين نعود إلى حضنها.. ومن الأم الوطن إلى الأم التي أنجبت:-

يا مثال الطهر هذي أسطري تجثو لديك
ما أنا إلا غصين يستمد الأصل فيكِ
ما ارتوى إلا نميرا ورضابا من يديك
يا فؤاد غاب عنه أمسك الغالي وعنك
أيكه المفروش ورداً عاد مفروشا بشوك
فاعذريه لو دعاه دمعه لو راح يبكي..

دموع البر تغسل أوجاع البعد وتعيد للبصيرة والبصر شفافية الرواية، والرؤية والنظر.. الدموع خطاب حب صامت أبلغ من الصوت.. (أول معاناة) لها صدمة.. لأنها الصدفة الأولى أمام تجربة قاسية..

تعالي فارحمي في الحب حالي ... وداويني فقد طال اعتلالي
جمالك قد سرى فسبى فؤادي ... وأنتِ من الجمال ذرى الجمال
بثثتك من أحاسيسي شجونا ... وقد نفذتها لكِ باللآلي
سأقضي العمر أرقب فيك وصلا ... فهل ما أرتجيه من المحال؟
أجيبيني ولا تدعي الليالي ... تعيد عليَّ تكرار السؤال..

رغم مقطوعته الوجدانية المفرطة في رومانسيتها إلا أنه كرر السؤال أكثر من مرة.. لأنها لم تُجب.. هذا ما انتهى عليه المشهد.. (الدمع) يغسل العيون.. ويخفف من غلواء النفس.. ويجفف ما أمكن عناء الكتمان..

كلنا يذرف دمعة كلما الشوق استبدا
كم يكون الدمع نعمى تغمر المشتاق بردا

ويطرح السؤال:-

أينا لم يهو يوما؟ أينا لم يلق صدا؟ أينا لم يجن شوكا؟ أينا لم يجن سهدا؟

فذرفنا الدمع بعد الدمع كم بلل خدا كزهور حفها الطل فباتت فيه أندى

توصيف جميل للحالة.. أنصف فيه الدمع.. دلالة الحب، والرحمة، وسلاح العاشقين في مواقع نجواهم وشكواهم، قصائد حب شاعرنا أشبه بالعقد.. إنها مشدودة إلى بعضها (ذكرى لقاء) و(يا فائتي) و(أنا لن أجحد ذكرى حلوة) و(الحب في والاغتراب) و(يا حبيبا) و(كل يحن إلى ليلاه) و(يا فتنة تشفي الأنام) و(لم أنكر الهوى) و(محروم) و(ليالي) و(رسالة إلى حبيبة) و(نفضت الحب يا سلمى) و(يا أزرق العينين) و(خواطر رومانسية) و(إنني أعلنت) و(الحب المسوخ) و(حماك سيفي) و(الحلم الأول).. حبات ينتظمها عقد طويل قزحي الألوان تفيض وجدا وجدانيا تتصارع فيه الكلمات، والتأوهات.. والمناجاة.. قاسمها المشترك الأعظم الحب ولا شيء سوى الحب وقصائد غزلية أخرى مشابهة لا يتسع الوقت لعرضها واستعراضها.. أخلص منها إلى مقطوعة الرصيف:-

هذا الرصيف أكاد أسمعه يضج من الجموع العابرة
أقدامهم حملت من الأدران ما حملت نفوس فاجره
والقهقهات الطائشات العائدات من الليالي الساهرة
في كل ليل لم تزل بين الرصيف إلى الرصيف مهاجره

يرقب الرصيف.. يحصي المشاهد.. العيون الساهرة.. الأجساد التي لوثها ثوب بلا حياء، الهوى العذري، الذئاب الكاسرة.. الحب الذي يشبه الصيد في الغابات.. الفتنة الرعناء، الرصيف وعاؤها.. والفضاء غطاؤها.. مزيح من الأجساد المتراصة تشتم في بعضها النقاء.. وفي بعضها الآخر الشقاء..

يا فتنة ثارت على كل المبادئ، والمبادئ زاخرة
وتوهمت أن المبادئ كلها مثل السلاسل جائرة

مهلا فإنك تسقطين إلى الحضيض.. وإن تكوني ثائرة
لا تخلقي ثوب العفاف، ولا تبيعي الأمنيات العاطرة
لا تقذفي شرف الهوى العذري في وحل الوعود الباهرة
لا تأمني لليل تطرقه الوحوش وما أمنت مخاطرة
لا تتركي للذئب حتى لو أناب على يديك مشاعره

خطاب إرشادي انتزعه من أعماقه وهو يرى مشهد عالم يتزاحم في مدن لا ينتمي إليها.. وعلى أرصفة لا يحب السير عليها.. رسمها بريشته دون تدخل.

وفي النهاية انتزع بضعة أبيات من ذكريات أمس لعل فيها الجديد.

يا ذكريات الأمس يا روح الصبا ... يا بعث حبي يا شعاعا ماجنا
أحييت في قلبي الرجاء فأخصبا ... وجعلت لي كل الوجود محببا
يا وردة ركعت لها ريح الصبا ... وتفتحت فهمت لها كل الربى
بالله لا تذري فؤادي مجدبا ... جار الحبيب عليه والحب نبا
قد جاء بابك سائلا متقربا ... كوني الملاذ له، وكوني المهربا

وأخيراً قضينا معا رحلة ممتعة مع شاعر الحرب والحب أسامة عبدالرحمن في ديوانه (شمعة ظمأى).. شاعر لا يتبعه الغاوون.. وإنما أولئك الذين يعون الحقيقة الغائبة ويسعون إلى استنهاضها.. يدعون للحرية، والحق والفضيلة.. ويرعون نبتة الأمل الظمأى إلى وِردها ووَردها كي يعود للحياة رونقها.. وللأحياء كرامتهم داخل أوطانهم دون وصاية يفرضها عليهم دخيل لا يرعى فيهم إلا، ولا ذمة..

هذه خيمتي.. فأين الوطن؟!

- يحيى السماوي
- ٢٥٦ صفحة من القطع المتوسط

سؤال له ما يبرره.. ويعطي له شرعية التساؤل.. وقانونية الطرح.. وانسانية الرفض.. لن يكون ابدا من فم مضطجع على أريكة يرتشف كأس النخبة داخل سكنه المسكون بكل مغريات الحياة.. ورفاهيتها.. بل وتفاهتها.. مثل هذا لا تؤويه خيمة تهز رياح العوز أو الغربة اطنابها، وانما هو صوت من لا مأوى.. ولا ملجأ له.. ولا وطن له.. وشاعرنا السماوي عراقي استكثر عليه وطنه العربي الكبير ان يجد المقام فيه.. وحده فقط على بعد آلاف آميال.. ولجأ إليه مرغما لا بطلا.. مكرها لا مختارا.. حتي خيمته التي تمنى بها وتغنى عليها استكثروها عليه فرحل دون خيمة.. استعاض عنها بخيمة اغتراب يلوحها الحزن.. وتهزها رياح النفي.. عبر بها سور وطنه المذبوح.. زاده القلق.. وكوثره الرعب.. ووطاؤه الحزن.. وغطاؤه العراء.. واناؤه اليأس.. وهو في طوافه شرقاً وغرباً بعيداً عن الدار لا يرى الا بقايا رجاء.. وجوادا خارج الركب.. ونخلة يتيمة على قارعة الدرب ما إن هزها حتى تساقط وطنه في قلبه ليتحمله عذاباً فوق عذاباته.. وصباً مضافاً إلى صباباته:-

«شدي شراعك» عنوان قصيدته الأولى يخاطب بها راحلته ورفيقة دربه مخافة ان لا يصل. أو أن تسد ابواب الغربة في وجهه... ويتحول إلى انسان بلا مكان.. بعد ان اصبح لاجئاً بلا أوطان ولا عنوان:-

«شدي شراعك فالطريق طويل ... وامامنا بعد الرحيل رحيل
اني لأبصر في مرايا حاضري ... قبرا به غدنا الذبيح نزيل»

ذكرته النخلة التي تصارع الرياح العاتية بنخيل وطنه التي لا تفارق ذاكرته:-

«فـإذا حفيـف النخـل لوعـة نـادب وخريــر دجلــة والفــرات عويــل»

فتش في اوراقه بحثا عمن ينادي.. ابو ذر الغفاري أنس إليه وارتاح له:-

«ابا ذر.. قم
ان سيفك الذي ينام في المتحف
ما عانقه الفرسان
وقومك الذين بايعوك بالأمس
انكروا البيعة»

ياالضيعة السيف.. وياللوعة المبايعة مع التنكر.. انه في خطابه الشعري يرسم اكثر من صورة لأكثر من سيرة:-

«اباذر..
لا العشب في الحقول
لا الموجة في النهر
تعلم الرجال بعدك الحروب»..

أين.؟! في مؤتمرات لا تجدي لأنها تستجدي.. وفي مؤامرات تنسج حبال قيودها لتشل بها الأقدام.. وان امكن الإقدام..

ومن خطابه لأبي ذر في قبره يرى الصخرة رمز قيمة. وقمة. وقامة..

«سُـلَّ الـضلوع صــوارما عــضبا واســكب لظــاك المــر.. والغــضبا
لا تـــرهبن يـــدا مدنـــسة.. ومجـــاملا تـــستهدف الـــشهبا
فاستأصـــلنَّ الجـــدار لا فننــا واقلّــع عيــون الــشر لا الهــدبا»

في توافق ضمني مع الشاعر الذي يقول:-

لا تقطعـن ذنـب الأفعـى وتتركـها ان كنت شهما فأتبع رأسها الذَّنَبا

ويتحدث عن الجرح.. عن نافذتيه المفتوحتين الواسعتين.. متسائلاً:-

« ياوطني الذليل

أيقوم من تابوته الجسد القتيل؟!

فاكتب وصيتك..

المدائن شيعت اقمارها

لا شيء ينبىء ان «بابل» سوف تنبض مرة اخرى»..

لا.. يا صديقي الأوطان لا تموت.. ان اقدارها تمهل.. ولكنها ابدا لا تهمل:- قد تعاني.. الا ان الذي يطعم الهزيمة هو الجاني.. ماذا قال شاعرنا المبدع السماوي عن مجزرة قانا؟!

«تبقين قانا شاهدا.. وشهيدة تحيا.. واما الميت الجلادُ

من دمك المغسول بالدم واللظى لابد يبدأ يومه الميلاد»

لقد بدأ.. تحرر الجنوب.. واندحر الجلاد.. واظلت شمس الحرية على لبنان.. فماذا كان لك أنت؟!

«كان لي في سالف العصر وطن

ضاحك النهار

لا يعرف غير الفرح الأخضر في حقل الزمن

ثم لما هَرِم الماء

كبا النخل» ❖❖

«السيف قبل الغد» واحدة من ابداعاته الشعرية.. ولوحاته الشاعرية المرسومة بالوجع والاستنهاض»

«لدم النضال على الدروب ندى ما قام حق واستجار هدى

صبي رحيق الشمس في قدحي وتوقدي. ما عشت متقدا

السيف قبل الغمد. ما نبضت تلك الحمائل دونه أبدا»

ويسترجع ماضيه على مرآة واقعه.. وبين الماضي والحاضر يترجم ما في دواخله:-

«اني وان وأد الاسى ولدي فقد اتخذت من المنى ولدا

امــشي جــريح الظــل. مغتربــا متوثبـــا حينـــا.. ومتئـــدا..»

ويستعيد نفس صور المأساة المتجذرة في اعماقه دون كلل أو ملل لأنها كل ما يملك..!
ولن تكون مفاجأة إن تكون خطوته التالية خطوة قنوط لا قنوت! لا فائدة منها فهو
يملك الشراع والسفينة ولكنه لا يملك البحر.. وسفينة بلا بحر جسد دون روح..

« ما الفائدة؟

أيامنا القادمات. كأيامنا البائدة

تكحل بالامنيات الخرافة احداقنا الساهدة

اضعنا طريق البيادر

ان البساتين ممهورة بالخريف»

على هذا النسق من اليأس.. وعلى هذا السياق من البؤس يأخذ شاعرنا الغربة خطوة
خطوة دون اي بارقة أمل.. ولا لحظة انتظار!! المتاهة في انتظارنا.. بكل شجونها وشئونها
لأنها متاهة زمن.. وضياع مستقبل:- !

«بهمومنـــا لا بـــالخمور ســـكارى وليأســـنا لا للعـــداة أســـارى

نحتار سهدا حين يغرينا الدجى ونفر من ضوء الشموس نهارا»

هل بعد كل هذه انهزامية؟!.. لا اظن.!

واعجابا بشعره.. رغم مذاق طعمه المر سوف نفتح له معا صدورنا.. وقلوبنا.. وآذاننا
كي يقول لنا ما به:-

قـــررت ان اقـــول مـــا بـــي ارهقـــتني هـــذه الأســـرار

هربـــت مـــن ذاكـــرة النخـــل ومـــن مـــسغبة الامطـــار»

الى أين يا شاعرنا الهروب..؟! يجيبنا على الفور ودون تردد:-

«مغتربا.!

هويتي. دمي الذي يسيل في خاصرة الأشعار

ودمع امي. والهوى المعار

فمن يُقبل عثرة الشارب كأس النار»

اعتراف امام محكمة التاريخ موثق.. دعه للقضاة الحكماء الذين سيأتون ويَحكمون. ولا يتحكّمون.

هذه المرة اعاد الينا الانفاس الطيبة.. وطيبة الطيبة تستقدمه وتحتضنه بين ذراعيها وتنصت إليه:-

«اتيت طيبة همي يستبي هممي — سعيا على القلب لا مشيا على قدمي

يسابق القلبُ اشواقي فيتركني — ظلا على الدرب أو عصفا بمضطرم

أدار خير عباد الله قاطبة — تحكمي بفؤاد الصب واحتكمي

بي للأمين من الاشواق عاصفة — فهل ألام اذا عانيت من غرمي»

ابدا يا صديقي لا لوم عليك ولا تثريب.. بل المثوبة والأجر.. والشكر وقد منحتنا فسحة من الراحة الروحية:-

ولأنه شاعر.. ولأن الوطن قصيدة تمده بمفردات وادبيات الشعر.. راح يسأل من يملك؟!

«من يملك الوطن.. القاتل المأجور. والسجان؟!

يا سيدتي. ام رجل المطر

نازك. والسياب. والجواهري

ام سارق الرغيف. والدواء. والوطن؟!»

ليست اسئلة.. انها اجابات لا تحتمل السؤال.. قد تحتمل المساءلة وهو يدري ممن؟! لهذا نتجاوز «اخت هارون» بحثا عن هارون نفسه الذي نحسه بين تجاويف شعره تارة بالتصريح. واخرى بالتلميح.. ونبحث معه عن الكرامة التي جزت نواصيها:-

«دربان يقتسمان قافلتي.. متاهات ومنفى

في صُرَّتي حسك..

وفي كوزي سراب الامنيات

دم الأحبة في بلاد

كان فيها النخل مئذنة. وكان العشب إلفا

للسامرين على ضفاف العشق»

تغيرت الملامح بسرعة وفي صرعة مجنونة كما عودنا في قصائده دون ملامة او عتب فله عذره.. ولكن ماذا تغير؟! حقوله متعثرة.. عذوق نخله مكبوتة.. شطآنه مقبرة للخير ومقفرة. وخيمة منفى، لم يبق له سوى الجرح. والاحلام الغاربة.. ماذا ابقى؟ لا شيء..

يقول شاعرنا عن نفسه ان صوته خفيض.. ونقول عنه جميعا ان صوته طويل عريض فما الخوف؟!

ان صدى شعرك امتد من تراب وطنك الى ملبورن وسدني بسرعة البرق وبالعكس.. عن كل شيء صرختُ.. وصدعت.. عن الحرمان.. والأحزان.. حتى سيدك الخبز!:-

« يا سيدي . يا خبز ذا وطني — رغم الطفولة متعب كهل

يا سيدي يا خبز مُرَّ على — شعب رغيف صغاره ملوا

احداقنا يا خبز ضيقة — وجراحنا فرط الأسى بخل»

ومن رغيف الخبز إلى طبق التنويعات التي اكلنا منها في اغلب من محطة استراحة لا داعي للتذكير بها... ولا ببعض تفاصيلها كان هذا سوف يحتزى من وقتنا ما لا يحتمل.. حتى مهاتفته مع المرأة المجهولة لا نرغب التنصت عليها.. ونكتفي منها بأعذب ما فيها:-

«ضحكت. وفاض عبيرها نغما — وتنهدت. لكن على حذر

قالت: عرفتك! فاستحيتُ وقد — فضح الهوى سري على كبر »

حسنا فعلت.. فالحياء من الإيمان حتى في الحب.. وحسنا لو عذرت وقد تجاوزت بعض قصائدك الممتعة «خذني إليك» و«نخلة البرحي» و«اربع قصائد قصيرة» فالعين بصيرة واليد قصيرة لا هثة وهي تمسك بالقلم عبر فضاء ممتد مشحون بأثقال

الهموم واشجان الغربة..

ومن حقك على المشاركة في احلامك المشروعة:-

«احلم من جيلين بحقل من شجر الافراح

بنورسة.. وطيور كنار

ببساتين الأمة ان تخضر

وان بيوت الضحكة لا تنهار»

كلنا نشاركك الحلم. ونشاطرك الأمل.. والأمل يفتقر إلى عمل.. تلك هي المعادلة الصعبة.. «العصر الردي» الذي تحدثت عنه هو الانسان الرديء الذي يشكله وينسج خيوطه ويرسم خطوطه...

«نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا

وقد نهجو الزمان بغير جرم ... ولو نطلق الزمان بنا هجانا

« يادفء شمس الأمس».. ويا حرارة سعير ناس من اليوم.. الشمس واحدة لم تتغير.. اما تلك الحكاية في ليل بهي فمعروفة البداية والنهاية.. نظرة استحسان بريئة.. تتحول إلى حب.. إلى غزل.. ثم الى لقاء.. ووداع.. على امل لقاء جديد لا يتحول الى انتظار وشقاء.. هذا ما قلته وما يقوله اي شاعر ادركه الحظ في رسم لوحة شعره العاطفي.. ومن بهاء الليل الى هذيان العقل حيث تبدو الصورة مختلفة:-

«ابناء ارومتنا

اني أحمل قرآنا عربيا

ونياشين. وسيفاً

وبواقيت الجاه

فليخبرني كل منكم عن مولاه

قلبي حدثني عن زمن احيا فيه

يصبح فيه القاتل والمقتول سواسية

والضحكة تصبح آه»

ليس قلبك وحدك.. معك كل قلوبنا حدثت وتحدثت عن الحدث.. عن زمن العولمة.. وتفرد الكبار الكبار بمقدرات هذا العالم.. وبسن تشريعاته وقوانينه وفق المزاج.. المقاومة ارهاب!! والاحتلال دفاع عن النفس!!

ولأن شهر يار عالمنا الجديد يتحرك على الساحة حسنا ان اختتم رحلتي معك وانت تخاطب شهرزاد عن بُعد «ان لا توقد الشموع»:-

فإن شهر يار يستبيح كل ليلة مدينة

يغسل في دمائها جنونه

ويسكب النيران في آنية السكينة»

كنت ايها السماوي رائعا في شموخ السماء.

وفي وجع الأرض بحثا عن خيمة تُظل. ووطن يُجل.

طيور الأبابيل

- إبراهيم هاشم فلالي
- ١٢٨ صفحة من القطع الكبير.

تبرز على صفحة الذاكرة قصة أصحاب الفيل وقد اقبلوا بخيلهم وأفيالهم ورجالهم يبتغون هدم الكعبة مدفوعين بوثنيتهم ورجس فكرهم.. الأبابيل طيور تحمل مناقير طويلة وحادة.. وجادة في سخطها وانتقامها.. هل إنها ما عناه الشاعر عنواناً لمجموعته الشعرية؟ استفتح ديوانه بالتكبير.. ومن يفتتح كلامه باسم الله فقد ربح..

طلعت مطايا العقل في تسيارها — مثل الطوالع في الطريق المصحر
ما عاد رائد ركبهم بمراده.. — فالدرب أطول من مسير الأعصر
والمصحرون الواغلون بقفره — شربوا السراب من الفضاء الأغبر
لا تنبت البيداء أدواح المنى — فالبيد ما رشفت رحيق الأنهر

يا عزيزي.. السراب ليس فضائياً وإنما أرضي.. إنه تراب خادع يبرق عن بُعد يخاله الظمآن ماء.. حسناً لو أبدلت (السماء) بالتراب.. أما البيداء فإنها تعشوشب بمطر السماء تعطي زينتها.. وتخضر أيضاً بجداول الأنهار التي تمتد إليها.. توشكا مثلاً بيداء قاحلة أحالتها المجاري النهرية إلى حقول.. هذا عن ربيع الأرض.. أما ربيع العقل فكما أوردت إنه الواحة الخضراء التي لا تجف أوراقها. ولا يخف إشراقها:-

والواحة الخضراء قلب مؤمن — في ظله الممدود حوض الكوثر
فاغرف لعقلك غرفة من حوضه — فإذا ارتويت مُنحت شوق المبصر
ورأيتَ عقلك ومضة علوية — هبطت عليك من الضياء الأكبر

العقل حين يوجد لا يحتاج إلى من يعرف له.. هو نفسه يقوم بأداء المهمة لأنه مصدر

الحركة والبركة. (الراعي والقطيع) محطة لافتة للنظر:-

ساق الرعاة قطيعهم للظى الحرو ب وليس يدري فيم تشتعل الحروب
وبكى العجائز والشيوخ على الشمو س الزاحفات برغمها نحو الغروب
وبراعم مثل الزهور تفتقت عسفا وغاض لعسفهن دم القلوب
سحقا لراع لا يُراعُ من الدما ويروعه عطف الشعوب على الشعوب

رباعية موحية بصورها تجسد واقعا تعيشه البشرية منذ القدم حتى عصرنا هذا. قادة وزعماء يعرضون شعوبهم للدمار. وقلاعهم للانهيار بدافع التسلط. والتفرد بالقرار، ملاحظة (الراعي والرعاة) بالنسبة للإنسان جملة انتهت صلاحيتها.. هناك حاكم وهناك محكومون (الجليد الأبيض) محطة واضحة الإشارة، إنها تعني أصحاب السحنات البيضاء البيض في مواجهة السود..

يا من تنمر للوجود كأنه رب الوجود. وليس يدركه البشر
أتظن جلدك وهو أبيض ناصع صنعته آلهة الضياء من القمر

رؤية إغريقية عفا عليها الزمان، لا رب خالق إلا الله، مصطلحات قديمة لمعتقدات قديمة.

أما الذين تنوعت ألوانهم فمن التراب. وصنع آلهة أخر
اترك تهاويل الضلال ولا تكن في معبد الطغيان طاغوتاً أشر

التمييز العنصري سبة تاريخية. الألوان ليست العنوان.. لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.. ولا بين أسود وأبيض إلا بما يحمله من قيم.. إن أكرمنا عند بارئنا اتقانا وأنقانا سريرة.. بلال الأسود أقرب إلى الله من أبي جهل. وسلمان الفارسي أقرب إليه من عصاة قريش.

(الأرض المضيئة).. كيف رآها شاعرنا الفلالي..؟

يا ليت من راد الفضاء وجابه حتى تخلى جسمه عن وزنه

يرتـــاد أبعـــاد النفـــوس فإنهـــا أعلـى، وأبعـد مـن مـسابح سُفنه
فـــإذا انتحـــى لـسمائها بـسفينة مـــن روحـه يحظـى برفعـة شـأنه
مـــن خَـفَّ وزنـــا في الفـضاء فمـــا عليه. إذا تخفف من مطالب بطنه

شاعرنا وهو على حق يرى في اجتياز العقول.. وارتياد أبعاد النفوس غزوا له مردوده الإنساني.. إنه يفجر الطاقات.. ويذيب جليد العلاقات.. ويوفر طاقة وجهداً. ومالاً لصالح الجياع على الأرض الذين يموتون ويسغبون لأنهم لا يجدون ما يطعمون.. بينما آخرون ينفقون المليارات في غزو فضائي مردوده محدود.. الأرض بمن عليها أولى من اكتشاف جرم سماوي تكفي نفقات استكشافه إنقاذ ملايين الجياع، والمرضى على كوكب الأرض. فارس رحلتنا بعد أن فرغ من سراب العقل. والرعاة الأشقياء! والتمييز العنصري.. وغزو فضاء مردوده على المعوزين في الأرض موت وجوع. التفت إلى شقيقه العربي حيث يكون مكنونه الشعري. ومكوناته الشعورية لا تميز بين قطر وقطر ولا بين لهجة وأخرى.

يـــا أيهـــا العربـــي في كـــل الـــورى إن كنـت تسكن في السهول أو الذرى
أعـــددْ ســلاحـك عـــاجلاً إن العـــدو علـــى بـــلادك قـــد أقـــام. وعـــسكرا
والقبلـــــة الأولى نعـــــت حرماتهـــــا أســـرع إليهـــا قبـــل أن تنعـــى (حـــرا)
إن كنـــــت تحمـــــل ذرة مـــــن غـــــيرة فاغـــضب.. لعلـــك أن تكـــون مُغَـــيرا

انه في خطابه يستنهض العزائم والهمم الراكدة.. يستحثها ان تفيق من سباتها حتى لا تُنْفق وتموت.. انه يذكرنا بمقولة شاعرنا الحكيم:-

مـــن حُلقـــت لحيـــة جـــار لـــه فليـــسكب المـــاء علـــى لحيتـــه

وقد حلقت لحية أكثر من جار.. والحبل على الجرار ما لم تحكمنا صرخة الثأر وننفض عن أذهاننا المجهدة ما علق بها من غبار. (دعاء) لعل الله جلت قدرته يستجيب له:-

يـــا رب لا تغـــضب علـــى أوطاننـــا إن ضـــل مركبنـــا عـــن الـــشطآن
فنفوســـــنا مفتونـــــة بعقولنـــــا ومـــن العقـــول معاقـــل الـــشيطان

العقل يا صديقي أبدا لا يأتي معقلا لشيطان وإنما أهواؤنا وطباعنا وشهواتنا أرى إبدال كلمة عقولنا بكلمة طباعنا

لكــن حلمــك لا يــضيق بمــدلج بــين المجاهــل حــائر الوجــدان
وأنـــا ببابـــك موقـــف متـــضرع يرجـــو الهـــدى لعروبـــة الأوطـــان

الصحيح واقف.. وليس موقف حتى وان جازت ضمنيا.. الموقف لا يقف على ما احسب. شاعرنا المسكون بحبه لأهله ووطنه يرفض اليأس لأن اليأس انسلاخ من الحياة.. وخروج على طبيعة الإنسان الموجود كي يعمل.. والمولود كي يضيف. من مقطوعته اجتزئ هذه الأبيات.

رفيـــق الـــدرب لا تيـــأس فـــإن اليـــأس قتـــال
وكـــن بـــالله متـــصلا فكـــم لله أفـــضال
وواصـــل جهـــدك المبـــذو ل لا تقعـــدك أهـــوال
فللأيـــام مثـــل النـــاس إدبـــار.. وإقبـــال

توصيف جميل تستغرقه شحنة إيمانية ألبسها في الكثير من قصائده الوطنية. والتأملية على حد سواء. انتماؤه يرفض الدخلاء:-

هـــذا الـــدخيل الـــذي أعمتـــه شـــرته مـــا كـــان يومـــا إلى الأحيـــاء ينتـــسب
إن تـسألوا الـسفر عـن أحـداث قـصته تـروي الـسطور حـديثا كلـه عجـب
في مغرب الأرض كان القتل يحصده وفي المـــشارق أعيـــا قلبـــه الرهـــب
لم يلـق حـصنا يقيـه المـوت في بلـد الا بـــلادا بهـــا الإســـلام والعـــرب

يشير إلى القوم الذين احسن المسلمون معايشتهم في عصور خلت فتنكروا لها في جحود لا نظير له في التاريخ.. أما الملاحظة فعلى مفردة (شرته) والصحيح (بصيرته)

يحسن استبدالها.. بحيث يأتي الشطر كما يلي:- (هذا الدخيل الذي أعمت بصيرته). أما لعبة الأقدار وهي طويلة فإنني أختصرها في الأبيات التالية:-

يا من جننتَ بجندك الجرار ويلعبة الأسطول.. والدولار
وظننت أن الأرض يملكها الذي ملَك النقود. وغلظة الجبار
ما أنت في هذا الوجود إلهه بل أنت مثلي لعبة الأقدار
تجري عليك سعودها ونحوسها حكم على كل البرية جاري

نَعَم لكل عظة آية.. ولكل بداية نهاية.. ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع.. ومن زرع الشر يجني وزره.. مسرح المأساة أيضا له مشهد جلي في شعر شاعرنا..

يا مسرح المأساة أبكيت الأمم أبكل ركن يلتقي دمع. ودم؟!
والموت هل ملأ الكؤوس لغيرنا من قمره؟ فعلام نسرع للعدم؟
وعلام تصطدم الفيالق بالفيا لق في صراع مستميت محتدم؟
مازلت أجهل ذلك الإنسان عقلا! أم جنونا! أم ضياء! أم ظُلَم؟!

من (خمره) الأجمل منه من مُرِّه.

في سماء الحب يأخذنا معه.. لعل في حبه فرحة يسعد بها، ونسعد بها معه:-

يا حبيبي قد تولى ليلنا الطاغي دجاه ومحيًّا الفجر أبدى في أمانينا ضحاه
ليس بدعاً أن تراني. كلما تدنو أراه وجهك الوضاء فجر تعشق الدنيا ضياه

شاعرنا أراد أن يضيئه فأظلمه على وزن أراد أن يُعريه فأعجمه.. كيف لحب أن يأتي سعيداً وقد تولى ليله الطاغي دجاه؟ انه يعمق بهذه الصورة ظلام المشهد بدلا من أن يجليها.. ولكي تكتمل الصورة الجميلة الموحية بالفرح لا بد وان تتغير الجملة. على النحو التالي. (يا حبيبي قد تولى ليلَنا الداجي سناه). (شعب محمد) صاغ له من شعره سوارا يبرق. ومن جواهره عقدا ثمينا من تاريخ تليد. ومجيد بالعطاء.

كانت لنا فوق البسيطة دولة سعدت بها الأجناس والألوان

ركعت لها الأهرام رغم شموخها وهوى لوطء خيولها الإيوان
وصروح من سلبوا الشعوب حقوقها دكت... ودان لحكمها الرومان
نصبت سرادق عدلها للخائفين فعدلها للخائفين أمان..
ضمت بأجنحة السلام عوالما وتعانقت في ظلها الأديان

وبصوت حب ينشد المساواة عنوانه (الناس إخوان)

جميع الناس إخواني ويسعدني وجودي بين إخواني مدى العمر

كلنا معك نسعد بهذه الرغبة.. وهذا الاشتهاء.. المؤمنون إخوة.. ويسعدني أيضا لو أجريت صياغة الشطر الثاني المختل. حسنا لو كانت صياغته وفق الآتي:- (وجودي بين ظهرانيهم مدى العمر).

وهل يحيا أنيس الطبع منفردا بلا ولد. بلا زوج. بلا صهر
بلا صحب يشاطرهم نقاء النـ ـفس في همس وفي جهر وفي سر
بلا رفقاء يشاطرهم مضاء العز م. والإقدام إن نهضوا إلى أمر

القصيدة طويلة تطغى عليها الخطابة. والمباشرة مثل الكثير من مقطوعاته الشعرية. أفكارها ومضامينها أجمل من أدوات سردها. وقف شاعرنا فلالي أمام ضريح أمه يمنحها بشعره لمسة وفاء.. وهمسة عرفان بجميلها..

لقد أحسنت يا أمي إليا ولم أحسن بخردلة إليك
سوى أني أطعتك مستجيبا لأمر الله إذ أوصى عليك
لقد أسعدت يا أمي نفوسا ولكن الحياة قست عليكِ
سيسعدك الإله بكل خير ومرأى الله يُسعد مقلتيك

ومن حديثه لأمه واعتذاره لها يرقب الكون محاولاً انتزاع الأخيلة المتراقصة من حوله.

لو فتش الإنسان في أعماقه لرأى شعاع النور في كل البشر
ورآه حتى في التراب وفي الحصى وذرى الجبال الشاهقات وفي الشجر

أومـا تـرى الاشـعاع نـد مـن الميـا ه الجاريـات بقـوة تغـشى البـصر؟

وجهة نظرا! وعن القمر يقول وهو في رحلة شعرية إليه:-

يا ناشرا ذوب اللجين مفضفضا خضر الشجر

عش في مدارك مسفرا فلأنت أحلى ما سفر

وامدد غلالتك الرقيقة فوق أبيات الشَّعَر

فلنا هنالك ظبية سمراء زينها الحور

فاضمم حماها في ردائك كي يطيب لنا السفر

مفردة (ما) في الشطر الثاني ناقصة.. الأنسب (مَن).. ومن وحي المشيب قال:-

كلما أحسست وهنا في عروقي أو عظامي أطرد الآمال عني وهي في صدري دوامي

إنما دقات قلبي تفتح الدنيا أمامي ثـم تـدعوني نهوضا ومسيرا للأمام

أبيات أربعة من أجمل ما أعطى.. انه شاب الرؤية.. فتي النظرة لحياته.. لا يعجزه وهنه عن الأمل.. ولا تقصيه دواجيه داخل صدره عن رؤية الحياة مشرعة الابواب.. هكذا تأتي النظرة موحية بيقين وفأل لا يصدأ مع ركام الأعوام وإنما يتجدد.. ويتمرد على الركود إلى العجز والشلل النفسي. في ديوان شاعرنا الكثير من المحطات المتشابهة في مؤداها واغراضها أتجاوزها معكم بحثا عن جديد يطرح رؤية جديدة بصياغة جديدة، (يا حبيبي) واحدة من محطات ديوانه الكثيرة شدتني فيه هذه الأبيات الوجدانية المتمردة.

امـــلأ كؤوســـك. أو أرقهـــا أنـــــا لم أزرك ولم أذقهـــــا

عـــيني الـــتي أســـهرتها مـــن بَعـــد بُعـــدك لم ترقهـــا

لحظـــات قربـــك في ســـوا ك إذا بـــدت لـــي أســـترقها

فالكبريـــاء مـــع المحبـــة.. يـــا حبـــيبي لم أطقهـــا..

هذا ما كنت أبحث عنه،أبيات متدفقة بجمالها وسردها، وتوظيفها للمفردات، ولهذا أثرت أن استزيد من هذا الخطاب المتوهج

امسح دموعك. واسقني بالكأس منك. وباللمى
فالطير لا يشدو إذا أضنى جوانحه الظما
والري عندك فاسقني نهلا شهيا مُلهما
وارو الحنايا. والحشا وارو الدما. والأعظما

•

روِّق شرابك فالقنا ني شاخصات للشراب
واسكبه ضوءا سائلا في الكأس. أو تبراً مُذاب
فإذا تخطى ومضه شفة الكؤوس إلى اللباب
ضاءت ليالينا الجميلة. وانجلى أثر السحاب

كل فيها جميل ومشوق بكلّ ظمأ السفر. الشطر الأخير عليه ملاحظة بسيطة. لا أريد للسحاب الممطر أن ينجلي.. وإنما الضباب الذي يكتم الأنفاس.

(صدى الأطلال) أجتزئ منها بضع أبيات:-

مذ نأى عيني حبيبي لا أرى في حياتي غير ليل مظلم
ومراء لم يفسرها الدجى فهي غرقى في وجود معتم
وحنين الشوق أذكى ناره فتمشت بين لحمي ودمي
لن تراها غير سهد مجهد لن تجدها غير خمس في فمي

ومن خواطره الحزينة هذا المشهد البكائي.

أبكي لحظي في الحياة وكم بكيت لما أجد أجد الحياة تشوب عيشي بالمرارة والكمد
وأمرّ ما يؤذي الأبوة ما يصاب به الولد هذا يجن.. وذا يهيم.. وذاك مرهون الجسد

وجه جميل آخر.. أعقبه بأبيات أخرى من نفس خواطره الحزينة أختتم بها هذه الرحلة الشيقة مع شاعرنا إبراهيم هاشم فلالي في حصاده الشعري تحت: - عنوان

(طيور الأبابيل):

لم يبــــق لــــي غـــير المـــشيب   وغــــير جــــسم قــــد ذبــــل
ومــــشاكل قــــد أثقلــــت   رأســـي ومـــا خـــضعت لحـــل
لكـــنني أمـــشي كمـــا   يمـــشي الأنـــام إلى العمـــل
للخبــز. للمــأوى لتــسديد الــسآمة والملــل

لم يثنه عجزه عن حركة الحياة كي يحيا الحياة كما هي رغم آثار صعوبتها.. ورغم بصماتها على جسده.. يرى الحياة عملاً لا يتوقف. لا يقهره الكسل. ولا يطاله الملل.. لأنه العمل الذي يرى فيه شهادة أنه حي يرزق.. وهو حي بشعره أعذبه ما جاء مسكاً ختامياً في سرده ومضمونه.

شاعرنا قال: (لم يبق غير المشيب) وأنا بدوري أقول لم يبق لي غير أن أودعكم في رحلة تأتي مع شاعر آخر تحت مظلة هذه الاستراحة.. الذي آمل أن تجدوا فيها الراحة.

وشم على جدار القلب

- خليل الفزيع
- ١٢٨ صفحة من القطع الكبير

الوشم علامة للتعريف بالشيء وتمييزه عن غيره.. يعمد إليه الكثيرون رمزا لمقتنى.. أو دلالة تحفظ لذلك الشيء عدم ضياعه أمام أشياء متشابهة.. إنه أداة تعريف.

شاعرنا الفزيع اختار لوشمه مكاناً قصياً في داخل حلمه.. أو علمه لا ينفذ إليه المبصر مشاهدة.. وإنما تنفذ إليه البصيرة التقاطاً عن بعد.. بدأت بالحنين العاشق..:

قلبي يحن إليك ما ترى السبب — يا غادة ينتشى من ذكرها الطرب؟
والذكريات تناديني وتقذف بي — في لجة الشوق شوقي نحوك عجب
شربت حبك في صغري.. وفي كبري — فما ارتويت وإن طالت بي الحقب

استهلال جميل لحنين عاشق.. همسة لصديقي لقد تساءلت في بيتك الأول لغادتك.. نسيت علامة الاستفهام وهي لازمة وضعتها نيابة عنك.. لا غبار على شريك للحب فهو صحيح لا يتناطح بشأنه عنزان.. ولأنه شعر.. والشعر الرومانسي أدواته جمل حالمة وددت لو قلت (نهلت حبك) أليست حبيبتك تلك الحسناء الوطن الذي نهلت من مائها.. وطعمت من غذائها.. واسترحت في ظلال فنائها.. الجشه؟! أعطها أجمل ما عندك وصفاً وتوظيفاً للمفردات.. :-

يا بلدة تعتلي هام السخاء إذا — ما حلّ ضيف غدا أبناؤك النجب
ما بين محتفل بالضيف يكرمه — أو عاتب يرتجي أن يجدي العتب

ويسترجع البعض من ذكرياته:-

يا ديرة السعد كم عانيت من كمد — لأنني في الهوى قد مسني النصب

سـدت أمـامي دروب الـشوق قاطبـة لكـن شـوقك في قلـبي لـه العجـب
ألـست أنـت الـتي حـالفتني زمنـاً فكيـف عـن ناظريـك الآن احتجـب
أنــا قرينــك في حــل وفي ســفر حتـى تـوارى، وهـذا الحـب يـصطخب

أعطيتها ما هي جديرة به من حب.. وهذا يكفي.. ومن أسير الحب لبلدته إلى أسير العذاب والتوحش على أرض فلسطين الراسخة تحت أغلال الاحتلال:-

يـا أمـة العـرب عـذرا فـالهوى قـدر إنـي بـرغم الهـوى مـا زلـت أعتـذر
فمـا يُـرى اليـوم لا أحـلام تقبلـه مـن هولـه والأسـى والقلـب ينفطـر
ناحت مآذن في الأقصى فما سمعت لهـا صـدى في مـدى الآفـاق ينتـشر
ودمعة القدس سالت من محاجرها من يستطيب الهوى والدمع ينهمر؟
أنّـت فلـسطين مـن وحـش تكابـده فمـن يجـير أسـيراً غمـه الخطـر؟
يـا ضـيعة الحـق إن نامـت أشاوسـه إذا سطا اللص والحراس ما سهروا

بيتك الأخير فنّد الداء بغياب الدواء.. في شباك الصائدين أكثر من عصفور.. وأكثر من سمكة.. العراق أسير. والجولان أسير. وكوسوفو أسيرة. والشيشان أسيرة.. وسوريا مهددة.. والسودان سودانين.. ولبنان تعصف بها رياح الشتاء من كل جانب.. وأشقاؤنا يتهافتون على جلاديهم يعترفون.. أو يوالون كي يغترفوا من مجراهم الآسن.. المشكلة نحن.. من هان على نفسه هان على غيره.. ومن طعم الهوان وطأته الأقدام القذرة.

(ترنيمة خليجية) عزفها على أوتار شعره.. :-

صوت الصحارى به الأشجان تندفق والليـل يمـضي بـه اليامـال والرهـق

ذكرني صوت السهارى بأغنية حالمة رائعة لمطرب الخليج عوض الدوخي مطلعها أصوات السهارى.. عشية العيد.. :-

تـسابق النخـل في الـشطآن عانقـه مـوج تمـادى بعمـق الـشوق ينطلـق

تأخذه الصور الكثيرة من حوله سفن الصيد الشراعية.. والمراكب الصغيرة وهي تموج عباب البحر تصطاد الرزق.. والصيادون المصابرون.. والغواصون.. وهم يُرَجعون ألحانهم.. :-

تلك الحكايا سمعناها وما فتئت زادا لتاريخنا يسمو بها العبق

واليوم ألقت عصا الترحال واندثرت تلك المتاعب بالتصميم تنسحق

لم تنسحق يا شاعرنا.. إنها مسحوقة اليوم بما هو أكبر وأكثر.. هموم رأس المال.. وأسواق الأسهم.. واللهث الدائب الذي لا يستكين.. الصورة تغيرت.

كان للماضي رغم بؤسه مذاق الرجال في وصلهم وتواصلهم.. مذاق الأبناء في طاعتهم وفي إطاعتهم.. مذاق راحة البال في سكنهم وسكينتهم.. كل هذا تلاشى مع هبة أعاصير المادة التي أكسبتنا نهماً، وجوعاً وتفككاً.. نعم أعطتنا المقدرة على الرفاهية.. والسعادة.. إلا أن القليل منا هو الذي استشعر تلك السعادة والرفاهية.. خدمه ماله.. ولم يخدم ماله.. لم تنسحق متاعب الأمس بل أعقبتها متاعب اليوم والعيد والحمى.. وكأن لسان الفزيع يقول (عيد بأية حال عدت يا عيد؟!) هذا لأبي الطيب.. أما هو فله قول آخر:-

في العيد، والأحباب لّمت شملهم صور من الفرح البهي تغرد

لكنني وحدي أغالب دمعتي عين مقرحة.. وجفن مسهد

قد شفني الألم الممض وساقني نحو التنائي عنك جسم مجهد

إن كان بعدك ظل في قلبي أسى فلأن حبك في الفؤاد مخلد

نعم.. هو المصاب بالحمُى.. أقعدته حماه عن رؤية من يهوى رؤيتها.. وغياب لقاء العيد عن ألف غياب وغياب لأنه عيد التلاقي والحلم الجميل. نبرح مع شاعرنا عيده الحزين.. وحماه التي رمته بالأنين ونلج معه بوابة ليلة شتويه..

في ليلة ليلاء والبدر اختفى والريح تعوي في المدى وتصول

تتراقص الأشياء خلف نوافذي ... وبها أسى ليلي الكئيب يطول

أية أشياء كان يرقبها من خلف نافذته؟ عواصف، أمطار، سهد طويل، يأس شديد.. حلم يداعب خياله:-

ان لاح طيفك في خضم هواجسي ... متهادياً وسط الفؤاد يحول

فتسرب الدفء اللذيذ لخافقي ... والخوف بالحلم الجميل يزول

كل هذا جميل.. فهل أن الحلم عانق علمه؟.. هذا هو السؤال :-

لكنني يا طيف أدرك أنه ... في الحب يوماً ما أفاد رسول

يا منية النفس التي أشتاقها ... شوق المحب إذا البعاد يطول

من ناظريك شربت ألوان الهوى ... من لونك القمري لي منديل

كل هذا الغزل لا يشبع من جوع، ولا يطفئ لهيب ظمأ.. أنه يعلل النفس إلى درجة العلة.. :

يا من يعلل بالأماني قلبه ... يكفي التعلل، فالفؤاد دليل

وأيضاً عليل.. ولكن ماذا في اليد؟ أتجاوز محطة احتفالية ليوم الفرح.. فأيام الفرح لن نعدمها في محطاتنا المقبلة.. هذه محطة (عهد الهوى) :-

قالت، وقالت في الهوى أنشودة ... جذلى تحاكي نزوة النشوان

فأجبتها والقلب هيجه الأسى ... والدهر ينهي باقي الأحزان

وددت لو استبدل بمفردة (ينهي باقي الأحزان) ب(يملي باقي الأحزان) حتى لا يختلط اللبس ويفهم أن الزمن يجُبّ موسم الأحزان بينما هو يذكيه..

لولا عيونك ما رأيت سعادة ... أو كان قلبي دائم الخفقان

ويستغرق وصفا.. حنانها بعيد المدى، رفق ساعديها.. انها أكبر من امرأة:-

هل شاغلتك هموم أمتكِ التي ... خضعت لظلم غادر العدوان

العدوان لا بد وأن يكون غادراً.. والغدر لا بد وأن يكون عدواناً.. إنه أشبه بمن يفسر الماء

بالماء.. أرى إحلال مفردة.. جائر، لأنها صفة.. :-

فحملت هماً منكِ يزهق كاهلا غـــضا رقيقـــاً مرهـــف الأردان
فانساب همك في السطور كأنه شـوك تنـامى في حـشا النعـسان
مــن أمــة عربيــة كانــت لهــا.. أمجـــاد عـــز ســـامق البنيـــان
حتــى إذا الإيمــان ولّــى أصبحت صــيداً لــذلٍّ مفــرطٍ.. وهـــوان

شاعرنا يخاطب نبع أحلامه، وفيض مشاعره منه، وإليه وجد سعادته وتنامت أعضاؤه أهداها قلبه أليس القلب مطية مشاعر؟!

ننصت معاً إلى ترانيم شاعرنا :-

للصباحات النديّة تفرد آهات الدهشة

ذكريات السنين الخوالي، تأبى الرحيل، وتأبى البقاء إنها مترددة تبحث عن دليل يخرجها من دائرة الحيرة.. حروف تأتي وأخرى تذهب إلا المشتعل منها ناراً فإنه لا يبرح مكانه.. تقاطع في الصور نهايته أسئلة:-

متـــى تخمــد الجــذوة المرعبـــة؟ وتنمـــو زهـــور الهـــوى الطيبـــة؟
ويــــذبل شـــــوك العـــــذاب؟ ألا يعـــود الوفـــاق فمـــا أطيبـــه؟

سرد مباشر للجمل تتصارع فيه كل الأشياء، الأماني، القلق، الضجر، أنين الثكالى، ندب عهد مضى، فرحة تلازمها لوعة، ضوء عين وعتمة.. ثم عطر يتموضع بين ثنايا الجسد يعقبه شؤم.. وعودة إلى غيابات الماضي حيث الذكريات ترسل سجف غضبها الكثيف كي تشرق فوق سفوح الأماني بعده.. يهتف بحر الهوى للهوى حين التريض في الأمسيات العابقة بالذكريات.. ركام من الجمل أشبه بالشبكة العنكبوتية لا تعرف من أين تلج إليها، أو تخرج منها.. أشعر يا صديقي خليل أنني وقفت أمامها عاجزاً عن الحركة.. وعاجزاً عن الفهم.. ربما أنت أدرى. طيفه هذه المرة لطيف الصورة عنيد السريرة..

مــا زلــت أبحــث عــن خــل يؤاسيني فمــا وجــدت ســوى الآلام تنتظــر

يلوح في أفق الأيام طيف ندى — يبل هادي الحشا، والقلب يعتكر
إذا اقتربت إذا بالطيف يخذلني — يذوب مثل الضيا، إذ يرحل القمر
وذاك أني مع الأيام في عنت — نسيت أن المنى يأتي بها القدر

أبيات معبرة ومقتضبة موحية بفكرتها.. على فكرة أحسب أن صديقي أبدل مفردة (إذا) في الشطر الأول من البيت الثالث بمفردة (متى) أنها أنسب. وفي مقطوعة أخرى يطالبنا شاعرنا أن ندع النوم..

قم دع النوم ما أفاد الرقاد — والثواني إذا انقضت لا تعاد
وامنح العمر فسحة من رجاء — هو بالدين نعمة ورشاد
في رضا الله وحده نتبارى — ليس للنوم دائما ننقاد

حسنا إنه لم يطلق دعوته للسهر.. وإنما أعطى للسبات بعض حقه في مقطعه الأخير.. يا عزيزي نوم الجسد لا يمثل مشكلة.. نوم الاستشعار بالواجب هو المشكل.. فينا من هو نائم وعيناه مفتوحتان.. وفينا من هو قائم وهو يسبح في بحر أحلامه.. الحياة يقظة.

قطار رحلتنا يطوي مسافته مسرعاً.. نتجاوز بعض محطاته (العبد) و(العزف على أوردة مبتورة) و(دعاء) و(رثاء) ويتوقف بنا أمام (نهى) تلك النحيلة القد.. شاعرنا الفزيع تطلع إليها في إعجاب.. وأطلق سهام وصفه:-

حدثي يا نحيلة القد، قولي — أي سر وراء هذا النحول؟
ما لعينيك إذ بدت ناعسات — تأسر القلب؟ ما له من سبيل
مزقي الصمت يا نهى أو تمادي — وازرعي العشب في ثنايا الطلول

لقد سماها باسمها.. يبدو أنه كان يعرفها.. أو أنه سأل عن اسمها قبل أن يخاطبها شعراً:- يخلص من أدبيات عشقه بنهاية تقول إنه يعرفها كل المعرفة.. بل إنها أقرب الناس إلى قلبه :-

ما انتظاري لصوتك العذب إلا — كانتظاري للماء يروي غليلي

مـا اشـتياقي إلى الطفولـة لـولا إنـكِ اليـوم طفلـة تنتمـي لـي..

لعلي أختلف مع شاعرنا.. لقد أحب الطفولة لأن صغيرته طفلة وإلا ما كان ليحبها.. الطفولة براءة.. وبداية لمنبت زهرة لا بد وأن نشتاقها لأنها البذرة المتفتحة في حقلنا البشري.. أنا أحب الأطفال الصغار، أرحمهم، وأخاف عليهم من غدر الأيام التي لا ترحم.:

يأخذنا الفزيع على جناح وهج شوقه :-

غـرق القلـب في بحـار الظنـون فانقـذيني إلى ضـفاف اليقين

الفاء في مجلة (فانقذيني) لا لزوم لها (أنقذيني) مجردة من الفاء أفضل:-

واسكبي الدفء في فؤادي المعنى واجعلي الوصل جدولا من فتون

يـا لقلـبي إذا المنـى حاصـرته مـا يلاقـي سـوى احتـدام الأنـين

مـا جنـى القلـب غير سيف المنايا قـاطع الحـد، ذاك سـيف العيـون

وهـج الـشوق حـين يلفـح قلـبي مـا تـراه يبـوح قلـب الحـزين

يـا خيـالاً عليـه أطبقـت جفـني يـا حبيبـاً أضـمه في عيـوني

وَجِّد الخيال يا شاعرنا نلجأ إليه حين يستعصي الواقع.. فيه، وبه، ومنه نبث لحون أشواقنا وأشواكنا لأنه ملجأ الشعر الأول والأخير. (الغدر) وما أدراك ما الغدر.. إنه الطعنة من خلف الظهر بأيد قريبة وغريبة سكاكينها تصرخ ألماً، ودماً لما تستنزفه :-

نكـد كلـها الحيـاة، وهـم وسـراب إذا يخـون الـصديق

أي خـير إذا الوفـاء تلاشـى وإذا خـان في الـوداد رفيـق

كيـف يـسمو عـن الخيانـة ذئـب وهـو بالغـدر خلقـة، وخليـق؟

ذكرتني بذلك النكد الذي قال عنه شاعرنا القديم، وأحسبه المعري:-

نكـد كلـها الحيـاة.. ومـا أعجـب إلا مـن راغـب في ازديـاد..

ملاحظات عابرة.. (سراب) أنسب منها (حراب).. ثم ألا ترى أننا ظلمنا الذئب ووصمناه بصفة الغدر.. الذئب لا يقدم على فريسته إلا إذا جاع كغيره من المخلوقات الصامتة..

أما نحن البشر فإن غدرنا لا يأتي عن حاجة.. وإنما عن لجاجة.. ونزعة شيطانية لا مكان لها في قواميس الرحمة.. ونواميس الأخلاقيات.. الفزيع فزع من لون الأرض المسكون بكل ألوان الوجع:-

وجع الأرض يزداد جحيما

وعراة الفقر يجنون دماراً، وسموما

وفحيح الناي في الأفراح يطويه النهار

الفحيح يا عزيزي صوت أفعى.. أما الناي فله صوت الأنين.. ألست معي؟.. إنه لا يشهد للفجر بزوغاً.. وللأشواق التي اصطفاها غير لهيب يحرق :-

عاشق يبني أمانيه بظهر الغيب لا يدري مداها

يشرب الحزن.. وصهد الزمهرير

وتضاريس السهد تنفي كل أسراب الفرح

لا شيء أبقاه للفأل.. حتى دفء الأمومة وتحنانها لصغارها تعرض للبرود..

تلك أجسام نغت عنها الليالي

دفء شوق الأم إذ كانت على أطفالها تحنو

لكن الموت اجتباها..

وهي الأم التي اختارت طريق النار.. ولم تختر سواها

لا أدري لماذا اختارت.. أيأساً منها؟ أم بؤساً سد أمامها بوابة الحياة فآثرت الموت؟ أم أنه شيء آخر لا هذا، ولا ذاك؟ :-

هو لون امرأة أضحت مع الجن تغني

إذا الليل غشاها

رقص الجن على آثارها.

حملته.. رحلت.. وتلاشت في أساها..

ربما للجن عاطفة تسبق عاطفة الأنس!!

أختتم هذه الرحلة بأمنية غالية على شاعرنا آثرت أن تكون مسك الختام.. أمنية

ابنة شاعرنا التي بلغت الخمسة عشر ربيعاً:-

جمع الربيع نضاره، وترجلا ... أهدى إليك جماله متمثلا
وسعى إليك جماله.. فكأنه ... من فرط ما يرجو رضاك تبتلا
يا غادة الحسن البهي تمهلي ... فالحسن من شغف إليك تحولا

إنه يخاطبها بالطفلة.. وما هي بالطفلة لقد شبت عن الطوق.. واستوت على عودها زادها الله نضارة وعافية

يا طفلة خطرت خطاك فأينعت ... قفر البوادي، واليباب قد انجلى
وشدا على الأفنان سرب راجل ... والدوح أضحى ضاحكاً متمايلا

إنه يصفه:-

فكأنه حين استقر بغصنه ... تعب من الترحال يبغي المنزلا
بوركت يا أمنية أنتِ التي ... جاءت فجاء لها النهار مهللا
ومضت بك الأيام من سعد إلى ... سعد تغشاها فطابت منهلا

شاعر استجمع حبه.. وكل ما في قلبه ليصبه تحنانا لابنته التي تعبر جادة عمرها بشيء من الفرح.. وشيء من الخوف.. وعلى شفتيها جملة ترددها قالها شاعر قديم شاخت به الأيام بعدما شاخ به حبه وأفقده ساكنة قلبه

صغيرين نرعى البهم يا ليتنا ... إلى الآن لم نكبر ولم تكبر البهم

يخاطبها أخيراً بهذين البيتين بمناسبة يوم مولدها:-

في يوم مولدك الجميل تحية ... تسري مع النسمات وجدا مذهلا
واذود عنك من الزمان صروفه ... كي تنعمي بالعيش رغداً مقبلا

إنها أمنية..

انتهى.

رياض الوشم

- عبدالرحمن بن عبدالله آل عبدالكريم
- ١٧٤ صفحة من القطع المتوسط

فارس الاستراحة اليوم صديق وزميل دراسة.. وشاعر.. وبليغ الخطابة، مواصفات تجعلني أتهيب كثيراً.. وأشتاق أكثر لصحبته في رحلة سفر زادها معطياته الشعرية وبالذات عنوان ديوانه الجذاب الذي يذكرني بالوشم حيث المنبت بين رياضه التي تستجيب للربيع عندما يغازله المطر فتتحول إلى بحيرات وإلى بساط سندسي أخضر تحيط به الرمال الذهبية من كل جانب وتضفي عليه جمالاً أخاذاً ما بعده جمال.

شاعرنا ويخط يده الجميل سطر أبياته.. وحسناً فعل.. وأجاد..

بدايتها (أيها الراحلون) والراحلون الذين عناهم بقصيدته إخوتنا الشهداء في الحرب البوسنية المتوحشة:-

ليس يطفي لظى الكليم بكاء ... لا ولا يبلغ المرام الثواء
لا ولا يكسب الكريم فخارا ... دون عزم تقصى به اللأواء
جدن بالدموع يا عيون الصبايا ... واعصرُنَهُ حتى تسيل الدماء
جدن بالدمع كلما انداح جرح ... بعد جرح، واشتدت البأساء

صورة درامية ومأساوية رسمها شاعرنا بصدق وإحساس بحجم الجريمة والظلم.. وبحجم الصمت المهين على وقوعها ووقائعها:-

حينما تعتم الدروب دخانا ... في ثناياه ترقد الأشلاء

يلتفت إلى بوسنية تشهد جسد ابنها مضرجا بدمه على يد الصرب يخاطبها خائفا عليها حانيا لها.. رفيقا بها:-

يا ابنة البشر لم يعد لك مأوى ... أو محبون في مجال الصراع

بادري فابنك القتيل مسجى بين أنقاض بيتك المتداعي
قبِّليه قبل الفراق فلم يبق لفوت اللقاء غير الوداع

ودَّعنا معا رثائيته الحزينة إلى أخرى تستنهض الهمم لنيل المعالي:-

قل للذي ينشد العليا بلا تعب ومن تصيد نيل العز بالقرب
لا يفرع المجد الا كل ممتشق سيفا من العلم من غمد من الدأب
صمامة كل ما لاقته معضلة أهوى عليها بعزم الضيغم الحرب

ومنها إلى المغلوبة على أمرها.. وكثيرون وكثيرات مغلوبون على أمرهم لأنهم لا يملكون قوة الدفع ولا الدفاع عن أنفسهم:-

اذكريني لما يفوت الشباب اذكريني لما يجف الذهاب
اذكريني لما تمر الليالي مسرعات وتقطع الأسباب
حين يجفوك من ادارك بالقدح. فأقصاك والأماني عذاب
سوف تصحين حين لا ينفع الصحو وتدرين أنهم أغراب
طارحي ليلك الوساد وعضي أنملا حس رامها الاجداب
وتجافي عن الوهاد ازورارا علّ أن يخف عنك العذاب

اجتزأت من قصيدته هذه الأبيات المتخمة بالعظة لامرأة صادر وليها حريتها في اختيار من تحب على الكره منها، عاجزة لا تملك المقاومة مسلوبة الارادة كالكثيرات ممن يتخلى عنهن قطار العمر مرغمات.. حبيبها يذكرها.. ويذكرها بالخير.. ولكن الذكرى والتذكير لا تعيد حقا اقتُطع من صاحبه بقوة التسلط وقسوة التعامل. إنني مع ارادة مقولة المعري وهو يستعرض حاله وحالها معاً (تعب كلها الحياة وما أعجب الا من راغب في ازدياد). لغة العيون.. قرأها الشاعر ونهج نهجها البيت الأول للشاعر محمد الثبيتي:-

لحظاك من خلف النقاب تكلما نطقا وقالا: - ما سواك حبيب

أما أبيات شاعرنا المرهف فتقول:-

يـا صـائغ الغـزل الرقيـق وقلبـه ... هيمـان اضـفى ابهريـه شـريب
لغـة العيـون تقاذفتـه سـهامها ... لمـا تـرف جفونهـا فتـصيب
مـا بـين بـسمتها وغمـزة جفنهـا ... معنـى إذا عـز الجـواب يجيـب
أفـلا رفقـت بنـا فـإن قلوبنـا ... لـشغافها بـين الـضلوع وجيـب

أبيات تجمع بين الاصالة والرومانسية تؤكد مقدرة شاعرنا على طرح الفكرة وليدة كاملة النمو.. والحركة.. عن شقراء المدينة والناس كان شوقه متوهجاً كالجمر.. كحرارة توديعه لها وحرارة عودته إليها:-

حينمـا ودعتهـا ودعـت روحـي ... وشـكا الأبهـر مـن نـزف جروحـي
غـير أنـي حالمـا عانقتهـا... ... حلقـت بـي عـبر آفـاق الـصروح
فتجلـت في سمـائي نغمـة ... عبقـت أجـواء هاتيـك الـسفوح
وأعـادت ذكريـات مرقـت ... كالتماع البرق كالركض الفسيح

شريط ذكريات حلوة يستعرضه الهزج وسط الحمى المتوغل بميدان طروح. تبادل التهاني خلسة تحت ظلال الروح، فتاة أحلام عمره وهي تهمس في أذنه بلطف ووداعة قائلة له:- مرحبا بك يا صاحب الوجه المليح... وذكريات اخرى على شاشة فكره يشهدها في وجه مدينته.. الأم.. والأب..

إيـه يـا شـقراء.. أمـي منـشأ ... وأبـي الراعـي لـسري ووضـوحي
انـت مـا أنـت سـوى انـشودة ... جرسـها الهـب شـدوي وطمـوحي
شـنفي سمعـي بـشدو نـاعم ... رجعـه. رناتـه تـنعش روحـي

لقد قمتَ بالدور.. قلت ما كانت تقول لو إنها تكلمت.. إنها كأي مدينة أو قرية تحن إلى أبنائها تماما كحنين الأم لصغارها لأنهم من ترابها وصلبها.. القصيدة طويلة مشحونة بعواطفها لا يسمح حيز الحلقة باستعراضها.. بعضها يؤدي نفس الغاية

والمهمة.

(مفارقات).. أو التناقض بين شيئين متنافرين لا يجوز الجمع بينهما:-

كم نازل فوق جال البئر ميّاح ... ونازح عنه في جم وضحضاح

وغافل ليس يدري ما يحيط به ... وسادر في أتون الغيد والراح

شتان ما بين ذي نعماء منغمس ... فيها ومنتصب في حر ملفاح

وبين من سنن الفرقان منهجه ... ومن تقوقع في منهاج إصحاح

يستعرض الصور المتنافرة والكثيرة ويخلص منها إلى أجمل سرد في طرحها حين يقول:-

كم بين يومي وأمسي من مفارقة ... اذا تذكرت اتراعي فأفراحي

هذه المرة يحرك قدميه.. يرقب الأشياء الجميلة من حوله.. الفصل ربيع.. الجو بديع ومن حوله طيف يتحرك يأخذه كل مأخذ:-

تحت ظلال الروح يا حاد ... أبق عصا التسيار في الوادي

في روضه جاد عليها الحيا ... يصدح فيها البلبل الشادي

وشُم زهرا عبقا ريحه ... ازكى من العنبر والكادي

وقد ترى ظبي الغلا أو ترى ... شبيهه الرائح والغادي

ناعسة الطرف بقطعانها ... تسرح في غور وانجاد

لا تؤذها.. فإنما اهلها ... أهل لنا من نسل اجداد

نعم عصفت بقلبه.. شدها حسنها وهي تهش على أغنامها بعصاها.. وتغني.. يحبها جما.. ولكن للحب حدودا يرسمها الشرف.. يكفي لمشاهدها أن يتغزل بعيدا دون أن يخدش حياءها:-

وقل تعالى الله من مبدع ... صوَّرها في حسنها البادي

(إرهاصات السفر) مجهدة.. إنها تستغرق المسافر قبل أن يتحرك بالتفكير.. كيف أو

متى؟ ولماذا؟ واين؟ جميعها جمل استفهام تطرق بوابة ذهنه تشغله إلى حين يطوي جناح سفره مقيماً أو عائداً إلى حيث أتى.. شاعرنا استثناء من القاعدة، حزم أمره وتوكل على الله.. اهدافه واضحة وخطاه واثقة يعوزه الركب الذي يتحرك معه:-

ضمني يا أيها الحادي إلى ... ساحك الملأى بأفذاذ الدرر
ضمني في ركبك الساري بلا ... مبدأ سام لورد أو صدر
انا ذو منهج طهر وتقى ... وارتقاء عن ميادين الخطر

يبدو ان دافع السفر الضيق من المكان والسكان.. يريد البعد حفاظا على كرامته أمام قوم لؤماء:-

كيف ابقى بين قوم كلما ... أهدهم شهدا اجازى بالشرر
لم أجد من يخلص الود ولا ... صادقا في وعده عف السير

بهذه الصراحة المقبولة والمعقولة وجد أنه لا احد يأخذ بيده.. ربما لأنه يعيش داخل سكن تسكنه الابالسة والشياطين بين الورد والصدر تتحرك كلماته ترسم الصور بمنظاره الخاص:-

يا صاحبيّ هي الايام ما فتئت ... تبدي لذي الرأي الوانا من الصور
والناس في سعيهم تبدو مراكبهم ... كل تخب خطاه.. غير منتظر

الناس كما يرسمه المشهد في سباق محموم لا أحد ينتظر أحد.. ولا أحد يلتفت لأحد. شاعرنا مهموم بعبر الدنيا وتجاربها.. بحركة الناس التي تتقاطع خطوطها محاولاً أن يستجلي منها ما يصح أن يكون درساً مستفاداً:-

ارقت لبرق آخر الليل قد اورى ... مضيئا سناه سوح نجد إلى بُصرى
تحدر تلقاء الخليج مزمجرا ... به البرق يحكي عند تصعاقه النشرا
ليرُوي علالات النهيم بسقيه ... زلالا. قراحاً عبُّه يثلج الصدرا
ومن كان هجر الحب الهب قلبه ... بنار الغضى فاعتاض عن عسره يسرا

فيارُب صدٌ ضاعف الصد وجده وألهب دمع الشوق في حده المجرى

من يقرأ لشاعرنا وهو لا يعرفه يتخيل أنه لشاعر قديم يصطفي من مفرداته اصعبها فهماً لدى المتلقي العادي.. شاعرنا فطن إلى جزالة مفرداته فأفرد لكل مفردة اتى عليها الديوان دلالة تقربه لمعناها.. يمضي في مقطوعته البليغة قائلاً:-

ويا رُبَّ مفتون تمنى وصال من نأى وهو لا يسطيع عن قربه صبرا

فوارق لا تنفك تنشر ظلها على جاحدي النعمى ومستعذبي الشكرا

في تأملاته يطرح الموت كقدر محتوم:-

تعددت الأسباب. والموت لم يزل كما هو حكما نافذا يقصم العمر

في بيته محاكاة لبيت قديم من الشعر:-

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

أكتفي بهذا القدر من عبر الدنيا وهي كثيرة ومثيرة.. المسافة بين الموت وعيون النرجس بدت قصيرة ومباشرة:-

حدثيني يا عيون النرجس عن رحيق في رحيق املس

عن بريق في عيون. يختفي خجلاً خلف الحجاب السندسي

عن زهور الورد في اشواكه نشره منه المغاني تكتسي

الزهور مفردها زهرة. والورود مفردها وردة كلتاهما مؤنثتان يحسن ايراد البيت كما يلي (من زهور الورد في اشواكها) يواصل توصيفه وتوظيفه لجمل الوصف الجمالي، اللقاء الخاطف.. نفحه الذي يجلي الهم. مناغاة الصبا. مجاراة المهارى. الغادة وهي تغني.. وفي النهاية يلتفت فجأة إلى أمته مطالباً بالثأر من كل ماكر لا يرعوي.. أو يرى ضحية في زنزانة سجنها دون أن يتحرك لفك قيدها.

امتى ما نام ذو ثأر ولا من له حق لدى مختلس

عنوة صهيون جاست دُورنا واستطالت بانتزاع الانفس

وليته أحل مفردة (وتمادت) بدلا من واستطالت لقربها من المعنى أكثر..

ناصـــرتهم أمـــم الكفـــر ولم   نلـق منهـا غـير وعـد مـبلس

حتى اليوم يا عزيزي شحوا به علينا لأنهم هم أنفسهم الذين خلقوا المشكلة.. وخنقوا صوت الحرية والوعد.. أليس وعد بلفور المشؤوم هو من أعطى ما لا يملك لمن لا يستحق؟! بلى.. يتحدث فارس رحلتنا عن فضل القريض المقفى.. الشعر الموزون.. يقول:

قلـت في الـشعر نبـذة لا تجـارى   رفعـــة في مـــضمونها المعـــروف

فلـوى عطفـه مـشيحا يخـال الـ   ـــمعلم طـــرفي ذقنـــه المنتـــوف!

يتجنـــى علـــى القـــريض المقفـــى   يحسب الشعر مثل صف الحروف

للشعر ريادته. وروداه.. وللفن النثري المعبر مرتاديه.. ما يرفض يا شاعرنا هو ذلك الذي لا يسمن، ولا يغني من جوع.. ذاكرة شاعرنا ترصد الموقف وتلتقطه صورة راسخة في الذاكرة.. وبالذات إذا كان حلما جميلا.. أو طيفا جميلا.. أو ما هو أعلى:-

مهمـا تـسامى الـصدح في دنيـاك   سـيان فيهـا ضـاحك أو بـاكي

مـــا زلـــت آمنـــة الكيـــان بنـــيتي   كـــي تبتغـــي بالمجـــد أوج عـــلاكِ

نفسي ومـالي طـوع أمـرك غـادتي   فثقـــي بـــأني قـــط لـــن أنـــساك

شهادة أب.. لابنته.. وأحسب أنها غادة كما سماها.. لا أحد ينسى أعز الناس وأقربهم إلى قلبه. لشاعرنا آل عبدالكريم نظرة متشائمة تجاه الشباب المولي:-

عـصف الـدهر بالـشباب فـولى   وتـــوارت سماتـــه فاضـــمحلَّ

فـــتراءت لـــي الأمـــاني خيـــالا   فـوق سـاح الحيـاة ينـشر ظـلا

بـين حـال الرجـاء واليـأس خـيط   في متاهـــات عيـــشنا يتـــدلى

كلمـا رمـت صـيده نـدّ عـني   فـإذا مـا اختفيـت عنـه أطـل

عنجهيـات بعـضنا نحـو بعـض   في مجـال الـصراع تفـرز غـلا

لعلها من أجمل قصائده سردا. وفكرة وعبارة.. وإن كنت لا استلب من شبابنا..

بعض شبابنا مكونات حياته الفاعلة التي يقدمها لنفسه ولغيره في اخلاص. وبر.. وحب. يقول عن سراييفو عاصمة البوسنة.. المدينة التي صب عليها الحاقدون نار وحشيتهم ونازيتهم.

أخــي في ســراييفو تحمــلَ مغرمــا ... ثقــيلا علــى أكتافــه متراكمــا
أحــاط بــه البــاغون مــن كـل وجهـة ... فأضحى كسير الساق للغيظ كاظما
علــى غــرة منـــه أريقـــت دمـــاؤه ... وقـد كـان مـن حوَّاكـة الغـدر نائمـا
تــصورت أمَّــا أفزعــت مــن وجارهــا ... تنــوح وتـــستعدي صــلاحا وحاتمــا

الأم يا شاعرنا لا تستعدي من ينقذها دائما تستنجده وتستصرخه وتنادي.. أبدل الكلمة بأخرى مناسبة. يستكمل المأساة بهذا البيت. ثم "مِن حواكة" الانسب "عن":

تلطـخ مـن نـزف الـدما وجـه بعلـها ... وصـار ابنهـا في منـزل العلـج خادمـا

كلنا نمضي أيام العمر حين تمر.. نتحسر عليها متى جاءت رخيصة.. ونرصدها في خانة حساباتنا متى جاءت مثقلة بالأعمال والآمال.

كــل يــوم يمــر يبعــد مــن شــرخ ... شــبابي ومــن شــفا القــبر يــدني
بــين حــال الرجــاء واليــأس خـيط ... مــا أحيلــى مــساسه دون خُــشن
وأحيلـــى الحيـــاة وهـــي ســـرور ... وشـــباب ومعطيـــات بـــأمن

بعض صور لعدسته اللاقطة.. ومن مرور الأيام إلى تعلات الفؤاد.. عمر وإفرازات عُمر..

أرونـــي رفـــاق الأكـــرمين أرونـــي ... ســبيلا ينجــي مــن بحــار ظنــوني
صحابي لقـد عـز الـشفاء مـن الهـوى ... وحــرت وقوفــا عــن حلــول شــؤوني
صـــحابي تعـــلات الفـــؤاد هبـــوني ... ومــن ينــزع اللــوم الممــض دعــوني
أقــول لــشهم يحفــظ الــسر مودعــا ... بمـــستكتم بـــين الـــضلوع فطـــون
اجزنـــي إلى دفء نـــدي أنـــل بـــه ... منـى الـنفس يـشفي مهجـتي وعيـوني

لا أدري لماذا طلب شاعرنا من صحابه تعلات الفؤاد.. ربما هو أدرى! الصبر مفتاح

الفرج.. ولكن من يقدر عليه.. وأين يلقاه على حد قول الأغنية

يـــا عطـــارين دلـــوني ... الـــصبر فـــين أراضـــيه

ولـــو طلبتـــوا عيـــوني ... خـــذوها بـــس ألاقيـــه

الصبر طاقة تحمِّل له أجر.. وأحيانا يؤدي إلى قهر يقتل صاحبه من الداخل

من لصبر أضناه طول اصطباره؟ ... ليس يدري ما ليله من نهاره

كمدين جارت عليه الليالي ... أو نزيـف ونهـره في جـواره

يتهـادى في بـرده مـستهينا ... ببيـاض قـد لاح فـوق عـذاره

حالمـا بالـصفاء غـير مبـال ... بجفـاء يلقـاه مـن سمـاره

أخيراً مع رياض الوشم أم الديوان. والعنوان.. اجتزئ بعضا من مقاطعها مرغما لا بطلا:

وما روضة في الوشم جاد بها الحيا ... من الاقحوان الغض دان قطوفها

تجللـها الخطمـي ريـان مُربعـا ... تعبـق منـه سـهلها وطفوفهـا

لـريح الخزامـى في رباهـا تـضوع ... معطـرة منـه سماهـا وشـوحها

تناغى بها الأطيار من كل وجهة ... بعـشر لغـات ذات جـرس حروفهـا

إذا غـردت في جلـهتيها شـحية ... وسحت وماجت واستقامت صفوفها

وظلت عيون الصقر حيرى كانما ... يغازلهـا في منتـداها طروبهـا

اصـاخ لهـا ريـم الكنـاس فزادهـا ... شجا واسبطرت في البطاح تجوبها

تـداعب والأرام حـراس أمنهـا ... وحسبك من دار حمتها خشوفها

بأطيـب منهـا وهـي مـلأى شـواردا ... محلّـى بمختـار القـريض دفوفهـا

أخي وزميلي ورفيق الرحلة أبا عبدالمجيد شكراً وقد اتحت لي فرصة السفر مع ديوانك رياض الوشم.. تهتُ كثيراً وأنا أتابع مفرداتك التي اصطفيتها بسخاء لم

أعهده لشاعر آخر.. وأصدقك أنك عملت خيرا حين اقتطعت من صفحات ديوانك حيزا لا بأس به للتعريف بتلك المفردات القليل استعمالها إن لم أقل النادر استعمالها ربما لصعوبتها.. ربما لعدم شفافيتها..!

لا أحد يا شاعرنا الأصيل يمتلك الاعتراض على توظيفك لمفردات صحيحة.. فالقاموس مليء بآلاف الكلمات الصعبة التي تصب في مجرى واحد.. ولكن.. مشكلتنا أن ثقافة القارئ لا تحتمل اللهاث والركض لاستخلاص معانيها الغائبة عن فهمه. إنه يريد سرداً سهلاً.. تماما كالوجبة الخفيفة التي لا ترهق.. ولا تربك جهاز الفهم لديه.. هذه وجهة نظر.. لا تنتقص من قيمة الجهد المبذول فيه مادة.. وكتابة.. وصدقاً.. شكراً لك.. وإلى اللقاء.

جراح قلب

- علي أحمد النعمي
- ٢٤٠ صفحة من القطع المتوسط

جراح قلب دونها جراح الجسد التي يمكن علاجها وشفاؤها.. القلب بجراحه حين لا يشفع له حب تتداعى أمامه كل صور الحياة ورغباتها حتى ولو كان الجسد سليماً معافى.. وأنكى من الاثنين جرحاً حين يصاب المرء بجرح في كرامته وشهامته ورجولته..

النعمي قدم لنا قلباً جريحاً.. والقلوب المعذبة في دنياها تملأ ساحاتها ومساحاتها.. ولكن بأشكال مختلفة..

❖ قلب مجروح برحيل عزيز لا عودة له..

❖ قلب جريح بعاطفة حب من الصعب اعادتها من جديد..

❖ قلب جريح من عقوق يصعب تحمله..

❖ قلب جريح من حقوق مهدرة ضاع بضياعها رصيده في دنياه..

ويبقى وجع القلب من المرض أقسى تلك الحالات لأنه بداية النهاية.. أي لون من هذه الأوجاع حملت لنا دفة هذا الكتاب الشعري بصفحاته التي تجاوزت المائتين..؟!

مع أول صفحاته إن لم أقل صفعاته القلبية تلك الصفحة المجهولة التي لزاماً علينا قراءة خطابها الشيطاني:-

(مالت عليَّ كأنها الشيطان　　ينساب من أشداقها الدخان)

أمرأة تنفث الدخان من لهب فمها لا تطاق.. بل إن طلبها أمر.. وهمسها زجر لابد من اطاعته وهي تسأل:-

(ما هذه الأوراق.. ماذا ضمنها؟　　هيا أجب يا أيها الإنسان؟!)

وعلى الفور اجابها وشفتاه ترتعشان كما لو أنهما اصيبتا بحمى الشفاه التي لا شفاء منها إلا بالطاعة:-

(فأجبتها:- هذي قصائد شاعر فيها النشيد الحلو.. والأشجان
فيها مشاعر أمة.. وتجارب. وعواطف. ما حدَّها حسبان)

وراح يعددها باعتبارها ثروته التي لا يملك سواها، إلا أنها استذكرت واستكثرت عليه خياره واصفة الشعر بأنه جبان.. وأن الشاعر تمتصه احزان شعره إلى النخاع.. وإلى الضياع في عالم يومه مذكرة إياه بعصور ذهبية كان الشاعر فيها سيد قومه.. وحديث ركبانهم.. ولأنه أسير شعره لم يطلقه.. وانما امتطى زورقه ليغني:-

(أيها الساخر في زورقه لجة البحر وفي البحر خطوره
حاذر الأمواج ان هاجت فما تهتدي للدرب في الريح الجسوره
وامض للشط بقلب ثابت عابراً ما كنت تستعصي عبوره)

وددت لو استعاض عن القلب الثابت بالعزم الثابت.. لعله الأنسب.

وفي ابحاره يسرح به الخيال مجدفاً داخل ذاته يستحثه.. ويوطن لديه عزيمته كي لا يجرفه الموج وتتلقفه حيتان البحر. ويرسو على الشط.. ونرسو معه أمام محطة جديدة تأخذنا إلى غيابة الجب:- أو غيابه لا أدري:-

(كل شيء يسير في العمر ضدي بتحَدٍّ.. فهل أطيق التحدي؟!
ليَّ في العيش قصة سوف أروي كل فصل في سفرها المتردي)

نحن في سماع ما يرويه شاعرنا النعمي منصتون.. وقلقون عليه.. سرد لنا بعضاً من مسيرة عمره، كان وحيداً يوم أن خاض لج الحياة بخطوات طائشة تعرت معها أوراق أغصانه وتساقطت لولا بقايا من شجاعة.. وبقايا من أمل:-

(فتهادى لولا بقايا رداء حفظته من قصف برق ورعد
وبريق مشعشع بالأماني أرضعته أم بأحضان مهد)

يبدو أن أغصان أحلامه أورقت من جديد على دفء الأمل، وماء الحياة..حمداً لله على أن أعاده معافى إلينا ‌في شعره ومشاعره.. ونفس طويل أغرق فيه الوصف، واستغرق فيه التجربة.. وهذا يكفي.. ولكن.. الأحلام الجميلة لا تدوم لأحد.. ومنهم شاعرنا الذى فاجأنا للمرة الثانية بانكسار مجاديف حلمه:-

(شقوة الليل، ومأساة النهار هو ما بينهما رهن اندحار)

من هو (هو) انه غامض.. بل ضبابي التعريف.. ليت أن شاعرنا تخلص منه بكلمة واحدة تعفينا من السؤال.. هذه الكلمة «كل ما بينهما رهن اندحار»

ويمضي راسماً لنا ظلال يومه وليله.. اليوم ينقضي دون شعور به، وحين يلح الليل يتمنى عليه اطفاء ناره التي تكويه.. فإذا بأشباح الليل تطارده.. فلا نهاره آمن.. ولا ليله سكن.. قصة الحائرين بين خيارين غامضين غير قادرين على جلاء الحيرة..

رغم كل هذا التذبذب بين ما يريد وما لا يريد تزحمه تأملاته من جديد على ضوء مصباح باهت يتراقص ‌في عتمة الظلام:-

(‌في الليل، يا لليل لما اعتكر وليس من نجم يرى. أو قمر

كم هاتف يسري، وكم عالم يجري، وكم بينهما من صور)

يصف الليل بالحضن الرؤوم الذي يرتمي فيه من أحب الله.. وركن إلى طاعته مستثمراً هدوءه وبعده عن صخب المادة وتعب النهار.. القصيدة كجل قصائد ديوانه طويلة.. يغلب عليها المباشرة.. والتقريرية.. داخلها مقطوعة وعظية تفتقر إلى الرومانسية وايقاعاتها الرتمية والجمالية..

للوهلة الأولى أحسب شاعرنا غاضباً ورافضاً.. هكذا أوحى لنا عنوانه «لا يا فالحه».. ربما لم تعجبه حركاتها وراح يعاتبها.. ويحاورها لأنها امرأة غامضة تثير هواجس النفس ووساوسها قال عنها:-

(تقول قولاً دون أدنى حياء ‌في لهجة سيئة فاضحه

زوجي الذي سلمته خافقي عن طيبة ‌في رغبة جامحه

يغتـــالني بالـــصمت في يومـــه وليلـــه في صـــورة واضـــحة)

لماذا لم تقل في صورة فاضحة.. كي ندرك المعنى ونعرف السبب لتلك الشكوى؟! وتسرد تلك الأنثى الثائرة على شاعرنا بعضاً من معاناتها.. وكيف ينظر إليها شريك حياتها..

(فكلمـــا حدثتـــه عـــن منـــي قلـــبي. وعـــن آمالـــه الطامحـــة

يـــزوغ عـــن عمـــد.. لأبقـــى لـــه طابخـــة، غاســـلة، ماســـحه)

أما أحاسيسها كزوجة فقد اغتالها بصدوده، وتساءل شاعرنا لماذا؟ وكيف؟ وماذا تعمل؟ ويأتي جوابه:-

(عـودي إلى زوجـك، كـوني لـه حمامـــة في روضـــة صـــادحه

عـودي إلى الباحـث عـن همـسه دافئـــة مـــن زوجـــة صـــالحه)

البناء الدرامي للقصة الشعرية يكتنفه الخلل التحليلي.. بل ان العظة لعودتها إليه غير مفهومة لأنها لديه تعاني منه مر الشكوى.

وكان الأجدر بشاعرنا إن هو وقف على الحقيقة مجردة دون لبس مطالبة الزوج المهمل الذي ارتأى في زوجته مجرد خادمة أن يخاف الله.. ويحفظ لها حق الزوجية دون صغار واحتقار، فالزوجة شريكة حياة، الرباط بينهما مقدس ما لم تخترقه خيانة أواستهانة بأمانة من حقها أو من حقه..

شاعرنا متيم بالليل.. وشخوص الليل.. ربما لأن الليل معشوق الشعراء دون سواه.. فيه يستوحون أشعارهم.. وفيه أيضاً يبوحون بأسرارهم أكثر من نهارهم.. حتى في الزمن الضائع:-

(تـــسأله لـــيلاً لمـــاذا الـــضجر؟ والهـــم، والغـــم، وفـــيم الكـــدر؟

هـــب أن شـــيئاً جـــدَّ قـــاس علـــى قلبـــك في درب طويـــل الـــسفر

فنـــزَّ منـــه الجـــرح، اذ غـــاب في طياتـــه ســـهم عميـــق الأثـــر)

بعض أسئلتها له.. ثم راحت تذكره.. وتتذكره:-

(أنـت الـذي يهتـز مهمـا عتـا خطب، ولا من كاع خوف الخطر)

الاهتزاز هنا نقيض الاعتزاز إذا كان المقصود به مدحاً واظنه كذلك.. ثم كلمة «كاع» نشاز في لفظها ومعناها.

وإذا كان المقصود أيضاً اشادة ببطولته فلتكن مفردة (هاب) خوف الخطر.. هذا البعض من الكثير الذي قالته لزوجها.. منتظرة منه على أحر من جمر رده عليها.. وكان الرد:

(يـا أم أولادي الـتي ساندت شـريكها رغـم قيـود الأُسَـر

وشـاركته في الأسـى والرضـا وعاونتـه في الـصفا والكـدر)

غيض من فيض اعترافاته لها بالجميل.. وتبقى المفاجأة المنكرة من ذلك الزوج الجاحد للجميل:-

(حـسبك بعـد الآن أن تـدركي بـأن حلـم الأمنيـات انكـسر

وأن دنيـا الـشعر ليـست كمـا عهـدتها عـبر زمـان.. غـبر)

ما دخل الشعر قديمه أو حديثه في علاقة حياة مشتركة بين زوجه وام اولاده.. عملية اقحام غير مفهومة ولا مهضومة.. بل ان حبكة البناء الشعري مضطربة في سردها ونقلها تحتاج إلى صياغة تخدم الفكرة.. وتروضها لصالح العمل معنى ومغنى.. كي يأتي سامياً في تصوره وتصويره للتجربة الواقعية..

وللتسامي صفات سوف يدلنا عليها شاعرنا علي النعمي من خلال استقرائنا لديوانه «جراح قلب»

(التـسامي لمـن أراد التـسامي مطـر، وردة، فـروع، بـشام)

هكذا حدد لنا أربع صفات لتساميه.. واحدة منها «بشام» لم أفهمها.. وأخريات هي الجذور بعيدة الغور المثالية.. السلوك. المظهر. العطاء والسلام، حفظ الجميل، خفض الجناح، الفضيلة، الوفاء، التفاني، حسن أخلاق، رفق، كسب حلال، حسنى، عفو، فضل،

حشد من المفردات حشرها إلى درجة التيه في ممراتها بشكل انشائي، وعظي ينتهي إلى هذين البيتين:-

(قمم المجد ما تدنت لقزم انما السفح قمة الاقزام

انه يقبل الزحام، ولكن قمم المجد فوق أي زحام)

تجاوزنا ثلاثة أرباع الدرب أو كدنا ونحن ندلج في سيرنا بين قلب موجوع، وقلب مفجوع.. وقلب نازف، وآخر خائف.. القلوب كلها في جادتنا مضطربة ونحن لا نكاد نلوي على شيء إلا في حدود ما به تسمح مساحة الرحلة.. لهذا فإن تجاوزنا للكثير من محطات الديوان لا يعني التقليل من قيمتها.. وسأحاول ان انتزع منها الأفضل والأكثر اشراقاً:-

«سناء الشهيدة» لعله يعني بها سناء محيدلي شهيدة الجنوب اللبناني:-

(في خيالي تمور ألف قصيده وبقلبي تثور ألف تفيده

وعلى هامتي تطاول مجد يعربي إلى حدود بعيده

حين قالت سناء قولتها الحق والغت كل الفروق البليده

حين قالت:- لا تندبوني ولكن زغردوا فرحة لأني سعيده)

لعل هذه القصيدة التي صاغها عن عشق وعن انفعال لا افتعال فيه من أجمل قصائده شعرية وأكثرها امتاعا واشباعاً..

اختتمها بقوله:-

(لك عهد ان الجنوب سيبقى وطن المجد يا سناء الشهيده)

وقد بقي جنوب لبنان حراً كريماً بفضل دماء شهداء ورجال مقاومته.. وتلاحم ابنائه في وجه الاحتلال وعملائهم.

ما بين الخطوة والاغفاءة موقف غاضب محتد لا أعرف سببه.. ولا من يشير إليه غضبه إلا أنه غضب يثير العجب وربما الاعجاب..

(بعد قهر عانى كثيراً بلاءه ... يجهل الطب والطبيب شفاءه
ولأمر في نفسه مستكن ... قاء هُجراً كالقطة المواءه
ما لعلان في المحافل يحظى ... بمكان عال.. فكيف أجاءه)؟

أجاءه مفردة مبتسرة.. في مقدور شاعرنا الغالي أن يعيد إلى شطره شيئاً من توازن لو انه اورده على النحو التالي:-

(بمكان عال، لِمَ الحظه جاءه؟)

ويبدو أن مرجل الغضب، وخط الهجاء في تصاعد:-

(أيها العاثر المجاهر بالحقد ... انكساراً حسب الضعيف انحناءه
خفف الوط، فالطريق طويل ... ولكم تخدع القميء القماءه؟!)

لا مكان هنا لعلامة الاستفهام ولا حتى التعجب لأنها توصيف لحالةمجردة من كل غموض..

وأخيراً مع الطفولة في مقطوعته الأخيرة لعلها مسك الختام لرحلته الشعرية:-

(كانت لنا زمن الطفولة فرصة ... نلقى بها الدنيا بوجه باسم
نأتي، ونذهب وادعين تخالنا ... سرب الحمام يرف حول قشاعم
نبني قصوراً، ثم نهدم جانباً ... منها.. ونمرح في حبور دائم)

القصور التي نبنيها من الرمال ونحن أطفال نهدها ولا نبقي لها أثراً كي نعيدها من جديد.. بهذا المعنى حسناً لوجاء شطره ما قبل الأخير على النحو التالي:-

(نبني قصوراً ثم نهدم ما انبنى).. ربما يكون أكثر واقعية.. رغم أن هدم البعض صحيح إلا أن هدم الكل أصح.

ويسترسل شاعرنا النعمي في نقل صور حياته الطفولية مع اقرانه الصغار مسترجعاً تلك الذكريات متمنياً لو أنها عادت من جديد وما هي بعائدة لا في

احلامها.. ولا في براءتها..

صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا إلى الآن لم نكبر ولم تكبر البهم

كلنا نتمنى العودة.. ولكن الشاعر يقطع علينا خط الرجعة:-

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

وبعد أيها الصديق العزيز قضيت معك بعض وقت ممتع فيه ما أعجبني وفيه ما أثار لدي شيئاً من التعجب لايماني انك تملك القدرة على التصويب اذا ما حاولت.. وتملك المقدرة على صياغة الفكرة إذا ما انفعلت.. وحسبي انك في خط سيرك الشعري ستزودنا بزاد نلتهمه بعقولنا قبل أفواهنا لأنه جيد وحلو المذاق.

لهفة جديدة

- هدى الدغفق
- ٦٩ صفحة من القطع المتوسط

لست سوى امرأة تأكل النوايا.. تتوضأ بالأحلام الخجلة.. ترشف العسل.. تزهر الابناء.. ستذبلين لا يحنو عليك سوى أرض تلملمك حفرتها السوداء.. هكذا"

بهذه الكلمات طرحت الشاعرة مشاعرها. وخلجات نفسها كامرأة.. كأي امرأة تدب على وجه الأرض.. وتحتمي داخل حيطانها واسوارها المغلقة بستار تملؤه الخشية أحيانا.. وتهزه الريح الغاضبة احيانا.. ونحن الجنس الخشن لن نترك لأوجاعها وحدها التفرد.. نحن معها شركاء في كل الزوايا. وفي جل الأحلام ووجلها.. وفي ارتشاف العسل الحلو والمر. وفي الذبول دون حنو.. أما الأرض فإنها لا تفرق بين ذكر وانثى وهي تلملم أجساد الأموات الأحياء. والأحياء الاموات داخل حفرها الصامتة المغلفة بالوحشة..

بماذا تحدثت عن خصوصية سمائها كامرأة؟! وبأية مرآة عكست ملامحها المنظورة والمستترة من خلال رؤيتها؟!

"نتفت ريشتها

العصفورة

ناولتها أياه

طارتاً

يداه جنان"

من يكون هذا الخفي الذي اقدم على فعلته؟ أنه مجهول لا تقوى حواء على المجاهرة به.. وهذا قتل للصورة الشعرية.. التي اختصرت اطلالتها عن بعد.. فلا هي رأت. ولا هي رؤيت. ولا صد الكلمات طرق المسامع.. واقنع السامع بأن للحكاية حكاية..

بداية تفتقر إلى نهاية يا شاعرتنا الكريمة.. "صدى" لعله الأكثر ترجيعا وايقاعا ووقعا:-

"أحيانا
ابكي هذا القمر المتسلق غرفتنا
ما ذنب عقاربه تضيء؟
أسلمه الوحدة كل مساء
يسلمني عينه العاشقه".

العقارب يا سيدتي لا يضيؤها القمر.. وانما الحفر الليلية المعتمة.. ومع هذا التباين في التوصيف قد نأخذه قضية مسلمة حين نتصور القمر ساعة تدق وتدور عقاربها في عملية حساب ترصد الزمن وتحصي حركاته. وسكناته..

"شجيرة" عنوان.. تحت ظلالها وبين أغصانها وحشة سكون مقلقة. ومغلقة بالصمت:-

"سكونها يزعزني
كلما انصت اليه
الصخور المتكاتفة تلملم بركانها
منذ سنون
مسكونها ليس إلا ارادة الصخور المتكاتفه
في أحشائها شجيرة لا تبدو الآن"

من يقدر فينا على سماع السكون إلا إذا كان ذلك الذي يسبق العاصفة.. ثم "منذ سنون" مضاف ومضاف إليه هكذا. "منذ سنين".. المحير في الأمران الشجيرة اختفت عن الانظار.. ربما هي رمز نماء اعتصرته رياح الشتاء المعربدة واهالت عليه ترابها.. وقبرتها بين الصخور حتى لا ترى النور.. ربما.! هذه المرة اكثر اشراقا.. الصياغة ورسم الكلمات اكثر وضوحاً في مقطوعة "شروق":-

"ماتتا قليلاً عيناي

غضب الليل عليهما

هاجت روحه بياضا

كفنها الصباح

رقصت الشمس في صدري

رفوفها رئتاي

كل ما تحرك غصن.. تخفقان"

لقد استعارت من السبات صفة الموت.. والنوم موت مؤقت.. لماذا إذا يغضب الليل..!؟ من حقه الغضب لو أنها لم تستسلم لدعوته وتمردت على سلطانه باليقظة.. ولكن مالنا ولغضبه ما دام الصباح اعطى لها الوقاية والحماية كي تستعيد صحوتها على ايحاءات رقصات الشمس.. ووقع طبول رؤيتها.. امر جيد يدعو للفأل بنهار لا ظلمة فيه..

"غادة" مقطوعة مقتضبة الا انها غنية وثرية بالمضمون..:-

"في موكب عزائها

هلت الأشجار دموعها الصفراء

الاغصان التي شيعتها

وعدتها ان ترضع صغارها"

حس انثوي لا نقدر نحن الرجال على رسمه.. دموع فراق. لا عودة فيه.. ووعد وفاء فمن تبقى برعاية من لم يمت" الصورة وجدانية.. ومعبرة.. ومختصرة المساحة..

شاعرتنا الدغفق استهواها هذه المرة اقتحام الغابات.. وراحت ترقب العصفور الطائر والغصن المتدلي وجذع الشجرة داعية ظلالها الاسترخاء والتدفق واغراق الأرصفة:-

"شلالك سيطفئ موقد الشمس

اهدابي ستشتعل قناديل

بهجتها حفيفك

يرقص في طمأنينة الليل"

مرة تحتفي بالنهار.. واخرى مغايرة تتعشق الليل وترقص في طمأنينة على صمت سكونه.. هكذا نحن البشر لا يعجبنا العجب. ولا الصيام في رجب.. ما نعافه اليوم نطلبه في الغد.. كل حر في خياره. واختياره..

"تلميذات".. وهل اصدق من المرأة.. وبالذات إذا كانت مدرسة ترسم الصورة المثلى أو السفلى لمواقفهن :-

"سيطرز درس أحرفه
التلميذات سيقر أن.. ما اعذبه.!
صوتهن فيه الدروس كلها تهيم
على كتف المدرسة دجاجات..
يوميا هذا موعدها.
تقشع الحرف عن الكلمات
في ناحية أخرى
بواب يتراعد منه السوء
يصرخ في شارع أعينهن..
موعدها الآن العاشرة صباحا
تظهر سيدة قرب السور وجبتها
جوعهن بلا جلد يشمها
يغضب موضوع اليوم. ويرضى
في أصواتهن يا لعذوبتها شفاه
تتنفس ورد الكلمات
تتشقق من تكرار الدرس.
أحر فهن عطشى..
حواسهن تتلفت

دون عيون نحو المعنى"

اخترت القصيدة كاملة لقدرتها على التعبير. والتصوير لحالة نفسية وزمنية ما زالت مرسومة في الذاكرة..

المرأة.. وهذا اعتراف لا جدلية فيه أصدق حسا من الرجل.. وأدفأ عاطفة.. واقدر على رسم خصوصياتها من هنا تأتي صورها مشبعة برقة.. وحنان. دونهما ما نملك.. ماذا عن حنانها؟!

"على الرصيف الأبيض تهوي كفاه

يتورم وجهه

في التنور يحبسه الرغيف الأحمر

رائحته الشهية. عاطف الخباز.."

رسم بالألوان.. الرصيف وبياضه.. والرغيف بجمرته.. والخباز الذي يصطلي بوهج التنور تورم وجهه.. من اجل اشباع غيره مكتفيا بالرائحة الشهية.. التنور كان حكرا للمرأة الى وقت قريب قبل أن تفتح الأفران ابوابها معطية للمرأة اجازة مفتوحة بعيدا عن الكثير مما كان تحت عهدتها..

"حرير" اربع تعريفات في اربعة أبيات هي في محتواها قصيدة قصيرة تغني عن ديوان:-

"الشجرة قبو

بابها ارضنا

جذورها قبورنا

يحيا فيها ماء آبائنا"

المزيد المزيد يا شاعرتنا المرهفة.. وجدانا.. وتحنانا..

سبورتها البعيدة مصدر عشقها.. وقد كبرت عن الطوق..

"لم اعد التلميذة الساكنة في كرسيها

وما زلتُ افر من دفتر يشبه دفتر المدرسة

قبل ان البس العباءة

نسجت روحي عباءة لدفتري

فيه خبأت بذورها..

لا أدري بعد.!

لماذا تنبت في الصف قصيدتي..

وتستكمل الصورة التي كانت تطوقها.. شرود في حضرة الدرس.. عيناها تتسلقان صوت المعلمة.. والجدران والاسقف هروبا من سبورتها القديمة إلى أخرى.. عيناها اخيرا تشرقان في خيمة صفها بمصابيح شعرية ثرية الذكرى اطفأتها اكثر من مرة على غضبة المعلمة وهي تهوي بأصابعها على الدفتر المسكون بقصائدها لينتهي بها المطاف إلى هيجان من الطرد خارج ابواب الصف.. رسم لتجربة بقيت ماثلة في شريط ذكرياتها..

"تزاوج" عنوان لأبيات ثرية موحية بصورها رغم قصرها..

"فضه..

على صدر الصباح ترتعش

الشمس جمرة عسلية

مساء تلعقها الشفة الزرقاء"

وكأنما تريد ان تقول مقولة الشاعر الحكيم

ما بين غمضة عين وانفراجتها يغير الله من حال الى حال..

صباحها كان ملكا لهما.. وفي السماء اصبحت ملكا لغيرها لا يهم لون الشفة عند التزاوج.. وانما الاستقامة من قبل.. وبعد.. قبل لم تكشف لنا شاعرتنا أي شيء يمكن البناء عليه.. وإنما منحتنا فرصة التعرف على اشياء :- "تستقيم اواخرها" ما هي؟ وماذا تكون؟!

"جثت تستشهد على جدرانها حواف الأفق

لا دهشة فيها كعادتها

الطرق المستقيمة تخنق شرودي

بروائح الأرجل الميتة

موحشة.. وحشة العواصم

مسطرة بلا اركان"

لماذا كل هذا الاغراق والاستغراق في دائرة الضيق؟ الأسباب جاهزة.. الزهور والاشجار تنهار على رصيفها تر كلها احذية حاقدة.. بشوارعها المتعرجة الغائرة احيانا هوادج.. دروبها الجاحظة وسائد تدغدغ رؤوس اناملها.. لهذا تكره ما اقامته سواعد الحضارة المادية دون قيم. ودون نظام ودون احترام للذوق.. واختارت عليه:-

"الشوارع المتعرجة

استداراتها آمنة

غمام قلبها يذكرني بحضن امي

وسادة روحي فراشة مدللة

اقفز في قطنها"

لماذا القطن؟ اليس الحضن اكثر دفئاً.. لا يهم.. لقد احسنت الاختيار.. بقدر ما تكبر المدن تصغر قيم كثيرة إلى درجة الاغتراب.. والاقتراب من حافة العدمية الاجتماعية والأسرية..

"هديتك" مسك الختام لديوان شاعرة اكدت وجودها على ساحة الشعر عن جدارة واستحقاق رغم أن نهجها الشعري الذي اهدته.. وامدته بعصارة فكرها وتجربتها جاء منثورات.. إلا ان الروح الشعرية طغت على ملامحه وسمحت له بأحقية الانتساب رغم توافر مقومات الشعر وشروطه وحدوده التي تفصل بينه وبين النثر..

"هديتك" تقول كلماتها الموقعة بإمضاء احساسها المرهف:-

"قبل أن اهبط الى عش نومي   افتح سقف السماء لك

اهدي بدري الليلة   قبل أن تأكله العتمة"

خوفا على البدر من أن يطاله المغيب.. أو تسبقها عليه واحدة هدية لحبيبها آثرت أن

تكسب السبق وتلتقطه بحسها المرهف وتقدمه على طبق من بللور هدية محبة لمن أسر قلبها.. وتملك وجدانها:-

"العصية قصيدة
سيعجنه الغد
لن يبقى من رغيفه
سوى فتات النجوم
تلملمه طيور
تفقه بيضة أول الشهر
رغيف ساهر
تأكله العتمة
إذا لم تلعقيه حبيبتي"

هكذا شبهت البدر برغيف العيش في استدارته. وفي قيمته.. حرصت ان تقتدينه بدرا لا هلالا وعرجونا لا يصلح أن يكون عربونا لحب لا حدود لتوهجه..

انه حب الشعر الذي يرسمه خيال الشاعر ويصطفي من قصيدته بطلا يحاوره.. ويشاوره ويسامره.. هكذا اختارت شاعرتنا المجيدة هدى الدغفق توظيف مشاعرها وخواطرها بين الرخصة مرة.. والقبول أخرى من خلال تجربة حية عاشتها. او عايشتها اعطتها لنا من خلال ابيات قصيرة الحجم كبيرة الدلالات.. تأسيا بالحكمة القائلة.. ما قل ودل خير مما طال.. ومل" الشكر للناثره.. الشاعرة بمشاعرها.. التي سمحت لي بأن أكون مع ديوانها رفيق سفر.. ونعم السفر لشاعرة من بلادي قدمت أوراقها على بلاط الفكر واعتمدت كسفيرة بدرجة جيدة...

بعد أن تسكن الريح

- سعد بن عطية الغامدي
- ٢٠٤ صفحات من القطع المتوسط

الريح بعد أن تسكن تتحرك الأشياء الحية بأعصابها المتعبة.. وتسكن الأشياء الضعيفة لأن طاقتها على الحركة مكدودة إن لم تكن ميتة.

ترحل الريح ولا ترحل معها مخلفاتها وإنما تبقى مخلفاتها أنقاضاً وركاماً وحصاد عنف طبيعة لا روح فيها.

شاعرنا سعد الغامدي وقف شاهداً بشعره على ما بعد سكون الريح فهل استطاعت ريشته ان ترسم لنا بقايا الطلل وما خلفه الجلل من تداعيات أبت الطبيعة إلا أن تتعامل معها بعنف.

هل كانت ريح شاعرنا ريح طبيعة ثائرة أم ريح طباع بشرية قوامها الغضب والسخط والكراهية والحرب والقطاعية؟

كلا الاحتمالين وارد في حقل التجربة البشرية.. رياح الطبيعة.. ورياح الطبع.. قبل أن تسكن الريح تتراقص الأشياء.. وأحيانا تسكن السكينة الروح بعد أمن وإيمان.

بداية بوصفة الدواء طالعنا الشاعر بأولى مخلفات الريح.. ربما ريح المرض الذي يلجأ إليه كل مريض حين يعضه السقم.. وربما مرض العاطفة.

نفد الدواء فرحت مثل الطير تلتقط الدواء
ومضيت في أمل يحفك من أمام ومن وراء
ومضيتما لا تدريان بأن للأعمار بدءا وانتهاء
والموت أقرب في استباق حين ينكشف الغطاء
لو كنت تدري لاحتملت وقلت ما أحلاه داء

أشهر شاعرنا في وجهنا داءه.. إنه داء حب اكتوي بحرارته أو بمرارته لا أدري، إلا أنه

بالقطع من النوع الثقيل الذي يسلم إلى الفراش.

هل لو بقيت على فراشك كان داعي الموت جاء؟

وحتى لا نشهد النهاية فتعاجلنا الشفقة وربما دموع المواساة نهرع إلى استراحة المحارب.. إلى فدائي الاستشهاد.

جعل القنابل للحزام حزاما   ومضى يفجر نفسه مقداما

ويبث في جوف العدو مآتما   ويشب في قلب العدو ضراما

لماذا كل هذا؟ لأنهم:-

يتطاولون بآلة منهوبة   ويقتّلون أراملا ويتامى

ويخرّبون مزارعا ومنازلا   ويخلّفون خرائبا وحطاما

أكثر من هذا يا شاعرنا مصادرة حق وحرية شعب أعزل.. واحتلال أرضه.. واستباحة عرضه.. وهذا يكفي لأن يستقبل الاستشهادي الموت بروح لا تعرف التردد.

وبروح الإيمان يتحدث عن (إيمان) الشهيدة:-

إيمان رفعت إلى الجنان

درة صغيرة

لكنها بدت فوق الجميع

حين شيعت شامخة كبيرة

تمتد نحوها الرقاب

تملأ السماء.

إيمان.. فضحت فساد قمم مهيبة كثيرة

وكشفت موات نخوة العشيرة

لابد للعتمة من شمعة.. و(إيمان) واحدة من الشموع التي تذيب الدموع تمسحها من مآقينا قبل ان تتحجر.. نحن بألف خير بإيمان الخالق. وب(إيمان) المخلوقة التي تستسهل الموت من أجل الحياة.

ومثل إيمان يأتي الشهيد محمود مرمش بطل ناتانيا.. وآخرون وأخريات تركوا في صفحة تاريخنا النضالي المعاصر بصمات فداء وبطولة نادرة لم يشهد لها التاريخ مثيلا، إنهم وقود الحرية لا الإرهاب كما نعتهم الأعداء.. وسماسرة السياسة.

شاعرنا الغامدي أشهر غمده منذ البداية، ولج ساحة الحرب بسلاح الحرف القاطع.. وهو ما يملك.

قاتلوهم.. واقتلوا الباطل فيهم ... واصبروا إن طال للنصر صباح
هو آت عن قريب.. قاتلوهم ... طاردوهم.. واطردوا الدجال فيهم
واعلموا أنهم أجبن خلق الله ... فاستشروا عليهم.. وخذوهم

ليس دجالا واحداً فيهم.. بل كل دجالين يشدون من عضدهم دجالون كبار يتحدثون للعالم بلغة حرية من لا يؤمنون.. وديمقراطية لا تجوز إلا لهم ومن لغة الطرد والقتال إلى خطاب الخسف ومفردات القصف في قاموسهم الدموي.. وصولا إلى حلمه الجميل بنهاية الكابوس على وقع ضربات الفداء الموجعة.

بطر اليهود فجاء أمر الله ... في لمحة خسفت بحفل لاهِ
قاموا على جثث الصغار ليرقصوا ... ويعربدوا.. والله ليس بساهِ
فأتى على الأركان من بنيانهم ... ليخر سقف خلاعة وسفاهِ
فهووا كأن الأرض شقت تحتهم ... أو أُسقِطوا من سأهق متناهي
مكروا وكل الأرض تعرف مكرهم ... فيهود أهل مصائب ودواهي

على هذا النحو تمتد بشاعرنا الوتيرة تسوقه شحنة إيمانية بقدسية القضية وأفول نجم الاحتلال في فلسطين وفي كل فلسطين أخرى سقطت تحت أحذية المستعمرين النجسة.. فلسطين مجرد رمز لما سواها من ترابنا العربي الإسلامي المستباح.

لعله اقترب أكثر وأكثر وأكثر من فأله.. وقد رسم صورة حمامة السلام آمنة على شرفات داره، رسمها وخاطبها كما لو كانت حقيقة.

كــــــوني حمامـــــة الـــــسلام حـــــــين ينتـــــــشي الألم
وتقذف القلوب في سعارها الحمم وتغمـــر الوجـــوه مـــسحة العـــدم
كــــــوني حمامـــــة الـــــسلام حـــين يلتقـــي الـــسلاح بالـــسلاح
وتـــصفع الريـــاح وجنـــة الريـــاح وتجهـض الرعـود نـسمة الـصباح

في حـالات مرعبـة كهـذه يتـذكر النـاس الـسلام وحمائمـه.. ولكـن..! وحـوش البـشر ينقـضُّون علـى الـسلام كرمـز يحـصدونه بفؤوسـهم.. ويجتثـون بمجنـزراتهم حقـول الزيتـون الرمـز الثـاني للـسلام.. إنهـم لا يقـرأون التـاريخ ولا يهتمـون بـالعبر لأنهـم غـير بشر.

هـل أن صـاحبنا هـذه المرة اختـار أن يخلـد إلى الراحـة وحيداً دون أحـد أم أنـه اختـار الوحدة لواحد غيره؟

سافر بأعماق الدجى في الليل وحدك
واعبر فجاح الحزن منفردا
وغص في لجة الأسفار وحدك

لماذا هـذا الاختيـار وهـذا الخيـار؟ هـل أجهـده النهـار ورأى في الليـل رغـم وحـشته البـديل الأمثل؟! لعله التحدي لريح الظلام.

وأرواح أشباحه المتراقصة
وانفضْ عن القلب الشجون
وانزعْ عن النفس الظنون
بأن من أحببتَ قد يبكيك بعدك
وأقم كحد السيف للأشباح حدك
وهناك تنعم بالنجوم
وللنجوم تعيش وحدك

لا يهـم شـاعرنا الظـلام مـا دام في كبـد الـسماء نجـوم تـومض تـوحي بالأمـل والفـأل

الجميل.

(نأوي إليك سراعا) ذاكرة حياة أم ذاكرة موت؟ هذا ما يفصح عنه شاعرنا ويجلو به غمامة التساؤل:-

ظمئت فأملأ من الأشواق أكوابي — وتهت فافتح على الإشراق أبوابي

وهمت خلف سراب شط بي زمنا — عن وجهتي ورمى بي خلف أترابي

أمضي بعيدا، وأفكاري وراحلتي — تحوم حول حمى التذكار مما بي

وهنا بيت القصيد:-

منذ ارتحلت وعندي لا يفارقني — حزن على كبدي، حزن على ما بي

اليوم يا موسم الفتح المبين جثا — داعي الجهاد، ودالت شرعة الغاب

نأوي إليك سراعا كلما أزفت — أيامك العشر نرجو عفو تواب

إنه شهر الصيام وهو يكاد يودع أيامه.. صيامه وقيامه.. وقف منه الشاعر موقف المناجاة في وداع تجذره حرارة الإيمان والتقوى.

ومن رحيل شهر فضيل إلى عودة لا أدرك كنهها.. هو نفسه يتحدث عنها:-

تبدو الطريق أمامنا في هذه الدنيا طويلة — تبدو الحقائق حين نحسها إلى غدنا ثقيلة

تبدو المنى أفقا، وأنفسنا إلى الأفق الوسيلة — فإذا نعى الناعي تلاشت كل خاطرة، وحيلة

هذه المرة جاءت ذاكرة الموت.. والتذكير بما بعد الموت.. وما قبله:-

لا تبغ من دنياك صفوا، إنها دنيا وبيله — هي دار أغيار وكم من مرة فتكت بغيله

تلك رؤيته كشاعر.. ولكن من فينا يملك شجاعة التذكير بالرحيل.. لقد أخذتنا مشاغل ومشاكل ومغريات دنيانا حتى النخاع.. لم ندع في ذاكرتنا إلا الحب للدنيا.. هذا ما تؤكده ممارساتنا وأحلامنا السرابية.. وبعدنا عن الجانب الروحي والأخلاقي في تعاملنا مع بعضنا البعض.. ونهمنا وراء المادة إلى درجة الجوع والجشع وكأن الحياة خالدة.

ومن ذاكرة الدارين إلى استجلاء النفس القريب منها في التذكير والتحذير من فحشاء البخل.. وغلواء المال.

ليس عيبا على الفتى نقص مال　　　إنما العار فيه نقص حيائه

ليست عيبا بذل القليل إذا ما　　　كان هذا القليل جل ثرائه

لكي يصلح حال المجتمع أي مجتمع لابد من تكافل وتكامل اجتماعي بين أفراده بحيث لا يموت فرد من تخمة الشبع، وآخر يموت من عضة الجوع.. المال ليس اكتنازا.. وإنما استثمارا يطال مردوده الوطن، والمواطن على حد سواء.. أليس كذلك؟

قصائد الديوان لكثرتها لا تسمح بالتوقف عندها.. هنا تأتي رغبة التناول من خلال تنوع المادة وخصوصيتها ما أمكن

وإذا كان لا يأس مع الحياة، ولا حياة مع اليأس يأخذنا شاعرنا مع تأكيده لهذا المعنى في قصيدته (لا يأس).

لا يأس، فالدنيا تدور
ما انتاب دورتها فتور
يوم يحل كزائر عرضا يزور
ويطل يوم آخر
ويغيب في فلك العبور
ان ضقت في يوم، وضاق بك المكان
سيغيب في فلك الزمان
ويجيء عند الفجر غد
ويطل يوم آخر

مقطع من قصيدته يرى فيها الأمل دولاب حركة يوصل إلى الهدف رغم العقابيل والعثرات.. فالحياة أمل، والأمل عمل، والعمل وجود

لكل نفس هواجس تأخذها كل محمل، وتحط بها كل محفل.. تارة تضيق بها، وأخرى تستفيق عليها.. أين منا هواجس نفس شاعرنا؟

ظـام .. ويـورق في بيـدائي الـشجر ويرتـوي الطـل مـن كفـيَّ، والمطـر
دام .. ويعبـق في أفيـائي الزهـر وتزدهـي في سمـائي الأنجـم الزهـر

بهـذه التجليـات يعبر عـن اعتمـالات الـنفس مـا بـين الظمـأ والـري، وحمـرة الـدم، وحمـرة الزهـر.. بـين الاسـتغراق الثقيـل والاشـراق الموحي بالـصور انـه يؤكـد حقيقتـه تلـك.

دام، ولكـن روحـي في تألقهـا هـي الثريـا، إذا تزهـو، هـي القمـر
ظمـأن، لكـن نفـسي في عـذوبتها هـي الحيـاة، إذا تـصفو هـي الـسحر
لا أشـتكي، فـبقلبي ألـف قافيـة وخـاطري بالرضـا، والبـشر ينهمـر
فلـيس حـولي إلا الكـون مبتـسما ولـيس عنـدي إلا الحـب ينتـصر

هكذا بالفـأل وحـده وبالإصـرار انتـصرت هـواجس الرضـا علـى هـواجس الـسخط.. ومـن العجز ألا تقدر وانت تقدر..

كـل هـذا المسار مـن الرحلـة.. والـريح الـساكنة في انتظارنـا.. أو نحـن بـالأحرى في انتظارها:-

آفـة العـيش أن يـضل الرجـاء حيـث يـشتد بـالنفوس الـبلاء
حلـل في الحيـاة شـتى، ولكـن خـير مـا يلـبس الكـريم الحيـاء

أينها الريح يا عزيزي سعد؟ أين سكونها؟ أليس الحياء الصامت واحد من شخوصها؟ ربما! لننتظر..

أي صـفو يطيـب والعمـر فـان ومحـال مـع الفنـاء الـصفاء

سكون ما بعد عاصفة الموت.. هذه واحدة:-

وليـالٍ نـبني بهـن قـصورا ثـم يهـوي مـع الفنـاء الـصغار

هـذه ثانيـة:- صـمت الأطـلال بعـد أن كانـت سـكنا وسـكينة.. وأشـياء أُخـر ذات وجهـين وجه باسم، وآخر قاتم كلها تنتهي إلى سكون ما قبل العاصفة وما بعدها.. ينتهي معها

الى قناعة ثابتة يحاول تأكيدها لنفسه وللآخرين.. ما أمكن إلى ذلك سبيلا:

حسبنا في الحقول طيب جناها ومن المنهل النضير الرواء

يبدو أن شاعرنا عرف الحب أكثر.. أدرك أن الحب وعاء تلتقي فيه العذوبة والعذاب، والأشواق والأشواك، الوصال والانفصال. الغضب والرضا.. العتب والتسامح.. هكذا صور لنا روعة الحب.. وليته أضاف إلى عنوانه (وارتياعه)

روعة الحب أن يكون اشتياقا وحنينا، ولهفة، واحتراقا

وفراقا، وغربة، وانتظارا فلقاء مستعذبا فافتراقا

وخصاما، فلوعة، فانقطاعا فعتابا.. ففرقة، فوفاقا..

هكذا حسم أمره وحدد لنا روعة الحب.. ياعزيزي سعد ما هكذا تورد الإبل.. أبدا لم يكن الحب كل هذا وإنما بعضه.. الاحتراق في الحب نهاية.. والفراق في الحب جناية، والخصومة في الحب انهاك لثوابته.. والانقطاع عن الحب إسدال الستار عليه.

نعم الحب تجربة حياتية.. ولكنها محكومة بثوابت عقلانية.. حين يتجاوزها الحب يتحول إلى كراهية.. والحب لا كراهية فيه.. ومن الخطأ أن نظلم مفهوم الحب لأننا نحن في حبنا نتعامل بجفوة، وقسوة.. وتمرد.. وتجرد من القيم الاجتماعية والأخلاقية. نعم في الحياة الزوجية طلاق لكنه أخف وطأة وأرحم وقعا من صفة الاحتراق.. والفراق ليس حبا ولا محصلة حب.. والخصومة حصاد انفعال عاطفي لادخل للحب فيه.. اما الانقطاع عنه فقطاعية، والحب لا يوجد في مفردات قاموسه كلمة (قطاعية)..

بالحب الذي لا نفاق فيه.. بالحب الذي وفاق معه أشد على يدك مباركا شاعريتك التي أثريت بها حصيلتنا الشعرية.. وأثرت بها مضمونا.. وإطاراً.. وصياغة.. وإلى لقاء متجدد إذا كان في العمر بقية.

البدء ومرافئ العودة

- عبد الرحمن بن سليمان المرويع
- ١٠٠ صفحة من القطع المتوسط

بدء في رحلة سفر جادتها شعر .. ومطيتها مشاعر .. وفارسها شاعر .. إلى أين أخذه المسرى وهو يدلج السير بحثاً عن أشياء تعتمل في رأسه .. تؤرقه حيناً وتثيره حيناً وتزجره ثالثة .. وربما أيضاً تخادعه أو تخاتله رابعة..

هكذا حلبة الشعر صراع بين قلم يبحث له عن كلمة يتنفس من خلالها .. وبين ألم يبحث عن شكوى يتنفس من خلالها ناشراً همومه .. وناثراً أحزانه عبر مساحة حياته المليئة بالحب وبالرعب ..

لا أدري إلى أين أخذه التطواف .. وفي أي شط أرسى قارب إبحاره وقد عاد من رحلة سفر في بحر حياته المليئة بالحصاد الشعري .. بداية مع مقطوعته (إليك) .. التي حاول من خلالها أن يُعرِّف نفسه .. أن يكشف جانبا من صورته ومسيرته ..

انا يا صديقي في الجراح قديم ... انا بعض وهم خامد .. وهموم
أنا شاعر يرثي الأسى أشواقه ... والجرح فيه خنجر مسموم
ودفاتري مهجورة .. وسطورها ... موؤده. وعلى الغلاف سديم

موؤدة يلزم لها واو ثالثة .. (موؤودة)

استشعرت الفأل لشكواه.. الشاعر الذي لا يصرخ للألم لا يصرخ للحياة .. عضة الشكوى تملي الكلمات معبرة على قدر الأنات .. يسترسل في ضراعته .. جراحه مظلمة فؤاده حرقة وجحيم .. بقايا جمجمة كانت انيس سمره .. أشياء كثيرة قالها .. ترى عن أية شكاية يتألم ويتكلم؟!

طعن الخيانة انفجار مشاعري ... ان الخيانة جرحها ملغوم

للشعر كانت حية مشؤومة | تأتي لكي يبكي الزمان حكيم
أنا يا صديقي لم أحرك ساكنا | خانت فخان جلالها التفطيم
واليوم جاءت والندامة طبعها | وعلى سماها ذلة ووجوم

حتى مع العودة .. وعض أنامل الندم تمرد على عاطفته رافضاً الأوبة والتوبة

لا لن أكون على جراحك بلسما | ولينْدمن على الدواء سقيم
أيكون في عرف القصيدة خائن؟! | أعلى أديمي يعبر المجذوم؟!

من قال يا صديقي إن القصيدة لا تخدع القصد ولا تلوي بمشاعره ..؟ إنها أحياناً تبحر في الاتجاه المعاكس.

(من محسد إلى أبي الطيب) عنوان مليء بالغموض .. هذا ما سأحاول الكشف عن سره من واقع شعره:-

مساء الشعر سيدنا وشادينا | أبا الشعراء والحكماء
والصحراء - إذا وُلدت - | والخيل التي ذهبت وما عادت لأيدينا

يبدو أنه يتحسر على ماض جميل طواه الزمن .. ويسترجعه على واقع يسكنه الوهن:-

فلا ستر يوارينا | فلا بطل نمجده
ولا شعر ننمقه | فلا عرب ولا عجم
بلا معنى ولا مبنى | يموسقنا فيسلينا

ابتدأت ملامح الصورة في الظهور .. لعله يعني الشعر بأصالته وجزالته وقد تحول الى ما يشبه الثرثرة الجوفاء في أفق التوسل والتسول. ومع هذا مازال الحلم يسكن دواخله ويبشره بميلاد بطل ..

غروب الليل آيته | وصوت الفجر صهوته
صلاح الدين رايته | وسيف الله ساعده

حلم يتسع لأكثر من شعر .. حلم بتاريخ له عذوبة الكلمات .. وإشراقة الأمل (للنور مدينة لا تنطفئ) عنوان جديد تغنى تحت مظلته بأحب مدينة إلى قلبه .. وإلى قلوب غيره .. أليست الطيِّبة في ثراها .. الطيِّبة في مسماها؟!

بدأ الزفاف حبيبتي فانسابي ... بين الزهور برقة وشباب

أنتِ المدينة فاملئيني غبطة ... يا مأزر الإيمان والأطياب

أنتِ الحبيبة فامنحيني موعدا ... وسكينة تنساب في أعصابي

أعطى لها من الحب ما تستحق. أليست السنى؟ ومأوى التقى؟ ومنارة الأواب؟ ومدينة الأحباب؟ وخميلة النخل والنعناع. والمحراب؟ أليست الروضة ومأوى قبر رسول الإنسانية صلاة الله وسلامه عليه؟ أليست مثوى الأنصار؟ .. بلى .. وأكثر من كل هذا أنها تستحق الحب كله.

أخذنا إلى أحب مدينة .. ويأخذ إلى أحب وليد صغير إلى قلبه .. إلى يزيد حيث يبثه شوقه وذكريات طفولته.

خذني صغيري كي أعود قصيدة ... مائية زهرية الألوان

خذني وسافر في عيوني وارْوني ... (أنشودة أقوى) من الأشجان

خذني وسافر في شئوني واسقني ... نبعاً عزيزاً من ربيع زماني

ويستطرد شاعرنا في مخاطبة فلذة كبده (وليد):-

خذني يزيد ففي عيونك موعد ... وقوافل وبشائر تلقاني

خذني إلى لُعبي أحادث طيفها ... وحمامة تهفو إلى أحضاني

ومجالس ضوئية سافرتها ... صبحا على أنفاسه قرآني

أبا يزيد لم يكن الوحيد الذي تنشده وتناشده أن يأخذك معه .. لقد أخذتنا أنت بجميل شعرك ورقة مشاعرك فلتأخذنا معك إلى أحلامك ومرابع صباك، حتى وأنت تستشعر الغربة .. الاغتراب أن لا تغترب من الأحباب وأنت بينهم

خـذني يزيـد ففـي فـؤادي غربـة ... وطفولـــة، وبـــراءة، وأمـــاني
خذني علـى عينيـك أغفـو سـاعة ... أنـسى علــى أحلامهــا أحزانــي

أحسنتَ فقد أجدت الخطاب :-

ماذا عن (بكائية العشرين؟!) التي أهداها إلى أبي الطيب المتنبي ..

من أنتَ قل لي؟ تثور النفس تسألني ... مـن أنـتَ قـل لـي؟ فتعمـيني إجاباتي
مـن أنتَ قل لي؟ سؤال ظل ينبش في ... صـمتي، وهمـسي، وفي مـاض، وفي آتـي
ويـشعل النــار مــن حـولي ويحــرقني ... رغـم الـصقيع الـذي يحتـل سـاحاتي!
نــار الــدياجي .. أنــا مازلــت أمنيــة ... عـشرون عمـري! فمـالي اقتفـي ذاتـي؟
عـشرون عامـاً .. أمـا للزهـر أغنيـة؟! ... نـشوى يهدهــدها حلـم البـدايات؟!

تساؤل يطرحه على نفسه .. ويجيب عليه هو نفسه دون حاجة إلى أحد ..

مــا ابتغيــه أنــا .. يــا ويــح أنملــة ... جــاءت تطــاول هامــات الــسماوات
أتلـك أضـغاث مـا صـاحبته زمنـا ؟! ... جرحـي وفكـري، وشـوقي، وانطـواءاتي

مرة أخرى يتوجع على حال القصيد وقد تعفر وجهه بتراب المستلقين على حائطه

وأنــت يــا مــن علــى همــي تبــاركني ... شـعري فـديتك يـا سـيماء مرآتــي
هــل جئــت تبعــث في عــينيَّ أسـئلة ... هامــت علــى جــدبها أولى بــداياتي؟
أم جئت تحلم؟ قد مـات الخليـل عفـا ... (عروضـه) صُـلبت يـا هـول مأسـاتي
مـات الخليـل!! يقـول الزيـف ناعبـه ... مــا مــات والله يــا زيــف الــشعارات
مـــا زال للـــشعر ينبـــوع يفجـــره ... علــى التنــاغم والتقطيــع أبيــاتي

حبذا لو صحح كلمة يفجره ب تفجره نسبة إلى أبياتي المؤنثة ..

(البحر .. ومرافئ العودة) حيث العنوان الذي اصطفاه لهذا الديوان:-

الآن تبــدأ. والطريــق متاهــة ... ونهايــة وخطــاك ســرب مرهــق

خمدت شموعك واشتعالك نشوة ... مأفونـــة، وهــــواك درب مغلـــق

من يعني بهذا الخطاب المرعب؟!

من سياق ما مضى أشعر أنه ما زال في ذود دفاعه عن لغة الضاد الشاعرة .. من الدخلاء على مملكتها التي تأبى النيل من مكانتها وحصافتها وحصانتها .. لنستمع إليه وهو يكشف الغطاء عما يعني:-

لا تكـترث .. والـصاخبون ملامـح ... مـشبوهة وهــواك لحــن شــائق

(شيق) جملة جمالية أكثر من شائق ..

لا تكـترث تلـك القـصائد ظلمـة ... (نبطيــة) وهــواك حــرف مــشرق

فـدع الليــالي .. غريــة لا تنتهــي ... أدغالهـــا الحمـــراء وجـــه مُهــرق

واحـضن هـواك حمامـة يـسمو بهـا ... قلـــب علـــى إيمانـــه يتحلـــق

وانظـــم رؤاك جـــداولاً رقراقـــة ... فهـــــواك دوح وارف يتـــــأنق

بهذا الوضوح كشف لنا شاعرنا المجيد عبدالرحمن المرويع عن قصده .. انه يغار على لغته الفصحى فما يطيق لها أن تمس بسوء .. يأبى تقطيع أوصال القصيدة تحت مسمى الشعر الحديث، أو الشعر الحر .. أو حداثة شعر مرسل لا يخضع لموسيقى ولا إيقاع .. بنفس القدر الذي لا يستسيغ فيه هذه الهوجة من الشعر النبطي التي طغت على الساحة بشكل صارخ ومحموم ومبتذل ..

أتجاوز معكم بعض مقاطعه الجميلة في (وداع صاخية) (و (إلى نائية) وقد ملأنا حماساً وإحساساً بأن للغة الضاد أنصاراً .. واعصاراً يقف في وجه الذين يحاولون التجهيل والتدجيل والنيل من لغة القرآن ومقدرتها ومكانتها ..

نقف معاً على صوت يشق طريقه في قوة وعلى فمه عبارة واحدة تختصر الوطن والمواطنة اسمها (الانتماء).

يـــا بـــلادي وانتمـــائي عـــزة ... واختيـــال واحتفـــال في دمـــي

يــا بــلادي والرمــال الــسمر في خــاطري مهــدُ طُهــر المحــرم

مــن هنــا نــادى الهــدى أعلامــه تتهــادى فــوق هــام الأنجــم

(نادى الهدى اعلامه) لا تعطي الحالة صفتها بشكل مباشر .. لعل الأقرب (مدّ الهدى اعلامه) وتنتهي قصيدته بهذه الأبيات

يــا بــلاد النــور سـيري وأمْــني يــا ذرى المجــد .. ومجــد المنتمــي

دون أبوابــــك رايــــات الهــــدى منــبر الهــادي وشــوق المحــرم

(دون عليائـك في الخطـب المـدى) ثــورة النــور وشــهب الأنجــم

رثائية مؤثرة صاغها شعراً مليئاً بالبر أهداها لروح أمه

كانـت هنـا أمـي علـى صـلواتها يـأتي الـصباح ويحتفـي التهليـل

كانـت هنـا أمـي وكـان حنانهـا غيثــاً إذا أدمــى الفــؤاد عليــل

كـان الـصباح يمـر مـن أبوابهـا وعلــى يــديها تــستفيق حقــول

لبست جلال الصمت حتى فارقت آثــام دنيــا بــالكلام تــصول

شاعرنا وطيد العلاقة بفرسان الشعر وفرسان الحب له معهم أكثر من خطاب .. وأكثر من استشهاد .. هذه المرة مع (قيس) في مقطوعته (ما لم يقله قيس) ماذا قال شاعرنا المرويع؟!:-

عرفت قبلكِ من كانت تسابقني إلى النجـوم الـتي أشـعلتها أمـلا

عرفـت قبلـكِ حتـى صـرت أغنيـة للحـب صـادقة لا تعـرف الـدجلا

واليـوم أنـتِ علـى أبـواب أمنـيتي قلـب صـغير أعـاد الـشعر والغـزلا

ويستطرد في مقطوعته الجميلة إلى أن يقول:-

أمنتـكِ القلـب يا عشقا يباركني (يطــارد الهــم في عــينيَّ والملــلا)

ان لا تكون هـوى مـن عـاد يأخـذني مـن رحلـتي في رؤى دربـي اذا خـضلا

ويأخذه شعره كل مأخذ .. حلمه تحول إلى ما يشبه الأضغاث .. عاد من الدرب بخفي حنين كما هي عادة الشعراء .. ويكتفى منها بشيء من المناجات الحزينة:-

أمنتكِ الطهر، والآمال ملهمتي   لا ترجعي بالذي من أضلعي أكلا

هل السراب رجائي؟ أدمعي شهدت   أني على الدرب يا من يبعث الأملا

شاعرنا نكث العهد والوعد ان لا يقبل من الشعر إلا ما كانت له ثوابت القصيدة المقفاة الموزونة والموسقة ذات الإيقاع .. وها هو يخرج من إطار حماسه في مركبته الفضائية حيث تفتقد الجاذبية .. وتتأرجح الأشياء خارج الطوع والرغبة والانضباط لنستمع إلى مقاطع من فضائيته:-

عيناكِ أم تلك السواقي
وعواصم التفاح تجتاح غابات الجوى
من أين ظاهرة المواسم والمراسم والحضور
من أين يسألكِ المسافر والرمل الذي أيقظتِه
ابدا يثور على المنابر والجوامع والطبول

قطار المرحلة يدنو رويداً رويداً من محطاته .. وأمامه أكثر من طبق شهي يلزم التهام أجوده قبل أن نترجل .. طعمنا شيئاً من الحب .. وشيئاً من العتب. وبعضا من الغضب لا تتسع مساحة الرحلة لالتهام المزيد منه ..

نتجاوز (إلى مسافرة) و(ظنون) و(أمل) ونمد فم شهينا إلى قاتلته التي استقدمها باعترافه .. ولكن..! القليل لا يقدر الإفصاح عن من قتله لأن صوته مغلف بصمت الموت.. إذاً فهو من الموت اللذيذ الذي يشتهيه الشعراء في غزلهم بعد أن تفرغ أيديهم وألسنتهم من كل سلاح أمام العيون الحوراء الساحرة، والرموش الجارحة. شاعرنا أصابته الرجفة والحيرة وراح يتساءل من أين يبدأ؟!

من أين أبدأ. والحكاية أدمعي   ومدامع الأحباب حين تثور

من أين أبدأ. والجريمة قصة   الحقد فيها شاهد ونذير

تلـك الـتي جـاءت وفي أغوارهـا قلـب حقـود أسـود. وفجـور
تلـك الـتي قتلـت سـعادة أسـرة الحـب فيهـا عـالم منظـور؟

كيف؟ ومتى؟ ولماذا؟ أسئلة تتطلب الإجابة.

غـدرت بهـا، ثـم انثنـت طعناتهـا في الـصدر في الوجـه الكـريم تغـور
يا طفلها المسكين كيف ستنمحي صـور الأسـى بـين الـدماء تـسير

ويخلص المشهد على مأساة امرأة غدرت بها خادمتها .. لا تعليق أكثر من أن نقول لعمته الرحمة ولشاعرنا وأسرتها العزاء .. مرددين مقولة الشاعر:-

ومـن لم يمـت بالغـدر مـات بغيـره تنوعـت الأسـباب والمـوت واحـد

وأعتذر للشاعر وقد استعضت السيف بالغدر للمناسبة.

وأخيراً ونحن على مشارف محطتنا الأخيرة أمامنا جميعاً كمرافقين طبق واحد لا بد من تذوقه قبل أن نفرنقع ويتجه كل واحد منا إلى حال سبيله.

هذا الطبق عنوانه (نداء من الصف الأخير):-

هـل كنتَ يومـاً في الحيـاة أجيرا؟ ومناضـلا في ظلـها مقهـورا؟
أو كنـت يومـاً للنـشاط سـفيرا بـين المـدارس مـشرفاً مغمـوراً؟
تجـري وتـصرخ في الـدروب عقيمـة هيهـات تقنـع رائـدا، ومـديرا
ومعلمـا صـبَّ العلـوم قوالبـا ويـصد عـن دور النـشاط غريـرا
ومنظـرا كـل الكـلام فعالـه يمـضي ويرسـل خطـة وقـشورا

وصف لحالة مَرَضية غير مرْضية تقف عائقاً أمام رحلة التعليم .. لا بد من علاجها لخطورتها على تربية النشء وتثقيفهم وتعليمهم .. لا تحتاج إلى تعليق .. وإنما تحتاج إلى تطوير إداري وتعليمي ومنهجي يأخذ بأسباب النظريات التربوية الحديثة.

يـا واهـب الأجيـال نـبض فـؤاده احـذر فـؤادك أن يكـون كـسيرا
تـسخو بروحـك في دروب نـشاطهم وتظـل خلـف صـفوفهم مبتـورا

أتراهمـو حـسبوا فـؤادك جامـدا ... يمشي الطريق مبر مجاً وضريرا؟

ويخلص في قصيدته إلى إبراء ذمته .. وإلى نزاهة قصده وقد وضع نقاطه على الحروف.

لا تغـضبوا أنـا لـست أول شـاعر ... رجـم الظـلام لكـي يكـون مـنيرا

لا تغـضبوا لـيس النفـاق سـجيتي ... إن كـان غـيري في النفـاق خـبيرا

لا أحد يغضب يا شاعرنا من كلمة حق أريد بها حق .. صديقك من دلك على خطأ فيك حجبه عنك من لا يرجون لك خيراً ..

وأنت كمواطن تتحمل جزءاً من واجبات ومسؤوليات وطنك .. من أجل الارتقاء بمستوى التعليم ومستوى المعلم الذي عناه شوقي في قوله:-

قـم للمعلـم وفّـه التبجـيلا ... كـاد المعلـم أن يكـون رسـولا

أعلمـتَ أشـرف أو أجـلّ مـن الـذي ... يـبني ويـنشئ أنفـساً وعقـولا

انتهت الرحلة .. وإلى لقاء متجدّد بإذن الله مع شاعر جديد.

رباعياتي

- محمد سعيد العامودي
- ١١٥ صفحة من القطع الصغير

للخيام رباعياته.. وللفقي رباعياته.. وللمشعان رباعياته.. وللقنديل على ما أحسب رباعياته.. وللكثير من الشعراء الذين لا تحضرني أسماؤهم رباعياتهم.. ولي رباعياتي.. انها خيار ما قلّ ودل أحسن مما طال وملّ.. فكرة موجزة جاهزة الالتهام دون تلبك معوي أو ذهني هكذا أيضا اصطفاهما شاعرنا العمودي واختار لها هذا العنوان.. معاً إلى رباعياته التي تحمل في تسلسلها مجرد أرقام مجهولة المحتوى في رباعيته رقم واحد.. يقول:-

وطني غبت عنك والقلب موصول ... بذكراك غير ناسٍ هواك
انما كنت أينما سرت لا أرضى ... ولا احتفي بشيء سواكا
لا اختيال وانما هو احسا ... س يجب تثيره نجواكا
أنت رمز لكل معنى جميل ... يا حبيب النفوس نفسي فداكا

انشودة للوطن لا ينقصها الحب.. ولا يطال منه غياب لأنه حب ولاء وانتماء لا يتلون ولا يتلوث.. انه الحب الأول والأخير لأنه الحب الأكبر حب التراب وحب الأهل وكل الذين على ترابه أهل.

رباعيته الثانية حب وطن رسالة ورسول:-

يا حبيب النفوس يا مهد ميلاد ... الإخاء المحمدي الفريد
يا حبيب النفوس يا مصدر الأ ... مجاد يا باعث الفخار التليد
يا حبيب النفوس قد خصك الله ... بأسمى مكانة في الوجود

بـــالنبي الهـــادي لأشـــرف ديـــن　　　منـــه عـــم الـضياء كـــل الوجـــود

مـن حـب الـتراب الـذي منـه جئنـا وإليـه نعـود إلى حبـه الـتراث والتـاريخ والهـدى والدين.. مكة حيث البيت الحرام وطيبة حيث مأوى ومثوى رسول البشرية عليه الصلاة والسلام هل بعد هذا كله لا أحد فينا يحب

رباعياته، الثالثة تشير إلى الوحدة والتوحيد

وطـــني يـــا منـــارة الـــدعوة الكـــبر　　　ى إلى الاتحـــــــاد والتوحيـــــــد

أنــت مازلــت تنــشر الخــير لا عــسـ　　　ـــفاً ولكنـــــه بـــــنهج ســــديد

أنــت مازلــت تمــنح الحــب تعلــي　　　الــصوت أهــلا ومرحبـــا بـــالوفود

أي نعمــى هــذه؟ حبــاك بهــا البــاري　　　وهـــل بعـــد فـــضله مـــن مزيـــد؟

الدعوة إلى الخير والعدل والسلام انبثقت من نور رسالته.. به اتحد المسلمون وتوحد المسلمون ولكنهم في لحظة غياب تفرقوا شيعا يبغض بعضهم البعض ويتربص بعضهم بالبعض وهذا ذنبهم لا ذنب عقيدتهم. إلى مشاعره المقدسة فتح الوطن حضنه الكبير مرحبا بالقادمين من كل حدب وصوب من كل جنس ولون من كل لغة ولغة لأن حبه الإيماني إيمان عدل ومساواة وإخاء.

رباعيته الرابعة دعوة أمن وخطاب سلام

وطـــني يـــا مثابـــة الأمـــن للنـــاس　　　ويــــا رائـــــد الوئـــــام الأكيـــــد

رغم كل الخطوب في عالم الفتنة　　　في عــــــالم الــــــصراع البليـــــد

رغــم كــل البغــاة في كــل ارض　　　رغــم كــل البنــود رغــم الحــشود

وطـــــني عـــــشت للكرامـــــة للعـــــز　　　ة تحيـــــا في ظـــــل أمـــــن وطيـــــد

الحياة أمن.. الحب أمن.. الصدق أمن.. والرحمة أمن.. والعدالة أمن.. عليها يقوم صرح الأمن الذي لا يتزعزع وقوة الدفاع التي لا تهزم أمام كيد الكائدين وطمع الطامعين مع وحدة الصف والهدف نأمن على أنفسنا وعلى وطننا..

رباعيته الخامسة صوت عشقٍ عُوده مازال أخضر

يـا نائيـا عـن مغانينـا نـسامره ... في عـالم مـن رؤاهـا وهـي ترتـسم
تمضي بها ذكريات الأمس حالمة ... والـذكريات الغـوالي كلـها حلـم
أنـا علـى العهـد مازالـت مرابعـه ... يـشدو بهـا الـنغم الحـاني وينـسجم
كفــاك مـــنيَ اعـــزازي لمالكــة ... وافـت فكانـت وفـاء منـك يبتـسم

شاعرنا العمودي أبحر حبا.. وعاد صبا يسترجع ذكريات الأمس كما لو أنها اليوم لأن حبه يسكن قلبه ويستوطن مشاعره ويبقى السؤال أين الحبيبة؟ هل حلمه معه أم ضيعه لست أدري..؟ السر في بطن الشاعر..

رباعيته السادسة لا تختلف كثيرا عن سابقتها.. نتجاوزها إلى ما بعدها حيث الوفاء

ومـا وفـاؤك يـا خـذني سـوى مثـل ... مـن الوفـاء الـذي تزهـو بـه القـيم
أريجـه مـن أريـج الزهـر لا عجـب ... وخيمــه بجمــال الــنفس يتــسم
أنست شمائلـك الغراء ما صنعت ... يـد النـوى وهـي في نفسي لها ذمـم
وذكـرتني بمـن نـاءوا وقـد أعفـوا ... ان يـستهينوا ولـو جـاروا ولـو أثمـوا

الوفاء في حياتنا عملة صعبة تبحث عنها كثيرا فما تلقى إلا القليل القليل.. حسبك وحسبها أو حسبه أن نكون أوفياء.. الوفاء رمز حب.

رباعياته السادسة عن الوفاء نفسه، أخذنا منه ما يكفي ويعبر أصدق تعبير مع رباعيته السابعة عن الاستعلاء والكبرياء الفارغة

يا صديقي وما انتفاع أخي الدنيا ... بعلـــم يـــشينه اســـتعلاء
أوَلـيس الخليـق بالـسامق الأخـلا ... ق ألاَّ يغــــــره إغــــــراء
ما التعـالي؟ ما الاستطالة؟ ما الإ ... عجـاب بـالنفس؟ كلـها إغـراء
إنمـا يرفــع العظـيم إذا كــان ... عظيمــا سماحـــة وصـــفاء

ألفت نظر شاعرنا إلى مفردة (أخي الدنيا) ولأنها منسوبة إلى الدنيا لا له.. فمن

الصواب أن تكون (أخ الدنيا)، مضامين رباعيته عن تضخم الذات.. وما تعنيه من نرجسية موغلة بعجب النفس وزهوها واستكبارها تضع الإصبع على جرح آفة يعانيها أي مجتمع تحكمه الذاتية والأنانية المغلقة.

رباعيته العاشرة إطلالة تبحث عن الحقيقة الغائبة في دهاليز السياسة البشرية:-

يا صديقي وما سؤالك:- أين العلم؟ وأين الذكاء؟
أين من ينشد الحقيقة لا زيف ولا بهرج ولا خيلاء
والسياسات بالسياسات إلا العدل يغتال شرعه الأقوياء
لا حقوق تصان للأمم الصغرى ولكن دعاوة والدعاء

هذا هو واقع الحال يا شاعرنا.. حق القوة أجهز بظلمه واستكباره على قوة الحق.. الكبار في قواهم.. الصغار في أحلامهم يرون العالم حقلا يجرون فيه تجاربهم وأناسه الضعفاء عبيدا يدينون بالسمع والطاعة لأنهم دون استطاعة دون إرادة تكسر حاجز الوهن والضعف والخوف والاستجداء.. الظلم عبر عنه شاعرنا القديم

الظلم من شيم النفوس وإن تجد ذا عفة فلعلةٍ لا يرحم

رباعيته الثانية عشرة تتناول الإفك.. وما أدراك ما الإفك:-

ذو الإفك لا يسأم من إفكه مهما بدا للناس من إفكه
يخال من جهل بأن الورى لا يدركون السر في إفكه
أليس هذا منتهى غفلة لمسكين إذ يوغل في إفكه؟
فلا تلمه يا أخي إنه أحق بالرحمة في إفكه!

الإفك بهتان والكذب طغيان والتقول دون وجه حق جريمة ولكن في كل مجتمع صالح وطالح والتمر الجيد لا يخلو من الحشف الذي لا يؤكل ومن الإفك إلى الازدراء والمكيدة.

يــا مزريــا بــالحق لا يرعــوي عـــن كيــده الملفــوق أو دســه
ألــيس للأخـــلاق مـــن شــرعة تنهــاك عــن غيــك في همــسه؟!
ألــيس للحقــد ســوى أن يــرى الحــق وأن يــسعى إلى طمــسه؟!
يالـــشقاء المـــرء ان لم يكـــن وازعـــه ينبـــع مـــن نفـــسه!

صوت الحقيقة والحق أقوى من أن تهزمه جيوش الظلام.. للحق شمس لا يمكن حجبها وللحقيقة وهج لا يقدر الكيد ولا الإفك على إطفائه..

رباعيته الخامسة عشرة تتحدث عن الأضواء في دنيا العباد وعالم الاستعباد

مــا أكثــر الأضــواء تبــدو لنــا في صــور تــدعو إلى الابتــسام
فمــن غنــى صــاحبه أفقــر النــاس إذ مـــا عُـــدّ بـــين الأنـــام
ومـــن ثنـــاء باطـــل كلـــه لا خــير فيــه غــير حلــو الكــلام
ومــن ذكــاء لــيس فيــه حجــى ومـــن ضــياء يرتديـــه الظـــلام

أكثر من صورة واحدة عناها شاعرنا العمودي.. حرمان من يجد المال فما ينفعه لأنه بخيل أو محروم ومن مديح خادع منافق قال عنه الشاعر

يعطيـك مـن طـرف اللسان حلاوة ويـروغ منـك كمـا يـروغ الثعلـب

أمـا الـذكاء الـذي لا عقـل فيـه فهـو أشـبه بالـسلاح الـذي لا فـارس لـه، فاقـد الـشيء لا يعطيـه أيـا كانـت صـورته، وعـن الـضياء الـذي تغلـب عليـه الجهـام والظـلام فكارثـة.. لأن العقل قيدته أغلال التخلف والركود والجهل والعبودية واستلاب حقوق الآخرين.. لأن العقل معلب وضع في ثلاجة موتى ينتظر الدفن.. العالم يا صديقي لا عقل له لأنه دون ضمير إلا من رحم ربي..

رباعية سلامه تقول:-

الحـــب مـــا أحـــلاه والـــسلم مـــا أجملـــه يـــسود بـــين البـــشر
لكنـــه أمنيـــة لـــن يراهـــا الـــ ــناس في دنيـــاهموا تـــستقر

في عـــالم مـــازال يـــصبو إلى أن يغـــزو الغـــير وأن ينتـــصر

في عـــالم يـــروم للحـــرب.. لا للـــسلم.. أن يرتقـــي للقمـــر

العالم غابة كبيرة يقطنها أناس مسالمون وآخرون متوحشون ينهشون بأنيابهم وحرابهم وخرابهم أجساد الضعفاء لأنهم لقمة سائغة رخيصة دون ثمن، تماماً كالغابة المتوحشة التي تجول فيها الضواري والكواسر.. ينهش بعضها بعضا، القوة للقوي في كلتا الحالتين. أما السلام فمجرد حلم يداعب أجفان الحالمين بعالم تحكمه الرحمة وتسوده روح العدل والحب، ولكن هيهات.

نتجاوز معاً مجموعة من الرباعيات إفساحاً لمجال رباعيات أخرى ذات مضامين جديدة.

عن سخرية الدهر هذه المرة كانت الرباعيات:-

يالسخر الدهور من خطل الرؤ يـا وكـم للـدهور مـن سـخرية

كيـف قامـت علـى التـآمر إسـرا ئيـــل في مظلـــة أمميـــة؟!

كيـف ظلـت تقـاوم الحـق بالبـا طـل تلـك الـشراذم الوحـشية

كيف نام الراعي وكيف استنامت أمـــة خـــير أمـــة للبريـــة؟!

(سخر الدهور) أرى أن تكون (هزء الدهور) فالسخرية لا تقبل التصرف والبيت الأخير جاء مرتبكاً أرى أن يأتي بهذه الصورة

(كيـف نـام الرعـاة كـي أضـاعوا حـــق خـــير أمـــة للبريـــة)

أما كيف فلأن إسرائيل دولة واحدة والعرب والمسلمون أكثر من ثمانين دولة، كل دولة تغني على ليلاها.. واحدة تغني للغرب وأخرى للشرق وثالثة للحياد ورابعة تغني لنفسها دون إحساس بخطر.. إسرائيل صهيونية عالمية، حكمت العالم بخبثها وحركتها وتوغلها في أجهزة حساسة تملك إصدار القرار وتنفيذه لحسابها على حساب غيرها.. لم تنبطح ولم تنتظر العالم يسعى إليها وإنما هي اخترقت العالم اقتصاديا وعلميا وسياسيا لهذا حكمت وتحكمت وبقيت القضية دون قضية..

وعن الشعارات الكاذبة تحدث شاعرنا العامودي في رباعيته الثلاثين قائلاً:-

كم ذكي جنا عليه ذكاء وحليم قد لج في الغطيان
وأريب بين الرجال رآه النا س رمز النهى ورب البيان
خاب فيه المؤملون وقد كا ن مناط الرجاء للأوطان
لم يكن ادعاؤه للمزايا الكثر إلا للمجد والإعلان

الرجال مخابر لا مناظر حتى ما ظهر من المخبر قد يأتي خادعا من أجل مكانة يحتلها.. أو مكسب مادي يسعى إليه، التعامل وحده هو الذي يكشف الألماس الأصيل من الألماس المصنع أو المزيف، في كل مجتمع في عالمنا مُدعون يُظهرون ما لا يخفون.. تلك أخلاقياتهم..!

رباعياته.. أمنيات نتمناها معه:-

ما أعذب الأحلام أن ترتقي بالحب لا بالكره والكارهين
ما أروع القوة لو أنها تستأصل الأحقاد والحاقدين
ما أمجد العلم يشيع النهى والرشد لا الطيش لدى الطائشين
أحلام صدق ليتها لم تكن وهماً خيالياً لدى الواهمين

نقول جميعاً معك (آمين) كلها أحلام نحبها ونسعى إليها ونتمناها.. ولكن الأمل لا يحققه الكسل وإنما السعي والعمل، وإصلاح البيت من شروخه وتصدعاته.. وهذا ممكن لو حسنت النية والطوية..

رباعيته لها نكهة السياسة الهازئة من سلام مزعوم لم يتحقق بل إن تحقق بعيد المنال.. (القضية)

وأخيرا أخرج المخرج للناس رواية كل ما فيها عن السلم بلا سلم حكاية
يا لها مهزلة قد اسفرت منذ البداية أعلنت ما لم يكن سرا خفيا في النهاية

سلام (الكامب) و(ووادي عربه) و(أوسلو) و(شرم الشيخ) و(مدريد) وما أدراك ما

مدريد كلها مؤتمرات يراها شاعرنا مجرد مؤامرات تأخذ ولا تعطي، تنال من قوة العرب ووحدتهم أو تضامنهم، بتلك المؤتمرات تفرق العرب شيعا وأفرادا.. أعلام النجمة السداسية ارتفعت. المكاتب الاقتصادية انفتحت.. المصالح المشتركة بدأت ومازالت فلسطين المحتلة ترزح تحت قيودها أكثر.. كان الذي جرى استسلاما لا سلاما، بحجة أن موازين القوى الدولية اختلت وأن الواقعية يجب أن تحكم لأنها تتحكم في مقدرات هذا العالم البائس.

في مقطوعته السابعة والخمسين عن السراب الدولي.. والظامئون الذين لا يجدون على الجانب الآخر جرعة شراب :-

العالم الحر!! سراب وهل لظامئ أن يرتوي بالسراب؟

وعالم الشرق يباب وهل لأمل أن يحتمي باليباب؟!

لا خير في غرب ولا خير في شرق فكل منهما في تباب

والغرب في أطماعه ليس إلا الشرق في استعباده للرقاب

قلت سابقاً حكم القوي على الضعيف.. وحكم العارف على الجاهل.. وحكم الصالح على الخادع.. الغرب بنى حضارة مادية علمية قفز بها إلى الكواكب البعيدة يستكشف أسرارها وفي شرقنا من لا تتجاوز طموحاتهم حدود أرنبة أنفوهم.. في الغرب آلة صناعية تتحرك وفي الشرق أسواق تستهلك لا طموح عندها في أن تصنع، بون واسع وشاسع بين من يفكر بعقل منتج.. وآخر بعقل مستورد نحن لدينا قيم نعتز بها.. وتاريخ نحفل به نريد أن نضيف إلى ماضينا ونصنع فوق ما صنعوا لا مثله فقط.. إن عملنا فزنا.. هذه المرة شاعرنا يطرح رباعية عتب..

يا صديقي علام تغضب إن قلت لك الحق؟..لم أقاتلك فيه

أقصدك من الصديق بأن يخدع أو يستجيب للتنويه؟

يا صديقي وليس نكرا إذا الأمر الذي ترتضيه لا أرتضيه

حسبنا أننا على الود ما عشنا   وحب الوفاء أن نجتنيه

نصيحة غالية جميلة في صورها وإطاراتها ومضامينها لعلها من أجمل ما قرأته في الديوان.. أنا مع شاعرنا بأن صديقك من صَدَقك لا من صدّقك.. وأنا معه أن الخلاف في الرأي والمشورة يجب ألا يؤدي إلى اختلاف.. قلتَ لصديقك ما تعتقد أنه لصالحه.. يكفيك حتى ولو عتب أو غضب بعد أن عرضت عليه رأيك ولم تفرضه.

رباعية هذه المرة مع الفداء.. مع نداء الحق والاستشهاد من أجل حرية أرض وعرض:-

يا للفدائيين من فتية   قد حطموا أسطورة الغازين

يا للفدائين ما أروع الإ   قدام منها في الوغى صابرين

هذي هي الحرب إذا ما أز   دنا الحرب أن نقضي على المعتدين

هذي هي الحرب وما الحرب إلا   أن تَرد الكيد للكائدين

نعم.. فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى وبصيرة.. حملوا قلوبهم على أكفهم.. ووضعوا أكفانهم فوق رؤوسهم طمعاً في شهادة بها يحيا وطنهم وأهلوهم..

الحرية قال عنها شوقي:-

وللحرية الحمراء باب   بأجساد مضرجة يُدق

الأبطال لا يستسلمون.. عشقوا الموت من أجل الحياة. وعن الشعر يتحدث الشاعر في رباعيته الثامنة والستين:-

قد سئمنا من زخرف القول مكرو   را معادا تأباه روح زمانه

أي شعر إذا خلا الشعر من معنى   جميل يشيع في ألحانه..؟

أي شعر إذا خلا الشعر من نـ   بض أصيل ينم عن فنانه؟

أي شعر يصوغه شاعر إن   لم يكن شعره صدى إيمانه؟

الشعر شعور.. حين يختفي الشعور يموت الشعر، وفي النهاية نصل معاً إلى آخر

رباعياته عن الأسطورة الكاذبة كما أسماها:-

قيـل عنـه أسـطورة قلـت:- لا والله بـل آفـة مـن الآفـات

الـذي لا يـرى الحيـاة سـوى الفـو ز بمـا يبتغيـه مـن أمنيـات

والـذي لا يـرى البطولـة إلا في اغتيـال الحقـوق والافتئـات

والـذي لا يـرى سـواه مـن النـا س لهـم أي قيمـة في الحيـاة

تلـك ليـست بطولـة.. وإنمـا نظـرة باطلـة تغـاير معـايير الحيـاة.. وسـنن الكـون وأخلاقيات الدساتير والشرائع الحقة.. وبعد.. شكراً لشاعرنا محمد سعيد العامودي الذي منحنا تجربة حياتية جميلة فيها العظة وفيها العبرة وفيها النخوة.

كلما.. وقصائد أخرى

- د. يوسف حسن العارف
- ٨٠ صفحة من القطع المتوسط

في عنوانه فراغ.. ونقط تحتاج إلى الملء.. ماذا بعد كلما..؟ يبدو للوهلة الأولى أنها العنوان لأهم قصائد ديوانه.. أضاف إليها ما تبقى.. العنوان مبتكر لا مأخذ عليه.. المهم ماذا بعد العنوان.. هذا ما سنحاول معاً الوصول إليه في قراءة متأنية لا تغمطه حقه ولا تسيء إليه.. اصطفى شاعرنا لنفسه ولبنات أفكاره إطلالة خفيفة الظل لا تثقل ولا ترهق.. عبر كل صفحة عنوان يختزل الفكرة ويطرحها دون إطالة وبأسلوب تراجيدي كوميدياني لا يخلو من ترح ومرح أشبه بالبلية التي يضحك شرها ويبكيك.

(العمر) بداياته.. زوجته أرهقت ذلك العمر وهي تلف وتدور من حوله جيئة ورواحا:-

العمر.. كلما أرقته المدام جيئة وذهابا سمعته يئن..
يشتكي من حمولة هذا الجسد..
من مسامير قبقابها.. من صدى خلخالها.
ويقول:- .. يا الله..!
لو أنني كنت سقفا.. كنت عال كالسماء
وبعيداً.. بعيداً كالنساء..

يبدو أن عمره لا يحتمل قرعة الصوت.. ولا فرقعة الفتيل وقد أنهكه العمر.. وضاق بصخبه.. كثيرون يا صديقي يتمنون ما تمنيت.. ولكن هيهات :-

ما كل ما يتمنى العمر يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن..

ومعذرة لشاعر هذا البيت وقد استعضت بمفردة المرء مفردة العمر للمناسبة..

الوقت في حياته من ذَهَبَ لا من ذَهَبْ هذا ما توحي به قصيدته الوقت:-

كلما قلت: هذا هو الوقت فقم

علني أصنع المعجزات..

ضاع مني مثل ماء تفلت بين الأصابع صار شتات

مثل قيلولة لم أنمها..

أو سراب قد حباه حياة!

لم أنل منه سوى قبض ريح

أو فقاقع هواء

فآه. وآه.. ثم آه من الوقت يمضي هباء..

من الظلم أن نحمل الوقت مسؤولية الضياع.. الوقت زمن متاح.. والإنسان هو ذلك الذي يحمل معالم زمنه وبالتالي يرسم خريطة حياته.. نحن الملومين يا صديقي. شاعرنا اعترف بمشيبه:

كلما أقمرت فروة الرأس.. واعتمرت بالبياض

قام يسعى لتتويجها بالسواد..

غير أن الصراع المرير بين صبح وليل

ينتهي بانهزام السواد..

ثم يغدو كل شيء للفناء..

لا أحد يخرج من خريف العمر.. ولا أحد يفزع وقد وخط الشيب رأسه على كبر تلك علامة فارقة نختص بها نحن الكهول لأننا نقضي خريف السنين تاركين لأبنائنا ربيع عمر لن يطول.. تلك هي دورة الحياة ومن فينا يقدر على الخروج من دائرتها.. الشيب ليس عيباً.. إنه مظهر وقار لو أحسنا اختياره.

نقلة سريعة بين محطة وأخرى لا تكلفنا أكثر من بضع خطوات الطريق أمامنا سالك.. والمسالك أحسبها معبدة

(رهف) عنوان والمضمون يقول:-

كلما صار بيني.. وبيني فراغ مرير وهـم ثقيـل.. ووقـت ضـياع

عدت نحو الطفولة أغزل منها دثارا ودميـة شـوق لتـأني أرهـف

قبلك شعراء كثر تمنوا ما تمنيت.. ولكن هل تنفع شيئاً ليت؟

شاعر قبلك قال:-

ألا ليـت الـشباب يعـود يومـا فـأخبره بمـا فعـل المـشيب

وشاعر آخر كان يرعى الأغنام غلاما.. وإلى جواره ابنة عمه التي يحبها وينسج من أجلها في خيال عش الزوجية.. اضطرته ظروفه أن يهجر هجرته إلى حيث يطلب الرزق الحلال كي يدفعه مهراً.. سنوات ثلاث أو أربع لا أدري انطوت على سفره.. جمع المهر.. وعاد ليجد فتاة أحلامه سيقت إلى غيره.

ضاقت الدنيا رغم رحابتها في عينيه.. وقال بيته الرائع المريع

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا

إلى الآن لم نكبر. ولم تكبر البهم

أمنيات محالة المنال.. الزمن لا يعود إلى الوراء مرة ثانية

(القصيدة) عنوان.. وأبيات نقرأها سويا..

كلما شاغبتني حروف القصيدة

أوقدت في داخلي مشعل الشعر

هربت إلى قاعة المكتبة أحكُّ دماغي

أطارد فيه الشواهد عليّ أفي بشيء

ولكني لا أفيء..

عندما تشاغب الشاعر حروفه عليه أن يستكين.. أن لا يحاول هرش رأسه.. الحروف إيحاء يطارِدُ.. لا يُطَارَدْ.. انفعال وليس افتعال..

وعن الصوت يطرح عقيرته:-

كلمـا كـان نـديا كـصوت غريـر وعـذبا كمـاء نمـير

رقيقـــــا كألمـــــاس قـــــرط   جـــرى في وريـــدي نـــسيم اشـــتياق
فأصـــحو كمـــا واحـــة مشمـــسه   واســـتعذب الـــصمت.. والارتخـــاء..

وكي يأتي ارتخاؤك أكثر راحة وقد طاب لك الجو الذي تهفو إليه وتتمناه فإنني أشير إلى (كألمس قرط) كي تستقيم على وضعها وهو (كقرط الماس).

وعن (الراتب) الشهري يحكي:-

كلما قارب الشهر نحو الغروب
وبانت على بعد قوسين كفي خالية
جاءني الغيث يهمي..
ولكن إلى وجهة ثانية
أرتب بعض المصارف!!
بقالة. وكسوة عيد. ودين تأخر موعده
وللشيخ بعض الحقوق
وما فاض نخرجه صدقات!!

هكذا الحياة بالنسبة إليك كموظف.. ترى ماذا يقول أولئك الذين لا دخل لديهم ولا يملكون وظيفة..؟!.. أنت محظوظ حتى على راتبك الذي لا يصل إلى جيبك.

(باب) ماذا يخفي شاعرنا خلفه؟!

كلمـــا أوصـــدته يـــد غاضـــبة   تـــشقق مـــن جانبيـــه. وقـــال:-
يتهـا الغاضـبة لـستُ مـن صـخرة   ولا أنـــت مـــن كـــستناء!!
يتهـا الغاضـبة لا ذراعيـك عهـن   ولا عـــشي مـــن هبـــاء.. فـــارفقي

ذكرتني هذه الفكرة.. وهذا التذكير بمقولة الشاعر القديم.

أخـــي لا تـــشح بوجهـــك عـــني   مـــا أنـــا فحمـــة. ولا أنـــت فرقـــد

ملاحظة (يتها) وردت مرتين لا مرة واحدة.. وإلا لقلت إنه خطأ طباعي.. ما أعرفه ويدور في ذهني أنها جملة خطاب (أيتها) ربما أنت أدرى!

(إلى أين أيتها البدوية) سؤال يملك وحده الإجابة عليه:-

وقفتِ تناجين هذا المدى. وعيناك ساهمتان

وتلك البيادر أعطتك من خيرها

يذكرني شعرها الليلكي

بأرض تهامة في الجنوب

لها أسبل الطرف قامته. وانتهى للندى

وأنتِ على أول الدرب. أنتِ

متى على قدميكِ السؤال يذوب؟!

إذا اتهم الشوق. أو أنجدا..

اتهم إشارة إلى تهامة.. هذا ما يؤكده السياق.. ولكن شتان بين تهامة التي تعني المنخفض من الأرض. واتهم التي يتبادر إلى الذهن علاقتها بالتهمة..

(البحيرة) اسم جميل يذكرنا جميعاً بالبجع.. وبطيور النورس.. وبالهضاب الخضر.. وبالناس.. وبالأنس.

منذ عام.. وعامين

جئت البحيرة أبحث عن لامارتين

قبل أن تبحث دعني أسألك كم مرة جئت مرة أو مرتين.. إن كانت واحدة فليكن الشطر منذ عام أو عامين.. وإن كان مرتين فالشطر صحيح..

لندع شاعرنا العارف بأمره يكمل خطاب شعره

قالوا.. نُزُل يحط الرحال به

ويخرج إلى تلعة يخبئها شعره

ثم نكشفها في ليالي الضوء.. والصمت.

لم يجد لامارتين لأن التلعة ابتلعت شِعره.. وشَعره..

ومن البحيرة الحالمة يأتي دور الضباب..

سحابا تراه يغطي الأفق الممتد حتى السماء!

ورياح تقود مساراته في شعاب المدينة

يعلو.. ويهبط..

فتخرج كائنات المدينة كيما توارى حزنها

تخرج كيما تصافح وجه السماء البديل

وتعلن عن عريها..

يعلن عن أفق ضاق بعد اتساع..

الضباب. السحاب.. كلاهما يختصران مساحة الأفق.. السماء تبدو بعيدة لا يطالها النظر.. لا قمرها ليل.. ولا شمسها في النهار.. لهذا ضاقت بعد اتساع.

(سلام إلى شبح الروح)

بعيني تشيخ الذكريات

وتلبسني حالة من الوهم من قلق البوح

ومن حاجز الصوت أنه يغدو ركاما

بعيني.. أعتق هذا المدى نرجسا

وأبذر صبح الحقول على ليل أفئدة مسها الليل

استحالت ظلاما:-

هل جرّبت.. وقدرت.. الأفئدة التي تحولت إلى ظلام تحتاج إلى أن تستحم في بحيرة الضوء كتلك التي يعشقها لامارتين بعقله..

إلى نوارة قلبه هذه المرة اختصها بنشيده:-

صباح الندى..

صباح يؤجج في ابتكارات شوق

ويرخي على خافقي ستر أنس

ويزجي إلى شرنقات الصبايا تحايا

هو الصبح نوارة القلب

أزف إليه المدى نرجسا

أزف إليه الندى باقة. وإكليل شوق.

وقافية تستفز الخلايا..

كل شيء أعطاه بسخاء لنوارة قلبه.. أجج من أجلها الصبح وأعاده إلى نغم حالم يموسق البرايا ويطربهم.

(قراءة لاحتمالات الرياح)

هنا. أو هناك

تروح وتغدو القوافل متخمة بالجراح

لها غايتان.. ولي واحدة

تحس انبثاق النهى. والمدى موئل مستباح

لها منطقان..

ولي منطق الضوء. والصدق. والمعرفة

أحاول مد الجسور التي خربتها رطوبة هذا المكان السفاح

ولكن في صاحباتي الملاح

جفاف الصحاري. وجدب التراب. وآثارنا المشرعات رماح.

أمامك زمن طويل كي يقدر ضوؤك على كشف الطريق المعتم والمتعرج.. ومع هذا لتكن شمعة كما قال كونفيوشس.. أنها تكشف ما تحت الأقدام.

(الملاذ) محطتنا ما قبل الأخيرة.. ماذا يخشى وقد لاذ؟!

١- مروراً بها صحبي. وبعض أحبتي..

وبعضي لم يزل للماء صنوا.

وللنهر ملتقى.

٢- أعاتب فيء النوى

فأسفر عن كائنات لا تشيخ

وعن موتة للتو تولد. وعن مهرجان

تجندل في راحتيه الضباب

٣- على بعد موت من القيظ أمشي إليها
وأمسي يراودني عن غد لم أكنه.. ولم يكن!!
يراودني عن فضاء من الشمس لم يحن
يراودني عن أمور لست أفهمها
ولكنها بالكاد تفهمني..

مقاطع ثلاث استغرقها شاعرنا د. يوسف العارف بتخيلاته.. حتى كاد يغرقه خياله في متاهاته.. ولكنه نجا من الغرق.. وخرج سالماً معافى.

وأخيراً.. مع مزاعمه:-

أزعـــم أن الأرض تـــدور الآن وأن الآن يـــدور كمـــا الأرض
وأنـــي كـــذلك في دوران.. فأيـــان. أيـــان يـــا زمـــني نـــستقر

هذا عن الجاذبية ودورانها.. وعن زعمه الثاني الأكثر إثارة

أزعم أن القناديل لا تمنح ضوء
إذا ما الفتائل لم تشتعله
ولم تتشرب من الكاز حتى الشبع
وأزعم أنها لا لن تضيء
تزيل كثيراً من الظلمة الحالكة.

شاعرنا في زعمه الأخير تحصيل حاصل.. وأكاد أقول إنه أشبه بمن فسر الماء بالماء.. من البديهيات أن القناديل دون زيت لا تضيء.

وأن الأشياء التي تستمد وجودها من طاقة مكملة لها لا تعطي الثمرة ولا توصل إلى غاية.

وبعد.. أقول لشاعرنا الذي قدم لنا نصوصه الشعرية النثرية الموجزة لقد أرحتنا في رحلتنا معك.. كنت نعم الرفيق.

وكان عطاؤك طاقة أمدتنا بوقود الحركة.. دون احتراق.. ودون اختناق.. عدنا سوياً سالمين ونائمين..

وإلى حلقة جديدة بإذن الله ومشيئته.

رباعيات المشعان

- محمد بن سعد المشعان
- ١٨٣ صفحة من القطع المتوسط

شاعرنا الإبداعي محمد المشعان الذي رحل عن دنيانا أودعها قبل رحيله ذخيرة ثرية من خلجات نفسه الشاعرة هي بالنسبة إليه وإلينا جميعاً بطاقة هوية لا تحتاج إلى تجديد لأنها متجدِّدة بعمقها وبصدقها وبدلالاتها الحية..

في رباعيته (بين المخلوق والخالق) يقول:-

عبودية الإنسان إما لخالق	إذا ما أردت الرشد يمنحك الرشدا
ويمنحك التأييد من دون منة	عليك. ويعطيك المعزة والمجدا
وإما لمخلوق إذا ما سألته	من العيش قطميرا تجاهل أو صدا
وصبَّ عليك اللوم أو صاح قائلاً	خضعت لنا عبداً فداوم لنا عبدا

لا عبودية لمخلوق حتى ولو أغرق وأغدق بعطائه.. العبودية وثاق ذل ومهانة.. وعن العمل والبناء يقول راحلنا:-

شيد. فأنت خليفة	في الأرض تمتهن البناء
واعمل وقد أيقنت أن	الله يرزق ما يشاء
لا بد من عمل، وإن	أضحى نصيبك في خفاء
لكن طلاقة قدرة الخلاَّ	ق تنزف بالعطاء

دعوة إيمانية للعمل لا تنتظر المجهول.. ولا تتكل على ما سيأتي به الغيب.. العمل حصاد أمل.. وثمرة سعي.. ومحصلة جهد.. (الحياة بعد الموت) نظرة تقيم جسراً بين البداية والنهاية:-

النـــاس في هـــذي الحيـــاة نيـــام تجتـــازهم في ســـيرها الأيـــام
أرواحهـــم في الأســـر.. في أجـــسادهم فكـــأن مـــا خلـــف الحيـــاة ظـــلام

حسناً لو جاءت صياغة الشطر الأول من البيت الثاني على النحو التالي من أجل تلافي تكرار حرف الفاء.. أرواحهم أُسرت بقيد ركابهم ويقول:-

حتـــى إذا مـــاتوا رأوا مـــا لم يـــروا واســـتيقظوا وتـــداعت الأوهـــام
وبـــدا لهـــم مـــا غـــاب عـــن إدراكهـــم واســـتيقنوا أن الممـــات قيـــام

(الممات) ليس قياماً.. وإنما النشور.. أي البعث هو القيام..

(جهد العالم) يقول عنه شاعرنا:-

قـــالوا:- هنالـــك عـــالم خـــدم البريـــة باختراعـــه
لكنـــه قـــد جانـــب الإيمـــان في شـــتَّى بقاعـــه
ألَـــهُ جـــزاء المـــؤمنين؟ وإن تمـــادى في ضـــياعه
قلنـــا لـــه أجـــر الحيـــاة وســـوف يجـــزى بامتناعـــه

مفـردة (يجـزي) يثـاب.. ومفـردة يجـازى يعاقـب.. يحـسن أن يـأتي الـشطر الأخـير هكذا.. ولقد يجازى بامتناعه.. من يعمل مثقال ذرة من الخير يره.. ومن يعمل مثقال ذرة من الشر يره.. هذا هو منطق العدل..

(دين السماحة) يقول في رباعيتها:-

لم ينتـــشر بالـــسيف إســـلامنا كمـــا بهـــذا القـــول مستـــشرق
ولا سمـــت للغـــدر أعلامنـــا لأنهـــا في ســـعيها أصـــدق
واسأل.. فكم من القبط من ناطق و(الموســـوعون) لنـــا نـــاطق
لـو كـان مـا كـان.. كمـا أرجفـوا لم يبـــق مـــن ماضـــيهموا لاحـــق

الفتح الإسلامي سلامي قام بالحكمة والموعظة الحسنة.. وقام على الإقناع وإشباع الروح البشرية بعدالته ومحاسنه.. مئات الملايين من المسلمين دخلوا الإسلام دون قطرة دم..

ودون هزة فم بعد أن وجدوا فيه خلاصهم من الوثنية والعبودية.

(نفوس الظالمين) ترصد روح التمرد بالتي هي أشين.

لـو أنـزل الله يـا قـومي ملائكـة   تهدي إلى منهج الخلاق من جهلا

لقال قائل بعض الناس في صلف   يارب أرسل لإصلاح الورى رجلا

سجية في نفوس الظالمين. فإن   أتى لهم رجل لم يتركوا الجدلا..

ولنا في قصة بني إسرائيل وغيرهم ممن خاصموا أنبياءهم ورسلهم خير مثال..

(حديث النفس) رباعية تأمّل:-

أقول لنفسي والهوى يجلب الهوى   وفي جيد من أهوى تضيء القلائد

أيا نفس إن العيش ما طال زائل   وكل إلى حضن البسيطة عائد

وما من فتى إلا ملاق حسابه   وما منهموا الا على النار وارد

فتُفزعُ نفسي والجوى يطرد الهوى   وتعوِلُ ألحاني. وتبكي القصائد

الحياة رحلة سفر.. قطار يعبر بنا المسافة.. فينا من ينزل في محطاته الأولى وفينا من ينتهي به المدى إلى محطاته الأخيرة.. والنهاية بداية رحلة جديدة إلى عالم آخر فيها من يكسب.. وفيها من يخسر.. حصاد الأولى يحدد مكان ومكانة الثانية..

(ادع بالحسنى) دعوة منه تذكّرنا بالآية الكريمة {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...} (١٢٥) سورة النحل:-

يا أخا الدعوة يا صنو المفاخر   لا تكن فظاً غليظ القلب. جائر

ادع بالحسنى. فإن آنستَ رفضاً   فاعف. واستغفر وحاور ثم شاور

لو أراد الله بطشا ساقنا   بعصا الغلظة ان رمنا الصغائر

غير أن الله رحمان بنا   عالم عن ضعفنا كل السرائر..

الدعوة الرافقة تفتح بوابة الاستجابة..والدعوة الجافة توحد منافذ السمع وتدفع إلى العناد.. ما أروع أن يكون خطابنا هادئاً يلامس شغاف القلب.. ويملأ الحياة بالحب..

(مشيئة الله..) ولا راد لمشيئته هكذا يتحدث:-

لا تقـــل ســـوف أفعـــل ذاك غيـــب مؤمّـــل
مـــا ســـتأتي بـــه غـــدا هـــو أمـــر مؤمّـــل
علّـــق القـــول بالمـــشيئة إن كنـــت تعقـــل
قـــل:- إذا شـــاء خـــالقي فأنـــا ســـوف أفعـــل..

الخالق يا شاعرنا الفقيد أودع لنا دستور حياة كاملاً متكاملاً فيه الأمر.. وفيه النهي.. فيه ما نسعد به أمرنا.. وفيه ما نشقى به أمرنا بتجنبه. كلمة مؤمل الثانية المتعلقة بالغيب غير مناسبة الصحيح كلمة "مؤجل".

أعطى لنا العقل لنميِّز بين الطيب. والخبيث.. بين الهداية والغواية.. بين الإنسان الإنسان.. وبين الإنسان الشيطان.. بقي علينا حسن الاختيار.. وحسن الاختبار من أجل الفوز بدرجات تؤهلنا إلى ما هو أمثل وأفضل.

وعن القضاء والقدر تتحدث رباعية المشعان الإنسان:-

إن شـــاء ربـــك مـــدَّ الظـــل أنملـــة وإن أراد يمـــد الظـــل أميـــالا
ولـــو اراد لأبقـــى الظـــل محتبـــسا لا يـــبرح الـــدهر إدبـــاراً وإقبـــالا
فـلا تـسل عـن قـضاء الله كيـف أتـى وإن رأيـــت قـــضاء الله قتـــالا
لا يُسأل الله عمّا كان. كيف جرى؟ فاقبله. واصبر. ولذ بالصمت إجلالا

حسبنا أن نؤمن بقضاء الله وقدره.. بمشيئته وإرادته التي لا راد لها.. لا نملك غير الإيمان .. في نعمائه شكرا. وفي بلوائه أجرا

شاعرنا الراحل اكتوى بجمرة البعاد:-

حـــلَّ النـــوى.. أواه مـــا أصـــعبه يـــا دمعـــة في مقلـــتي منجبـــه
يـــا حـــسرة في الـــصدر مغروســـة تنبـــع منهـــا دمعـــتي الـــساريه
اســـتغفر الله.. فـــإن الجـــوى دمـــع يـــريح العـــين أن تـــسكبه

والنـــأي بــــالموت معـــــاد إلى (أم) لـــديها الــصمت والأتربـــة

الدموع من الأجفان تغسل الأحزان.. نعمة لا يدركها إلا أولئك الذين لا يقدرون على ذرفها وتحتبس داخل مآقيهم..

شاعرنا في لحظة حزن تماسك أمام رحيل من أحب.

أحبــــكِ ليلــــى لا تـــذهبي أيـــا شمــس أيــامي لا تغربـــي

فـــإن كـــان لا بـــد مـــن نجعـــة إلى رحمــــــة الله فلتـــــــذهبي

لعـــل اصــطباري أمـــام القــضا علـــى كثـــرة الــصبر لم يجـــدب

وإنـــي علـــى رغـــم شـــوقي الفـــتي يـــضيق أمـــام القـــضا مهربـــي

لا مهرب من قضاء الله.. لو كنا في بروج مشيّدة لما نجونا من القدر المحتوم.. هذه سنَّة الحياة قدوم.. ورحيل.. وعملية إحلال وإبدال.. يتحدث شاعرنا عن (عفن الفن).. قائلاً:-

تَـساءَلُ العـــين عمّـــا جـــدَّ لـــلأُذن أذاك فـــن أخـــا الإعـــلام أم عفـــن؟!

رفقـــاً أخـــا الفـــن بالأطفـــال إن لهـــم صـــحائف لم يخـــالط صـــفوها درن

هـــل الفنـــون ارتقـــاء نحـــن نبدعـــه تبـــدو الثقافـــة فيـــه وجهـــه حـــسن؟

أم الفنــــون افتـــضاح لا يـــسوغه إلا رغائـــب فيهـــا النـــاس قـــد فتنـــوا؟

هذا ما يقوله وقد مضى على رحيله سنوات وسنوات.. كيف به لو كان بيننا حيًّا يُرزق وهو يشاهد أكثر من ستمائة قناة تلفزة عربية تبث من عفنها لا من فنها ما يخدش الحياء.. والذوق.. إنها الحرب الثقافية اللا أخلاقية الأخطر من حرب السلاح.. يريدون جيلاً جديداً تافها ومتسطحاً ديدنه فراغ.. واستفراغ بكل ما يخرجه من واقعه.. وهموم أمته.. وكرامة تاريخه..

وعن الغِيبة له صوت:-

لا تظلمـــن امـــرأً تغتابـــه أبـــدا الله رب الـــورى أدرى بمـــا كـــسبوا

لا يغرّينـك بعـض الـشعر تنظمـه ... تغتـاب فيـه. وقـد يحلـو لـك الكـذب
ولا تكـن مثـل أقـوام مجالـسهم ... لأجـل أكـل لحـوم النـاس تنتـصب
إن يـسمعوا الخـير أخفـوه وإن سمعـوا ... شراً أذاعوا.. وإن لم يـسمعوا كذبوا..

الغيبة. والنميمة. والكذب ثلاثية وباء قاتل لأي مجتمع.. كثيرة تلك الأمراض السلوكية التي ما فتئت تنتشر كالطاعون فتمزّق أوصال المجتمع الواحد.. قبل شاعرنا المشعان تحدث بنفس الشكوى شاعر آخر بقوله:-

لـي حيلـة فـيمن يـنم ... ولـيس في الكـذاب حيلـه
مـن كـان يخلـق مـا يقـول ... فحـيلتي فيـه قليلـه

بل معدومة.!

(نسل آدم) رباعية ذات دلالات مميزة.. وحس إنساني:-

خلقنـا شـعوبا يـا اخـي وقبـائلا ... بهـذا برانـا الله كـي نتعارفـا
فـلا فـضل للإنـسان إلا إذا اتقـى ... وكـان تقـاه مـا اسـتطاع مـضاعفا
ومـا دام أن الكـل مـن نـسل آدم ... وأنّـا بـأرض الله صـرنا خلائقـا
فخـير لنـا أن نعمـر الأرض مثلمـا ... أراد.. ليبقـى العـيش في الأرض وارفـا

خطاب يرفض التميز.. والتحيز.. والفوقية.. الناس كأسنان المشط لا فرق بين صغيرهم ولا كبيرهم.. ولا أبيضهم ولا أسودهم.. ولا عربيهم ولا عجميهم إلا بالتقوى.. بالتقوى وحدها يأتي التميز..

وللشعر الفني له رأي قد لا نتفق معه عليه

الـشعر إن تـنظم بـه الفلـسفة ... فـذاك عنـدي مـن شـديد الـسفه
عنيـت بـالتجول في هـذرهم ... فـضقت بالهـذر. ومـن ألفـه
وعـدت لاسـقراطهم مقنعـي ... ولا أبـو قـراط.. ومـن خلّفـه
فقلـت إن الـشعر فـن حـوى ... مـا يـسعد الأشـواق أن تعرفـه

الفلسفة علم لا يرقى إلى درجته إلا أولئك الذين يملكون عقولاً قادرة على التأمّل واستشراف الآفاق البعيدة.. واستغراق صور الحياة الخفية. في كل جامعات الدنيا للفلسفة كرسي لا يجلس عليه إلا من يملك النبوغ والموهبة الكبيرة..

(أعدوا لهم) دعوة للقوة واجبة:-

(أعدوا لهم) أمر من الله واضح — فهل عندنا ما يبتغيه المكافح؟!
أم الشأن في عرف الأعاريب منبر؟ — وقولك: قال الأقدمون الجحاجح؟
ملأنا فجاج الأرض من قول (أخبروا) — و(أنبأنا هاج هناك ومادح)
فهلاّ جعلنا من (أعدوا) بداية — ليرهبنا عاد من الناس فاتح؟

من أراد لنا الشر لا يكون فاتحاً. ولا فالحاً.. وانما كالح أسود كالكحل..

(وفي خطبة الجمعة).. له معايير ومقاييس عقلانية تستبعد الإطالة..

إن كنت في جمعة خطيباً — فاذكر ذوي حاجة. وشيبا
ولا تطل في سياق وعظ — فمكثر الوعظ لن يصيبا

وعن الخرافة له رباعيات..:-

إذا سمعت حديثاً مال قائله — إلى الخرافة فارفض قول راويه
فالدين من كان لا يرضى لتابعه — أن يهمل العقل في أسمى مراقيه

الله جلَّ شأنه منحنا أعظم ما نملك.. ألا وهو العقل.. به نبصر.. ونتبصر.. ونفكر.. ونقدر.. إنه البصر والبصيرة والميزان.. وينتصر شاعرنا الراحل لحواء..

لا تغاضبها إذا غضبت — لا تطلقها.. إذا اكتأبت
إنها حواء.. عاطفة.. — طالما من عطفها وهبت
إنها حواء.. ديدنها.. — وكلما استسهلتها صعبت
إنها كالشمس مشرقة — تُظلم الدنيا إذا غربت

وتظل حواء مظلومة بحسابات الذين لا يقيمون وزناً للنصف الآخر الذي بدونه تفقد

الحياة نكهتها ومذاقها..

(العولمة) في شعره لها رؤية:-

الكـون ترهـب في الغيـب عولمـة ... تبـدي لحونـاً وتخفـي سـورة الأسـد
ولـست أعلـم مـا تعنيـه عولمـة ... لكنهـا في أحاسيـسي كمـا النكـد
وقـد سـألت أناسـاً مـن بـني وطـني ... عنهـا فقـالوا (سـتلقى الـرد بعـد غـد)
فهيِّئ النفس. واقبل كل ما نضحت ... بـه عقـول بـني صـهيون مـن عقـد

عرفنا العولمة.. عرفنا بها من نفسها دون حاجة إلى سؤال أحد.. إنها عالمية الاقتصاد.. والثقافة. لصالح الأقوياء.. لا مكان فيها لضعيف.. مفردة الغيب في شطره الأول تخل بالوزن الأصح مفردة تغييب.

وعن أوبة النفس له اعتراف وتوبة:-

قالـت: أتـنظم شـعرا؟ قلـت: أنظمـه ... وانقـض الغـزل أحيانـا وأبرمـه
وأركب الطيش مخدوعاً. وأوهمه ... إنـى مـع الطـيش مفتونـاً ألازمـه
والنفس فيها شعور الرفض تكتمه ... لأن مـا كـسبت يـزداد علقمـه
لـذا تـؤوب.. ومـن زادت مظالمـه ... وعـاد عـن غيّـه فـالله يرحمـه

زيد.. وزينب: قصة جديرة بالإشارة إليها لأنها أذابت الفوارق بين الطبقات.. وعمّقت روح العلاقات:-

مـا لزيـد أو زينـب مـن خيـار ... والرسـول الكـريم لـيس يمـاري
فابنـة الأكـرمين صـارت لزيـد ... وهـو في علمهـا طليـق إسـار
وغـدت بعـده إلى خـير بعـل ... حيـث نالـت بالـصبر أزهـى فخـار

وعن واسع الذمة له تصور:-

لـه ذمـة مثـل المحـيط فـسيحة ... فمـا حـلّ فيهـا عنـده فمُحلَّـل
ترهـل مـن فعـل الزمـان ضـميره ... وجـاء حـساب الـنفس والليـل أليـل

فما هدأت فوق الوطاء ضلوعه ... لأن قصير الوقت بالهم أطول
فقام بردٍّ المظلمات وفيرة ... وعاد إلى القرآن ليلاً يرتل

حسناً فعل وأعاد ذمته إلى حجمها وصوابها..

(هوى النفس) وجدت هوى في شعره:-

أطلقت يا نفسي عنان هواك ... وتبعت في درب الضياع بذاك
ورأيت يا نفسي زهور متاهتي ... فوجدتها موفورة الأشواك
يا نفس أنتِ بمقلتي أمارة ... وأنا لجهلي لا أطيع سواكِ

ومع رباعيته ما قبل الأخيرة رأفة بالأبرياء..

نهبوا بلادك أيها المتغابي ... ودعوك يا مظلوم بالإرهابي
وقد ادّعوا زوراً بأن إلههم ... أعطاهم الدنيا بغير حساب
فاردع أخي عدوانهم بمثيله ... وازرع لردعمهوا حقول حراب

وأخيراً تأتي النهاية:-

إن الأحبة يا أخي ذهبوا ... وغدا على آثارهم نثب
والماكثون بعيدهم حزنوا ... والبعض في غفلاتهم طربوا
فكأنما الدنيا لهم أبداً! ... وكأن تاريخ الورى كذب!
وكأننا جئنا بلا سبب ... وكأننا نمضي ولا سبب

ها هو شاعرنا محمد المشعان في رباعياته وقد مضى إلى رحاب ربه.. منحنا بعد رحيله رحلة حياة مفعمة بالروح الإيمانية.. تنم عن وعي يقيني.. ووعي اجتماعي له مذاق الطرفة والظرف.. رحمه الله رحمة واسعة.

ويورق الخريف

- عيسى بن علي جرابا
- ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط

قبضة الخريف دائماً قاسية.. إن على مستوى العمر.. وإن على مستوى الطبيعة.. والطبع.. الخريف مرحلة تهرم فيها الأشياء وتشيخ.. لا يبقى منها إلا ذلك العود الصلب المقاوم الذي لا يهرم.. والإرادة القوية التي لا تهزم..

شاعرنا تبرأ من الشعر.. هل أصابه جفاف الكلام وعجزه؟ أم أن يأسه تملكه وأسلمه إلى استسلام العزيمة.. أي الهزيمة.. لا أدري.. حسبنا أن نعرف السبب ليبطل العجب..

مالي وللشعر إن أوقدت قافية ... ألا وهبّ المدى ريحاً فتنطفئ

أراه للقب نبراساً يضي. ولكم ... عليه إن شاخت الآمال أتكئ

ركنتُ أجري على أمواجه سفني ... وإن طفت فإلى شطيه ألتجئ

فكيف يعثر ما خبأته زمناً ... من لوعة الحب؟ كيف الحب يختبئ

تساؤلات هي مزيج من الحيرة، والضعف.. من اليأس والبؤس.. لا مكانة لها في إرادة حية تقهر العجز وتستند إلى حائط مكين من الثقة بالنفس.. الشكوى يا شاعرنا الحبيب مظهر قيد لابد من كسره.. ارسم طريق دربك بشعرك الواثق.. الرثاء للموتى الأحياء الذين مات عشقهم في دواخلهم.. كن عاشقا:-

ها أنا كم رثيت العاشقين ومن ... حيث انتهوا في دروب العشق ابتدئ

ها أنت تقاوم النسيان ومقاومته مظهر عافية:-

من يذق لوعة الهوى ليس ينسى ... لو غدا قلبه من الصخر أقسى

يرتدي بردة النهار خليا ... ويجافي مضاجع الليل بؤسا

ويناجي النجوم.. نجما فنجما ويراها نواطقا وهي خرسا
وإذا البدر غاب أطرق حزنا وإذا ما بدا تبسم أنسا..

هكذا وبهذه الحيوية المشبوبة تنتصر ابتسامة البدر على حزنه.. وإشراقة الأمل على ألمه.. كن جميلاً ترى الوجود جميلاً..

إيه أمسى وما احيلاك طيفا كلما لاح كالسنا طبت نفسا
كيف أنساك لست ممن إذا طال التنائي يخون عهداً وينسى..

إذا أنت موجود.. إذا أنت حي (مطايا الخوف) عنوان سلمنا معه إلى الخوف:-

تعبت من توقد الحروف وركضها في مهمه مخوف

(مخيف) أنسب من (مخوف):-

تموح بين أضلعي وتغلي وتستفز همة الضعيف
تضمد الجراح في الحنايا وترسم الصباح للكفيف
ومن نداها تخصب الفيافي وتورق الأغصان في الخريف

الفيافي هنا ليست خطأ.. ولكن من حق الحروف علينا أن نشيد بها ونشير إليها.. أحسب أن (القوافي) أحق من الفيافي

شاعرنا يريد حروفه غيثا يهمي.. وجدولاً ينساب.. وخطرة ذات أكمام.. وسلوى لكل قلب.. وبلسما لكل جرح.. وصوتا مسموعا لا يتوارى تحت مظنة الخوف.. ومظلة الصمت.. هكذا أعطى لكلمته خياراتها واختياراتها بعد أن نامت السيوف.. ولم يبق إلا صوت الكلمة:-

بحثت عن سيوفنا فكانت حروفنا أمضى من السيوف

(إلى أين)! تساؤل وجّهه إلى قلبه علّ قلبه يستجيب ويجيب:-

إلى أين يا قلبي؟ أتدري بما جرى من الضيم للعشاق أم أنت لا تدري؟
ركضتَ بلا وعد فلم تبلغ المنى وبحتَ بلا صبر فأنقصت من قدري

وكنتَ إذاً أحسستُ نبضك مسرعا　　　وضعتَ يدي خوفا وأمعنت في الزجر

لمَ كل هذا التقريع لقلبك.. إنه بوصلة الحب.. وفزاعة الهوى.. دعه يبحث عمن يهوى بعيداً عن التدخل واليأس.. قلبك أدرى بنصيبه.!

فحظك يا قلبي سراب.. وكم دعا　　　قلوبا وأزكى في حشاها لظى الهجر

إذاً الحب ما شابته فينا شوائب　　　تسامى ولم تنفذ إليه يد الدهر

لقد بات ما أخفاه قلبي من الهوى　　　وكم بيّن المخفيّ بيتُ من الشعر

قلبك هو الذي صاغ شعرك.. وأحلى مشاعرك.. دون قلب ينبض بالحب لا شيء..

(ذهول الصمت) ماذا يعني؟!

سكبت بين يديك القلب والمقلا　　　وبتُ استمطر الأحلام والأملا

ورحت أعزف ألحان الهوى طمعا　　　أن تستلين وأن يخضر ما ذبلا

ذكرتها بزمان الوصل حين أتت　　　تميس في عنفوان بعدُ ما اكتملا

لمّا التقينا أثارت فيَّ عاصفة　　　من المشاعر تجتاح الحشا وَجَلا

وأوغلت في الحنايا رعشة أسرت　　　لسان قلبي وظل الصمت منذهلا

ماذا تنتظر أكثر من هذا.. قلبك وعيناك.. وقيثارك أمام عود ذابل.. وعنفوان لم يكتمل..لا شيء إلا عاصفة تعقد اللسان وتحكم عليه بالصمت المذهل.. ماذا بعد هذا المشهد التراجيدي؟ :-

ثم انثنت خشية الواشين عائدة　　　عجلى.. وعدت غريب القلب منذهلا

معها الحق كل الحق أن تعود إلى حين تختار لقاء لا رجفة فيه ولا خوف، وهكذا فعلتْ:

ثم التقينا وكادت أن تبوح بما　　　في قلبها ورأيت الشوق مشتعلا

فقلت للنفس: حانت فرصة لتري　　　بعض اقتداري واني أحسن الغزلا

بلغت بشاعرنا الجرأة أن يصعد طرفه نحوها يترسم ملامحها كما لو أنه اللقاء

الأول.. والأخير.. وكانت المفاجأة:-

رأيتهــا ورأتــني والتقــت يــدها يـدي وحمـرة خـديها بـدت خجـلا

تعانقـت مقلتانـا وابتـدت قـصص مـن الغـرام تـثير الـسهل والجـبلا

ذكرها بزمان الوصل.. هل نسيته؟ أجفلت.. أشاحت بوجهها عنه.. بدت غاضبة قفلت من حيث أتت.. أما هو فقد غمرته وحشة الليل.. ووحدة اللقاء.. وأخذ يعزي نفسه

عجبت للحب كم قتلى به دمهم

طلّ ويحيا رفيع القدر من قتلا

نهاية لابد منها ولو لم تُعجب..

حياة شاعرنا الجرابا.. مزيج من تجارب حب.. وعتب.. و(صراع)

بــين عقلــي وبــين نفــسي صــراع أي هــذين يــا فــؤادي يُطــاع

تـشتهي الـنفس كـل شـيء ولـو كـان ســرابا ومنتهــاه الــضياع

إنمــا العقــل درة لــيس تبلــى ولــه في دجــى الرزايــا شــعاع

يعــشقان الجمــال مالهمــا فيــه اتفــاق.. ولا عليــه اجتمــاع

حــار قلــبي فيمــا يريــدان. فالعقــل رزيــن والــنفس فيهــا انــدفاع

جميل.. بل ورائع هذا التوصيف لصراع العقل والنفس فقد أبان بدقة وجه الخلاف والاختلاف بين عاطفة مشبوبة عمياء وعقل مفكر ومدبر.. ولكن مع كل هذا الإدراك والوعي مازالت الحيرة تملأ فكره.. وتكاد تجتذبه إلى ما تهوى نفسه

صـوت عقلـي لا يسـتساغ ونفـسي صـوتها كـم لـه يطيـب اسـتماع

يـا فـؤادي أراك تبحـر والمـوج عنيـف وقـد تهـاوى الـشراع

فـاتق الله.. كـم نفوس علـى العلـة تُــشرى.. وكــم عقــول تبــاع..

أحسنتَ.. وأجدتَ.. ومن صراع النفس والعقل إلى صراع آخر.. صراح حياة أو ذل.. صراح حرية أو عبودية

ثوري كما شئت يا بغداد واحترقي ... لم يبق في العرب إلا حس مرتزق

ثوري ولا تيأسي إن لم تري أحدا ... يمد نحوك كف الغوث والغدق

ثوري فما زال يا بغداد في دمنا ... مشاعر ترقب الأحداث في حنق

صرخة استنهاض قوية وهو يشهد عاصمة الرشيدة ترسف في قيود الغزاة الطامعين.. مستباحة أرضها وسماؤها

عاد التتار جيوشا غير عابئة ... إلا بسفك دم الأعراق والعلق

هولاكهم يستفز الكون في صلف ... بحكمة من جنون الطيش والنزق

أيةحكمة تعني؟!.. إنها حفنة من جيوش رعاة البقر وأذيالهم الطامعين في خيرات العراق.. وإذلاله..

حرب صليبية هوجاء رايتها ... تحرير شعب من الإيمان والخلق!!

عاد التتار فما بال المظفر لم ... يعَد ليجمع فينا شمل مفترق؟

نساق نحو مصير غامض بدأت ... خطاه من نفق داج إلى نفق

المصير يا شاعرنا لا يكتنفه غموض.. إنه واضح كوضوح شمس النهار.. إذلال كل ما هو عربي.. وإهانة كل ما هو مسلم.. وإعادة التاريخ إلى الوراء أيام كان الاستعمار يجثم بثقله على ساحتنا العربية والإسلامية يمزق أوصالها.. ويغرس في قلبها كيانا دخيلا اسمه (إسرائيل) مخلب القط للغرب الاستعماري.. شاعرنا لم يفقد الأمل.. ولم نفقد الأمل معه:-

لا لستِ وحدك في الميدان فاصطبري ... على اللظى وبربي الصابرين ثقي

بوارق النصر مازالت تلوح لنا ... فحمحمي يا خيول الحق.وانطلقي

إن لاذ بالصمت قومي فالطريق إلى ... بغداد فاتحة الباقي من الطرق

كأني به يقرأ ما في نفس شاعرنا الآخر القائل:-

من حلقت لحية جار له ... فليسكب الماء على لحيته

لا داعي للخوف فللعراق رب يحميه.. وأحرار من داخله يذودون عن حماه.. ونعوش طائرة للغزاة تؤكد أن مصير الغزو إلى فشل ونهاية مهما استشرى في استبداده وعناده.

هذه المرة يطرح الشاعر لغزاً يريد لنا حله.. وما نحن بتأويل الألغاز بعارفين..!

لِمَ نبكي..؟ ومَنَ يحن علينا ... نحن من صوَّب السهام إلينا

ما اتانا الغزاة.. لكن أتيناهم ... وصرنا لهم فؤاداً وعينا

هم أرادوا.. قلنا لهم ما أرادوا ... وارتضينا.. قالوا لنا: ما ارتضينا

نحن من نحن؟ حار فينا أعادينا ... لأننا نعينهم بيدينا..

وإذا ماجت الخطوب قريبا ... قيل في غمرة الهوى: ما علينا!

وإذا الصادقون هبوا أشعنا ... فيهم اليأس والخنى لكلينا

ونصل مع شاعرنا إلى بيت القصيد:

نحن لغز محير. فلنا دين ... عظيم لكن به ما ارتقينا

لم نزل في الدروب نتعب ركضا ... والحصان الأصيل صار حُصينا

ما رجعنا إلا بخفي حنين ... مَن له يُنسبان ليس حنينا

(نتعب ركضا) لا تكفي.. قل نلهث ركضا.. أما اللغز فقد حللته بكل جسارة وجدارة.. لا تعليق عليه.. ولا إضافة إليه.. إذ لا عرس بعد عريس كما يقول المثل.

شاعرنا الإبداعي يأخذنا معه جميعاً من مشهد إلى مشهد.. هذه المرة مع سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.. وإذا به ظمأ قاتل:-

زجرت فؤادي عن هوى من يصده ... فما باله زجري له لا يصده؟

أقربه مني.. أمدُّ له يدي ... ولكن حبال الشوق قسرا تشده

وأمنحه نصحي كلما في الهوى هوى ... لعلي به إن حاد عني أرده

يُمني بوعد كالسراب يظنه ... سيهمي.. فلم يصدق بما ظن وعده

لــه زورق كــم تــاه في بحــر عــشقه فــلا جــزره أحنـــى.. ولا رقّ مــدّه
يــرى ذلــه عــزا لــدى مــن يحبــه ولا ينــثني لــو كــان للجــبن ورده
يــسير بــلا رشــد إلى حتفــه ضــحى ومــن ذا الــذي يهـوى ومـا ضـاع رشـده

الجنون فنون.. ومن جنون الحب أن يكون العاشق سرابيا متمسكاً بأوهام عشقه إلى درجة الجنون.. ومن السراب.. إلى المساءلة:-

تــسائلني: متـــى حــطُّ الرحـــال؟ وهــل تقـضي حياتــك في ارتحــال
اعنــدك مــا يعينــك مــن شـراب وراحلـــــة وزاد واحتمـــــال؟
فقلــت لهــا: أيــا نفــسي دعــيني أكــاد أضـج مــن عمــق الـسؤال
ضــعاف النــاس تــسكرهم حيــاة أحبوهـــا. وجــدُّوا في الوصـــال
ولــو عرفــوا حقيقــة مــا أحبــوا للجّـــوا في نفـــور وانفـــصال
وراحـــوا يطلبـــون لهــم حيـــاة بعيـــدا عـــن تهـــاويم الخيـــال

تهويمات جميلة مع النفس مليئة بالعمق.. وما دام الخطاب مع النفس وددت لو أحل جملة (ضعاف النفس) بدلا من ضعاف الناس.. وكلاهما صحيحة.

فارس رحلتنا لا يعترف بفصول السنة الأربعة.. كل فصولها خريف.. لا صيف، ولا ربيع.. ولا حتى شتاء.. لماذا؟

شـــبح القـــادم القريـــب مخيـــف فلمـــاذا التخـــذيل؟ والتـــسويف؟
قــد ســقينا خمــر الــشعارات حتــى صـار صـارفينا مثـل الـدنيء العفيـف!
طرقـــت بابنــــا خطـــوب وعاثـــت في حمانــــا حـــــوادث، وصـــــروف
فـــإذا بالـــسميع فيهـــا أصـــم ذاهـــل، والبـــصير فيهـــا كفيـــف
وإذا بـــــالثرى جـــــديب تلظـــــى بالزوايـــا.. كــل الفــصول خريــف

حين يأتي العمر بلا ربيع فإنه يتحول إلى خريف ولو كان في ريعان شبابه.. العمر

لا يقاس بالأعمار.. وإنما بالأعمال.. بالإعمار.. وبالكرامة الوطنية

أيها المدعون عزا وفي الوحل جباه قد مُرِّغت.. وأنوف

ما كسانا الهوان إلا ازدواج وصدود عن ديننا، وعزوف

أيها المدعون مهلا فللقادم صوت مجلجل.. ومخيف

نحن سر الضياع حين غدونا بعقول أزرى بها التخريف

بهذا الإيقاع القوي رفع صوته بقوة غاضبا وشاجبا هوان أمته على نفسها وعلى غيرها في لحظة تحول تاريخي لا مكان فيه للقاعدين ولا للمدعين.. يتساءل شاعرنا وقد وضع النقط على الحروف:-

أين لحن الضياء يسري فتنداح شموس يحار فيها الكسوف؟

روض آمالنا ذوى.. وتهاوى للأماني الحسان قصر منيف

قد سئمنا فلا الغناء غناء في ربانا، ولا الحفيف حفيف

كيف للشعر أن يعود كما كان طروبا وقد جفته الطيوف؟

صوته بُح، فاللحون نشاز والمعاني خناجر وسيوف

ومع هذا لم ييأس:-

ربما عاد إن رجعنا إلى الحق وقد وُحدِّت عليه الصفوف

في وضوحه تلمس دلائل صدقه.. وغيرته في سبيل حقه.. لا يخاتل في شعره.. ولا يخادع في مشاعره لأن إيمانه أقوى من أنانيته وسلبيته:-

غير مجد مع الخطوب النواح أنا ماضٍ.. فزمجري يا رياح

لم يعد في يدي الخيار فمن خلفي سهام.. ومن أمامي رماح

ودمي نازف، وليلي طويل كالح الوجه.. والحمى مستباح

كل المشاهد المأساوية من حوله مروعة.. في فلسطين جرح نازف.. وفي العراق دمار، ودماء، وشقاء، وفي أكثر من قطر عربي وإسلامي تدخلات.. ومؤامرات.. ومع هذا يدفعه

يقينه إلى غد أكثر إشراقاً.. فرحم الأمة العربية والإسلامية لم يعقم.. إنه ولاّد:-

أنا ماض.. وإن ظمئت فللحق ... معين من فيضه أمتاح
لست بالخائر الجبان ففي القلب ... سكون، والنفس فيها ارتياح
لكأني أطير إن هبَّ للجنة ... أزكى شذا، ومالي جناح
تشرب الأرض من دمائي فتخضر ... وينمو مع الصلاح الصلاح
أنا ماض.. ولن أكون وحيدا ... ما على الصادق الغيور جُناح
فإذا مت فابعثوني شهيدا ... يدفع المؤمنين حيث الفلاح
واكتبوا بالدماء إني شهيد ... وإلى الله غدوتي والرواح
أمتي حية، ولكن إذا صار ... كثيراً من المراض الصحاح
أنا ماض فاستبشري يا روابي ... إن خلف الدجى يلوح الصباح

بهذه القصيدة الإيمانية الوطنية رفع رايته التي تأبى أن تُنكس.. مخاطبا عالمه.. مذكرا إياه بالماضي المجيد.. إنه صوت حاضر يستحضر في تجاويفه كل مفردات اليقظة.. والنهوض من ربقة السبات.. الديوان ربيعي ربيعي ربيعي لا مكان للخريف فيه لأنه صوت حياة..أقول لشاعرنا عيسى بن علي جرابا وقد طوف بنا عبر ديوانه (ويورق الخريف) لقد أكدت بشعرك ومشاعرك أنك شاعر بكل ما تعنيه هذه الكلمة من دلالة ومعنى.. كنت رفيق درب.. أخذتنا حيث تريد.. وحيث كانت أمنيتنا معك شيقة، وموفقة.. رغم ما تحمله من آهات تحمل أنبل وأجمل ما ننتظره من أمنيات.

الحب للأرض وللإنسان

- عبدالله الجشي
- ٢٣٢ صفحة من القطع المتوسط

الجشي - رحمه الله- أحد رموز الشعر المعاصر في وطننا.. جزالة في الدلالات.. وأصالة في اللفظ.. تجشم في حياته الكثير، وبقي واقفاً شامخاً كنخلات القطيف التي غنى لها.. تعطي جَنْيها.. وتهب ثمرتها للأفواه.. الجامحة إلى الأفضل..

في خطابه الشعري الكثير من الوجدانيات.. والتأمليات.. وأيضا المناسبات.. وكلها جميلة وجديرة بالإشارة إليها.. سأحرص المرور عليها ولكن ضمن وقفات متفاوتة وفق ما تسمح به المساحة المتاحة لهذه الاستراحة.

(الربيع) زهرة عمر يخاف عليه أن يذبل ويتعرى.. لا من ضمه وشمه.. قبل أن يعاجله الخريف.. هكذا تقاطعت الرغبة والخشية في مشاعره:- جاء بوجه فرحاً وحذِراً..

هذا الربيع أتى فاستجل فتنته ... فإنما هو آمال وأوطار

وجذوة من غرام غير خامدة ... يثيرها من شباب الكون إعصار

فباكر الروضة المتناف منتشقا ... فالروضة البكر أنسام وأعطار..

هذا عن فرحه.. ماذا قال عن حذره؟:-

غداً تلُف من الأكمام حلتها ... وتنطوي في ثنايا السحب أقمار

وتخرس الطير حتى لا غناء لها ... كأنما كفنت بالصمت قيثار

ويذبل الزهر في روض الشتاء كما ... تذوي على راحة الأقدار معطار

شاعرنا يريد أن يذكرنا بمقولة الخيام في رباعياته:-

واغنم من الحاضر لذاته ... فليس في طبع الليالي الأمان

يشده البحر بأمواجه واثباجه بقواريه وسفنه.. بسمكه وصدفه.. ولكنه كغيره يخشى من تغير مزاجه.

موجة ترتقي وأخرى تغور — هكذا تبدأ الحياة البحور
أي سر في عمقها يتوارى — أحياة؟ أم ميتة ودثور؟
يعجز الطرف أن يحد مداها — كسماء يكل عنها البصير

ويخاطبها.. والموج خطابها والطوفان.. حسنا أن لا تستجيب فتجيب!

يا بحاراً عاشت قروناً طوالا — لم يحدد آمادها التفكير
أنتِ دنيا تضم لغزاً كبيراً — مثلما تخزن الأماني الصدور
هل تودين أن تُسري إلينا — بعض ما سرّه إليك الدهور

إبحار تأمل يغرق في لج البحار دون أن يلقى الرد له ولغيره من الشعراء الذين وقفوا أمام مشهده مشدوهين مبهورين، منهم كاتب هذه السطور الذي وقف أمامه متسائلا في قصيدة طويلة مطلعها:-

يا بحر مالك كالفجيعة تلطم — وعلى غبار الذكريات تتمتم!
الكون فيك حقيقة أحصيتها — فلمن صداها وسط موجك يرزم؟

نترك البحر لشأنه مبتعدين عنه.. أمامنا التاريخ ونظرة شاعرنا نحوه:-

أبي أيها التاريخ إن كنت غاضبا — على قلة قد زُيفت في الروايات
فإن ملايينا من الناس ضللوا — بما زُعمت أو زُورت من حكايات
إذا المرء لم يعطِ الحقيقة حجمها — فلن يرفد الدنيا بغير النفايات

يا عزيزي.. أصدق ما في التاريخ هو الذي لا يُقال..

(عندما غاب القمر) أو البدر بمعنى أصح تزداد حلكة الليل سواداً:-

في لحظة كئيبة أغفى القمر — وانحسر الضوء. وغابت الصور
وأجهشت خواطر حائرة — لا تدر كيف؟ ومتى فُض السمر

قد نشر الظلام في أشباحه ملامح الرعب وأجراس الخطر

ينتهي شاعرنا الجشي إلى بيت قصيده:-

واحيرة النفوس في كبوتها إن لم تفارقها تهاويل القدر

عقولنا ذاهلة وأعيننا غائمة، وما نحسه صور..

القمر له مساره ومداره يُطل ويختفي كأقدارنا تشكل حياتنا بين لحظة حضور ولحظة غياب لا مناص منهما.. اليقين وحده هو القمر الذي لا غياب له.. (حلم) مقطوعة تمتزج بالخيال فيه الصباح (بشمسه) وفيه الحب بيومه وأمسه كلاهما خاطرة أمنية جسدها في رباعيته..:-

يا ليتني كالعطر يطوى كلما ذوت الزهور يا ليتني كالنور يُحسر كلما اختفت البدور

يا ليتني كاللحن يفنى كلما غفت الطيور يا ليتني.. يا ليت لو مسحت جراحي. ليتني

لماذا اللحن يغنى يا عزيزي.. دعه يشدو آخذاً دوره في الحلم.. ثم ليت التمني.. إنها خاطرة عجز.. ليت وهل تنفع شيئاً ليت؟!

(مرارة الإخفاق) أجتزئ منها هذه الأبيات وقد أحس بغربته بعيداً عن رفاقه:-

فجِّري ياعواطفي أشواقي وأسعديني بباقة من رفاق

ما الفراديس دونهم بفراديس ولا العطر طيب استنشاق

كلما خلت أن كفي أثرت برفيق أحسست بالإخفاق

قبلك يا صاحبنا من قال (جنة بلا ناس ما تنداس)..

شاعرنا يهرب من حزن إلى آخر أشد منه وقعاً ووجعاً أشبه بالمستجير من الرمضاء بالنار..:

وأهرب من حزن لحزن يفوقه كما يهرب الظمآن للفلوات

يخطط بعض الناس مسرى حياته وألقي عناني بين كف عداتي

كأن حياتي من سواي معارة وعيبي أني قد أعرت حياتي

بيدك لا بيد عمرو استعادة وديعتك، أنت إذاً الملوم في عجزك.. ومن العتب إلى الحب المشبوب في داخله:-

قد زرعت الحب في أعماقها ... قبل عقدين فكان الزمن
ونثرت الأنجم الزهر على ... عينها النشوى فكان الوطن
كم رشفت السحر من مقلتها ... ففؤادي بهواها مدمن

أنبل أنواع الإدمان إدمان الحب رغم مضاعفاته التي قد تسوق إلى الجنون.. والغيرة.. وكلاهما قاتل..

ومع عروسة البلقان المفجوعة والموجوعة كوطنها يقول:

أعروسة البلقان كم نزفت ... منكِ الدماء.. وجفت الجذر
كل الجنائن فيكِ خاوية ... قُتل الربيع بهن والزهر
قد شوهت منها الذرى وذوى ... من قصفهم فردوسها النضر
وتجمد الدم فوق تربتها ... مثل العقيق وعندم الشجر
سفكوا دماء الناصري فلا ... عجب إذا دم قدسنا هدروا

في كلتا الحالتين ما زالت البوسنة والهرسك في مهب الريح تحت الوصاية.. وما زالت القدس تجوسها الأقدام الهمجية، تهودها وتشرد بنيها على مرأى من العالم ومسمع.. الإسلام لا يحبه خصوم السلام.. وهنا تكمن المأساة.

في أغنية عشقه لوطنه جاءت هذه المقاطع الجميلة:

سلام على هضبات الحجاز.. ... تشمخ كالأنسر الطائرة
و(نجد) وآرامها والصبا ... وعزة أمجادها الغابرة
سلام على سعفات القطيف ... وشطآنها الحلوة الزاهرة
وجنات أحبابنا (بالهفوف) ... ونيران (ظهراننا) الهادرة

كل حبة تراب في وطنه أهدى لها السلام مشتاقاً من شغاف قلبه.. الشوق للوطن ذروة

الأشواق وأبقاها في النفس..

مشهد غمامة تترقرق.. أوحى إليه بهذه الصورة الرومانسية:-

قولي لثغرك أن يزيح سواده عن ناظري لأرى عيونكِ تشرق

وترفقي عند العناق فلفتة من ساعديك بها السماء تطوق

إني لأظمأ للسعادة لحظة فأراك مثل غمامة تترقرق

لا تبعدي عني فقلبي تائه حتى أراكِ حقيقة تتألق

عطش الروح كعطش الفم كلاهما دافعه إحساس بالظمأ.. الروح وجود حين تروى.. والجسد مطية حين يُبل الصدى وينتصر على ظمئه..

ولجبل التوباد غنى:-

كنتَ طيفاً ألقاً في خاطري منذ أن صرت فتيا يفعا

لم تكن ليلى وقيس حلما بل حبيبين لديك اجتمعا

جبل التوباد حدث عنهما (رب ذكرى وصلت ما انقطعا)

يولد التاريخ في أذهاننا عندما نذكر منه الأربُعا

مقفراً كنت ولكن بهما صرت روضا للهوى منتجعا

الجبل في طبيعته الصخرية يتحول إلى مرج في خاطرة الشعراء عندما يرتبط بذكريات عشق خالد.. أو مشهد تاريخ كبير..

في مقطوعة قصيرة اختصر مساحة عمره:-

لو ظل عقلي طفلا لكنت أسعد حالا

لكن كبرت فصار الرضا لدي محالا

لا المال أغنى طموحي ولا التوجس زالا

ولا الهوى هز روحي فصار حبي دلالا

ماذا أبقيت لنا يا شاعرنا من عمرك؟! نعم الطفولة بعقلها المحدود هي الأسعد..

إلا أن الحياة تكبر ونكبر معها.. وتكبر المشاغل والمشاكل معنا ومع الحياة.. لا مكان للطفولة والأمنيات التي قال عنها شاعرنا القديم:-

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا ... إلى الآن لم نكبر.. ولم تكبر البهم

مدرجة الرسالات.. الوطن الذي هام في حبه:-

بلادي مصنع التاريخ والمدينة الزهراء
تلاقى العلم والفن بها والجد والإثراء
هنالك أمة تنشى وثمَّ مفكّرٌ بنَّاء
مدائن صالح، والخط والبطحاء والأحساء
نجوم في سماء المجد تمنح أفقه الآلاء

جابَ وطنه فكرا، واستغرقه شعرا.. حقلا، وسهلا، وجبلا، ونخلا، وأثلا، وإبلا.. ورجلا، وأملا كلها طوَّف بها ورصدها في ذاكرته الشعرية..

شاعرنا عاش للحرف وفي الحرف، وبالحرف نطق:-

عشت في الحرف كما ... عاشت أساطير وحكمه
آه لو جددت نفسي ... في غدٍ أجهل رسمه
فيه آمال وأحلام ... وضيئات لأمة
أملي أن تُزرع الحكمة ... في سفح وقمه..

من عاش بأمل الحياة يلقَ الحياة.. لا مكان للقنوط.. كما لا مكان للتشاؤم.. الحياة محصلة عمل الإنسان وحده هو الذي يسعى إلى تحصيله بجهده وجده واجتهاده.. لا مكان للقاعدين أوالمتقاعدين..

الجشي أعادنا جميعاً معه إلى مراتع صبوته وذكريات صباه:-

قال: قم معي إلى البحر نلعب ... لعبة الصيد، والهوى، والشراع
ونبث الأنغام مثل العصافير ... على غصن سدرة، أو يفاع

مَن يكون هذا القائل.. أو هذه القائلة..؟ إنها:-

صبية كالورود لم يتفتق ... عنهمو برعم طري القناع
يحبون الحياة لهوا وإيقاعا ... ورقصا في مسرح الإبداع..

مسرح الإبداع غير مسرح الابتداع.. تبدو فيه المشاهد مختلفة.. والشواهد متباينة.. الرقص فيها نغم له إيقاع حياة وصوت حنين:-

يا ضفاف الخليج كم ذكريات ... لك في خاطري وفي وجداني
كم تمنيت لو تسيل القوافي ... في لساني، وترتوي من بياني
لزرعت الشطآن من أغنياتي ... ومنحت الأصداف أغلى الجمان
وسقيت النخيل أحلى رحيق ... عشقته (دلمون) من أزمان

كل هذا العشق لوطنه باعثه البعاد.. وبعد أن عاد عاد معه الحلم.. وتحركت عسبان النخيل تخاطبه بصوت صامت ولكنه مقروء..

وفي رثائيته لشقيقته الوحيدة كان له وفاء وشوق.. وشوك..

أختاه هل في الغابرين مغيب ... يشتاق يوما للحبيب ويذكر
واقسوة الأمل الشهيد وادمع ... لم يبق منها قطرة تستقطر
إن الدموع كثيرة في عمرنا ... ومصبها هذا الفراق المبكر

وأخيراً مع عذويات شاعرنا وعذاباته نتوقف أمامه أمام محطة ندمه:-

لم يبق لي في العيش ما يغري ... قد ضاع عمري وانطوى فجري
كان الشباب يمد في حدقي ... شبه العمى الوردي يستضري
نشوان من وله الهوى طربا ... وكأنني اقتاد للأسر
كالنسر يُنتف من قوادمه ... ما كان قبل يشد من إصري
لم يحتقب عمري سوى أسفٍ ... ينساب مثل النار في صدري

لا شيء يا شاعرنا يحملك على الندم.. إنها سنة الحياة، وطبيعة الأشياء، لا زهرة دون

ذبول.. ولا عمر دون أفول.. ولا ربيع دون خريف.. لستَ وحدك في هذه المعادلة كلنا نقضيها بقضاء لا مرد له.. أما أنت فقد بحت لنا بفكرك حيث لا ندم:-

لـــو تنفـــع المقتـــول حـــشرجة ... لـضممت حـــشرجتي إلى صـــدري

إنـــي أحـــن لميتـــة طمحـــت ... طمـــح الـــشهيد لـــوافر الأجـــر

لا تقربـــوا نعـــشي إذا اعتـــصرت ... روحـــي المنيـــة.. وارجمـــوا قـــبري

أتوســـل الأحـــلام لـــو عرفـــت ... قـــدري.. إذا مـــا حـــزت مـــن قـــدر

يـــا ليـــت لـــو لم ترتجـــف شـــفتي ... يومـــا.. فأنـــشد تافـــه الـــشعر

ما هذا الذي تقوله؟ بناء لبناته خلجات شعر حي لا يمكن تقويضه حتى ولو أردت.. حتى ولو أعطيت له صفة التفاهة.. التافهون هم المكابرون الذين لا يعترفون بتفاهة وضحالة أفكارهم.. قسوتك على نفسك تجاوزت طاقة حسك يا شاعرنا الإبداعي..

لـــو عـــاد إنـــسان لمولـــده ... لبـــدأت تفكـــيري مـــن الـــصفر

هكذا تقول.. وأقول لك ماذا ستعطي أفضل مما أعطيت، الإنسان رسالة حياة.. ولقد كتبت رسالتك كوصية حياة فيها الاعتذار. وفيها الندم.. وفيها ما هو أهم.. فكر متجدد.. وروح تندفع مع رياح العمر.. لها أكثر من وقفة.. وأكثر من موقف عشناه معك دون ملل.. الشعر خاطرة مجنحة لها ابتسامة ودمعة عشتَها بشتى الوجهين وهذا يكفي شهادة بأنك شاعر واقعية لا تأخذه المتاهات دون عودة إلى الحياة.

ليرحمك الله أبا قطيف ويمامة

أغصان تتلظى

- يحيى صديق حكمي
- ١٢٤ صفحة من القطع المتوسط

لا شك أن أغصانه تتوهج من لهب شيء ما.. الحب مثلاً.. الحرب مثلاً.. الهجر مثلاً.. الاغتراب مثلاً. أشياء كثيرة تدفع بأشجار العمر لأن تكون حامية كالنار.. كاوية كالجمر.. لن يكون الحكم مسبقاً ما لم نذق جميعاً طعم حرارتها أو مرارتها.. يبدو للوهلة الأولى أن خصومة بينه وبين شعره ساقته إلى الفراق.. لماذا؟!

تنأى فينأى الهوى عني واغترب ... لما تفارقني - يا شعر - اغترب
أراك عاشقة أبدت لعاشقها ... جمالها فغدا يبدو ويغترب..

هنا جماليات الشعر المتحرك الذي يأبى الركود.. والركون إلى وتيرة واحدة.. ماذا يرى بأخيلته مضارب هوى شعره؟ يراه نفحة غيث.. يراه النخيل.. يراه التخيل.. يراه خيمة وجد.. يراه.. ويراه..

ما كنت تقسو وفي كفيك ساقية ... من الحنان.. وما أزري بك الغضب
ومنك حبر الندى يضفي بأحرفه ... دمعاً تسلت به - لو تُنطق - الهدب
تكون - يا شعر- نوراً يستضيء به ... أهل الهوى.. وأنا - يا شعري- الحطب

الشعر الحطب يا شاعرنا هو الذي يؤجج النار والوهج. والدخان. والدماء.. دون حطب لا نار ولا احتراق ولا يحزنون.

(غضبة الورد الأحمر) لا أدري هل يتميز عن غيره من أنواع الورد..؟ أم أنه ورد له دلالة خاصة توحي بموقف ما..

اتركيني يا قبلة الحس مما ... يعتريني من حسنك المقهور
وزعيني ما شئت. ها هو قلبي ... لم يعد في كياني المنثور

أنتِ عطر الآفاق شمسك غيما … يتندى. رقت إليه صخوري

كلما هزني الفراق تجلى … لي أنين الحنين نفحة نور

هكذا عذابات الحب الواله.. تتحول إلى عذوبات يستطعمها المذاق بشوق حتى ولو كان لها وخز الأشواك:-

أنا أخشى أن يزرع الريح شوكاً … في طريق المحبة المأسور

الخشية واجبة يا عزيزي.. وبالذات حين يطل الهجر بوساوسه:-

ليس لي الهجر يا أميرة قلبي … أنتِ أدرى بالحالم المسعور

شاعرنا موله بعشقه حتى هامة رأسه.. قصائده (لهب وبوح).. تبوح بمكنونات نفسه المتيمة و(بقايا عذاب) تغالبه لحظة صمت:-

يا منى الروح إنما الصمت ليل … ورفيف العتاب أندى خليلا

فامنحيني هواطل العتب حتى … لا تواري النفوس شيئاً دخيلا

وبشيء من التمرد تكون له وقفة:-

لفظت أحرفي الخنوع وافضت … للتجلي حرفاً أنيقاً نبيلا

الخنوع في الحب يعني الركون إلى الفشل.

(شموع تورق الأسى) لها نفس المذاق. نفس اللون. نفس الرائحة.. ونفس النهاية.. تلخصها هذه الأبيات:-

حلفت لها أن الهوى شحه النوى … وان الغرام الصب في روحيَ ارتجا

وان رؤى الأشواق قد شاخ دلها … وان شعاع العشق في زمني ضحا

فما اتضحت الا مكوثاً.. كأنما … دمي قد غدا للحزن والأرق الملحا

هذا هو الشعر الواله.. إنه كالحب المتحرك في قربه وبعده.. تحسه.. ولا تلمسه إلا نادراً حين تتبلد الأشواق وتتجمد لهفة العناق..

حتى (أهازيج) العنوان الذي تلمست فيه الفرحة انتهى كغيره نهاية مأساوية

يتحدث عنها شاعرنا بنبرة أسى وحزن:-

فلم ألق غير الصد صبّ لي الأسى   كؤوسا وأجرى في جوانحيَ البلوى

ليت ان شاعرنا أعطى لنا فرحة حب لا تتحول إلى قرحة عتب ولا غضب.. ولكن ماذا بيدنا جميعاً وقد أمسك بخيوط الشراع يحركها يمنة ويسرة كما يطيب له.. نحن مسيرون لا مخيرون.. من يدري فقد يمنحنا الحظ لحظة راحة واستراحة من الحب وشجونه وجنونه:-

(أنتِ يا عاذلتي) ماذا له؟ وماذا عليها أو لها..؟! :-

أنا من دونكِ أبقى في سفوح اليأس..

هل ستنتشله من السفح إلى أعلى دون يأس؟ وهو يغازلها بكل أدبيات الشوق.. (أنت روحي).. (أنت أحلامي).. (أنت مقلتي).. (أنت غيثي).. خطاب مليء ومشحون بالمشاعر انتهى إلى مجرد أمنية:-

ليتنا نرحل يا موارة الأشواق للعشق

للأنسام الرضى.. نرحل للحب على متن حنان

التمني لا يصنع معجزات.. دائماً يعوقها.. لأنه لغة عجز..

(لا تعذلي شفقا) هكذا اصطفى العنوان.. فهل من جديد؟!

صوغي من الحب ما يحلو من الطرب   فالهم قرّب نائي الوجد من تعبي

وارو الحشا من تباريح الهوى فأنا   معتّق الحزن.. قد كُفنتُ في كُربي

شهادة حق قلتها بنفسك عن نفسك كلنا شهود عليها.. فمن دعاء.. إلى نداء.. إلى رجاء.. إلى عناء.. هل ستنجلي غمامة الشكوى؟! أرجو..

ليلاي اني كسرت النفس في وله   معطر.. بالإباء الغض مختضب

ليته بالإباء البض لا الغض لكان أقرب إلى الفأل:-

عرفت أن حياتي نار أسئلة   تبعثرت.. والجواب المر في الحطب

مؤشر لدخان سيتصاعد عما قريب إن لم تُحسن من موقفها نحوه:-

فاستلهمي من سفير الحب أمزجة ... تزيل ما قد جرى في الروح من وصب

يطيب جرحي إذا داويته. وإذا ... تنأين عني فإن الجرح لم يطب..

لمحتُ فيكِ المنى يسري توهجه ... في منتهى العطف ما عابت ولم تعب

وبكل توصيف مرهف الكلمات:-

عشقي كما الطفل يهوى ماء رابية ... براءة العشق ثوب الطهر. عشق صبي

وما زال الأمل باقياً دون نهاية:-

(فراق عند اهتزاز النور) عنوان:-

طيوف الأماني ليس بَعد الهوى بُعد ... أفيئي فدرب الحب ليس له حد

وصوغي من الأغصان قيثار شاعر ... ليهنأ للطير المعذب أن يشدو

كل هذا جميل ورائع:-

بدونك لا يحيا الهوى في ربوعنا ... كما الجيد لا يزدان من دونه العقد

ويبدأ المشهد الوصفي يتلاحق.. إنها الغيمة.. يسترجع إلى الذاكرة قصص العشق والعاشقات والمعشوقات (ليلى) و(سلمى) و(دعد) و(هند).. وينتهي شهريار في الصباح عند الكلام المباح..

(الجوزاء).. تلك النجمة التي تبرق في السماء.. لجأ إليها شاعرنا بعد أن ضاق ذرعاً بنجمات الأرض..:-

حدثيني يا طلعة الجوزاء ... عن شرودي في وجهك المتنائي؟

قد يعاني العشاق من ليل بُعد ... وأعاني من لفحة اللأواء؟!

كيف يحيا الفؤاد والليل داج ... ونهار ابتهاجنا في انزواء؟!

ويدير رأسه إلى الحزن بعد جوزائه التي بثها شجونه وشؤونه.. الحزن الذي بداخله ارتضاه خصما وحكما:-

أيها الحزن قد رضيتك حلاً ... مذ رضيت العنا مع الشعراء

وطرح في محكمة الحزن شواهده وشهاداته.. الحكم حتى هذه اللحظة لم يصدر له.. أو عليه.. هكذا تبدو الأمور معلقة..

(غيمة ود) وعتاب منها وجواب منه:-

تعاتبني والقلب يسلو ويرفق ... وتجفو عن اللقيا. فأحنو وأشفق

أقول: أهذا البُعد يشفيك غلة ... وأمواج حزني في الحنايا تدفق

أيسليك يا روح المنى أن بيننا ... من البُعد ما يغري حناني ويحرق؟

كل هذا الخطاب الخطب في قاموس الحب قرأناه لشاعرنا ومن شاعرنا المجيد يحيى حكمي.. إلا أن الذي لم نقرأه ولو مرة واحدة خطاب عروسة شعره الحاضرة بطيوفها.. الغائبة بحضورها.. الشكوى لشاعرنا تنتهي إلى مجرد صدى لصوته تختزل الفكرة قبل أن تكتمل:-

كأنشودة تاهت مع الريح بعدما ... تغنى بها السمار - دهرا - وصفقوا

(غيهب الأبد). و(وحدي). (الغور). و(وهم في نوارة الذات) محطات مذاقها كسابقاتها حلاوته في مرارته.. لأنه بلغة الشعر إبحار في بحر المعاناة ليس من الضرورة أن تجني الأصداف.. يكفي أن توصفها دون أن تقترب منها.

(عنان شوق) عنوان محطة جديدة تصدح بالمناجاة:-

سطري من لحاظك الولهانه ... قصة الحب ديمانة هتانه

إن تندى من فيك سعف حياء ... فالمزايا كروضة مزدانه

بتُّ ألوي عنان شوق عميق ... وليَ العشق بات يلوي عنانه

شاعرنا يطارد الحب ويطارده الحب دون أن يكل أو يمل لقد وجد فيه هوايته وهويته.. إنه يطبطب على أكتاف وجدانه ووجدانها معا:-

يا لحاظا يلفها السهد رقي ... لخلي سلبت منه اتزانه

واقرئي الشوق. لملمي كل طيف ... في مراياه.. أطفئي نيرانه

في كل مرة تطل نيران وجده مشتعلة دون اطفاء.. ودون انطفاء.. وتلك مشكلته المزمنة.

هذه المرة عشقه لحسناء اسمها جازان:-

جازان نهر الحب دفاق ... فيك الدنا عطر واشراق
العشق موالك يا جنة ... في روضها.. ألكل عشاق
قصيدة أنت نَمَت في دمي ... حروفها عهد وميثاق
أهيم في لثمك. هذا أنا ... يمور من ليلاي إرهاق
على ذراعيك أرتمي شاهق ... مسطر.. حبر وأوراق
أنتِ المنى جازان يشتد في ... نجواكِ إرعاد وابراق

على وقع هذا الإيقاع الجميل غنى لمدينته.. وتغنى بها.. عانق البحر. والساحل.. والجبل الرائع.. وخضرة النماء. حسنا فعل.. وإذا كان غنى لمدينته فإن دائرة شدو اتسعت ساحتها ومساحتها نحو وطنه المترامي الأطراف.

يرسو على ضفتيه الحب. والأمل ... وفي حناياه يهمي الغائم الهطل
أرض له تسكب الذكرى معطرة ... تفيض من فجرها الأنوار والشعل
يا موطني أنشد التاريخ أغنية ... رضابها ما حواه الوصف والغزل
ملأت قافية الإقدام ملحمة ... تحار عن سردها الألفاظ والجُمل

إلى أن يقول:-

فيك ارتقت راية الإسلام وارتفعت ... فوق الذرى. وتهاوى الزيف والدجل
وقمت في يدك التوحيد ترسله ... معلماً.. وبه للمرتقى تصلُ..
يا موطني يا رياض الخير يأسرني ... فيك الهوى فتغني للهوى القبل

أعطى شاعرنا الإبداعي كل ما في قلبه من نبض.. وكل ما في عقله في إيحاء وهو يترسم وجه وطنه.. ومعالم وطنه. وملامح أهله وقومه.. كان رائعاً.. ووفياً.. ولم ينس

(الرياض) قلب وطنه خصها وهي البكر بأخرى لا تقل عن سابقتها في دلالاتها ومجالاتها..

هنا في (الرياض) البكر ولهى تنهدت مسافاتها. عشق التحلي تنهدا
تعطرت الدنيا لها.. ينشر الرؤى تفردُها.. والشيح منها تفردا
على رقصات النور يختال جيدها جمالاً.. أفدّي جيدها لو همى الردى
هنا قلّد التاريخ للأرض مجده هنا زمن الكثبان غنى وأنشدا
هنا عرف الإلهام أغرودة النهى فغنتها حرفاً.. غراماً معمدا..

بوركت يا شاعرنا الأصيل بشعره.. الجميل بمشاعره.. أخرجتنا من دائرة العشق المغلقة إلى فضاءات الحب المطلقة تحلق بك ومعك في رحاب وطن هو في دواخلنا سكن. ومثوى. ومأوى. وتاريخ.

(لحون المساء) مشهد حياتي له أكثر من وجه.. وأكثر من تقاسيم.. أشبه بالتأملات الحياتية الموجعة:-

غار في صمته العصيب البيان وتهادى من الأسى التبيان
ما ارتوت أحرف القصيد مناها في رؤى اللحن ماجت الألحان
وازدهار الربيع امحل فيه الروض فيح مؤجج ودخان
والعصافير لم تجد عشها الحاني لتأوي.. عاشت به الغربان
واليتامى قوافل وقطار الخو ف يجري على ثراه الهوان

على هذا النسق من الشكوى جاءت نظرة شاعرنا إلى عالمه المسكون بأوجاع رمادية قاتمة..

كيف تزهو الحياة والكفر ضار يتمطى يرغي له الطغيان
يا لحون المساء ثوري فإنا أمة في حقوقها تستهان

هنا وضع يده على الجرح النازف.. عزف له في حيرة وحسرة.. لعل صرخة إيقاظ منه

تفتح منافذ البصر والبصيرة المغلقة.

شذبتها شدائد الدهر حتى ... لم يعد للوجود فيها مكان
ينبري للحلول فيها غوي ... كيف يهدي حلولها افعوان؟

(ترانيم لأمتي) خطاب آخر له نفس الوجه والتوجه.. يذكر بالماضي.. ويستفز الحاضر.. ويتطلع إلى المستقبل بشيء من الفأل المشوب بالحذر.

اصنعي يا سلالة المجد مجداً ... يتحدى قوافل الإرهاب
وابعثي من حجارة القدس بركا ... ن فداء. في عزة. وارتقاب
من دموع المأساة يبُعث نصر ... ان رجعنا لربنا الوهاب

(لا. يا قيود) مقطوعته قبل الأخيرة اجتزئ منها بعض الأبيات المعبرة.

ألا أيها الزمن المر شاهدت ... لفح الأسى في السنابل
تراءيت نمنمة الشيح تجتر من ... هوجة الريح وسط الجداول
رأيت اللظى تجرف الروح.. حرفا ... فلا أغصن تعزف الناي.

تخضر شوقاً.. ولا نسمة من ندي الخمائل
ولكنني (الوعد) لي رجعة اغرس البدر رغم الغوائل

أخيراً يلف شاعرنا رداء الغربة.. فيتسربل بالحنين والأنين على إيقاع وتر القيثار الحزين..

تغيب شخوص الحب عمن أحبها ... وليس يغيب الهم عنها ولا الذكر
ومهما صدور العاشقين تفرقت ... فقد يجمع العشاقَ في مقة صدر

همّ شاعرنا إنساني يتجاوز حدود الجغرافيا والديموغرافيا الضيقة.. مشهد الاغتراب لديه ضياع وطن.. تشرد شعب.. ومأساة أمة..:-

سواي الذي قد أرضع البعد والنوى ... فقسمي بها التهجير. والمسلك الوعر
وقسمي بها أن لا أشم هواءها ... وحالي بها التغريب. والخوف. والأسر

ويرنو ببصره إلى الأرض السليبة عن يمينه وعن شماله ليشهد الملامح الحزينة تشكل صورة مأساوية لوطن مستباح:-

ولكنني والقدس عشقان عشنا ربى (المسجد الأقصى) بذا نطق الدهر
عشقت بها الأغصان لما تفتحت براعمها فانسل من جوفها الزهر
عشقت بها الزيتون رمزاً لقامة على الجمر ما تفنى ولو مضها الجمر
لأني شممت العطر في أفق أرضها متى يا ترى ينزاح من مسه العطر
هو البين يا قدساه مرت صروفه على كبدي.. أواه لو يجبر الكسر

ويروح الفداء يرتفع صوت النداء جسوراً كالعاصفة.. جديراً كالفتح.. قويا كالجهاد الذي لا يخشى الموت:-

إذا عز في دار المنايا لقاؤنا ولم ألثم المغنى. فأرضك لي قبر

يا رفيق الرحلة.. يحيى حكمي في شعرك حياة وحكمة.. لولا نهايات شعرك الوجداني التي أصابتنا معك بالإحباط.. ولا واحدة منها كان لها نهاية فرح.. الحب ليس كل مآسيه تستدعي المواساة.. فيه ما ينبت الحقل.. وفيه ما يجتث حصاد الحقل.. إنه أمل.. وألم.. إنه بداية ونهاية.. أكثر من فصل.. صيف وربيع وشتاء وخريف.. وما أعطيته من حب شتوي يحتاج إلى دفء أنت القادر على ضخه بمقدرتك الشعرية المتميزة.

ملحمة فلسطين

- د. عدنان علي النحوي
- ١٨٢ صفحة من القطع المتوسط

آه يا فلسطين.. كم كتب عنكِ الشعراء.. وكتب عنكِ آخرون.. وبقيتِ رهن قيدك سجينة احتلال.. ورهينة إذلال بيد أشد الخلق شراسة.. واحطهم سياسة.. وعنصرية.. فلسطين الأرض تستعبد.. وفلسطين الشعب يُضطهد يُقتل ويُشرد.. وفلسطين الماء يُصادر ويجفف.. وفلسطين الزيتون يقتلع بمناجل الآلة المتوحشة.. أعرف أنكِ لن تغفرين لنا.. وأشعر أن لا أحد يرفع عنكِ كربا سوى بنيكِ.. خشيتي عليهم من وباء الوهم الذي توعدون به.. أن يغدر الزمن فيضيع ما تبقى منك تحت مطرقة الوعيد، والتهديد.. والوعود الكاذبة.. (ربى الأقصى) أول نشيد لشاعرنا النحوي:-

رويـــدك قـــم وقاسمنـــا الأنينـــا　　هلـــمَّ ودع جهالـــة جاهلينـــا
ودع عنـــك الغوايـــة واطرحهـــا　　ودع فتنـــا أثـــرن بـــك الفتونـــا
فمـــا خـــبر الكواعـــب.. والغـــواني　　إذا ملـــن الـــشمال أو اليمينـــا

ولِمنْ يعتب.. والعتب وحده لا يحل قضية يتحدث الشاعر:-

تقـــول لعاتـــب: مهـــلا فـــإني　　أصـــارع تـــارة وألـــين حينـــا

هدنة.. يعقبها انتفاضة.. وانتفاضة تلي هدنة، وغدر الاحتلال لا يتوقف.. يزرع المستعمرات الجديدة.. يقضم الأرض.. يبني الجدار العنصري العازل.. يملأ السجون.. والعيون مطبقة يستغرقها سباتها.. والأفواه صامتة يلجمها لجامها:- والملاهي تضج صخباً بروادها

رويـــدك دع هـــوى دعـــد وهنـــد　　وهُـــبَّ وانجـــد الطلـــل الحزينـــا

ربى الأقصى فديتك من جراح … حملت على الزمان بها الشجونا
مرابع كلما مرَّت عليها … عصور طأطأت وحنت جبينا

التذكير بالماضي بمجرد أحاجي لا يشفع ولا ينفع ما لم يجدد عزيمة الحاضر ومضائه مستفزاً ودافعاً للتغيير، والتحرير، شاعرنا في ملحمته بين كلام يطرحه.. واصغاء يجرحه

وأصغي عل أصداء الليالي … تُعيد خطى سراة الأولينا
وأصغي فالضجيج علا وأدمى … لهات الضائعين الحائرين
ضجيج الجاهلين إذا استذلوا … وأهواء العتاة الظالمين

إنه يتوجع حيث يكون الوجع:-

يموت بها صدى حلمي ويبقى … على الأشلاء همس الصابرينا

حتى مذاق الصبر مُرٌّ.. لأنه صوت انتظار مسكون بالعجز وانتظار المعجزة.. ومع هذا ما برحت بارقة بين عينيه تسلمه إلى الحلم..

سينفجر الصدى يوماً ويطوي … على أمواجه المتجبرينا
وينحسر الضجيج على سنان … رجعن على تلاحمها الرنينا

ربى الأقصى لا يغيب عن باله لحظة واحدة.. إنه يحاوره.. ويناوره لعل وعسى:-

ربى الأقصى فديتك اي طيف … ألمَّ ولم يكن ضيفا حنونا؟
خطى موسى على ثبج الصحارى … تشق عن الرمال هوى دفينا
هوى تتفتح الأكمام منه … وتنفح من بشائره اليقينا

هكذا الشعراء في شعرهم صراع بين البؤس والأمل.. يستشرف هذا تارة.. ويستشرف ذاك أخرى.. تارة يحط بشعره على غصن مياد.. وأخرى فوق فوهة برهان يكاد ينفجر.. هو لا يدري ماذا يأخذ.. وماذا يعطي.. إنه حائر.

يعود إلى يقينه متسلحاً بإيمانه لعل فيه الفرج والمخرج مما هو فيه:-

الستِ على هدى الإسلام نايا ... يرجع فيك آيات ودينا ؟
جمعتِ بسيد الرسل الأماني ... وبالقرآن ذكرا مستبينا
وشعَّت كل رابية وفضت ... على لألائها الكنز الدفينا

ويلتفت إلى المحتلين اليهود وفي فمه غضبة وغصة:-

فواعجبا لمن مسخوا قرودا ... جزاء الكافرين المعتدينا
ومن عبدوا على الأهواء عجلا ... على دنس الضلالة مبلسينا
فَشَمَّ عموا، وصموا، واستحلوا ... دماء الأنبياء المقسطينا

(فَشمَّ) كلمة غير مفهومة ولا واضحة لعله يعني بها (فَهم)

وما تركوا على الأيام شرا ... وما حفظوا لعهدهمو يمينا
أيزعم هؤلاء إليكِ قربى؟! ... ربى الأقصى برئتِ، وطبتِ دينا

مزاعمهم يا شاعرنا لا تقف عند حد.. وحدود مطامعهم مفتوحة إلى الأبد.. كل آثار العالم يدَّعون بناءها.. وكل حضارات العالم هي من صُنع أيديهم!!.. حتى شؤون العالم.. شؤون شعوب العالم البعيدة عنهم والقريبة يحشرون أنوفهم فيها.. يتجسسون.. ويتحسسون، ويثيرون الفتنة والخلاف هذا ديدنهم.. فهم يملكون المال.. ويمتلكون خبث الذكاء.. وفطنة الخديعة.. يساعدهم عالم يقاسمهم المصالح.. وحب السيطرة. ويقنت شاعرنا أخيراً ماداً يديه نحو السماء:-

إلهي أين أبنائي، وقومي؟ ... ومن رفعوا على شرف حصونا؟
مشاعلها من الإيمان وَقْد ... أضاءوا دونها الدرب الأمينا
سأنتظر الليالي، لا أبالي ... لألقى فيهم النصر المبينا
يظل هدى من الإسراء عهدا ... يحرّك بين أضلعنا الحنينا..

ونحن جميعاً معك في صالة الانتظار.. المهم ألا يتحرك القطار بدوننا فنصير.. ونسير إلى أسوأ مصير..

من فلسطين الذبيحة.. إلى لبنان الجريحة التي طالها غول الغدر الماروني بداية من مجزرة تل الزعتر..

مخيم التل كم وشَّيت ناحبة وكم نثرت على الاطلال من زهر
تنفس الصبح والآمال زاهرة تفتحت عن شباب زاهر عطر
وعيته زمنا في ظل حانية من الضلوع وشوق بالمنى خضر

كان يرسمه وهو معافى لوحة وفاق وحب.. وسلام قبل نتفض عاصفة الكراهية فتقتلع مخيمه واحداً بعد الآخر طعمة لصواريخ وقذائف العدوان.. وتغيرت الصورة بعد أن اشتعلت النيران.. ورقص الشيطان..

تفجر الحقد أهوالا مدمرة تمور احشاءها مورا على سُعر
تلقي به حمما سوداء قاتمة وتنجلي عن لظى في الدار مستعر
يطوي النهار ليالٍ من دواكنها ومن سواد على الآفاق منتشر
واطبقت لجج الأحقاد وانتشرت تقيم حولك من سُور ومن جُذر

هذا عن التل.. فماذا عن أهل التل؟! :-

أراعكَ الطفل لم تدفع براءته ولا ابتسامته وحشا من البشر؟!
جرى ليلقاه مغترا بطلعته يظنه جاره للمأزق الخطر
عمَّاه ما لمست أطراف مرحمة ولا حنان قريب أو اخي حضر
فحزه ورمى الاشلاء واختلطت مع ابتسامته أصداء محتضر

هذا مشهد:-

أم الصبايا إذا هبت أو ابتدرت عزاءها في ظلال الحسن والخضر
أم الثكالى وقد ألقت على غصص افلاذها فتلقت غصة الخبر
أم اليتامى على حد الظبا انتشرت أشلاؤها قطعا موصولة الصور

صبرا فتى التل كم اطبقت من هدب ... علـى شـهي المنـى في دربـك الـوعر
حتـى جلـوت علـى الميـدان صـورتها ... نديـة الـذكر أو مخـضلة العمـر

ومشهد ثالث:-

كتائـب الغـدر لا روِّيـت حاقـدة ... مـن النفوس ولا اشبعت مـن نظـر
أمامـك التـل روَّى مـن مـشاهده ... طَرْفـا يعُـدْ خاسئا بالعار والكدر

ومشهد رابع:-

صفائح الزنك كم افنيتِ قنبلة ... وكم أبيتِ على الأحداث والغير
نـشرتِ مـن ظلـك الممتـد أجنحـة ... تـضم شـاردة الآمـال والأثـر
شبابك الصيد اغنتهم خيامهموا ... عـن القـصور وعـن لهـو وعـن سمـر

بسواعد شبابه عاد التل من جديد ينبت الزعتر.. ويثبت أقدامه:-

نهـضت يـا تـل فـانقضَّ الظـلام علـى ... كواكـب نثرتهـا هالـة القمـر
قالوا: سقطت! أو استسلمت ما صدقوا ... وانـتَ لؤلـؤة الأمجـاد والظفـر
نلـت الـذي رمتـه بـل حزتـه شـرفا ... علـى علـو الـذي ترجـو مـن القـدر

من الزعتر الذي فاح بعد أن راح.. إلى رحلة الموت الذي يقول فيها:-

أأشفقت أن تبقى ثكالاك بالأسى ... ودمـع اليتـامى بـين خـد ونـاظر؟
وما اشفقت صهيون! كل ربوعها ... ثكـالى، وأيتـام، وفـيض مجـازر
فمـا صـرخت الا لتـنفض يأسـها ... وتمضي على درب شديد المخاطر
فتلقي افلاد الكبود على اللظى ... وتحمـي آمـال النفـوس الغـوادر
لتجعل من زور الضلال حقيقة.. ... وترفـع بهتانـا علـى كـل ظـاهر

أبيات خمسة تلخص رحلة الموت.. جلادها دخيل.. وضحاياها أهل أرض.. وشهودها لا يشهدون..

شاعرنا شخص ببصره إلى ذلك الشراع الدامي كما أسماه والذي أطلقه الفدائيون الفلسطينيون لأول مرة محملاً باستشهاديين في رحلة مقاومة..

اطلق شراعك في السماء وحلّق واصعد كما يهوى إباؤك واخفق
ضاقت بك الساحات فانفرجت لها سبل الفضاء وعالم لم يُغلق
وتوانبت فيها الصقور وحوّمت فيها النسور وهمة من معرق
لله ما تبني النفوس لقية يحلو الهوى من بزّها المتألق..
قالوا: سقطت، وما دروا أو انصفوا قالوا: وثبت إلى علا لم يُسبق
المجد ما بنت النفوس.. وما رعت شرفاً وما وهبت بكف مغدق..

لقد اختصرت القصيدة، بل كل قصائدك في بيتك الأخير.. المجد بناء شريف تكتبه الأيدي بأقلام شريفة.. وتشيده السواعد بلبنات نظيفة.. (فلق الصباح) عنوان.. والصباح ميلاد نور يحتاجه الذين يضيقون بظلمة ليلهم لأنها توحشهم.. إنه رمز فأل، وأمل وعمل:-

أمل على أجفاننا وكبودنا وعلى محيانا وفوق المبسم
أمل كأن الفجر من بسماته ورفيقه بين الطيوف الحوَّم
لله ما تهفو القلوب إلى غد زاه على مَرِّ الزمان مُوسِّم
ومواكب الإيمان تجلو نصرها لتعيد لألاء الفتوح اليتم
ومجامع الدنيا تردد صوتها (الله أكبر) أقبلي وتقدمي

دعوة إلى الصحوة.. عنوانها (الله أكبر) ومضمونها.. عقيدة بعيدة عن العقد.. تقيه بعيدة عن الأهواء.. نقية بعيدة عن الالتواء.. قوية ترفض الجنوح.. وتمتطي الجموح.. دعوة شاعرنا لم تعفه من طرح أسئلته:-

أمل يداعب الخيال.. فهل ترى صدق الخيال وجدَّ بعد توهم؟!
أم أنه برق! فيا لعزائم.. هبَّت لأمر من مناها احزم؟!

الأمل في الله كبير ما التزمنا بتعاليمه.. إنه قوي يحب الأقوياء.. رحيم يحب الرحماء.. عادل يحب العادلين..

من (فلق الصباح) يأخذنا معه نحو (من فجر الصمت العميق) كلاهما فجر.. الأول مطلق والثاني مقيد بصمت عميق لا أدريه.. هل انه صمت ما قبل العاصفة؟!

رجِّع ملامحها وغنِّ قصيدا ... واملأ نواديها قنا وبنودا

واسكب دماءك في سبيل الله ... تنبت في رباها عدة وعديدا

سكنت مدافعنا فهاتِ حجارة ... نجعل مواقعها لظى وحديدا

شرف السلاح زنوده ولهيبه ... قلب يصب من الوفاء الجودا

وعقيدة تهب الحياة لمؤمن ... بذل الحياة لها فكان شهيدا

في كل أبياته نبض حياة.. ودفقة مشاعر تجسد معاني القوة.. وتجدد دم خلاياها.. الزند الذي يحمل السلاح ذودا عن أرضه وعرضه.. العقيدة التي تعطي له شحنة القوة والحضور دون خوف.. ثوابت في قاموس التاريخ الذي لا يؤرخ إلا للأحياء الذين يعانقون الأخطار كي تكتب لهم الحياة.. فارس رحلتنا النحوي قدم لنا نماذج من هذه الصور الزاهية

يا للشهادة فتحت أبوابها ... وجنانها ومنابرا وشهودا

أرأيت أروع من صبي لم يزل ... عبق الطفولة من خطاه ورودا

ما صار تسعا من نضارة عمره ... حتى تواثب للردى صنديدا

(نضارة عمره) أنسب منها (بكارة عمره):-

حمل الحجارة.. لا يكاد يطيقها ... حملاً.. ولكن ما أطاق قعودا

فإذا الجهاد يهزه ويعيده ... رجلا أبرُّ على الجهاد شديدا

ونبت عزائمه فألقت دونه ... صخرا تدافع في الزمان رعودا

وإذا العدو رؤى تطاير دونه ... فزعا واشباح جرين شرودا

ولكن العدد الفزع غادره وغدره بطلق ناري اخترق صدره وأسلمه الى الفريق الأعلى:

وتـــدفق المـــسك الزكـــي وانـــه دفـــق يُفـــتح للعـــلاء نجـــودا..

اذكر شاعرنا الشيخ.. إن أبطال الحجارة في عرف عمالقة السياسة والتجارة إرهابيون يُحرمون حتى من معونة تمنحهم وجبة أكل، أو خيمة إيواء..

مرابــع الاســلام تغفــو؟ والعــدى شــقوا ديــار المــسلمين حــدودا

أجروا على العنق الذليل شغارهم وسقوا مــن الخـدر المـضل عبيـدا

يـا أمـة الإسـلام كـم مـن خدعـة.. حملـــت بفتنتهـــا ليـــالي ســـودا

كـم أبرمـوا عهـدا اليـك فـاخلفوا ورمـــوا إليـــك عـــداوة وجحـــودا

يبدو أنه عاد لربى القدس يساؤلها: أو يساؤل أمته العربية والإسلامية في شخصها:

هـل تـأمنين؟ وكيـف يلـدغ مـؤمن والحجـر يـنفض أسـودا عربيـدا ؟!

ألـــدغت منـــه مـــرة أم مـــرتين؟ فهــل غفــا عنــد الاســاويد زيــدا ؟

لا تـــأمني شـــرك العـــدو فإنـــه يرمــي بــه شــرا عليــك مبيــدا..!

كل هذا تعرفه الربي؟ ونعرفه نحن مسلمون وعرب.. بل والغرباء من حولنا ولكن.. ما لجرح بميت إيلام!

اخيراً مع الفصل الأخير من ملحمة فلسطين لشاعرنا د. عدنان علي النحوي.. العنوان (شرف السلاح زنوده)

ادفــع علــى لهــب الــدماء نجيــدا واجعــل نزالــك في الملاحــم عيــدا

وارفـــع نـــداءك في البطـــاح زلازلا فجرتهـــا. وعواصـــفا ورعـــودا

وابعـــث بوثبتـــك الأبيـــة أمـــة ومـــن القبـــور الملـــهمات جـــدودا

(القبـور.. والجـدود) لا تتفقـان.. يحـسن لـو أنـه قـال:- (ومـن القبـور الملـهمات لحـودا).. يمـضي في استنهاضـه للـهمم مـذكراً إيـاهم بالحريـة المنقوصـة.. وبـالأرض المحروقـة.. وبالأخطـار المحدقـة.. وبـالزعامـات المتفرقـة.. أمـلاً في أن تتوحـد.. وأن يتجـدد

نشاط خلايا الذاكرة المرهقة والمثقلة بوهنها وضعفها..

مـــن للظـــلام يـــشقه ويزيحـــه — عنـــا وقـــد لـــف الربـــى والبيـــدا ؟

وللمرة الثانية يربط بين صمت المدافع وصوت الحجارة مستفزاً.. ومستنفراً:-

ســـكنت مـــدافعنا فهـــات حجـــارة — تجعـــل مواقعهـــا لظـــى وحديـــدا

هـــذي الحجـــارة أرعـــدت اسمعتهـــا ؟ — تـــنقض تـــسحق صـــخرة وســـدودا

فانـــشر بهـــا الـــق الزمـــان كواكبـــا — وارفـــع بهـــا قممـــا وشُـــق نجـــودا

وأخيراً مع فصله الأخير من ملحمته الفلسطينية:-

تمـــوج المنايـــا حولـــه والملاحـــم — وتـــزأر مـــن هـــول اللقـــاء الـــضراغم

شيء أدهشه.. طرح عليه أسئلة يبحث لها عن أجوبة:-

فهـــل وثبـــت مـــن كـــل نـــاد كتيبـــة — فزلـــزل مـــن شـــم الرواســـي زمـــازم؟

هـــل انـــتفض التـــاريخ ثـــم تواثبـــت — على الساح أشواق الهدى والعزائم؟

أحقـــا تـــرى؟ أم أن هـــذي طيوفهـــا — يحـــوم بهـــا شـــوق مـــن القلـــب حـــالم ؟

افـــاق فمـــا يلقـــى علـــى الـــساح غيره — والا الـــصدى غابـــت عليـــه الرواســـم!

بـرعم فدائي حمـل حتفـه فـوق كتفـه.. تلفـت يمينـاً ويـساراً ينـادي بمـلء صـوته.. أيـن الأهـل؟ أيـن العهـد؟ أيـن الوفـاء؟ وأيـن العـون؟ وأيـن الكاسـحات والقنـاو الـصوارم..؟ أدرك أنه لوحده في الساحة.. تذكر شطراً من الشعر حفظه من كراس مدرسته:-

(مـــا حـــك شـــعرك مثـــل ظفـــرك — فتـــولَّ انـــت جميـــع أمـــرك)

•

تطـــايرت الأحجـــار مـــن كفـــه قنـــا — وأرعـــد منهـــا ســـاحة وغمـــائم

فهـــل لنـــت لـــي يـــا صـــخر؟ مـــا اروع الوفـــا — ومـــا لان لـــي قلـــبي ولا هـــو راحـــم

أتبلـــغ يـــا صـــخر المواقـــع كلـــها ؟ — ومـــا بلغتهـــا أعـــين.. وقـــوائم

ويمضي الفدائي الصغير وهو يخاطب حجره وسط نُبالته وهو يقذف به الهدف..

نطقت فما أحلى بيانك انه　　　دوي وعته في النوادي الأعاجم

قصيدة طويلة. بكى فيها الشاعر.. والطفل.. والحجر الذي انطقه حامله على الرغم من أنه يؤدي وظيفته دون تقصير.. بكوا، واشتكوا

بكيت ويا هول البلاء أمامنا　　　إذا ما غفونا اسود الليل فاحم

فحق لمثلي أن يصب دموعه..　　　وحق لأهل الخافقين التلاوم

وحق لي أن أقول لكم إلى لقاء.. إن سمح لي بذلك البقاء وعلى أمل أن يغطي رواق السلام العادل الشامل حياة البشرية دون خوف.. ودون ابتزاز.. الحياة اخاء ومحبة..

الأمل الهامس

- منصور دماس
- ١٦٤ صفحة من القطع المتوسط

أيا كان الأمل هامساً أو ملامسا خلجات النفس في قوة لا بد وان يدفعها نحو يقين الحياة كاشفا لها متاهات الدرب، وصبابات الحب.. به تُستبطن مشارف مستقبل يحتاج إلى شمعة.. وبه تسُبيان ملامح حب حائر بين ابتسامة ودمعة.. وهكذا يبدو جاءت البداية لإطلالة شاعرنا عبر نافذة حب هاجسها الأمل في أن يكون بلا شكوى:-

تــأرب القلــب في دنيــاك فاتئــدي   لو ينضب الحب حاشى دفقك الأبدي
أهـواكِ، أهـواكِ يـشدو خـافقي ودمـي   وأنــت تجـرين مــا احــلاك في خلـدي
فلتسكني داخلـي.. نبـضي.. ومخـيلتي   ولترقــصي جنــة غنــاء.. يــا بلــدي
أن الرغيــد بــلا رؤيــاكِ لــيس لــه   عنـدي مـذاق ولـو فيـكِ التقـى رغـدي

إنـه الحـب الكبير الـذي يتـضاءل أمامـه أي حـب.. حـب وطـن.. وحـب الـوطن مـن الإيمان..

أهـواكِ يـا بلـدي.. أهـواك يـا بلـدي   أهواكِ حتـى تـروح الـروح مـن جسدي
إذ أنـتِ دنيـا تخـط الـشمس سـيرتها   مــذ ذاع طــه كــلام المفــرد الــصمد

بهذا الإيقاع وأكثر صاغ لها قصيدة انتماء لتراب وتراث هو منه وإليه.. صاغه شعرا جميلا طويل النفس هذه البعض من مقاطعه.. تغنى لعروسة البحر جدة.. وتغنى للرياض.. وأخذت القافلة والقافية معه إلى (تهامة)

يــا معيبــا إقــامتي في تهامــه   هـل عرفـت الهـوى؟ أذقـت ضـرامه
ســائل الــنفس هــل تمــل محبــا   مــازج الـدم؟ أو تطيـق انفـصامه؟

هـام قلـبي فلـو بقلبـك بعـض ... مـن رؤى مـا بهـا عـذرت هيامـه

عـش هنيئـا بمـا ألفـت ودعـني ... فالتهـامي هنـاؤه في تهامـه

مسقط رأسه.. وذكريات أمسه.. وأيام أنسه كلها تجتذبها إليه في حب لا يساوم ولا يقاوم.. وهذا من حقه.

خفـف اللـوم يـا عـذولا بحـب ... هـو نبـضي ودورتـي والـسلامه

إن أكـن شـارخا فكنـت رضـيعا ... ثـم طفـلا قـد شـد فيـه حزامـه

أتـرى يجمـل التنكـر مثلـي؟ ... أيخـون اللبيـب فـيكم إدامـه؟!

ومن تهامة إلى اليمامة يمتد رواق حبه:-

لـبلادي منـازل في كيـاني ... مـن مقـامي إلى أقاصـي اليمامـه

ومن حب الوطن إلى حب الهوى:-

للحب - يا حسنا صبا- مقلة ... شمـسية المرمـى وخـد أصـيل

ولـلهوى في طبنـا وصـفة ... اهمالهـا سـخف وهـون وويـل

يـا مرحبـا بالعـشق إن جـاء عـن ... صفو ومـن إخلاص راعـي الجميل

حدد مواصفات حبه دون تجاوز:-

يـا عاشـقي واسـأل جـذور المنـى ... اترتـضي شـوب النـسيم العليـل؟

وهـل لفـرع فـات عـن أصـله ... وشـوهته الـريح ظـل ظليـل؟

بهذه التساؤلات مد جسوره.. وعبرت به قافلة حبه إلى من يهوى.. ولكن..!

يـا فـاتني والحـب يتلـو لنـا ... مـا يـصنع الخـل لـسعد الخليـل

قرأت في عينيكِ - يا للهوى - ... صـيفا وتمويهـا ودربـا طويـل

فهزنـي الـشوق ولكـنني ... بغـير برهـان. فهـل مـن دليـل؟

ويسدي لها نصيحة:-

تُغـــير الـــدنيا إذا متعـــت — أو كـشرت والحـر فيهـا أصـيل
فاغسل مـرام الـنفس مـن سمحـة — تجـد صـفاء الحـب نعـم الـسبيل

النهاية في قلب الشاعر:-

ومـن الـصدى.. إلى رجـع الـصدى.. أي مـن الـشجرة إلى فيئهـا.. ومـن الجـدول إلى خريره.. ومن المورد إلى عبيره

مـا أجمـل الحـب حـين النـور يغـسله — وسـامة ببهـاء الحـسن تعتمـر
حـب لـشمس صـفت في عينـه فلـق — فـلا عثـار يعـوق الخطـو لا حـذر!
تخـط سـيرته الغـراء في شـفف — يـد الثريـا. ويـروي زهـوه القمـر!
وينـشر الـشعر في عينيـه نغمتـه — الأحلى فيـدهش مـن منظومـه الـدرر!

مجرد خيال شاعري احتمى به من قائظة حبه لعله يطفئ بعضا من لهيب صبه.. علامات التعجب (!) دخيلة لا مكان لها

كبرت في ناظري - افديك - كيف سما — ركـاب عـشقك لا دحـس ولا خـتر
كيـف انفـردت بـومض لا يعكـره — زيـف الأحاسيس لا تخفـى بـه الـصور؟
فلـيس للعـذل مرسـى في مرافئـه — لكنـه بـسناء منـه ينـدحر
هـذا هـو الحـس نـبض كيفمـا صـدرت — انغامـه طـاب منـه الانـس والـسمر

هكذا استراح تحت ظل شجرة خياله يتفيأ.. يستنشق شيئا عن نسيمها العليل.. كلنا في حاجة إلى أوكسجين أمل نتنفسه في لحظات تأمل، قصائد حب شاعرنا دماس يزحم بعضها الآخر فمن (تواصل) إلى (وصية محب) إلى (صراع هوى) إلى ألق غرام.. كلها تدور في فلك واحد لا يمله الشعراء رغم جهده واجهاده.. وأحيانا سقمه الذي يحتاج إلى (معالجة هاتفية)

ملـك الفكـر مـن ملـك — مـن حبـاني.. ومكّنـك
حـين مـد الـدجى يـدا — و(قفـا) الـصبح ودعـك

وخطـــا البـــدر باسمـــا شـــأنه يـــضحك الحلـــك

يصل شاعرنا إلى رنين الهاتف حيث ينتظر العلاج:-

هـــاتفي رن قلـــت مـــن؟ قـــال: هـــل لـــي أناغيـــك؟

آه.. إنـــــي مقـــــيم بـــك فـــاسمع متيمـــك!!

يبـدو أنـه رصـد مهاتفـة لمحبوبتـه (هنـا) لحظـة أن كانـت إلى جـواره.. لم يطـق أن يسمعه:-

قلـــت حـــسبي فلـــست مـــن إن رأى بـــاطلا ســـلك

رنين هـاتف تحـول في أذني إلى طنين كـاد أن يحجـب عنهـا نافـذة الـسمع.. حاولـت الابتعاد عن دوران استكمل وصفة علاجه!!:-

السهم العائد.. يقول فيها:-

مـن أيـن أبـدأ يـا مأسـاة مأسـاتي من مـدخل الحـب أم مـن بـدء آهـاتي؟

مـن أيـن أبـدأ والماضـي علـى شـفتي إذا زهـــا زاد آهـــي وانفعـــالاتي

مـــاذا أقـــول وآمـــالي مـــشردة والحـرف تؤسـره ذكـرى معانـاتي؟

سرد متواصل تملؤه التساؤلات والآهات كما هي العادة:-

يـا زائـري فجـأة مـن أجـل أغنيـة في حـسنه تحتـوي أحلـى عبـاراتي

كمـا رسمتـك وجهـا غير مكتمـل غـدا بغـدرك في أقـصى نفايـاتي

لا وسط في محيط الحب، موج كاسح يرتطم بالصخور يحطم كل شيء معه، أو آخر مسالم يترك للمجاديف أن تتحرك في هدوء:-

إني مللتـك حتـى ريشتي كرهـت فـشطبت كـل وصـف في وريقـاتي

حسناً فعل..

الزواج بعد السبعين ماذا يقول شاعرنا عنه؟:-

خطرت سمراء فيها من رياض الورد حمره خطفت عقل مسن ينطق الحسرة حثره

دعاها.. انفرجت شفتاها عن ابتسامة ماكرة:-

جاوز السبعين لكن هام فاستصغر عمره　　وتعالى باحثا عن حلوة تؤنس قفره

ساقته قدماه وهو يتوكأ على عصاه　　وأتى والدها مرجاه أن يمسي صهره

قال: منك القرب فاز هب ان للعذراء امره　　واذا شيك بكف الكهل ينسي الأب فقره

أمام بارقة الفلوس تضعف النفوس.. وأمام المال تهون عزائم الرجال! لقد حصل على ما يريد.. الخريف حصل عنوة على الربيع..

حوَّل الكهل شبابا يافعا والشيب سمره　　ونفى الشورى وأمست كلمات الرفض مُرَّة

وينتهي بنا المشهد أمام هذين البيتين المعبرين:-

رُب عشطان بقرب الماء لم يظفر بقطره　　ومريد حلماً ما له بعد الفوت كرَّه

عاد شاعرنا بذاكرته إلى العصر الجاهلي.. إلى ربيعة بن حذار المعروف بنقده.. يخاطبه:-

ابيت اللعن والنقد المذمم　　ربيعة فاكتسبت المدح ملجم

وانماط البيان لديك أسرى　　لكل فنونه ينهاك معجم

أليس الشعر في دنياك نبضا　　شعوريا وأمضاها منغم؟

أليس لعصركم في النقد قوم　　إذا لمسوا نوافذه تهدم؟

ألستم مثلنا للنقد فيكم　　ببارق شلة بالميل تحكم؟

ليلبس باقر أحلام قس　　ويصبح مادر شهما مكرَّم؟

شاعرنا يشكو حال النقد في زمنه:-

أبيت اللعن إن النقد أضحى　　بلا أسس وإحساس معقم

(مطحم) مفردة لا توحي بالمعنى المقصود منها.. إنها تعني التطهير.. عقم الشيء طهَّره على خلاف مفردة العقم الذي لا يأتي بشيء.. حسنا العوض عنها بكلمة (محطم).. ويسرد بعض معوقات النقد وأسباب فشله

يسيّره التواطؤ فهو غاف ... وتنشره الصداقة فهو مقدم
فما للشكل في عصري اهتمام ... ولا الإنصاف بالمضمون مهتم
سوى أن العواطف حيث مالت ... ترى للمدح رايات ومقدم
غدا الشعر الرصين بهم ثقيلا ... يُحارب والمبعثر كالمنظم

يشير من طرف خفي إلى حداثة الشعر المتحررة من كل ضوابطه وقواعده.. القصيدة تقليدية تطغى عليها رتابة الحرفة. إلى درجة الارتباك.. هذه المرة مع:- رؤياه.. عسى أن تكون خيراً

نفس تعز فتنبري نفس ... في نصرها الخذلان مندس
فإذا العزيزة أمة تشكو ... وإذا المهانة قوة تقسو
وإذا حصون الحب انقاض ... ما للحمى ركن ولا أسُّ

نصل إلى الرؤيا مع هذا المدخل الجميل:-

يا رؤية تسعى بلا مرسى ... مهلا فغاية سيرك النفس
شتان بين النور في نفس ... فاتت وما تسعى به نفس
شتان بين اليوم (للعظمى) ... شأنا.. وما أمضى لها الأمس

هكذا الحياة تأخذ دورتها.. فمن ضعف إلى قوة.. ومن قوة إلى ضعف.. لا شيء يبقى على حال.. تلك الأيام تتداول بين الناس.. أطرق شاعرنا.. أنصت.. تناهى إلى سمعه صوت نداء يأتيه من بعيد.. صوت فلسطيني جريح..:-

نزف الجرح في فؤادي وصاحا ... يا مريدي نصر الإله فلاحا
نزف الجرح يا رفاقي ومالي ... غيركم بلسما يداوي الجراحا
أتعبتني مواجعي.. لو أصابت ... جبلا اسمع الوجود صياحا

وكي لا تتكرر كلمة (وصا) و(صياحا) اقترح ابدال (وصاحا) ب(وساحا) لاقترانها بالجرح النازف في أول شطر.. تطول أبيات الشكوى وتطول.. بالهموم مسكونة بالموجع..:

يـا رفـاقي والظلـم يفقـأ عـيني ومراميـــه تبتلـــيني بواحـــا

مـا مضى فات.. هل سيأتي قريب أمـــل باســم يـــذيع ارتياحـــا

الأمل يشيع لا يذيع..

ضقت ذرعا فاهتز بي باب سجني حطمـــوه.. أو قـــدروا المفتاحـــا

ستون عاما وهذا الصوت يملأ سماءنا شجوا.. ويغرق ترابنا دماً.. وما زالت المأساة تراوح مكانها.. ويتعاظم أمرها.. ليست فلسطين وحدها.. فعلى خارطة عالمنا العربي أكثر من فلسطين واحدة تستنجد.. ولكن..!

لقـد أسمعـت لـو ناديـت حيـا ولكـــن لا حيـــاة لمـــن تنـــادي

رجع اللاواقعية.. عن ماذا يتحدث شاعرنا منصور دماس؟:-

من طريقي خطوتي تشكو طريقي ودخـان الخـتر والحقـد معـوقي

يـا عيـوني لم تـشكين قـذى مـن يركب الريح ضلالا عن طريقي

يـا أحاسيـسي ومـا ينقـصني مـن ذي شـعور لم يـصل آفـاق روقـي

قصيدة تطغى على سطورها التقريرية المباشرة.. وعدم وضوح الصورة المراد إظهارها.. إنها خليط من صور متداخلة يزحم بعضها البعض.. مغاليق مشرعة.. وسموم حقد، وجسور حسد.. وعجز، وغدر.. ووجوه بدت ضد الخليق.. وسيف الصمت الألمعي.. وتعكير الذوق.. وأشياء كثيرة اختلطت مداخلها بمخارجها.. حبذا لو ابتعد شاعرنا عن زحام الكلمات التي تضيع في تجاويفها الدلالات.. وما توحي اليه من معنى.. خير للشاعر أن يجلو فكرتها ببضع أبيات محددة من أن يغرقها في محيطه من آليات لا يمكن الوصول إليها. هذا لا يعني أبداً أن لشاعرنا قصائد مميزة وموحية بجمالاتها ودلالاتها تستحق الإشادة والتهنئة.. إلا أن الإشارة إلى مواطن الضعف في بعض العمل ضرورة لاكتمال بناء العمل ككل لا يتجزأ.. مجرد ملاحظة أخوية (يقتل الصيد ويخفي مذبحه) عنوان قصيدة يثير الكثير من الفضول.. من هو ذلك القاتل؟ ولماذا أخفى أدوات جريمته؟!

كان جوالا بنصف المصلحة ذا جناحين فصارت أجنحه
حينما حس بهم اخفاءة وله الجلُّ توافى مسبحه
رشحوه والنهى في غفلة كيف والخير نهى ما رشحه

يبدو أن ملامح من يعني باتت واضحة.. أكتفي منه بهذه الأبيات الثلاثة فالباقي مجرد تحصيل حاصل.

حسناً أن يأتي خيارنا الأخير معه مقاطع من مجموعة قصائد مررنا معا عليها سريعاً:

من قصيدته (الحب ومنغصات الزمن) هذه الأبيات:-

لأجهل من جهل إذا هاجم امرؤ أخاه هوى. لا للعقيدة صداحا
وكم ثغرة لم يجهل العرب ضرها بهم صنع العدوان للباب مفتاحا
ألم يكفكم سوء التمزق رادعا يوحدكم.. والاختلاف بما انداحا
كفى أن كوب السم سم انشقاقكم تفرعَ آهات. وعمَّم اقداحا

أبيات موجهة إلى عالمنا العربي الممزق..

ومن مقطوعته (يا شارب العز):-

أيصبح الصلد بعد اليأس فياضا فيملأ الفكر بعد الضيق فضفاضا
ان الورى ضارب كف ارتعاشته علي في حيرة للحال عضاضا
نام الوجود على موت الضمير إلى شكانالته قتلا وإعراضا

وليكن مسك ختامنا معه مع أنشودته (يا أباة الضمير)..

يا حماة الوطن الغالي صمودا واقتحاما علموا الخائن أنا خير من يرعى الذماما
علموه يا أباة الضيم أنا لن نضاما علموه أن نصر الحق أهدانا الوساما

مقطوعة استنهاض للهمم:

ليس من حاد عن الحق كمن لبى وقاما

وفي النهاية أبياته التي تختزن كل ما جاء في وعائه الوطني

كم صبي مات ما أضفى له المأمن عاما ومسن خاض أهوالا بطول العمر داما

بدلا من أضفى يحسن أن تكون أضاف.. وبعد هذا الحد توقف بنا قطار المرحلة في محطته الأخيرة.. زادنا خلالها بعضه شهي.. وآخر نيئ.. لم يكتمل نضجه.. شاعرنا في وجدانياته أكثر توفيقا وتوثيقا لرصده.. يكتب وجدانياته بانفعال قادر على رسم الصورة بجلاء ووضوح.

أما الافتعال دون حضور ذهني فإنه يربك الذائقة الشعرية ويحول بينها وبين ما نشتهي.. أقول لشاعرنا العزيز ابن تهامة البار كان أملك الهامس شمعة أضاءت لقافلتنا معك الدرب رغم وعورته.. أسلمتنا في النهاية إلى مرفأ السلامة حيث رسونا.. كنت أنت الريان ونحن معك جميعاً مرافقون.. وواثقون من العودة بسلام..

هموم وأشجان

- د. بسيم عبدالعظيم عبدالقادر
- ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط

انه حصاد عمر لا بد من تجرعه.. المشكلة هم.. والأشجان غم.. والحياة مغموسة في وعاء كبير مثقل بالأحزان.. والدموع.. والآهات.. لا أحد في دنيانا مهما علا قدره.. وجل شأنه لم يذق مرارة الألم.. لم يذرف دموع مصاب.. ولم يتجرع كأس حنظل أرغمته حياته على تناوله.. شاعرنا اختار الإبحار في عالم همه وشجنه.. الذي هو عالم كل واحد منا وإن اختلف المشهد.. وإن تباين السبب والمسبب..

بدايةً ببلوى الحب بدأ التطواف في دنيا الحزن:-

بلوت الحب حتى قلت ليتي ... أموت فأستريح من العذاب
فقالوا: ليس موت بالتمني ... وإن يُكتب فما لك من غلاب
فقلت: علمتُ ولكن في التمني ... شفاء للمحب من العذاب
فقلبي يا رفيق به ضرام ... طلبت له الدواء ليستطاب

بهذا الوجع الممزوج بصدمة اليأس اختار الدواء الذي هو الداء.. اختار الموت.. والموت لا دواء له.. حتى ولو كان رفيقه يعيش إلى جنبه.. الغياب هنا يهزم الحضور.. ويجهز على ما تبقى في القلب من بقايا.. البقاء.. لا حب دون حياة.. ولا حياة بضياع من نحب.. ومن محاولة الموت إلى محاولة النسيان.. وكلاهما مركب صعب:-

سأنسى حبيبي وأنسى هواه ... وأنسى برغمي ليالي صفاه
قضينا الليالي نذوق الغرام ... ونلهو ونلعب نجني جناه
وعند اللقاء يتوه الكلام ... وتنطق فينا لغات الشفاه

ماذا استجد على هذا الحب إلى درجة التنكر له ومحاولة نسيانه..؟

وشـــاء الإلـــه فقطـــت زهـــور وجفـــت زهـــور ســـقتها دمـــاه

(فقطت) مفردة غير مفهومة.. المفهوم أن تقطف الزهور.. وكي يستقيم بناء البيت أرى أن تستبدل كلمة فقطت بمفردة.. (فماتت) لأن نسيان الحب يعني موته.

شاعرنا في وجدانه مأزوم ومهزوم، فمن خيار الموت، إلى اختيار النسيان المفضي إلى الموت، إلى الهم الذي أرقه وأقض مضجعه:-

الهـــمُّ أرقـــني، وهـــدَّ كيـــاني والنـــوم فـــارق مقلـــتي وجفـــاني

فـتن يلاحـق بعـضها بعـضاً فمـا للعـــــدِّ فيهـــا أول، أو ثـــــاني

همه هذه المرة لم يكن عاطفياً.. وإنما إيمانياً وهو يرى على مسرح الحياة من يتطاول على عقيدته.. وعلى مبعوث رسالة السماء.

مـــن قـــال حقـــاً، أو أقـــام عقيـــدة في دولـــــة للعلـــــم والإيمـــــان

فكأنمـــا ســـب الـــنبي محمـــداً.! وكأنـــه عنـــد الحكومـــة زانـــي

بهذا التوصيف جاء تراكمات همه ثقيلة لا يمكن تحملها..

شاعرنا من القطر العربي الكبير ينجاب إلى البحر.. ويستوحي مشاهده شعراً:-

تتكـــسر الأمـــواج فـــوق متونـــه كتكـــسر الألمـــاس فـــوق جـــبين

فلطالمـــا أبحـــرت خلـــف رحابـــه أرنـــو إلى عـــذب المنـــى تـــرويني

هناك شيء ما يتحرك حول الماء.!:-

فـــدنوت منـــه في حيـــاءً علّـــني أحظـى بمـا لم تحتـسيه ظنـوني

فأهـــلَّ لمـــا أنْ رآنـــي مقـــبلا وتمايلـــت أغـــصانه لتقـــيني

فحمـــدت ربـــي أن حبـــاني نعمـــة فـــوق الـــذي أملـــتُ أن يعطـــيني

ودعوتـــه في أن تـــدوم كـــريمتي عونـــاً علـــى دنيـــاي، بـــل في ديـــني

هـذه المرة لا طعـم للـشقاء ولا مـرارة للقـاء في حياتـه.. وإنمـا حـب انتهـى بعقـد شـرعي..

بشريكة حياة هي أم أولاد شاعرنا.

(النجوى) خاطرة مختصرة:-

الخـــد منـــك مُـــورد والجفـــن مـــني مـــسهد

وأنـــادي حلـــم نفـــسي كـــل يـــوم لـــه غـــد

فيجيـــب علـــيَّ يـــومي أيـــن مـــني ذا القـــد

فـــيرد صـــدى بعيـــد حـــان ذاك الموعـــد

فـــسخرت مـــن ذاك الـــذي أمـــسى صـــداه يـــتردد

لا أكتمك البناء الشعري جاء مهتزاً.. والصورة ضبابية.. وإذا كنتَ سخرتَ فنحن معك أيضاً أحسسنا بالملل.. وبالضيق..

الوقفات الشعرية لدى شاعرنا قصيرة.. جلها يتحدث عن مناسبات ذات خصوصية.. ولأنني لا أنجذب إلى شعر المناسبات، لا تقليلاً من شأنها ولكن بحثاً عن وقفات تأملية لها شمولية النظرة.. وجماعية الرؤية حتى ولو جاءت غارقة حتى هامة الرأس في همومها وأشجانها:-

(إلى أن تشرق الأنوار)

قـــد قلـــت حـــين لفـــني الظـــلام لا بأس بالإقدام.. ما قيمة الإحجام؟

شطرك الثاني يعاني.. والصحة: «لا بأس بالاقدام لا الاحجام»

أثاره نعيق الغربان المحومة من حوله.. ومشهد الأقصى الأسير.. قدَّم نفسه الفداء لقدسه..

إليكم بعض أشلائي.. يدي، والأنف، والأذنين

وبعض أصابع القدمين.. تذكركم بإخلاصي

وإني لم أكن يوماً جبان القلب.. أو قاسي..

من قدَّم كل هذا من جسده لا بد أن يكون قوياً في مقاومته.. عنيداً في مواجهته.. بل وقاسياً بمقاييس النضال..

(يا أخي).. أبيات ثلاثة أودعها فكرة الذين ينسون أو يتناسون وصلهم وتواصلهم:

يــا أخــي لا تُمــل بوجهــك فأنـا مثلـك مثلمـا أنـت مـني
إن يكـن جـسمنا تفـرق، أنـا محـض روح تقاسمـت جـسدين
كـم شـربنا مـن الـوداد رويـا كيف تنسى الوداد (يحيى) أجبني

الشطر الأول من القصيدة ناقص.. والصحة (يا أخي لا تمل بوجهك عني).. وهو شطر مأخوذ من قصيدة تقول أبياتها:-

لا تـشح يـا أخـي بوجهـك عـني مـا أنـا فحمـة ولا أنـت فرقـد

(من وحي الحج).. جاءت بهذه التهويمة الإيمانية..

جنـاح الـشوق يحملـني إلى أوطـان أحبـابي
قـضينا منـسك الحـج تَعلقنـا بأهـداب
أتينـا كلنـا درن بأوجـاع وأوصـاب
وطفنـا حـول كعبتـه مـن أوّاهٍ، وأوّاب
رجونـا عفـو خالقنـا عظـيم المـنِّ، وهـاب

في رثائيته لأمه جاءت هذه الأبيات:-

أمـي إليـك تحيـة المـشتاق ومحبـة نُـشرت علـى الآفـاق
كـم كنـت يـا أمـاه راحـة مُتعـب ولأنـت يـا أمـاه درعـي الـواقي
ضـحيت يـا أمـاه دومـاً بالـذي تهـوى المـلاح مـن الهـوى الـبراق
وصـبرت يـا أمـاه صـبراً طيبـا ولكـم جرعـت مـرارة الأشـواق

القصيدة تطغى على أبياتها التقريرية المباشرة من جانب.. والوفاء والبر لوالدته..

(محمد الدرة) كان له تواجد في ديوانه:-

يا (درة) من فوق تـاج القدس تـأتلق وشـامة في جـبين المجـد تعتنـق

ويــا منــارة عــز في حــضارتنا ذكرتنا بالألي راحو، ومن سبقوا

الشطر الأخير يتوكأ على عكاز لأنه يعرج.. ولكي يتحرك سليماً يحسن أن يأتي هكذا.. (ذكرتنا بمن راحو ومن لحقوا..)

لم ينسَ الأحساء التي احتضنته لسنوات وسنوات مدرساً في كلية التربية للبنات بالهفوف قال عنها:-

أحساء تيهي على الأسراب أحساء فيك الجمال وفيك النخل والماء

وفيكِ من كل شيء رائع مثل تهفو له في رحاب الأفق جوزاء

فأنت منهل علم طاب مورده منه ارتوى من قديم الدهر أبناء

روائع الشعر صاغوها مضمخة بالعطر عين سخت بالورد أنحاء

هذي المجالس نغشاها فيطربنا شعر أصيل له في النفس أصداء

لعلها من أفضل قصائد ديوانه.. وأسلمها.. وأرقها عبارة..

الدين قاسمه المشترك الأعظم.. إنه يغار عليه.. ويدافع عنه.. تلمس روحه ورياحه بين ثنايا وتجاويف شعره تلميحاً تارةً، وتصريحاً أخرى..

هذه المرة تحدث عن (دين الحب والسلام)

ألفنــا العــيش في أفيــاء ديــن لــه في كــل حادثــة كــلام

يؤلــف شملنــا بالحــب دومــا فيربطــه بنــا أبــداً نظــام

قلــوب النــاس شــتى رغــم قــرب ومــلء قلوبنــا ســكن الوئــام

فهبــوا أيهــا الإخــوان واســعوا فبالجنــات مــا فــاز النيــام

وللقهوة العربية غنى:-

أيــا قهــوة جــاءت إلينــا تحيــة لهــا في عقــول الــشاربين مــزاج

حبذا لو أبدل كلمة (جاءت) بكلمة (صُبت) إنها أنسب..:-

فيــا أيهــا الــساقي أدرهــا هنيهــة أضــيء بهــا للمحتــسين ســراجُ

لعل لذيذ الطعم يبقى على المدى وداداً.. يريح النفس وهو رتاج
نطاسية تشفي القلوب بريقها ويحفظها للشارين زجاج
وفيها يلوح الزعفران بنظرة أشمس بدت للناظرين، وتاج؟

الأحساء أودعت فيه حساً، ومذاقاً يسترجعه بين الفينة والأخرى لا يكل ولا يمل منه.. ها هو من جديد يترنم بها عشقاً..

يا عاشق الأحساء حسبك أنها جعلت لها وجه الضياء نقابا
يا عاشق الطود الكعاب شميمها بعد الكرى يبقى شذا جذابا
يا عاشق الأحساء حسبك أنها كرمت، وطابت موئلا ومآبا
فالحسن يغري بالقريض فينتشي متدفقاً، مترقرقاً، منسابا
فيها الطبيعة قد تضاعف حسنها ماء، ونخلا شامخاً.. وشبابا

ليست الأحساء وحدها بمائها ونخلها وشبابها.. هي التي أسرته.. قهوته العربية أيضاً فتحت شهيته للكلام كما سبق أن تحدث.. حين يعشق الشاعر يحب كل الأشياء من حوله حتى تلك التي لا تقيم اهتمامات داخل نفسه..

(عين شمس) أخذته معها.. وأخذها معه.. الماء في جوفها.. والمداد في جوف قلمه:

شعاع سرى من عين شمس فأشرقت ربوع الحسا منه، وضاءت نجومها

الأفضل إبدال كلمة (وضاءت) ب(أضاءت)

وأنت الذي أسهمت في غرس نبته بأرض الحسا يوماً ستؤتي ثمارها
بلاد بها علم، وفقه، وحكمة وزادت بكم علماً، وطاب نخيلها

وتسترجع ذاكرة شاعرنا ابنته إيمان التي غادرته إلى أرض الكنانة على أمل العودة.. يخاطبها في شوق ولهفة.

إيمان.. إن فارقتِ أرضاً نزلتِها فحلت بكم جيداً.. وتاهت على السها
وعدتم إلى أرض الكنانات والنهى فلا تنسي الأحساء، لا تنسي أهلها

وعـودي إلينـا بعـد حـين حبيبـة لهـا في قلـوب الطالبـات مكانهـا..

(الصحيح أرض الكنانة) لا الكنانات.. حتى في ميزان إيقاع البيت

تمنى أن يرثيه أخوه صفوت.. فرثى أخاه صفوت بهذين البيتين المعبرين:-

كـم كنـت أوثـر أن تقـول رثـائي لكـن سـبقتَ ففـزت بالعليـاء

يا شطر نفسي، يا حبيبي، يا أخي يـا نـور عـيني، يـا محـط رجـائي

(سهم قاتل) لم يمهله طويلاً كي يكمل قصيدته..

قـابلتني ذات يـوم غـادة، حـسنا، كحيلـهْ

فرمـت قلـبي بـسهم قاصـد، يقتـل غيلـه

رحمـة بـي يـا فتـاتي عـرف الـسهم سـبيله

دخلنـا معـه في عـش دبـابير الغـرام.. حيـث الـسهام القاتلـة مـن جانـب (وحيـث المغـامرة السارة):

تـهْ يـا غـزال دلالا ولا تـشك مـلالا

فقـد مـلأت فـؤادي محبـةً، وجـلالا

لـذا سـألت إلهـي سـبحانه وتعـالى

أن تـستقر بقلـبي وأن تكـون حـلالا

ومن العش.. إلى أدبيات الوصايا.. والنصائح..

ابنـيتي وضـح الـسبيل فـسيري نحـو العـلا والمجـد خـير مـسير

وتـزودي مـن فـيض علـم نـافع فـالعلم نـور، وهـو خـير ظهـير

تلك هي النصيحة:-

تكلّـم مـا اسـتطعت بعـذب لفـظ فـإن اللفـظ يبقـى بعـد موتـك

تـسجله ملائكـة كـرام.. بكتـب تنتـشر في يـوم بعثـك

وهذه هذه النصيحة الثانية.

وفي نهاية القطاف من هذا المطاف مع شاعرنا ابن النيل د. نسيم عبدالقادر في ديوانه: (هموم وأشجان) نقف مع مقطوعته الشعرية الأخيرة بعنوان (هذي الحياة) كيف رآها.. وكيف رسمها وتحدث عنها:-

هـذي الحيـاة لمـاذا نحـن نحياهـا؟		وقسوة العيش فيها كيف نرضاها؟

قل لي بربك أيها القمر الوضيء		وبدد الشك في نفسي لتحياها...

الشطر الأول من البيت الثاني مختل ومعتل فاقد لتوازنه وانضباطه مع ما قبله وما بعده، حسناً إيراده كما يلي:-

قل لي بربك هل جاوزت أسئلتي

ويمضي مستشهداً بمشاهد من واقع حياة البشر:-

إن العبـاد لـشتى في حيـاتهموا		فمؤمن، وملحد برب الأرض بناها

الشطر الثاني في حاجة إلى تبديل.. أنسب شيء له أن تقول:-

فمؤمن قانت.. وملحد تاها

ويستكمل قصيدته العرجاء..: -

يحيـا عليهـا ويرقـى في معارجهـا		ويركب الفلك فلك البحر وسماها

القصيدة في مجملها من أول شطر حتى آخر شطر منشطرة يصعب تجميعها، ولا تلميعها.. الفكرة لا غبار عليها.. أما الصياغة والديباجة الشعرية فمليئة بالغبار.. الذي سد منافذ الرحلة معك ولكن دون قذى ولا أذى، وكان في استطاعتك أن تعطي من الشعر أجمله وأفضله.. وأكثره اتساعاً في بُعده الحياتي..

أنا بهذا لا أقلل أبداً من عدم مقدرتك.. ففي بعض أبياتك إيحاءات، وتجليات تُحسب لك.. ولكن في الكثير منها اجتهادات لم توفق.. ربما لاستعجال رصدها.. وربما أيضاً لعدم إعادة النظر إليها قبل طباعتها والتأكد من سلامة بنيتها الشعرية..

أشد على يدك صديقاً.. ورفيق رحلة.. أرجو أن تتجدد مع عطاء شعري آخر أكثر

توفيقاً.. وتوثيقاً.. وشمولية في أبعاد مراميه ومضامينه.. وأجزم أن تجربة يسبقها التأمل محصلتها عطاء مثمر كنخل الأحساء.. وماء نمير كعين شمسها.. ورشفات مستطابة كرشفات القهوة المزعفرة في فناجيلها الزجاجية المزركشة..

العزاء لك فيمن رحل.. والبقاء لك ولمن تحب.. هذه دعوتنا جميعاً.. وقد صَدَقْتَنا الرحلة.. وصدَّقناك حصادها والصديق يا عزيزي من صَدَقك لا من صدقك.. ولكن بتجرد..

صندوق أقل من الضياع

- محمد خضر
- ١٢٦ صفحة من القطع المتوسط

بين أصالة الشعر وحداثة الشعر خيط رفيع.. في أصالته ثوابت الإيقاع.. والقافية.. والجرس الموسيقي.. وفي حداثته حرية حركة لا تقيدها تفعيلة.. ولا مقاييس هندسية.. وكلتاهما أداة طرح متى توفر لهما المضمون الشعري الفاعل والمتفاعل.. والمعبر عما يدور في خلجات النفس من مشاعر داخلية.

شاعرنا امتطى مطية الحداثة.. أي النثر الفني.. وهو - كما أسلفت - قناة طرح يُحكم لها أو عليها من خلال ذخيرتها.. وخيرتها وخبرتها.. في مقطوعته (زمن) يتحدث عن تلك البنت الجميلة التي تحمل في يدها حقيبتها الرمادية.. وهي تمشي في تؤدة إلى جانب العربات المركونة على مقربة من متجر الأحذية.. وهي تَتحرَّكْ، تُتحركُ، عيناه نحوها.. مشكلتها أنها وحدها دون صديقات.. دون هواء تتنفسه:-

البنت الحلوة أصبحت الآن
تصطحب رجلاً بديناً بشارب محايد
وكومة صغار خلفها يصرخون ماما.. ماما
البنت الحلوة لم تعد تحمل حقيبتها الرمادية
ولم تعد تمر من هنا..

لأنها كبرت ياعزيزي.. أصبحت أماً.. وزوجة لا مكان في حياتها لغير حياتها.. قد تمر من جديد مع شريك حياة لا يحوجها إلى حقيبة.. لأنه سيفتح حقيبته من أجلها ومن أجل أطفالها.. سنة حياة..

(ما حدث بالضبط).. استرجع أيام الهواتف الثابتة.. أيام كان كل شيء ينعطف جهة اليسار دون إحساس..

المبالاة وحدها مركونة في انتظار نقلة نوعية

الملائكة صامتون.. معنيون بأمور الفضائيات!

متناسين أن عليهم إعداد ما يشبه المفضلة في كل مرة

المتغيرات تشكل نقلة الحياة من هاتف ثابت إلى محمول ينقل الصورة والصوت بلمسة أزرار.. ومن مهاتفة ثابتة إلى أخرى متحركة دون مبالاة..

كل شيء كان لجهة اليسار..

حتى محادثتي مع زكية الفاتنة

كانت تسير للتفاهم الشاطح عن العقلانية

فيما المبالاة تندب حظها..

لا أحد يملك ولا يرضى أن يكون مسمارا في حائطه الماضي.. بالعقلانية يمكن ترويض الأشياء.. وبالخروج من دائرة الانغلاق تجد العالم من حولك ومن حولها مجتمعين يتحرك دون مشكلة..

(اثنان).. وسؤال شاعرنا المطروح (ماذا عن السعادة؟) أهي..؟ كنوز الأمل المدفونة تحت الأرض..!

مرة.. حلمت لو أننا اثنان في هذه الأرض الرحبة

نملأها بالأغاني والأمنيات بالسلام بيننا

وبخيارات أخرى كثيرة.. ومثيرة.. الدخول لحقل ذرة.. التسوق.. شراء قمصان مكتوب عليها (WANTED) أو التهام قطع ساخنة في (الماكدونالدز) أو ممارسة لعبة التنس.. أو مقهى الإنترنت..

لكننا حتما سنقرأ قصيدة واحدة

تكفينا لمدة شهر واحد.. وسيبقى الموت سؤالنا الأضخم

اصدقني يا شاعرنا خضر إذا ما قلت لك إن رأسي أصيب بالدوار.. ربما لأن الاختيار جاء بعيداً عن فهمي وإدراكي.. لقد خرجت من المولد بلا حمص كما يقول المثل المصري.. فكيف بالآخرين الذين يصطفون لهم ثيابا دون كتابة.. وطعاما دون

الماكدونالدز..

(حكاية عصفورة) علها تخرجنا من بلاهة الحيرة وبلادة الإدراك

صباح الاثنين غادرت موسمها الأثير

وكالعادة السنوية رسمت تابوتا مليئا بالورود

كانت تعني أنها عصفورة

فجأة تقرفص الموت وحيدا أمام الشرفة.. حدق في الجبال وفي مقاسات الأودية..

وتركه يمضي هذه المرة دون عبارة واحدة..

عن عشر سنوات قادمة

تجعلني أستنشق قميصي الأزرق

وأمشي في الشوارع مأهولاً باسم:-

(حبيبتي الغائبة)

وبالطين المسكوب في أيامي التي تشبه خندقاً لفئران مسالمة

الموت الذي مرَّ ولم يترك ملاحظة تذكر

كان حاضراً في هيئة بكاء.. يتمرن (اليوقا)

يوقا البكاء.. أو بكاء اليوقا مصطلح جديد لم أسمع به من قبل.. معذرة فأنا جاهل في رياضة (اليوقا)!:-

(لهفة).. فكرة موجزة:-

مثل خارطة الشوارع ضيقة

يتأرجح الماء في عيني.. والتضاريس..

(دراكولا) مسعور ينهش اللهفة..

كل شيء ينتهي بكولا ابتعد عنه فهو غير صحي.. لديك البديل الذي ينعش لهفتك لا ينهشها..:-

(ترادف):-

يشب الريح حين ترخي رأسها

في تجاعيد الغبار الحزين

تشبه الوردة المائلة

حين تسقط قطرة الندى

في نخاع غصنها المبلول

هو يشبه الريح.. وهي تشبه الوردة المائلة.. النهاية إعصار. وسوء مصير..:-

(تفاهم) لا يخلو من شتائم حيادية!

لماذا نعلق الأسئلة في خزانة الصمت؟

لماذا لا نجرب أن نرتديها؟

حتى لو كان قميص الإجابة ضيقاً

شاعرنا ضاق بالصمت.. اختار الصوت القوي حتى ولو جاء مؤذياً:-

تعالي نجرب أن نشرب من الفنجان نفسه

ونشتم بعضنا بحيادية..!

تجربة مختارة لا يزيل مرارتها طن من السكر.. ومع هذا فلهما اختيار ما يشربان.. كل حر في قدحه.. وعليه التحمل..

(هوامش الريح):-

الريح اختارت عصفورة المساء

لحضور احتفالات الحزن

يزعم الغبار أنه كان حاضراً في الصف الأمامي

لا لشيء إلا للإثارة

ماذا تريد من الغبار إلا ذر التراب في العيون.. إنه هدية الريح لعصفورة مسائك..

ووجوده في الصف الأمامي لا يحتاج إلى زعم.

بينما تدرك الريح هذه السلوكيات الصبيانية

تلثم عصفورتها.. وتواصل البكاء

يا لها من ريح مكارة تذر الغبار في العيون كي يسهل عليها لثم العصفورة.. ثم تتظاهر

بالبكاء كما لو كانت بريئة..!:-

(أرق) مشحون بالقلق:-

يسقط النعاس في معركته الأخيرة

المشهد شرشف متجعد آخر السرير.. وحليب صباح متثائب يقفز إلى حلقه

بدون تبريرات واقعية أشعل سيجارة

وأراقب عصفورة تتمطى..

كمتابعين لأرقك نحتاج إلى تبريرات واقعية لهذا المشهد.. إن خشيتنا عليك من الغبار.. وخشيتنا على عصفورتك من ريح ما زالت قائمة:-

(نيزك) شاعرنا خضر هل يختلف شيئاً عن نيازكنا المضيئة ليلاً في كبد السماء؟!:-

انتهاء المساء يعني تكلس أوجاعنا

في المهب البعيد.. تدخل الآن

مثل نيزك حلم إلى الذاكرة

مثل عطر يبيح من الأنف أرنبة عاطلة

عطر.. وأنف وأرنبة عاطلة هذا ياعزيزي ليس نيزكاً.. ولا حلماً في الذاكرة.. إنه كابوس وعلى أقل تقدير أضغاث أحلام.. استعذ بالله منه:-

(قناعة) من نوع آخر:-

نستسهل أحياناً أن نترك الخاصرة دون ترتيب

أن ننام كقطط البر

أو نحلم بزوارق ورقية

تكفي اثنين لعبور التيار

حلم نحسدك عليه حتى ولو جاء ارتجالياً.. المهم أن تنام وأنت تمتطي زورقاً أياً كانت مكوناته لعبور التيار الجارف.. لست وحدك الذي يحلم بما يشبه المحال.. حلمت مثلك أكثر من مرة أنني أطير مرعوباً وخلفي أشباح تطاردني أستيقظ منها على وقع الصدمة..:-

(شيء أظنه حزناً):-

منذ أن استأذنتْ حفنة الماء قعر الإبريق

والطحالب تسأل:- (من يا ترى بللني؟)

سؤال سهل الإجابة.. رذاذ ماء تناثر من قعر الإبريق بلل الطحالب.. كان عليها أن لا تتطفل وتحشر نفسها في الضيق بين حفنة الماء وقعر الإبريق.. ثم ماذا يضيرها البلل.. كلنا نتعطش إلى رذاذ الماء عند هاجرة الظمأ..:-

(زرقة):-

السماء الملطخة بالعشب الأبيض

يلتهما قطيع أزرق لتنمو!

الكائنات لها وظيفة.. بعضها يأكل.. وبعضها يؤكل.. حياة البعض في التهام الآخر.. لا استثناء في هذه القاعدة..

(عقارب):-

أحياناً وأنت تراقب منظر الورقة

واندلاع الحبر في أرجائها

أحياناً.. وهي تخيط من غفلتنا شعارات الأمل

تمد المرايا لسانها..

وتكتب أغنية لمدن بليدة

من حق المرايا مد لسانها ساخرة على مشهد مشدود إلى الماضي وحده دون إضافة إليه.. ومن حق المداد أن يتحول إلى سائل أسود يرسم به أطلال مدن جديدة بليدة..:-

(رسم):-

كل دائرة رسمتها داخل الغرفة المغلقة

كانت تشبه الإطار العتيق

مسنونة جوانبها.. محفورة للداخل

تبتسم من الوصايا المعلقة هناك

غير آبهين بمزاج سماء مستطيلة..

الغرف المغلقة لا ينفذ إليها ضوء.. ولا أشعة شمس.. ولا حتى هواء.. أنها سجون معلقة كل ما يدور فيها يثير الخوف والريبة.. لا مكان ولا مكانة لمدمنيهما في وهج النهار.. ولا في زرقة السماء.. الخفافيش دائماً معلقة في الغرف المغلقة. الموحش (سلحفاة):-

في الغابة الاستوائية ذات الحشائش الخشنة

والأدغال الساخنة تخرج السلحفاة

من قبعتها الفولاذية.. وبرأسها المعقوف

وببطء قاتل توسع ثقب الأوزون!

بلغة سافرة ماكرة حمل شاعرنا مسؤولية حرارة الشمس وأخطار البيئة المحدقة بعالمنا جراء استهتارنا باجتثاث الغابات.. وما تضخه المصانع من أدخنة وأبخرة وعوادم.. حمل ذلك المخلوق البطيء الحركة المشغول بحاله وبأثقاله.. معك الحق في أن تسخر.. ومعي الحق في أن أعتذر للسلحفاة.. إنها مخلوقة مسالمة..:-

(السكين في النار):-

قالت الملعقة للسكين:-

(اخرجي من حياتي أيتها الفاجرة)

صدّقت السكين الحادة ذات المسمارين الوهميين..

والأرداف الخشبية الشهية

صدّقت الحكاية عن فجورها وخرجت..

قهقهت الملعقة في عزلتها..

هي الآن بلا وظيفة..

حياة أشبه بحياة ساطور متقاعد

طبيعة البشر.. تماماً كطبيعة الأشياء الأخرى.. تدين بعملية الإلغاء.. والإقصاء. والسيطرة على الموقف.. والتسيد.. ومن ثم الخسارة لجانب آخر له وظيفته وضرورته.. وبين (المتقاعد) و(المت قاعد) شبه كثير من المحصلة الأخيرة..

أخيراً مع (الهامش الذي لا بد منه):-

أتذكر أنني كنت أنام على صوت النباح في تمام الواحدة

أتذكر أنني عقدت صفقة سرية مع النباح

أن يأتي من النافذة

بعض الشر أهون من بعض.. هذا ما عقد عليه شاعرنا العزم وأبرم صفقته؛ لأن صوت النباح أقوى من صوته وأقسى من صمته.. حسناً فعل شاعرنا الكريم محمد خضر الذي منحنا جميعاً فرصة الغوص معه في بحر نثره الفني الثري بأفكاره وأخيلته الغامضة منها والواضحة.. وأشعر أنني توصلت بعد طول متابعة إلى إدراك يقيني بأن مقدرة شاعرنا على التأمل.. وقدرته على الغوص في أعماق الفكرة جديرة بالإشادة.. والإعجاب.. وهذا لا يلغي اعترافي بالعجز عن فهم بعض المقاطع المغلفة بالرمزية الموغلة في إبهامها.. لأنني لا أملك فك رموز ما لا أعرف.. ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه.. وأخيراً معذرة وقد تجاوزنا معا الكثير من المحطات بعد أن أذنت شمس الرحلة بالمغيب.. وإلى لقاء متجدد بإذن الله.

شاطئ اليباب

- عدنان السيد محمد العوامي
- ٦٦ صفحة من القطع الكبير

يقولون الكتاب يُقرأ من عنوانه.. وبدوري أقول الديوان يُقرأ من خطاب مقدمته.. وشاعرنا العوامي اعطى لنا اشارة البدء رائعة بمكنونها ومضمونها:-

في العيد أهديتكُ فستانا قلتِ: مئات في خزاناتي
حملتُ نسرينا.. وريحانا فلم تكن ترضيكِ باقاتي
قلتُ: فما تبغين؟ عقيانا قلتِ: كثير عند جاراتي
قلت: فقيروزا.. ومرجانا قلتِ: ألا تكفي مصاغاتي؟
قلتُ: أشيري. قالتْ ديوانا أزهو به بين صديقاتي..

مدخل شاعر ليراع شاعر أحسبه شارة مرور خضراء آمنة كي نتحرك وفي قبضتنا أكثر من مشعل نستدل به في رحلة سفر مليئة بالوقفات..

(حبيبتي. والأرض) ترنيمة حب عاشقة وطويلة وجميلة. يكفي منها ما يوقض الحس.. ويفرح النفس:-

لون الينابيع في أرضي يغازلني فهل تغارين ان مرت على خلدي
هل تغضبين إذا رفّت بذاكرتي وأنتِ تدرين أمري لم يعد بيدي
عشقتها فيكِ فردوسا وعشت لها هوى تشرب في فكري ومعتقدي

ومع هذا العشق.. والشوق على بعد كان له أن ينتظر ويصبر (ويعاني مرارة البعاد) إلى أن عاد..:-

لما أتيتكِ أوصالي تنز دما لم تهزئي من معاناتي ومن كمدي

لم تـشمتي. لم تـريني وجـه ناقمـة بـل كنتِ أجـدب مـن أم علـى ولـد..

الأرض يا شاعرنا أم الأمهات.. إنها تحتضن أبناءها عن قرب.. وتخشى عليهم عن بعد.. هكذا كنت.. وهكذا كانت.

(السبب).. وحين يُعرف السبب يبطل العجب.. أنه ولَهُ ودَلَهُ الحب:-

بخـديك، يزهـو الـصبا مـشرقا ولـون بعينيـك لا يتقـي
وشـعر. فـديت ارتجـاح الحريـر عليـه. فـديت الـشذا مُهرقـا
مـساكب عشق على منكبيـكِ تخبـئ في ليلـها مـشرقا
وصـبح تـبلج عـن ناشـئين علـى ربـوتي صـبوةٍ عُلقـا
يلوبـان فـوق الـسنا يطفـوان هـوى شـيقا شـيقا شـيقا
فمعـذرة ان رددت الجفـون وجـاورت هـذا الـصبا مطرقـا

بهـذا الايقـاع مـن الـنغم العاشـق.. ومـع هـذا الموقـع الوجـداني اكتفـى بإطراقـة صـمت الحديث فيه للغة العيون.. لغة كل شاعر..

(البكاء بلا دموع) إنه الأشد وجعا وإيلاما.. إنه بكاء التحجر.. والتفجر الذي لا تطفئ لهيب ناره ماء.. ولا ارتماء في أعماق نهر.. وهل يسعف الدمع من عينين أمام مشهد الفراق لأغلى الأحبة؟ أبدا.. إنه لا يكاد يصدق أن الذي جرى قد جرى.

كـذب ذلـك النعـي وزور هـل يمـوت الـسنا. ويـذوي العـبير
أتجـف الـورود في موسـم العطـر وتغتـال في صـباها الزهـور
أصـحيح تقـصف الغـصن رطبـا ونـدى الـصبح فوقـه منثـور
أصـحيح أبـا نـزار؟ أأودت بـك كـف الـردى وأنـت الأثـير

رثائية وفاء لرفيق دربه الشاعر عبدالواحد الخينزي.. صاغها بقلم المه.. ومداد دموعه التي انتقلت من المآقي والأحداق إلى حبر يلون به وجه الوداع الحزين..

ملاحظة.. الكثير من أبياتك يا شاعرنا تستفهم.. بل تتعجب أينها علامات

الاستفهام (؟). أو أينها علامات التعجب (!).؟

في لبنان كان له (صوت حرية يدفع به.. ويدافع عن عروبتها وحريتها)..

من أرض لبنان هذا الشادن الخفر مِن لخصتيه سرايا الفتح تنهمر
يذود بالدم عن أرضي وعن شرفي أين الجيوش تولت ما لها أثر؟
يا من تدافع عن أعراض أمتنا بالمعصمين حنانا كيف أعتذر
إني - وعينك - لا أدري أيشفع لي اني أغنيك شعرا كله هذر

معذرة يا شاعرنا من افصح عما بنفسه من شهامة وكرامة لا يهذر.. قلتَ هذه الصرخة ولبنان في أتون حربه الأهلية الطاحنة والاعتداءات الإسرائيلية الغاشمة على أرض لبنان المحبة التي أوجعت.. وأفجعت.. من حقك.. بل من واجبك ان تقول المزيد.. والمزيد

أنا من القوم. ذاتِ القوم ما اختلفت لهم وجوه.. ولا اهتزت لهم صور
فما تلألأ من أسيافهم.. وهج إلا وفي هامهم من نصلها طُرر
من دير ياسين لم تشهر حناجرهم على عدو ولم يُقدح لهم شرر

يخاطب شعراء أمته وحكماء أمته الذين ران بهم الصمت المطبق أمام هول ما يجري.. يخاطبهم ساخرا:-

هزوا القصيد فهذا مهر عنترة حامي الديار وذي الخنساء فافتخروا!
تسلحوا بالقوافي أن أمتكم لها من الشعر ما لا يملك البشر.!
من ذا يصدق أنا لم نزل عربا أن لا ربيعة في الجلى، ولا مضر.!

ويتساءل في حرقة:-

فما لنا اليوم لا يعلو لنا وهج ولا يُشد لنا قوس ولا وتر؟
نمنا على الضيم ما ملت جوارحنا طول المنام وإن ضاقت بنا السرر
كم نستذل ولا حس يحركنا ونستباح ولا شكوى ولا ضجر!

واخجلتاه! أيحمي النمل مخبأه ... ويستميت إذا ما انتابه خطر!
ولا نذود إذا بيعت كرائمنا ... ولا نذب إذا أطفالنا نحروا!

قصيدة عصماء طويلة كانت رسالته لبني قومه الذين يتفرجون على المأساة ويهرجون من حولها لا حول لهم ولا طول.. كان هذا في الماضي يا شاعرنا المجيد.. اليوم تغيرت صورة المشهد المقاومون اللبنانيون استوعبوا الدرس قرأوا مقولة شاعرنا

ما حك شعرك مثل ظفرك ... فتول أنت جميع أمرك

قاموا بالمهمة على خير وجه.. دحروا الجيش المحتل الذي لا يقهر.. حرروا جنوب لبنان وطهروه من رجسه من حقهم عليك مهر عنترة الذي وعدت به حماة الديار.. انهم يستحقون.. غنى لتاروت التي تستحم بمياه البحر الدافئة..

تاروت أين صحا جفني وأين غفا ... رآكِ ترسين في أهدابه فهفا؟
فجيعة البحر والشطآن! هل كبد ... أوت إليك فما أوريتها دنفا؟
وهل ترحَّل في الآفاق منتجع ... صبابة نمت في عينيه ما وقفا؟
فكيف ينكر من عرقي تشرده ... على ضفافك إن غنى وإن هتفا؟
أنا المعنف في عشقي وفي ولهي ... اعطي الجمان، فهل اجزى به خزفا؟
الله.. كيف أذود الشعر عن شفتي؟ ... وكيف أُمسك شرياني إذا نزفا؟
مادام وجهك تشكيلا لقافيتي ... فواصلا في حروفي. ضمة. ألِفا

إنها معلقة شعر على جدار الزمن تبز بها شعراء كثر لهم على ساحتنا ظهور غير مستحق.. اعترف لك بريادة جهلناها عنك.. أو تجاهلنا ها عنك.. سيان.. نيابة عنك أضفت إلى أبياتك المهملة علامات استفهام مطلوبة من تاروت المحظوظة بشاعرنا ومشاعره وشعره تكون النقلة إلى (ذات الرداء):-

نافورة الأطياب أين الهوى؟ ... أضعت في لونك لون المدى
من أين؟ من أين؟ متى اطلعت ... ارضي كهذا رشا أغيدا!

مــا كنــت أدري قبــل ان تــسفري ... ان لـــــدينا سوســـــنا. أو نــــدى

والآن عرفت.. بماذا ستعرِّف؟!:-

يـــا هـــذه رفقـــا بأعـــصابنا ... لا تـــشعليها للـــهوى موقـــدا

شـــفاهنا عطـــشى. وأحـــداقنا ... مجروحــة الاهــداب تفنــى صــدى

تلــوي بهـــا الاشـــواق.. تجتزهـــا ... مجنونــة الاضــراس حتــى الــردى

أتخمنـا وصـفا وتوصـيفا.. مـاذا بعـد؟! وأيـن النهايـة.. هـل هـي فـراق.. أم غـرق في بحـر هواها؟

إنـــا هنـــا غرقـــى.. واحبابنـــا ... يـــأبون ان يلقـــوا الينـــا يـــدا

احبابنـــا رفقـــا فأكبادنـــا.. ... حرقـــى مُـــدماة عليهـــا المـــدى..

نـشقى. ويبقـى العـشق في جوفنـا ... يـــشقى. ويْغتـــال، دمانـــا ســـدى

نهاية منتظرة.!

شاعرنا العاشق اعترف بغرقه دون أن يلقى من يمد له يد العون.. ونحن جميعا معه نكاد نغرق لكثافة شعره الوجداني.. فما ان نخلص من مناداة حتى نبدأ في مناجاة جميعها تستحق الرصد لأن خيال الشعر.. وأدبيات العشق.. وخطاب الحب يتماثل في كثير من مشاهده..

(الحلم) وقفة جديدة.. مع حواء قصت عليه حلمها آثر شاعرنا ان يصوغه شعرا.. وفعل

أغفو فتوقظني الـرؤى مـن مـضجعي ... وأظـــل بـــين ترقـــب. وتطلـــع

وأبيـــت ســـاهرة يـــراود مقلـــتي ... طيـف يقـاسمني الهـوى في مخـدعي

تهفـــو يـــداه بـــراحتيّ فأنتـــشي ... وأضـــمه مـــن لهفـــتي في أضـــلعي

وأحـــسه نفـــسا يوشـــوش وجـــنتي ... ويطـــوف روحـــا في خيـــالي المـــرع

واخالـــه قريـــي يدنـــدن واقفـــا ... آنـــا. وآنـــا جالـــسا يحكـــي معـــي

ويعـــود متكئـــا بقـــرب وســـادتي يرنـــو كمـــا يرنـــو الوليـــد لمرضـــع

طال الوصف.. هل عقدت على حلمها العلم وقد استيقظت من رقدتها.. هل تحول الحلم إلى شريك حياة تأنس به ويأنس بها؟!

أتراها اضغاث أحلام..؟ أم كوابيس نيام خادعة؟ أين تكمن الحقيقة؟!

فـأرى الحقيقـة ويـح وهمـي انـني وحـدي مُـسهدة أبيـت بمخـدعي

من يدري فقد ينتصر العلم على العلم.. ويتحول السبات إلى يقين يقظة مشروعة..

غنى لصفوى فأجاد الأغنية:- تخيلها حسناء تجدل شَعرها كعروس شِعر فاتنة

ألم ترهـــا يومـــا تـــسرح شـــعرها بـداروش كـالموال مـسترسلا حلـوا

تريـق دمـوع الليـل فـوق ضـفافه تسلـسله ترخـــي ضـــفائره زهـــوا

تهدهـــده. ترعـــاه تحـــت ردائهـــا وتغفـــل احيانـــا فتنـــشره زهـــوا

وتنـساه مـسفوحا وابقـى مـشردا ادافـــع اشـــواقي احـــاذر ان اروى

على هذا النسق يمتد به أوار العشق مأخوذ بجماليات الصور المتدافقة في ذهنه حتى لا يكاد ينتهي.. ولكن في النهاية اختزل صورة في بيت شعر واحدة هو قصيدة بذاتها..

تمنيـت لـو كانـت حيـاتي قـصيدة أغـني بهـا أهلـي. أغـني بهـا صـفوى

أحسنت يا شاعرنا العوامي.. وأجدت..

(رسالة) إلى من؟ لا أدري.. أعرف أنها لعزيز أو لعزيزة غالية عليه فرقت بينهما الأيام.. وأبقت لهما مجرد ذكريات لها عذوبتها ولها أيضاً عذاباتها.. من هذه القصيدة أكتفي بمقاطع منها..:-

أيهـــا الغائـــب المقـــيم بفكـــري انـت لـي مـا بقيـت طـيبي. وعطـري

لم تـــزل ذلـــك الحبيـــب المفـــدى وقليـــل ان افتـــديك بعمـــري..

ســـلوتي انـــت يـــا رفيـــق حيـــاتي وعزائـــــي إذا تنكـــــر دهـــــري..

لا تقـل لـي صـبرا. فلـيس بـشاف مـا بنفـسي مـن القطيعـة صـبري

ويخطاب عتب لا يخلو من مرارة:-

غـير انــي اشـكو مـرارة هجـر | انـت تـدري بـه. وعينـك تـدري

(كمين) مشهد نشاهده في فزع على مدار الأيام والليالي.. قصة شباب المراهقة وهم يتغزلون دون حياء.. ويطاردون بلا أدب بنات جنسهم..:-

وكـان ان مـر بنـا صـدفة | منـور البـسمة. حلـو الإهـاب
فاجأنـا. نمـشي علـى غفلـة | انـا. واختـاي منـى والربـاب
كنـا ثلاثـا في ربيـع الـصبا | وكـان يزهـو في نعـيم الـشباب
لمـا رأينـاه مـدى خطـوة | منـا تنبهنـا.. نـرد الحجـاب
لكنـه شـد بنـا طرفـه | حتـى خـشينا ان نـشف الثيـاب

هنا بدأت ملامح الكمين الذي لابد وان يُعد له..:-

قالت منى: (مال بال هذا الفتى | لا يـستحي. لا يرعـوي. لا يهـاب
تـأملا عينيـه. إنـي أرى | كـأن في عينيـه دنيـا رغـاب)
قلـت: (ومـا يعنيـك مـن أمـره | هـذا فتـى يجـري وراء الـسراب
مـاذا تريـدين؟ أنلـهو بـه؟ | مهـلا فعنـدي ألـف بـاب وبـاب
ربـاب تغويـه بإيمـاءة | مـن جفنهـا. تغريـه بـالاقتراب
وسـوف أحتـال علـى فرجـة | تكـشف عمـا لـذَّ مـني. وطـاب
حتـى إذا قـصّر مـن خطـوه | فلـوِّحي أنـت لـه بالخـضاب
ثـم انظـري إن كـان رأس الفتـى | مـازال فيـه فـضلة مـن صـواب

الكمين لم يكتمل، لا أدري لماذا جاءت النهاية بلا نهاية، تمنيت لو ان شاعرنا أوصلنا إلى الكمين الذي وعد به، ولم يفِ به.

أخيراً. مع آخر الحروف.. آخر محطات المرحلة مع شاعرنا الإبداعي عدنان

العوامي في ديوانه (شاطئ اليباب)..

إلى متى يا شراعي تذرع الحقبا؟ لا القلب ثاب ولا نبع الهوى نضبا؟
سواك يؤثر حضن الموج ملعبه وأنت تعشق دون اللجة السهبا
كم تزرع المرو نسرينا وترقبه فما تعبتَ. ولا وعد الجنى قرُبا
رفقا فما عدت تستهدي لسادرة عينا تؤانس ضوءا أو ترى لهبا
فالليل مازال ليلا والمدى غبشا أجئت توقد أسداف الدجى شهبا؟
والصيف مازال صيفا والمراح لظى ففيم في الصيف تزجى المزن والسحبا؟

تساؤلات كثيرة مليئة بالتأملات والأخيلة السارحة في متاهات الفكر يحاول استجلاء معالمها عله يصل إلى حقيقة توقظ التائهين..

ليت الألى حين علقنا حبائلهم ذاقوا بنا بعض ما ذقنا بهم نصبا
وليت خولة تدري كم ولهت بها وكم لقيت على وجدي بها عجبا

ويصل معنا إلى نهاية آخر حروفه الحارقة:-

ما راعني سيف من يحمي مضاربنا إذا تنفس جرحي راعفا وثبا
وإن تلألأ وجدي في ضفائرها أو سال دمعي على خلخالها غضبا
لكن خولة لا تدري بأن هنا عمرا أضيع. وقلبا مدنفاً ذهبا
تعال نطو جناحيها على مهل إلى متى يا شراعي تذرع الحقبا؟

ونحن بدورنا مع شاعرنا المتجلي نطوي أجنحة الرحلة باحثين عن أشرعة جديدة نذرع معها وبها رحلة جديدة ممتعة كرحلتنا هذه.

أخيراً بدأت ..

- بسام دعبس أبو شرخ
- ١٣٤ صفحة من القطع المتوسط

أن نبدأ أخيراً خير من أن لا نبدأ أبداً .. وفارس رحلتنا بسام بدأ أخيراً .. هكذا عَنْون لديوانه .. هل إن بدايته كانت متأخرة في زمانها ومكانها؟ أم أنها متأخرة في ظهورها .. متقدمة في بوحها ..؟ هذا ما سوف يكشفه لنا من خلال مشاعره التي أودعها شعره ...

المدخل إلى الديوان يقول:-

أنت عن أمسك دوما مغترب ... تسهر الليل بفكر مضطرب

فدع الآهات، واترك حيرة ... جعلت عمرك كالبيت الخرب

لا تثر في النفس ذكرى قصة ... اكل الدهر عليها وشرب ..

واقض هذا الليل عبداً ذاكراً ... واهجر الوسواس واسجد واقترب

لا أدري أية قصة يريد طيها من ذاكرته .. ما أدريه أن الحياة تاريخ .. والتاريخ ذاكرة .. والذاكرة ذكريات يحسن أن لا تُطوى حتى في وجهها المعتم، لا لأنها تستحق النسيان.. ولكن لأنها نقطة ولقطة حركة يجب أن لا تغيب عن الذاكرة كدرس مستفاد لما بعده.

(جمر الصبر)

طاغ هو الشعر بركان يزلزلني ... فاستحيل شظايا في قوافيه

اكون في كل حرف منه داعية ... للحب .. والحب سارت لي اغانيه

(استحيل) يا عزيزي تعني المحال ... والصحيح أن تتحول إلى شظايا .. الأفضل لكي أكون..

شاعرنا راح يقترب ويقترب أكثر من واقع عالمه الموبوء حيث الجور، والقهر، وفقدان العفة وغيرها .. كلها:-

تكالبت حول وجه الطهر حاقدة كواسر الزمن العاتي تعاديه

تلك هي سنّة الحياة منذ أن بدأت .. صراع بين الخير والشر .. بين الحرية ودعاة العبودية، الكون وعاء لهذا الصراع الأبدي المزمن:-

أيشرب الكون كأس الذل مترعة ولا تؤرق عينيه مآسيه

نعم يشرب .. ويشرب .. ولكن بيد الذين استخلفوا على الأرض فعاثوا فيها فساداً .. وإفساداً ..

من دائرة الكون المضطرب الواسع أخذنا معه إلى ركن قصي نستريح فيه معه تحت أفياء النخيل ..

حان اللقاء فها هي الأحساء شمس تفر أمامها الظلماء

أعدو واطلب حضنها متلهفا والقلب أوهى نبضه الاعياء

انه يتحدث عن بُعد .. وابعاد .. بلغة الوحشة والاشتياق ..

منذ افترقنا والقصائد مرة والحب جرح والغناء رثاء

منذ افترقنا والحنين مراكب والحزن بحر ما له ميناء!

بهذا الحنين المغموس في كأس الأنين يبث شكواه .. لا أدري لماذا؟.. ما أدركه أن شيئاً ما حال بينه وبين ما يشتهي.

أنتِ الوفية والظروف خؤونة انتِ السخية حين عزَّ سخاء

ولكنه عاد .. والعود أحمد:-

احساء جئتك ذات يوم خائفا والخوف يعرف طعمه الغرباء

فوجدت فيك الأمن حتى خلتني في حضن أم قلبها معطاء

نعم .. كل وطننا أحساء يحتضن القادمين إليه .. القاطنين فيه .. لأنه ترب محبة لا

مكان فيها لغربة نازل ..:-

(على الشاطئ)

هل يفهم الليل ما ينتاب إحساسي ... في هداة الكون أو في غفلة الناس؟

وهل يفسر موج البحر قافية ... نقشتها فوق صخر الشاطئ القاسي؟

تساؤلات يطرحها بينه وبين نفسه .. يتلمس الإجابة عليها:-

أم أنها مثل باقي الناس قد نسيت ... قصائدي ورمت في البحر كراسي؟

وبدأت رحلة الأشجان .. ولا أقول النسيان .. فمازال في الأمل بقية.

يا رحلة الشجن المجهول مقصدها ... كفى ضياعا فقد فاضت به كاسي

صوتي يضيع ولج البحر يشربه ... وكم أصارع في هذي الدجى ياسي

مازلتَ تصارع فأنت على قيد الحياة لا خوف عليك، الخشية أن تموت وانت تتحرك في صمت الأموات .. عش لأحلامك وأمانيك.:-

يراودني مع الشجن التمني ... وتدنو بسمة الآمال مني

فأفتح للهوى شباك قلبي ... ويغدو الحب ألحاني وفني

ويَطّرح التشاؤمَ بعض وقت ... لعل النفس للدنيا تغني

ويصل بنا إلى بغيته:-

أريد من الزمان قليل وقت ... أعايشه بقلب مطمئن

فها هي بهجة الأيام تدنو ... وها أنا نلت وصلاً او كأني

الزمان ظرف .. لا يمنح .. الإنسان هو الزمان الذي يمنح ويمنع بمدى قدرته على مواجهة حسابه ومصابه .. ألمس من بيتك الأخير أنك تقترب من حلم ترنو إليه ..

(سقط السيف)

سقط السيف فالحمى مستباح ... وهوى المجد فالصغار بواح

دعك منهم يا نافخاً في رماد ... ليس يحيي موتى القلوب صياح

أتـرى مـن تعـود العـيش أعمـى سـيبالي لـو اطفـئ المـصباح؟

ويقودنا معه إلى وقفات باكية .. بين ذكريات تاريخية تحولت إلى هشيم تذروه رياح الوهن والضعف والاستكانة .. إلى أكثر من هذا:-

آه بغـداد قـد دهتـك الـدواهي وتوالـت علـى الجـراح جـراح

كـل حـب لناصـبيك شـعار كـل حمـل مـن الغريـب سـفاح

حفـر الموت بـين يمنيـك كهفـا واسـتبدت في ليلـك الأشـباح

وانـبرى ناصـب يـسومك خـسفا وانتـشى غاصـب بعـرضٍ يبـاح

مشاهد جديدة تضاف إلى مشاهد أخرى عمرها أكثر من نصف قرن من الزمن.:

اختـكِ القـدس منـذ خمـسين حزنـا كـم رثوهـا وكـم بكوهـا. ونـاحوا؟!

يا عزيزي (في الفخ أكبر من عصفور) .. رياح التدمير .. أي التغيير قادمة .. ما دامت جراح ورياح الاستسلام قائمة .. ولن نفقد الأمل فمتغيرات الحياة لها حكمها .. وأحكامها التي لا تخطر على بال أحد .. نتجاوز البعض من قصائده .. (موكب الشهداء) و(بالأمس كان) و(عن طريق الحب) و (هل وعيت الدرس) مضامينها لا تبتعد كثيراً عن الجرح العربي، والبعد العربي، والشكوى من مرارة البعاد .. اختار لنا الماضي.. الرحلة إلى الماضي.

يا نوم ويحك هل خاصمت اجفاني والـصدر مرجـل آهـات وأشـجان؟

اروم سـاعة نـوم اسـتعيد بهـا رؤى الهنـاء الـتي كانـت لوجـداني

كيف الوصول إليها بعدما انقطعت بنـا الـسبيل إلى رمـل وكثبـان؟

دفتر أشعاره لم يؤانسه .. وإنما أذكى النيران في صدره، الحبر جف .. وريشة قلمه موحشة .. وأوراق شعره وأوزان شعره أخذتها الريح أيما مأخذ .. ذكريات طريفة من ماضي شاعرنا الأردني طرحت عليه هذه التساؤلات؟

فهـل سـأرجع للأطـلال انـدبها؟ وهـل سـأمدح مـن بـالجود يلقـاني؟

وهـل أغـني لدعـد أو أهـيم بهـا ؟ وهــل سـأقرأ للنعمـان ديـواني؟

وهـل ..؟ وهـل؟ وهـل؟! كـثيرة تلـك التـساؤلات المطروحـة توصـله إلى حقيقـة واحـدة مردها:

حبيـبتي لا أرانـي نلـت غـير شـجا وغربــة قطعــت بــالهم شــرياني

وحدي على هامش الأيام يحبسني قيـد الـضياع وليلـي بـات سـجاني

يمــوت شــعري ولا يرويــه راويــة وتنطـوي صـفحتي والكـل ينـساني

إلاك انـتِ .. فأنـتِ الـشعر مؤتلقـا وانــتِ منبــع احلامــي. وأحزانــي

خيراً اخترت، فالعالم من حولك ومن حول غيرك مشغول بنفسه ما بين جلاد وضحية، وما بين طامع وخانع .. وما بين واهم وواهن ..

سـؤال:- مقطوعـة تأمليـة تتحـدث عـن الحالـة الـشعورية والـشعرية الـتي يعيـشها كل شاعر بين هواجسه ووساوسه:-

حينمــــا أســــأل عنهــــا ازعــــم انهــــا وَهْــــم بــــشعري يُرســــم

هــــل ترانــــي في جــــوابي ادعــــي؟ أم اقــــول الحــــق؟ ربــــي اعلــــم

ويصف نفسه وهو يعيش حالة التأمل:-

عنــــدما أكتــــب أحيــــا حالــــة فــــوق مــــا يُــــدرك أو مــــا يُفهــــم

لا أرى في الــــشعر حــــدا فاصــــلاً بــــين مــــا أحيــــا بــــه أو أحلــــم

هــــي طيــــف مــــن خيــــالي صــــغته؟ أم هــــي الواقــــع لحــــم ودم

هي بين بين .. ما نحلم به .. وما لا نقدر الوصول إليه والحصول عليه .. إنها المقدرة التي توضع على المحك في مواجهة مجهول لا نملك إخضاعه للرغبة .. ولا للرهبة.

وفي رحلته عن الحب وحشة الليل .. ووحدة الدرب تتداعى لديه الصورة ملونة بـرداء الصمت الموجع.

غـاب الاحبـة عـن عينيـك واحتجبـوا فكيـف يغمـض جفـن شـده الـسهر؟

والـصمت يخفـق لـيلا مـثقلا ألمـا والبيـت كهـف بـه الأنـوار تحتـضر

مـاذا ابقـى شـاعرنا لنفسه، ولنـا معـه .. ونحـن في أمـس الحاجـة إلى مـسحة نـور .. وفسحة أمل، تشعرنا بأولئك الأحبة الذين أودعهم حبه ..:-

هـم الأحبـة .. مـن في الكـون يعـدلهم فـلا يماثلـهم بـدو ولا حـضر

أنـا الحبيـب الـذي يهفـو إلى زمـن تـأتي بأفراحـه الأيـام والقـدر

فهـل يعـود إلى جنـات بهجتـه؟ والحـب يمنح مـن قـد كـان ينتظـر؟

حياتنـا دون وصـل كلـها تعـب ولا رحيـق إذا لم ينبـت الزهـر

حـاولْ أن تـصل مـا انقطـع إذا مـا كـان في مقـدورك وصـله .. أمـا الـتغني علـى الأطـلال فنهاية فشل تأباه أريحية الحب لمن يحب، (ملبدة سمائي) نفس الغيوم، نفس الإيقاع .. ونفس الأوجاع لا تضيف جديداً في الرؤية.:-

(لو تعلمين) مقطوعة حوارية:-

همستْ:- لماذا يكتب الشعراء ما لا يشعرون؟

تبا لهم .. كم يدَّعون .. ولا نراهم يفعلون

هذا ما قالته أمام الحضور وقفلت راجعة تاركة لهم الدهشة دون أن تبوح لهم بما تكابده من وجع دفين .. تاركة لهم هذا السؤال من تكون؟!

يا شاعر الحب الذي لم يدرك الحب المبين

ضيعت عمرك في بحور الشعر يحملك السفين

وغدا هواك قصيدة حيرى ولحنا مستكين

الكثير قالته .. والكثير أيضاً قاله لها:-

يا حلوتي مهلاً فإني قد قرأتك من سنين

إني أحس بكل ما تبدين أو ما تكتمين ..

أنا في خضمك شاعر قتلته أمواج الشجون

يا حلوتي .. قبل اتهامك لي .. ألا تتدبرين؟

لو كنت أمعنت التفكر كنتِ حتما تعذرين

خلاصة الخلاصة لهذا الحوار .. الذي انتهى دون قرار .. (نداء الأشواق) و(في الخريف) و(أغلى الأسماء) ندعها لداعي الوقت ونتوقف مع (عيون)

كلما عالجت جرحا من عيون ... قبل أن تبرأ ترميني سواها
نظرة تنفي لأسري وانقيادي ... ان للعينين فعلا لا يضاهى
بل هو السحر تعالى وتسامى ... فوق (هاروت وماروت) وتاها
هل بهذا الكون آيات جمال ... فاقت العينين أو دانت سناها ؟
لو كتبت الشعر طول الدهر فيها ... لم أكن أبلغ شيئا من مداها

ولا نحن أيضاً نقدر على الإضافة ..

ومع (فراشة الحلم) التي تحوم حوله:-

بعينيك القصائد ألتقيها ... فأسرقها وارجع أدعيها
هما بحري الذي استخرجت منه ... لآلئ ما وجدت لها شبيها
أملهمتي وسيدة القوافي ... وآفاقي التي حلقت فيها
إذا غابت عيونك أعجزتني ... بحور الشعر مهما اقتفيها

والحالة هذه يعود إلى عينيها فضل شعرك وجزالة لفظك .. وحس توظيفك لمفرداتك ..

شاعرنا بسام أبو شرخ أخذنا سوياً معه من بحر إلى بحر .. ومن عشق إلى عشق .. خشينا الغرق بعد تصبب العرق من لهث السير .. سنحاول البحث عن جديد .. عن وجه آخر لشعره إن وجدنا .. هذه واحدة:- (أنا والعذاب).

سابحا في مجرة الكلمات ... اصنع الشعر زورقاً للنجاة
وأغني وخافق الكون يصغي ... فتروي عبر الفضا اغنياتي
يطرب الليل للقصيد ويصفو ... باختيال مردداً قافياتي

ايهــا الليــل كــن علــيَّ شــهيدا وارو شــعري ولا تُــضع كلمــاتي

ونحن في رفقتك أيضاً شهود .. روينا شيئاً من شعرك الجميل .. ولم نُضع كلماتك لأنها لا تقبل الضياع

(كيف التسامح) واحدة من محطات سفرنا الأخيرة

يــا مــن هــدمتِ كيــان روحــي وحرقــتِ اشــرعة الطمــوح

هــا قــد حملــت حقيــبتي .. ويــدي علــى القلــب الــذبيح

ورجعــت للــصحراء أصــحبها وتــصحبني جروحــي

هــل تجــنحين إلى التراخــي بعــدما دمــرتِ روحــي

أكــسرتِ دفــة مــركبي؟ وســألتِ عــن سـبب الجنــوح؟

الحــب مــات فلــن يــضيركِ أن تــسري أو تبــوحي

أنــي التــسامح .. انــني لمــن امتلــك قلــب المــسيح

هذا قرارك .. وشأنك .. لا دخل لنا في شؤون غيرنا حتى ولم كان مجرد أبيات خوفا من أن تصاب بالصدمة

أخيراً .. مع تساؤلات طفلته ديمة التي تساءلت بمرارة عن طول غيابه:-

عيــون ديمــة يــا مينــاء اشــواقي ووجــه ديمــة يــا فجــري واشــراقي

كبرتِ يا طفلتي .. والبُعد يحملني جناحــه بــين آفــاق وآفــاق

يــا لهفـة الـشوق قـد مزّقت أشـرعتي فهـل تريـدين قبـل الوصـل إغراقـي؟

يعرفنا بابنته:-

هي ابنتي فقدت اسباب ضحكتها وقلبهــا الغــض لم يحفــل بــبراق

يتيمــة قبــل مــوتي آه يــا زمــني كــوردة ذبلــت في غيبــة الــساقي

حزينــة .. في وجـوه النــاس باحثــة عــني لترتــد عيناهــا بإخفــاق

وكلمـــا شـــاهدت طفـــلا ووالـــده تطـــأطئ الـــرأس في حـــزن واطـــراق
تقـــول امـــاه هـــل حقـــا لـــديَّ اب يعـــود يومـــا فتنمـــو خـــضر اوراقـــي
كم قلت للعيد والأحزان تسجنني يـــا عيـــد ان ابـــي آت لإطلاقـــي
ومـــرَّ عيـــد. وعيـــد دون عودتـــه والقهـــر يأكـــل احلامـــي واشـــواقي

ويعرفنا بنفسه كبطل لمأساة البعاد:- وهو يجاو بها:-

بنـــيتي والليـــالي كـــم تعـــذبني والـــسعد ميعـــاده ميعـــاد آفـــاق
والله مـــا اخـــترت كـــأس البعـــد مترعـــة كأنمـــا حمـــم تغلـــي بأعمـــاقي
سعيت في الأرض ارجو العيش في شرف وقـــد ابـــت غـــيره نفـــسي واخلاقـــي

يا شاعرنا العربي الأردني بسام دعيس أبو شرخ .. في ديوانك (أخيراً بدأت) كان لنا معك إبحار في بحر الحياة كنت ربانه قدته باقتدار حتى مرفأ الأمان .. لك الشكر.. وطيب الذكر على روحك الشاعرة الماهرة.

فلسفة الحب

- محمد مهدي الحمادي
- ١٨٥ صفحة من القطع المتوسط

كل شيء في كوننا وتكويننا له معنى.. وكل معنى في حياتنا له وظيفة.. وكل وظيفة وأدوات طرح لها فلسفة.. التعبير عنها عملية (تشريح لأبعادها الظاهرة والخفية.. منها ما يمكن إدراكه عن قرب.. ومنها ما يمكن استغراقه عن بعد.. ومنها ما هو غامض لا تفسره الكلمات.. ولا تقوى على إظهاره الأبيات.. ترى أين سنجد فلسفة حب شاعرنا وقد أعطى لديوانه عنواناً فلسفياً مقروناً بالحب؟

(حروف الحب) كما يتبادر إلى الذهن أربعة (أ. ل. ح. ب) تجاوزها إلى القصيد المشحون بكلمات الحلم والشوق.. والهجر.. كما يلجأ إليها أي شاعر بلغة (مشاعة) لا يجهد الذهن فهمها.

رأيتك حلماً داعب الروح بالهوى ... وأيقظ أشعاري وحرك قلبيا

رأيتك أحلى صورة يا حبيبتي ... إذا همس الصوت الجميل حبيبيا

لشوقه بها يهفو إلى الوصل.. مناشداً إياها أن لا تغضب.. وأن لا تجهد قلبه الضعيف.. (مطالباً حبيبته) أن تسمعه حروف الحب..:-

وما عدت أقوى الهجر حتى دقائقا ... وأعلم أني لست أقوى الثوابتا

فقولي حروف الحب لا تترددي ... وأربعة قولي فقد ضاق كونيا

واستجابت على غير ما اعتاد عليه شعراء كثر يُناشدون ويُنشِّدون.. وينشدون دون إجابة..

(أحبك) قالتها فضجت مشاعري ... فزيدي عليها قبلة فوق خديا

من أحب من أعماق القلب لا يمن بقبلة.. ولكن لماذا العجلة وفي الوقت متسع. من شوق

إلى آخر يأخذنا شاعرنا معه:-

أراني أكتب الآهات قهرا   فيطربني الهوى رغم احتراقي
أفتش في سكون الليل عنها   وأبحث عن سبيل للتلاقي

تأخذه متاهة الدرب يمنة ويسرة في بحث لاهث مكدود:-

خذيني إنني ظمآن حب   ولا يطفي الظمأ إلاك ساقي

هذه المرة لم تجبه.. جمع أوراقه ووقف أمام آلة النجوى يعزف للقبلة سيمفونيتها:-

أضم لصدري حبيب الفؤاد   وألثم ثغراً عليه اشتعال
فأسرع كيما أذوق الحياة   فنار المحبة تزجي النضال
فما عاد يبكي فؤاد جريح   ففاق التشوق كل احتمال
وعدنا وعدنا وما من هروب   إلى همس ثغر ينادي تعال

ملخص معركة دونها حرب النضال.. نعم النضال في ساحة الحب تماماً كالنضال في ساحة الحرب لها قتلى.. وأسرى.. ومصابين.. ومجانين!

نعود إلى فلسفة حب كما يراها:-

نبض المشاعر في الأعماق تحيينا   وأحرف الحب طيف من أمانينا
بعض الحروف حوت آهات قصتنا   وبعضها يممت أحلام ماضينا
إن الهوى لغة في العمر خالدة   ولحنه نغم يحيي قوافينا
لو تدركين إذاً ما الحب يا لغتي   الحب كوثره ما زال يسقينا

قال هذا وأكثر عن الحب.. وفلسفة الحب.. وعذوبات الحب وليته أردف أيضاً عذابات الحب لأنها أيضاً قناة طرح مشتعلة (انتظار) محطة جديدة:-

طال انتظاري والجحيم محاصري   وأنا أحدق في الطريق بناظري
والحب يسكنني وطيف ساحر   وأظن أن عبير عطرك ساحري

تتربعــــين حبيـــبتي في عـــالمي   بل كل أنسجتي وكل مشاعري
وأغار من نفسي إذا ضج الهوى   لكنما نفسي تعيك فحاذري
طال انتظاري والمعاناة التي   تشتاق إن ترقى لطيف عابر

هكذا خيال الشاعر يفارق نفسه بنفسه حين تشتعل نار حبه.. ومع هذا يبقى مكانه يطعم معاناة الانتظار في تلذذ.. مفارقة.. (كبرياء) وحروف أربعة ذات نكهة متمردة على غير المألوف.

رميت الحزن والبلوى ورائي   وعاد الحب يجري في دمائي
وجفت دمعة في العين حرى   وصار الصمت من لحني غنائي

الشطر الأخير يحسن تعديله على النحو التالي:- (وصار الصمت في لحني ونايي) اللحن والناي.. متوافقان صوتاً وأداة.

وجرحي لم يعد جرح الزرايا   ففي صدري جبال من إبائي
لقد مات الأسى بالرغم مني   وماتت لوعتي وهزمت دائي

ما دمت أنت رميت الحزن والبلوى وخلفتهما وراءك.. فلماذا موت الأسى بالرغم عنك؟ إن موته بإرادتك ورغبتك.. كل هذا الفأل.. وكل هذه الفرحة وما زالت معشوقتك في عالم الغياب.. كيف بها لو أنها ماثلة أمامك؟

رجائي أن أراها عن قريب   أيا ربي فحقق لي رجائي

غيرك أحب بالسماع دون رؤية في البيت الأول ومات أيضاً بالسماع دون رؤية في البيت الثاني.

يا أم عمرو رعاك الله صالحة (١) ردي علي فؤادي أينما كان
لقد ذهب الحمار بأم عمرو (٢) فلا رجعت ولا رجع الحمار..

(رباعيات الخجل):-

وطرقت بابي بعد كل تردد   تتحسسين مشاعري وعذابي

وعرفــت أنــي ســابح بمــدامعي فنطقـت (كـلا) فالمصاب مـصابي
لــو تــدركين الحــب يــا نــوارتي أضــنى فـؤادي.. واسـتباح شـبابي
مهــلاً فــإني في غرامـــي تائــه إنــي أحبــك مــن سـنا إعجــابي

(سنا الإعجاب) الأنسب منه (مدى الإعجاب).. وفي كلّ صحة..

(حنين ما قبل الرحيل) يقول فيها:-

أحبك يا حلمي ويا نبض خاطري ويـا قـصة الأحـلام يـا أحـرف الـشعر
لقد تعبت روحي من الهجر والجفا ومـا سـئم التقبيـل يـا منـيتي ثغـري
تمـرد قلـبي واسـتراحت قـصيدتي وحتمـاً أراك الآن روحـي الـتي تـسري
تعـالي فركـب العمـر مـاض وقـصتي شعاع الهوى الوضاء في ظلمة الفجر

الفجر يا عزيزي رمز لانبزاغ النور ومقدم الضوء.. أحبذ أن تكون ظلمة الهجر.

شـاعرنا لا يـشبع مـن الحـب.. كـل أشـعاره شـعور بـا لهوى.. والجـوى.. والـشكوى والقليل القليل من الرضى.. هذه المرة مع (الضياع):-

حاولــت أن أحيــا الغــرام بقربهــا لكـــنني أســـفا بقيـــت بوحـــدتي
كـم لحظـة عـشت الحيـاة بحبهـا حتــى نــسيت مــع المحبــة غــربتي
لكنـــه حظـــي الـــرديء أذلـــني ووقفـت أبحـث هـا هنـا عـن عزتـي
لكنهـــا ضـــاعت وقلـــبي هـــائم وجلست أكتب في الضياع حكايتي

الحـظ الـرديء أشبه بالحـب الـرديء المذل.. كرامـة الحـب أن تظـل عزيـزاً حتـى درجـة التضحية المُرة.. لا حب دون عزة نفس وكرامـة حس.. ولكن مـاذا يبقـى للشعراء إن هـم عاشوا حباً لا تنكر فيه.. ولا تذكر لهوانه وهجرانه؟

أخشى على مركب سفرنا الغرق في بحر الحب.. فمن موجة مد إلى موجة جزر.. لا شاطئ يقربنا منه ويبعدنا عن آهاته وأناته..

(الحب أنت)..

أمسى غرامك يجري في عروق دمي | والقلب رغم الأسى ما زال يهواك
يا من سرى حبها في كل أنسجتي | ما كان ذاك الهوى والحب لولاك
أضحى اللقاء هنا شعري وأغنيتي | ما أجمل الحب في واحات دنياك
وقفت أرقب في مرآك قافية | وحار فكري الذي أعياه مرآك

لست وحدك الذي حار فكره لكثرة غزواتك الوجدانية دون كلل ولا ملل.. ومع هذا لا نملك معك إلا التحمل.. إلا (إذا). :-

إذا ما القيد أثقلني | وصار الحزن مفترسي
وأبكتني جراحاتي | وحار الكون في بؤسي
عزفت هواك أغنية | وصغت الشعر من بأسي

جميل أن تلجأ من همومك إلى إيقاعات شعرك الواثق.. المنتصر على بؤسك.. البأس في الحب أمضى من اليأس فيه.

نتجاوز الكثير من محطات حبه المتناثرة كالجزر الصغيرة في محيط الغرام.. ونقترب من مشهد غير مألوف:-

(مزقيها، مزقيني)..

مزقيها.. مزقي روحي تسكن في أوشال ذاتي

مزقي الصمت الذي يجتاح قلبي | كلما دوت على لقياك حبا أغنياتي
مزقي الوهم الذي يغتال تمثالاً بريئاً | مزقي الهم الذي يغتال أحلى ذكرياتي

لماذا كل هذا الصلف والعناد؟:-

أنت أحلامي الذي أبحث عنها فمشت نحوك

يا قافية الشعر سريعاً خطواتي

مزقيها ثم إن شئت فعودي مزقيني

فأنا من قرر الحب..

وما طعم غرام سوف يهوي للمحال..

نعم بيده.. لا بيدها قرر إسدال الستار على مشهد لا يروق له.. ومع هذا يشنف أسماعنا بمعزوفته الخرساء..

وبقيت الآن وحدي وحروفي متعبات وابتساماتي أنين وأغانيَّ عذاب

لست أدري ما دهاني فالرزايا دمرتني وشجوني أرقتني واعتراني الاكتئاب

ويتساءل في غمرة أحزان:- أكتب الشعر لماذا؟ ولماذا؟ ولماذا؟

يخاطبها:- وهي المتمردة لا هو:-

اكتبي أي كلام! ابعثي أي جواب! فخذيني.. إنني ما عدت أقوى..

واعزفيني مرة أخرى وأخرى فأنا أشعر أني صورة للاغتراب

هذه معزوفة خرساء لا ألحان فيها فاسمعيها فأنا معزوفة خرساء لا ألحان فيها..

كيف لها يا عزيزي سماع معزوفة خرساء لا لحن فيها ولا وتر معها.. الشفرة هنا لا تنقل المشاعر الصامتة إلا إذا كانت بمعايير أبي الطيب المتنبي حين قال:-

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم
حتى هذا لا يصدق!

(أريد أن):-

حبيبتي أريد أن اطارح الزمن
أريد أن أحطم الساعات
أريد أن أكسر الصمت الذي يغتالني وأسقط الوثن
فلم تعد تتعبني توافه الأشياء
ولم أعد أهتم يا حبيبتي بالموت والفناء

الموت والفناء وجهان لعملة واحدة أحس بأن الأقرب إلى السباق (الموت والبقاء) حتى وإن خاط لي الزمن ملامح الكفن.

الملامح لا تخاط وإنما ترسم وتصور.. حسنا لو أبدل الملامح (بأنسجة) أو (بأقمشة) الكفن..

فإني أدركت يا حبيبتي أنك لي وطن..

هذا يكفي لأن تضحي بكل الأشياء من أجلها.. الوطن الحب.. والوطن التراب.. والوطن الولاء وانتماء.

شاعرنا أعطى لنا درساً في الحب.. ماهي أدبياته ومفرداته؟!

بيد أوراق الدفاتر كنت لي صورة عشق
رسمتها كلماتي.. نبض شعري والخواطر
كان أستاذي قوياً..
وأنا بالرغم من ذاك كتبت الشعر يا أغلى المشاعر
وخرجت الآن من بوتقة الدرس
وقد صرت بقاموس الضمائر
أنا في واد سحيق إنما سافرت طوعاً
لأراضيك.. وكم في الحلم مسافر.
تعب الأستاذ من شرح دروس
وأنا ما تعبت كفي برغم أن جرحي اليوم غائر
اسكني في مفرداتي وانهلي من بحر شعري
واقتلي كل الكبائر

لعل درسه كان من أجمل ما أعطاه.. وما استوحاه من مدرسة شعره ومشاعره..

أخيراً إلى أميرته الفاتنة.. وكل فارسات قلبه فاتنات رغم اختلاف المواقف والنهايات:-

حبيبتي إن الهوى يقتلني فهل إلى رؤياك من طريق؟
إني هنا منذ زمان حائر في وحدتي
الشوق قد حاصرني وصوت في بحر اللظى يا منيتي غريق
والشعر يحكي في دمي أشجان قصتي

فهاك من معنى الهوى صبابتي إن الهوى يقتلني

فهل إلى رؤياك من طريق؟!

فاتنته لم ترد.. ربما لأنها لم تسمع.. وربما سمعت واختارت الصمت.. ومع هذا بقي شاعرنا العربي محمد مهدي الحمادي في صراع مشبوب مع الحب لا تنطفئ له جذوة.. لعله من القلائل الذين أفرغوا ديواناً بكامله من ألفه إلى يائه عن الحب وما أدراك ما الحب.. بقيت لي ملاحظة عابرة على العنوان (فلسفة الحب).. الفلسفة يا عزيزتي أكثر عمقاً.. وأعمق تصوراً من مجرد توصيف لمواقف عاطفية توظف فيها المفردات.. الفلسفة غوص في أعماق الرؤية التحليلية للأشياء المبطنة وكشفها من خلال زوايا استنباطية تضيف دلالات جديدة غير مطروحة وأحسب أن أنسب عنوان لديوانه (رحلة حب) أو (من حب إلى حب) أو أي عنوان آخر.. أخيراً الشكر لشاعرنا على تجارب حبه التي منحتنا جميعاً فرصة القراءة.. وفرصة الإبحار في محيط حب لا ينتهي.

متدثر بالبياض

- عبدالله السميح
- ٩٠ صفحة من القطع المتوسط

التدثر بالبياض خير من التدثر بالسواد.. في الحالة الأولى إشراقة أمل.. وفي الثانية إغراقة ألم.. العنوان وحده لا يكفي.. لا بد من الغوص في الأعماق كي نرى المحصلة.. كنز ثمين نحصل عليه من خلال المخزون الفكري.. أم سعي جهيد تخرج شباكه خاوية وخالية؟

أحسب أن الفأل أقرب إلى الحدس والتخمين.. وهذا ما سوف نكتشفه معا مع شاعرنا من خلال الرحلة في محيط الشعر.. (ترتيله لصباحات الرياض) ماذا قال فيها:-

كلما ناغيت عينيك. وأضمرت الغناء
وتهامى عطركِ الفواح في بهو المساء
وعزفت الخطو يا فاتنتي
شامخ الوقع.. عريق الكبرياء
كلما لاح محياك.. وجاء الصبح مفتونا
وأهداك مقاليد الضياء
همهم الحرف.. فأشعلت الرؤى
في هزيج الشعر.. أبحر عن سفر اللغات..
هل وجدته شاعرنا..؟

إغراق في توظيف المفردات.. وفي توصيفها هي الشعر واللحن الخرافي حيث تختال القناديل وتخضل القوافي.. وحيث الشيح والقيصوم يتراقص ويغني أجمل الأمنيات.. وأعذب الأغنيات.. كل هذا مفرح.. ولكن ماذا بعد؟ هل إنها مجرد أمانٍ.. أم ماذا؟:-

جئت يا سيدتي منكسرا

اتملى فيك آمالي الطوال

فابتسمت. ثقة أن الضنى

منثنى الصدق به أن لا يقال!

آه.. يا فارعة المجد.. ويا وهج الجمال..

ما بعد الآه مجرد انتظار.. لا نعرف له نهاية..

(توقيعات على اللحن القثيري) عنوان يقصد منه اللحن القيثاري نسبة إلى قيثاره الذي عمد إلى كسره.. وبعثرة أغانيه:-

هكذا والشمس صكت وجهها

والمدى يهمي بماء حالك

قلت:- مزقت ترانيمي

وكنت بشرية الشعر ارتاد (الحمى)

لماذا كل هذا العنف والصلف يا شاعرنا..؟ القيثار قبرتَ نغمه بالتحطيم! الترانيم مزقتها.. ماذا أبقيت لديك من صوت جاذب غير التمني.. والتملي لجسد لغة عذراء لا تتحرك.. الليل وحده لا يشفع في لغة الحب في ظل صمت قلب اعتراه الهم فنام.. يبدو أن الفرج جاء من غير شاعرنا خطى محبوبته زينب كان لها الإيقاع في ظل صمته الذي استيقظ أخيرا.. وغنى لها أغنية اللقاء.

(بابها الموارب)

موارب بابها حزنا وقد هرمت ... أطرافه. واختلى في صدره القلق

يبكي الأصيل إذا مرت نسائمه ... حباله. ويساقيه الضنى الشفق

يا له من باب مسكين يعيش على ذكريات صدى السنين..:-

ما زال يرقب خطو العابرين به ... إذا رأى الشارع المكلوم يندفق

ويسأل الظل عن أيام فاتنة ... ما كان من بعدها في خطوة يثق

كانت تباكر هذا الباب تلبسه — من صبحها أملا بالغيث يندلق
لكنه الآن. والأحزان منزلها — يرنو. وأحلامه في صدره مزق

مسكين هذا الباب الذي يقتات على فتات ما تبقى من ذكريات (السراب) نقلة جديدة مع شاعرنا عبدالله السميح:-

نادى السراب فلبت كل بلقعة — ألوى بها الجدب واستشرى بها العدم
غنى الهباء على أصقاعها حقبا — وظل يختال فيه سيله العرم
وللهواجر فيها سطوة هزمت — إطلالة الماء أنى تهفو الديم

وددت لو استبدل مفردة (تهفو) ب(تهطل) لأنها الأنسب للمعنى ولإيقاع الشطر. ومفردة يختال به يجتال أوغل بنا في وصف المشهد.. حصى تبلد فيه الصمت لعوسجه.. وعجفاء توزع خيبتها على الآفاق من حولها.. يستبد به شبح الوهم أكثر وأكثر..

يا صانع الوهم كم أحجبتها سفها — وكم تباهت بما تستنه النقم
أملت أن نسلم الأيام رونقها — وان تضاحك فيك الشيب والهرم

ويستفيق أخيرا من لمعان سرابه الخادع.. يصحو إلى نفسه:-

يا صانع الوهم ما درب يضيق بنا — إلا وتعبره الآمال والهمم
سنسكب النور في عين الدجى ولنا — حصن النهار إذا ما اشتطت الظلم

حسناً جاءت القفلة بعد أن أخذتنا الغفلة السرابية وكدنا جميعا نموت ظمأ.. ما برحنا نعيش رحلة الظمأ.. بعد السراب ونهايته المفرحة اشتط بنا السير مدفوعين بحلم الورد.. وأمل الماء..:-

خالف الركب. وأخلى زمنه — ومضى في التيه يطوي شجنه
ضاربا في فلوات أججت — همه النائي.. وغنت محنه
يتهجى حلم الماء الذي — كلما لاح هجيرا أثخنه!
لم يزل يقفو غيابات السرى — وينادي في الدروب الموهنه

(غيابـــات الـــسرى) صـــحيحة.. إلا أن الأكثـــر توفيقـــا منهـــا (بغابـــات الـــسرى).. بعد هذا العناء المضني بحثا عن ماء يطالب حلمه بالرحيل دون غناء..

فترحـــــل أن هــــــذا زمــــــن حامــــل فيـــه المغـــني كفنـــه

لماذا المغني وحده..؟ كلنا نحمل أكفاننا ونحن نعب من الماء وما هو أشهى من الماء.. الكفن رداء ما بعد النهاية.

شعر.. وشاعره التقيا على عتب:-

قالـــت:- لمـــاذا تخفـــى كـــل شـــاردة تنثـــال عطـــرا. وتـــردي مهجـــتي أمـــلا

أســـرفت في كبـــت هـــذا النـــور أزمنـــة وللمـــساديرأيـــد تعـــزف الخجـــلا

هـــذي الـــسحائب رغـــم الحـــزن تمـــنحني صـــبحا بأعمـــاق روحـــي يـــوقظ الجـــدلا

لكـــن صـــوتك. والأوهـــام عاصـــفة في غابـــة الصمت مهمـــا انهـــل لـــن يـــصلا

بهذا الجواب القاطع لن نتطلع إلى الرد مهما كان ذكيا، وشقيا فأبواب قلبها موصدة لا أمل في فتحها.. حين تحضرين ينبجس الضوء:-

اتوق لصوتك كل صباح

يتسلل كالضوء في قلعة الاختناق

فيلمحني غارقا في الضجر

ويمد إلي يد الانعتاق..

ويأخذني بعيدا على صهوة الانشراح

وهناك يعلمني وشوشات الزهور وهمس المطر

المطر يا صديقي لدقاته صوت.. حسنا لو قلت (ووقع المطر) هذه المرة انتهت على خير فلا سراب. ولا غابات. ولا وهم.. كسبنا الجولة..

(انكفاء) عنوان جديد.. وشعر جيد:-

رب يـــــوم يـــــؤوب فيـــــه القـــــصيد ويــــزف الربيــــعَ شــــعرٌ جديــــد

ســـــامق كالنهــــار يمتــــد زهــــوا تتغنـــــى بـــــه الربـــــى والنجــــود

حين تأتين كانبثاق الأماني كابتهاج الغريب حين يعود
كرفيف السنا، كنفح الخزامى وبعينيك تستكين الوعود

لم يكمل لنا شاعرنا الفرحة استكثرها على رفاقه وصحبة دربه:-

إنما الآن والليالي فراغ خالق والدجى قوي عنيد
والاغاريد تمتمات احتضار والرؤى الزهر يستقيها الجمود

لوطنه المخبوء على داخله غنى:-

تسامى عن التشبيب والعشق شاعر تنحت فيه عن ربع (ليلى) مطامحه
اذا ما تراءت في لياليه متعة أبانت رداها عفة لا تسامحه
تخالسه (نجد) على الشوق والنوى وتفتر عنها كل يوم ملامحه
وللوطن المخبوء في عمق نبضه غداة التنائي لهفة لا تبارحه
يشيعه زخم من العلم والحجى ويحفزه من مطلع الفجر واضحه..

(ربما) وتداعياتها في ثقافة شاعرنا السميح:- .. كثير من أبياته تتوكأ على عكاز.. ليته أعفى لها الاستقامة كي لا تعرج..

كل شيء يجوز في زمن البؤ س، فسحق من الغبي الغباء!
ربما حرك الغبار عشيا ملئه الفخر.. ملئه الخيلاء..!

أحب أن مفردة (ملئه) التي وردت في الشطر الأخير مرفوعة بالضم على الواو.. أي (ملؤه)..

ربما جاءك الصباح بهيا فرنت منه نحوك الظلماء!
فلمحت الوجوه وهي انكسار وشهدت الرؤوس وهي انحناء!
ورأيت الرصيف ينقل النا س. ويدعو إلى الوراء الوراء
والمدى غابة تمور هباء ويغني بجانبيها الهواء!

يتمنى الغريب فيها طريقا ... ودروب الضياع فيها سواء!

تأملات.. وتجليات دارت في خلد شاعرنا تحمل (ربما).. وربما أيضا في خواطر غيره.. الحياة مسرح تساؤلات..

(أضواء. وأشلاء) عنوان يجمع في وجهيه الأنس. والبؤس.. كيف تتفقان؟!

قوافل الحزن في عينيك يا (أمل) ... دلائل التيه. والأرزاء تنهمل
يا للعيون التي غنى المساء لها ... إذ أصبحت بسواد الليل تكتحل
لما رأت زمنا يمتص في صلف ... دمع الثكالى.. وبالأحلام ينتعل
رأت فضاء تحوم الموبقات به ... ليلا. ويلهث في أجوائه الوحل
دما يفوح واشلاء تتوق إلى ... يد تلملمها. والموت يحتفل
وفوق مسرحها تختال راقصة ... تهز أعطافها فحشا. ولا خجل
ترتد عن صدرها الأضواء لاعنة ... صناعة العهر حيث الحسن يبتذل

وجه يتشكل في عالم عملته حب وحرب خير وشر، فضيلة ورذيلة.. طهر وعهر.. هكذا يبدو المشهد منذ القديم القديم انتصار واحتقار..

وللنزق في تجارب حياته مرارة لم يستطع كتمانها:-

هل تعلمين لماذا كنت محتدما ... ضيقا وفي شفتي النار تنهمر
وكيف أمست قناديل الهوى مزقا ... وبينها رفرفات الشوق تنتحر
وكيف في لحظة بالحب وادعة ... كل الهنيهات ذات الصفو تنفجر

مجموعة استفهامات تعوزها علامات استفهام (؟. ؟. ؟)

لأن عينيك لم تدرك براءتها ... تميز الحر غيضا حين ينكسر
والجدب يقحمه في كل مهلكة ... وساري البرق لا صحو ولا مطر
كم شام برقا بحسن الظن أمله ... حتى رأى حاسب الإملاق ينتشر

وجه آخر للسراب يجذب نحوه العطشى فيزيد من عطشهم.. آه ما أبشع أن يأتي حلمك للأشياء مجرد وهم تصطدم به على أرضية الواقع.

(معزوفة البكاء في أعياء الميلاد)..

كان يمشي مكبا على حزنه

تشربله موشحات الهموم

سائراً موغلا في قفار الشجن

تحف به رفرفات الحنين. وتنهشه الغربة القاتلة

إلى أين وصلت به الوحشة. والوحدة؟:-

حينما اشتم في لحظة عابرة

عبقا قادما من تراب الوطن

فظل يجوس بآلامه خلال المكان

يتفرس في أوجه العابرين

وتعرض عن وجهه السابلة

كل هذا السرد مجرد مدخل لمعزوفة بكائه في عيد مولد.. قدماه أجهدتا وهو يجرجر خطواته كمن يبحث عن شيء ضائع حين جاءت إليه فتاة المحل وهي تسأله:-

(أي شيء يفضله للغداء)؟

لم ينبس ببنت شفة.. كان منهمكا يغالب شوقه للبعيد.. لأسرته التي تنتظر عيدها بعودته إليها..

عندما قرأت عيناه فجأة ما على الطاولة

(لك عام سعيد)!

اغرورقت عيناه بالدموع.. كان يرى أحرف بطاقة التهنئة المنصوبة على طاولة غدائه نتفا من الضباب.. لم يكن مدركا أنها كتبت فوق كشف حساب غدائه.. العيد في البعيد مجرد ذكرى لذاكرة الهجر والاغتراب لا ترسم فرحة لشفة ولا خفقة لقلب إنها أشبه بالثوب المستعار لا يستر.. (شوارع القدس. ونبضنا الباقي) حسنا أن رصد لنا

ولو موقفا واحدا يتحدث عن واقع مدينة مقدسة هي القدس. بمسجدها.. بصخرتها. وبأهلها الذين تسكنهم الغربة رغم أنهم داخل مدينتهم.. يوم أن تحدث عنها كانت بارقة الأمل تومض في سماء العرب واعدة بالنصر لا بالقهر..

غيم على القدس مذ لاحت بوادره ... والحق يعصف بالاستار والحجب
ويهتك الستر عن عورات من سدروا ... في غيهم واحتموا بالشك والريب
برق على القدس جلى كل داجية ... من الهوان. وأحيا ثورة الغضب
شوارع القدس نبض ليس يوقفه ... لغو المرابين من عجم ومن عرب

إلى أن يقول بلغة الحالم:-

تجلت الأرض ذات الطهر فامتشقت ... سيف الجهاد بإيمان وعزم نبي
تشربت بدم الأحرار فانبجست ... بالنار في وجه أفاك ومغتصب
تلفت الحجر القدسي فانبعثت ... اشعة النصر من تلٍّ. وكف صبي

يشير إلى انتفاضة القدس التي خمد اوراها.. وانطفأت نارها.. إلى الثورة التي تحولت إلى بؤرة تنهش بعضها من بعضها ومن أهلها وأقرب المقربين إليها.. القدس يا شاعرنا تطوقها المستعمرات من كل جانب.. والحرم القدسي أخشى أن يتحول إلى حائط مبكى نذرف تجاهه دموعنا عن بعد..

أخيرا.. مع هذه المقاطع من قصيدته (الباطل).. كم تمنيت أن تكون قصيدة لبطل وليس لباطل.. ما أحوجنا إلى الأبطال في زمن الهزيمة:-

لقد هان قدر المجد إذ صار مطلبا ... تمطى له وهنا رقاب الأراذل
سدى نتساقى الصبر في كل بلقع ... وتحدو رؤانا في ظلام المجاهل
وقلنا انتجعنا النجم عن كل موقع ... وخيم يناجي وحله وجه سافل
وجدنا السهى كالسفح يمتاح ضوءه ... بغاث الدياجي بين فدم وواغل

مع هذا يا شاعرنا عبدالله السميح أمتنا لم تمت.. رحم حياتها أرحم من أن نفقد

الأمل.. الحق لابد وأن ينتصر مهما طال الزمن.. وساد ليل الظلام.. والظلم.. وبعد وقد استغرقنا سويا ديوانك متدثر بالبياض.. أحسب دثاره كحليا ورماديا باستثناء بقع بيضاء قليلة.. الذنب ليس ذنب شعرك ولا مشاعرك كلها جميلة وجديرة بالإشادة.. الذنب ذنب اختيارك لعنوان ديوانك.. أنه في واد ومضمونه في واد آخر كله يتحدث عن السراب. والهم.. والبقيعة والفجيعة. والحب الذي لا يكتمل والحلم الذي يضيع. أشكرك.. وأقدر لك الجهد في محتواه.. وإلى لقاء متجدد إن كان في العمر بقية.

العنـــاوين



كتب صدرت للمؤلف

✱ قصائد تتوكأ على عكاز	شعر
✱ قصائد تخاطب الإنسان	شعر
✱ صفارة الانذار	شعر
✱ اغنيات لبلادي	شعر
✱ رباعياتي	شعر
✱ ابحار. ولا بحر	شعر
✱ ذرات في الأفق	شعر
✱ لقطات ملونة	شعر
✱ أغنية العودة	شعر
✱ حلم طفولي	شعر
✱ أبيات.. وبيات	شعر
✱ تجربتي مع الشعر الشعبي	شعر
✱ حتى لا نفقد الذاكرة	نثر
✱ رسائل إلى نازك	نثر
✱ فلسفة المجانين	نثر
✱ أجراس المجتمع	نثر
✱ وللسلام كلام	نثر
✱ حروف تبحث عن هوية	نثر
✱ ثرثر الصباح	نثر
✱ استراحة داخل صومعة الفكر (الجزء الأول)	نثر
✱ مجموعة مجلة «الاشعاع»	نثر
✱ شبح من فلسطين	قصه

مؤلفات لم تطبع بعد:

(١) استراحة داخل صومعة الفكر (٣) أجزاء — نثر
(٢) محطات في رحلة في قزحية — نثر
(٣) حول العالم — نثر
(٤) أفكار مضغوطة — نثر
(٥) الباب المفتوح — نثر
(٦) كلمات للحياة — نثر
(٧) ضحك كالبكاء — نثر
(٨) جعجعة. ولا طحن — نثر
(٩) نافذة على عالمنا العجيب — نثر
(١٠) عالم نضحك منه. وعليه — نثر
(١١) ثرثرة الظهيرة — نثر
(١٢) ثرثرة المساء — نثر
(١٣) رحلة على جادة الكلمات — نثر
(١٤) عناوين. ومضامين — نثر
(١٥) شريط الذكريات — نثر
(١٦) عالم فوق صفيح ساخن — نثر
(١٧) على هامش الصحافة — نثر
(١٨) أوراق من زمن العبث — نثر
(١٩) جراب الحاوي — نثر
(٢٠) فقاعات في الهواء — نثر
(٢١) حوارات — نثر
(٢٢) البواردي. في عيونهم — نثر
(٢٣) جد. وهزل — نثر
(٢٤) خواطر كاريكاتورية — نثر

(٢٥) في موكب الاشعاع	نثر
(٢٦) بقايا من البقايا	نثر
(٢٧) الحياة كلمة	نثر
(٢٨) ما قل. ودل	نثر
(٢٩) من يشتري التاريخ مني؟	شعر
(٣٠) عفوا بغداد	شعر
(٣١) الجراح حين تتكلم	شعر
(٣٢) أبيات محظورة	شعر
(٣٣) عازف على قيثارة الزمن	شعر
(٣٤) كل الأشعار لا تقتل الظمأ	شعر
(٣٥) همهمات شعرية	شعر
(٣٦) قصائد للصغار	شعر
(٣٧) الموجة قادمة من القاع	شعر
(٣٨) عناقيد في كرمة صغيرة	شعر
(٣٩) قيثارة الوجع	شعر
(٤٠) رسائل مفتوحة	شعر
(٤١) قصائد قاصرة النمو	شعر
(٤٢) وما زال للأحزان بقية	قصه
(٤٣) خاطرة البردوتي	قصه
(٤٤) عبقري المدينة	قصه
(٤٥) الحب يولد صغيرا	قصه
(٤٦) سنابل في مهب الريح	قصه
(٤٧) مثل شعبي في قصة	قصه
(٤٨) خارج دائرة الضوء	قصه
(٤٩) أنت الجاني يا أبي	قصه